

قد لأنها مظنة التوقع فإن المخاطب إذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلح بن إدريس أول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة أو أربعين فقال يا قوم اعبدوا الله أي اعبدوه وحده لقوله تعالى ما لكم من إله غيره وقرأ الكسائي غيره بالكسر نعتا أو بدلا على اللفظ حيث وقع إذا كان قبل إله من التي تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم إن لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي إلى عبادته واليوم واليوم يوم القيامة أو يوم نزول الطوفان قال الملا من قومه أي الأشراف فإنهم يملؤون العيون رواء إنا لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة أي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الإثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدرأك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كأنه قال ولكني على هدى في الغاية لأنني رسول الله سبحانه وتعالى

^ ^ أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول أو استثناء ومساقتها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ أبو عمرو أبلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف أوقاتها أو لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والأحكام أو لأن المراد بها ما أوحى إليه وإلى الأنبياء قبله كصحف شيث وإدريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على إمحاض النصح لهم وفي أعلم من الله تقريرا لما أوعدهم به فإن معناه أعلم من قدرته وشدة بطشه أو من جهته بالوحي أشياء لا علم لكم بها أو عجبتهم الهمزة للإنكار والواو للعطف على محذوف أي أكذبتهم وعجبتهم أن جاءكم من أن جاءكم ذكر من ربكم رسالة أو موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم أو من جنسكم فإنهم كانوا يتعجبون من إرسال البشر ويقولون لو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين ^ ^ لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الإنذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على أن التقوى غير موجب والترحم من الله سبحانه وتعالى تفضل وأن المتقي ينبغي أن لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله تعالى فكذبوه فأنجيناه والذين معه وهم من آمن به وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافت وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه أو بأنجيناه أو حال من الموصول أو من الضمير في معه وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان إنهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين وأصله عميين فخفف وقرئ عامين والأول أبلغ لدلالته على الثبات وإلى عاد أخاهم عطف على نوحا إلى قومه هودا عطف بيان لأخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا أبا العرب للواحد منهم فإنه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد وإنما جعل منهم لانهم أفهم لقوله وأعرف بحاله وأرغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره استأنف به ولم يعطف كأنه جواب سائل قال فما قال لهم حين أرسل وكذلك جوابهم أفلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا أقرب من قوم نوح عليه الصلاة والسلام ولذلك أفلا تتقون قال الملا الذين كفروا من قومه إذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد أنا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك وأنا لنظنك من الكاذبين ^ ^ وأنا لنظنك من الكاذبين ^ ^ قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ^ ^ أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ^ ^ أو عجبتهم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي

اجابة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا والأعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وأنا لكم ناصح أمين تنبيه على أنهم عرفوه بالأمرين وقرأ أبو عمرو ابلاغكم في الموضوعين في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح أي في مساكنهم أو في الأرض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الأرض من رمل عالج إلى شحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم

ذكرهم بإنعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة فاذكروا الاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم إلى شكرها المؤدي إلى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والأعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا أما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه أو من السماء على التهكم أو القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فائتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ^ ^ أن كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم أو نزل عليكم على أن المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب إرادة انتقام اتجادلونني في أسماء سميتوها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان أي في أشياء سميتوها الهة وليس فيها معنى الإلهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وأنها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى أما بانزال ايه أو بنصب حجة بين أن منتهى حجتهم وسندهم أن الاصنام تسمى الهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الإطلاق إلى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على أن الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية إذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والإبطال بأنها

أسماء مخترعة لم ينزل الله بها من سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصررون على العناد العذاب بكم أي معكم من المنتظرون ^ ^ فأنجينا والذين معه ^ في الدين ^ برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا أي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن أمن منهم وتنبه على أن الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الإيمان روي أنهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله إليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فأمسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم إذا نزل بهم بلاء توجهوا إلى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرح فجهزوا إليه قيل بن عثر ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان إذ ذاك بمكة العمالقة أولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم و أكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيا أن يكلمهم فيه مخافة أن يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين إلا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا الغماما ^ ^ فيسقي ارض عاد أن عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما حتى غنتا به فأزعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن أن اطعمم نبيكم وتبتم إلى الله سبحانه وتعالى سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فإنها

أكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض
ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم

ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة وعبدوا الله سبحانه وتعالى فيها حتى ماتوا وإلى
ثمود قبيلة أخرى من العرب سموها باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عابر بن إرم بن سام
بن نوح وقيل سموها به لقلعة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل
الحي أو باعتبار الأصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى
أخاهم صالح بن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا
قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جائتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة
الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استئناف لبيانها وآية نصب
على الحال والعامل فيها معنى الإشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز أن تكون
ناقة الله بدلا أو عطف بيان ولكم خيرا عاملا في آية وإضافة الناقة إلى الله
لتعظيمها ولأنها جاءت من عنده بلا وسائط وأسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها
تأكل في أرض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهى عن المس الذي هو مقدمة
الإصابة بالسوء الجامع لأنواع الأذى مبالغة في الأمر وإزاحة للعذر فبأخذهم عذاب اليم
جواب للنهي واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض أرض الحجر
تتخذون من سهولها قصورا أي تبنون في سهو لها أو من سهولة الأرض بما تعملون
منها كاللبن والأجر وتحتون الجبال بيوتا وقرئ تتحتون بالفتح وتحتون بالأشباع
وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة أو المفعول على أن التقدير بيوتا من الجبال أو
تحتون بمعنى تتخذون فاذكروا الإء ولا تعثوا في الأرض مفسدين ^ ^ قال الملاء
الذين استكبروا من قومه أي عن ناليمان للذين استضعفوا أي للذين استضعفوهم
واستذلوهم لمن أمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل أن كان الضمير
لقومه وبدل البعض أن كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملاء بالواو اتعلمون

أن صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا أنا بما أرسل به مؤمنون عدلوا
به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على أن إرساله أظهر من أن يشك فيه
عاقل ويخفي على ذي رأي وإنما الكلام فيمن أمن به ومن كفر فلذلك قال قال
الذين استكبروا إنا بالذي أمنتم به كافرون على وجه المقابلة ووضعوا أمنتم به موضع
أرسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما 5 فعقروا الناقة فنحروها اسند إلى جميعهم
فعل بعضهم للملابسة أو لانه كان برضاهم وعتوا عن أمر ربهم واستكبروا عن امتثاله
وهو ما بلغهم صالح عليه الصلاة والسلام بقوله فذروها ^ ^ وقالوا يا صالح أئتنا بما
تعدها أن كنت من المرسلين ^ ^ فأخذتهم الرجفة الزلزلة فأصبحوا في دارهم
جاثمين خامدين ميتين روي أنهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا
أعمارا طوالا لا تفي بها الابنية ففتحوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة
فعتوا وافسدوا في الأرض وعبدوا الأصنام فبعث الله إليهم صالحا من أشرفهم
فأنذرهم فسألوه آية فقال آية آية تريدون قالوا أخرج معنا إلى عيدنا فتدعو إلهك
وندعو إلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا أصنامهم فلم تجبهم ثم أشار
سيدهم جندع بن عمرو إلى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له أخرج من هذه
الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء أن فعلت صدقناك فأخذ عليهم صالح موثيقهم لئن
فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النجوم
بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت
ولدا مثلها في العظم فأمن به جندع في جماعة ومنع الباقيين من الإيمان ذؤاب بن
عمرو والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صغر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى

الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ أو انهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه وتشتو بطنه فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقيا جبالا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه إذ انفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأجابه الله إلى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفونوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربِّي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره أن توليه عنهم كان بعد أن أبصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل قليب بدر وقال إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا أو ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا أي وأرسلنا لوطا إذ قال لقومه وقت قوله لهم أو واذكر لوطا وإذ بدل منه أتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتبادرة في القبح ما سبقكم بها من أحد من العالمين ما فعلها قبلكم أحد قط والباء للتعدية ومن الأولى لتأكيد النفي والاستغراق والثانية للتبويض والجملة استئناف مقرر للإنكار كأنه وبخهم أولا بإتيان الفاحشة ثم باختراعها فإنه أسوأ أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله أتاتون الفاحشة وهو أبلغ في الإنكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص إنكم على الإخبار المستأنف وشهوة مفعول له أو مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل أنتم قوم مسرفون إضراب عن الإنكار إلى الإخبار عن حالهم التي أدت بهم إلى ارتكاب أمثالها وهي اعتياد الإسراف في كل شيء أو عن الإنكار عليها إلى الذم على جميع معاييبهم أو عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل أنتم قوم عادتكم الإسراف وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم أي ما جاؤوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالأمر بإخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريبتهم والاستهزاء بهم فقالوا إنهم أناس يتطهرون أي من الفواحش فأجيبناه وأهله أي من آمن به إلا امرأته استثناء من أهله فإنها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وأمطرنا عليهم مطرا أي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل [^] فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي أن لوط بن هاران بن تارح لما هاجر مع عمه إبراهيم صلى الله عليه وسلم إلى الشام نزل بالأردن فأرسله الله إلى أهل سدوم ليدعوهم إلى الله وبنهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فأمطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وإلى مدين أخاهم شعيبا أي وأرسلنا إليهم وهم أولاد مدين بن إبراهيم خليل الله

شعيب بن ميكائيل بن بسجر بن مدين وكان يقال له خطيب الأنبياء صلى الله عليه وسلم لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن أنها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى صلى الله عليه وسلم التين وولادة الغنم التي دفعها إليه

الدرع خاصة وكانت الموعودة له من أولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع متأخرة عن هذه المقابلة ويحتمل أن تكون كرامة لموسى صلى الله عليه وسلم أو إرهابا لنبوته فأوفوا الكيل أي آلة الكيل على الإضرار أو إطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود أوفوا المكيال والميزان أو الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وإنما قال أشياءهم للتعميم تنبيها على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه ولا تفسدوا في الأرض بالكفر والحيف بعد إصلاحها بعدما أصلح أمرها أو أهلها الأنبياء وأتباعهم بالشرائع أو أصلحوا فيها والإضافة إليها كالإضافة في بل مكر الليل والنهار ^ ^ ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين إشارة إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية إما الزيادة مطلقا أو في الإنسانية وحسن الأحذوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وإن كان واحدا لكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام وكانوا إذا رأوا أحدا يسعى في شيء منها منعه وقيل كانوا يجلسون على المرابض فيقولون لمن يريد شعيبا إنه كذاب فلا يفتنك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي فعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمرة بيانا لكل صراط ودلالة

على عظم ما يصدون عنه وتقيحا لما كانوا عليه أو الإيمان بالله من آمن به أي بالله أو بكل صراط على الأول ومن مفعول على أعمال الأقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بإلقاء الشبه أو وصفها للناس بأنها معوجة واذكروا إذ كنتم قليلا عددكم أو عددكم فكثركم بالبركة في النسل أو المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الأمم قبلكم فاعتبروا بهم وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فترصبوا حتى يحكم الله بيننا أي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعد للكافرين وهو خير الحاكمين إذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملائكة الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا أي ليكون أحد الأمرين إما إخراجكم من القرية أو عودكم في الكفر وشعيب صلى الله عليه وسلم لم يكن في ملتهم قط لأن الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخطوب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك أجري الجواب في قوله قال أو لو كنا كارهين أي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها أو أتعيدوننا في حال كراهتنا

^ ^ قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لأنه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وأدخل عليه قد لتقريبه من الحال أي قد افترينا الآن إن هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزع من الله تعالى ندا وأنه قد تبين لنا أن ما كنا عليه باطل وما أنتم عليه حق وقيل إنه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا خذلنا وارترادنا وفيه دليل على أن الكفر بمشيئة الله وقيل أراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون واسع ربنا كل شيء علما أي أحاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في أن يثبتنا على الإيمان وبخلصنا من الأشرار ربنا افتح بيننا

وبين قومنا بالحق احكم بيننا وبينهم والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل إذا بينه وأنت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملائكة الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعبياً وتركتم دينكم إنكم إذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالتهم بهداكم أو لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام

فأخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مبادئها فأصبحوا في دارهم جاثمين أي في مدينتهم الذين كذبوا شعبياً مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها أي استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمعنى المنزل الذين كذبوا شعبياً كانوا هم الخاسرين دينا ودينا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فإنهم الراجحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجمليتين وأتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكر على نفسه فقال فكيف أسى على قوم كافرين ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم أو قاله اعتذاراً عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الإبلاغ والإنذار وبذلت وسعي في النصح والإشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف أسى عليكم وقرئ فكيف أسى بأمالتين وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء باليأس والضرر لعلمهم يضرعون حتى يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالأميرين حتى عفوا كثر عددا وعددا يقال عفا النبات إذا كثر

كثر ومنه إعفاء اللحي وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقاداً بأنه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فأخذناهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون ينزول العذاب ولو أن أهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما أرسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتحديد ولكن كذبوا الرسل فأخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي فأمن أهل القرى عطف على قوله فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً تبييتاً أو وقت بيات أو مبيتاً أو مبيتين وهو في الأصل مصدر بمعنى البيوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز أو المستتر في بياتاً أو أمن أهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر أو بالسكون على الترديد أن يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الأصل ضوء الشمس إذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة أو يشتغلون بما لا ينفعهم فأمنوا مكر الله تكرير لقوله فأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد وأخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وإنما يهد باللام لأنه بمعنى يبين أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم أن الشأن لو نشاء أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد أي يغفلون عن الهداية أو

منقطع عنه بمعنى ونحن نطيع و لا يجوز عطفه على أصيحابهم على أنه بمعنى وطبعنا لأنه في سياقه جواب لولا فضائه إلى نفي الطبع عنهم ^ فهم لا يسمعون ^ سماع تفهم واعتبار ^ تلك القرى ^ يعني قرى الأمم المار ذكرهم ^ نقص عليك من أنبائها ^ حال إن جعل القرى خبرا وتكون إفادته بالتقييد بها وخبر إن جعلت صفة ويجوز أن يكونا خبرين و من للتبعية أي نقص بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لا نقصها ^ ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات ^ بالمعجزات ^ فما كانوا ليؤمنوا ^ عند مجيئهم بها ^ بما كذبوا من قبل ^ بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب أو فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة على أنهم ما صلحوا للإيمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم ^ كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ^ فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر ^ وما وجدنا لأكثرهم ^ لأكثر الناس والآية اعتراض أو لأكثر الأمم المذكورين ^ من عهد ^ من وفاء عهد فإن أكثرهم نقضوا ما عهد الله إليهم في الإيمان والتقوى بإنزال الآيات ونصب الحجج أو ما عهدوا إليه حين كانوا في ضرر مخافة مثل ^ لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ^ ^ وإن وجدنا أكثرهم ^ أي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول أن المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين إن للنفي واللام بمعنى إلا ^ ثم بعثنا من بعدهم موسى ^ الضمير للرسل في قوله ^ ولقد جاءتهم رسلهم ^ أو للأمم بآياتنا يعني المعجزات ^ إلى فرعون وملئه فظلموا بها ^ بأن كفروا بها مكان الإيمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان ^ فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ^ وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين ^ إليك وقوله ^ حقيق علي أن لا أقول علي الله إلا الحق ^ لعله جواب لتكذيبه إياه في دعوى الرسالة وإنما لم يذكر لدلالة قوله ^ فظلموا بها ^ عليه وكان أصله ^ حقيق علي أن لا أقول ^ كما قرأ نافع فقلب لا من الإلباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر أو لأن ما لزمك فقد لزمته أو للإغراق في الوصف بالصدق والمعنى أنه حق واجب على القول الحق أن أكون أنا قائله لا يرضى إلا بمثلي ناطقا به أو ضمن حقيق معنى حريص أو وضع على مكان الباء لإفادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبي الباء وقرئ حقيق أن لا أقول بدون علي ^ قد جئتكم بينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل ^ فخلهم حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي وطن

آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الأعمال ^ قال إن كنت جئت بآية ^ من عند من أرسلك ^ فائت بها ^ فأحضرها عندي ليثبت بها صدقك ^ إن كنت من الصادقين ^ في الدعوى ^ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ^ ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان وهو الحية العظيمة روي أنه لما ألقاها صارت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا وصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذي أرسلك خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه فعاد عصا ^ ونزع يده ^ من جيبه أو من تحت إبطه ^ فإذا هي بيضاء للناظرين ^ أي بيضاء بياضا خارجا عن العادة تجتمع عليها

النظارة أو بيضاء للنظار لا إنها كانت بيضاء في جبلتها روي انه عليه السلام كان آدم شديد الادمة فأدخل يده في جيبه أو تحت ابطه ثم نزعها فإذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس ^ قال الملاء من قوم فرعون أن هذا لساحر عليم ^ قيل قاله هو وأشرف قومه على سبيل التشاور في أمره فحكى عنه في سورة الشعراء وعنهم ها هنا ^ يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ^ تشيرون في أن نفعل ^ قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين ^ يأتوك بكل ساحر عليم ^ كأنه اتفقت عليه آراؤهم فأشاروا به على فرعون والإرجاء التأخير أي آخر أمره وأصله أرجئه كما قرأ أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب من أرجأت وكذلك أرجئوه على قراءة ابن كثير على الأصل في الضمير أو أرجه من أرجيت كما قرأ نافع في رواية ورش وإسماعيل والكسائي وأما قراءته في رواية قالون أرجه بحذف الياء فلاكتفاء بالكسرة عنها وأما قراءة حمزة وعاصم وحفص أرجه

بسكون الهاء فتلشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في إسكان وسطه وأما قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان أرجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فإن الهاء لا تكسر إلا إذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة ووجهه أن الهمزة لما كانت تقلب ياء أجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحر وفيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء ^ وجاء السحرة فرعون ^ بعدما أرسل الشرطة في طلبهم ^ قالوا أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالين ^ استأنف به كأنه جواب سائل قال ما قالوا إذ جاؤوا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ^ إن لنا لأجرا ^ على الإخبار ويجاب الأجر كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر والتكثير للتعظيم ^ قال نعم ^ إن لكم لأجرا ^ وإنكم لمن المقربين ^ عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم ^ قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ^ خيروا موسى مراعاة للأدب أو إظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في أن يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم إلى ما هو أبلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل أو تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك ^ قال بل ألقوا ^ كرما وتسامحا أو ازدراء بهم ووثوقا على شأنه ^ فلما ألقوا سحروا أعين الناس ^ بأن خيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وأرهبوهم ارهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم ^ وجاؤوا بسحر عظيم ^ في فنه روي أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا ^ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك ^ فألقاها فصارت حية ^ فإذا هي تلقف ما ^

يأفكون أي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز أن تكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي إنها لما تلقفت حبالهم وعصيمهم وإبتلعته بأسرها أقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقال السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص عن عاصم تلقف ها هنا وفي طه والشعراء فوقع الحق فثبت لظهور أمره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا وانقلبوا صاغرين أي صاروا اذلاء مبهوتين أو رجعوا إلى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه وألقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنيها على أن الحق بهرهم واضطرهم إلى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك أو أن الله الأهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين أراد بهم كسر موسى وينقلب الأمر عليه أو مبالغة في سرعة خروهم وشدته قالوا أمانا برب العالمين ^ رب موسى وهرون أبدلوا الثاني من الأول لئلا يتوهم أنهم أرادوا به فرعون قال فرعون أمنتكم به بالله

أو بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين على الأصل وقرأ حفص أمتم به على الأخبار وقرأ قبل قال فرعون وأمتم بيدل في حال الوصل من همزة الاستفهام بهمزة ومدة مطولة في تقدير أنفين في طه على الخبر بهمزة وألف وقرأ في الشعراء على الاستفهام بهمزة ومدة مطولة في تقدير ألفين وقرأ الباقون بتحقيق الهمزة الأولى وتلين الثانية قبل أن نأذن لكم أن هذا لمكر مكرتموه أي أن هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في مصر قبل أن تخرجوا للميعاد ^ ^ لتخرجوا منها أهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبنى إسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتهم وهو تهديد مجمل تفصيله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف من كل شق طرفاً ثم لأصلبنكم أجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لأمثالكم قيل إنه أول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة لله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا إنا إلى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك ا أنا منقلبون إلى ربنا وثوابه أن فعلت بنا ذلك كأنهم استنطابوع شغفا على لقاء الله أو مصيرنا ومصيرك إلى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الأعمال وأصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا إلى الله سبحانه وتعالى فقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا أفض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء أو صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الإسلام قيل إنه فعل بهم ما أوعدهم به وقيل انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى أنتما ومن اتبعكما الغالبون ^ ^ وقال الملائكة من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض بتغيير الناس عليك ودعوتهم إلى مخالفتك وذرك عطف على يفسدوا أو جواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة ألم أك جارك ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون منه تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على انذر أو استئناف أو حال وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فأصدق وأكن ^ ^ وألهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وأمرهم أن يعبدوها تقريبا إليه ولذلك قال أنا ربكم الأعلى وقرئ إلا هتك أي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنتقل بالتخفيف وإنا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت أيدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للأمر بالاستعانة بالله والتثبت في الأمر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتورثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ و العاقبة بالنصب عطف على اسم أن واللام في الأرض تحتل العهد والجنس قالوا أي بنوا إسرائيل أوذينا من قبل أن تأتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا بإعادته قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض تصریحا لما كنى عنه أولا لما رأى انهم لم يتسلوما بذلك ولعله أتى بفعل الطمع لعدم جزمه بأنهم المستخلفون بأعيانهم أو أولادهم وقد روي أن مصر إنما فتح لهم في زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان فيجاريكم على حسب ما يوجد منكم ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه

وبرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم إذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي ينتهبوا على أن ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعطوا أو ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا إلى الله ويرغبوا فيما عنده فإذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لأجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جذب وبلا يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا إلا بشؤمهم وهذا اغراق في وصهم بالغباوة والقساوة فإن الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الايات وهم لم تثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة بأحداثا بالذات ونكر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورها

وعدم القصد لها إلا بالتبع إلا إنما طارهم عند الله أي سبب خبرهم وشهرهم عنده وهو حكمته ومشيتته أو سبب شؤمهم عند الله وهو أعمالهم المكتوبة عنده فإنها التي ساقط ما يسوؤهم وقرئ إنما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ما يصيبهم من الله تعالى أو من شؤم أعمالهم وقالوا مهما أصلها ما الشرطية ضمت إليها ما المزيدة للتأكيد ثم قلبت ألفها هاء استثقلا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء أو النصب بفعل يفسره تأتينا به أي أيما شيء تحضرنا تأتينا به من أية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقاهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين أي لتسحر بها أعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لمهما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وأنه بعده باعتبار المعنى فأرسلنا عليهم الطوفان ماء طاف بهم وغشى اماكنهم حروثهم من مطر أو سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار

القردان وقيل أولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يقدر أحد أن يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه إلى تراقبهم وكانت بيوت بني إسرائيل مشتبكة بيوتهم فلم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا الله فكشف عنهم ونبت لهم من الكلا والزرع تأكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا إليه ثانيا فدعا وخرج إلى الصحراء وأشار بعصان نحو المشرق والمغرب فرجعت إلى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فأكل ما ابقاه الجراد واكن يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا إليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم أرسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب إلى قدورهم وهي تغلي وافواهم عند التكلم ففزعوا إليه وتضرعوا فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهود ثم أرسل عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على أناء فيكون ما يلي القبطي دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبيبات لا تشكل على عاقل إنها آيات الله ونقمته عليهم أو مفصلات لامتحان أحوالهم إذ كان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل أن موسى لبث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات على مهل فاستكبروا عن الإيمان وكانوا قوما مجرمين ^ ^ ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل أو الطاعون الذي ارسله الله عليهم بعد ذلك قالوا يا

موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهدك وهو النبوة أو بالذي عهدك إليك أن تدعه به فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لا دع اوة حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا إليه بما عهد عندك أو متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا إلى ما نطلب منك بحق ما معهد عندك أو قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز إلى اجل هم بالغوه إلى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون

فيه أو مهلكون وهو وقت الغرق أو الموت وقيل إلى اجل عينوه لايمانهم إذا هم ينكثون جواب لما أي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير تأمل وتوقف فيه فانتقمنا منهم فأردنا الانتقام منهم فأغرقناهم في اليم أي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجهته 6 بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا منهم ^ ^ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستبعاد وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق الأرض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنی على بني إسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله تعالى ونريد أن نمن إلى قوله ما كنوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه وقوله ^ وجاوزنا بني إسرائيل البحر ^ وما بعده ذكر ما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن من الله عليهم بالنعمة الجسم واراهم من الايات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما أرى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم روي أن موسى عليه الصلاة والسلام معبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون

وقومه فصاموه شكرا ^ فاتوا على قوم ^ فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم وقيل من لحم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا إلها مثلا نعبدك كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعده ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الايات الكبرى عن العقل إن هؤلاء إشارة إلى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني أن الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها راضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب إلى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم إن والاخبار عما هم فيه بالتبار وعمما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على أن الدمار لا حق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازم لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال غير الله ابغىكم الها طلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء معاملتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم لما لم يستحقوه تفضلا بأن قصدوا أن يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته

^ ^ وإذا انجينا من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرا ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما انجاهم منه أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي

ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء أو العذاب نعمة أو محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ أبو عمرو ويعقوب وواعدنا ^ ^ واتمناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة بالغاً أربعين روي انه عليه الصلاة والسلام وعد بني إسرائيل بمصر أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال ربه فأمره الله بصوم ثلاثين فلما أتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرا وقيل أمره بان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التوراة في العشر وكلمة فيها وقال موسى لآخيه هارون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب أن يصلح من امورهم أو كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الالفساد ولا تطع من دعاك إليه ولما جاء موسى لميقاتنا لو قتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص أي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمة ربه من غير وسيط كما يكلم الملائكة وفيما روي أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على أن سماع كلامه التقديم ليس من جنس كلام المحذنين قال رب ارني انظر إليك ارني نفسك بان تمكيني من رؤيتك أو يتجلى لي فأنظر إليك واراك وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة

لان طلب المستحيل من الأنبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله تعالى لن تراني دون لن أرى أو لن أريك أو لن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل أن يجعلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا إلهًا ولا يتبع سبيلهم كما قال لآخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ إذ لا يدل الأخبار عن عدم رؤيته اياه على أن لا يراه غيره أصلا فضلا عن أن يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار أيضا دليل على الجواز ضرورة أن المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل هو جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطى

له حياة ورؤية حتى راه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء أي أرضا مستوية ومنه دكاء التي لا سنام لها وقرئ دكا أي قطعاً جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما أفاق قال تعظيما لما رأى سبحانه تبت إليك من الجراءة والأقدام على السؤال من غير أذن وأنا أول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه أنا أول من أمن بأنك لا ترى في الدنيا قال يا موسى أني اصطفيتك اخترتك على الناس أي الموجودين في زمانك وهارون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالتي يعني اسفار التوراة وقرأ ابن كثير ونافع وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما أتيتك أعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوراة كان يوم النحر وكتبتنا له في اللوح من كل شيء مما يحتاجون إليه من أمر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور أي وكتبتنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام واختلف في أن اللوح كانت عشرة أو سبعة وكانت من زمرد أو زبرجد أو ياقوت أحمر أو صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده وسقفها بأصابعه وكان فيها التوراة أو غيرها فخذها على إضمار القول عطفا على كتبتنا أو بدل من قوله فخذ ما أتيتك والهاء للالواح أو لكل شيء فإنه

بمعنى الأشياء أو للرسالات بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أي بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالإضافة إلى

الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الأفضل كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم أو بواجباتها فإن الواجب أحسن من غيره ويجوز أن يراد بالأحسن البالغ في الحسن مطلقاً لا بالإضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف أحر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها أو منازل عاد وثور واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا أو دارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من أوريت الزيد وسأورثكم ويؤيده قوله وأورثنا القوم ^ ^ سأصرف عن آياتي المنصوبة في الأفاق والانفس الذين يتكبرون في الأرض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا ما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها أو باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون أي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل أو حال من فاعله وإن يروا كل آية منزلة أو معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم واختلال عقولهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الأول وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي الرشداً بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز أن ينصب ذلك على المصدر أي سأصرف ذلك الصرف بسببها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة أي ولقائهم الدار الآخرة أو ما وعد الله في الدار الآخرة حبطت أعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون إلا ما كانوا يعملون إلا جزاء أعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حلهم التي استعاروا

من القبط حين هموا بالخروج من مصر وضافتها إليهم لأنها كانت في أيديهم أو ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الأفراد عجلًا جسداً بدناً ذا لحم ودم أو جسداً من الذهب خالياً من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي أن السامري لما صاغ العجل ألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل فصار حياً وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوت وإنما نسب الاتخاذ إليهم وهو فعله أما لانهم رضوا به أو لأن المراد اتخاذهم إياه إلهاً وقرئ جوار أي صياح ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً تقرع على فرط ضلالتهم وإخلالهم بالنظر والمعنى ألم يروا حين اتخذوه إلهاً أنه لا يقدر على كلام ولا على إرشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا أنه خالق الأجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم أي اتخذوه إلهاً وكانوا ظالمين واضعين الأشياء في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعاً منهم ولما سقط في أيديهم كناية عن اشتداد ندمهم فإن النادم المتحسر يعرض يده عما فتصير يده مسقوفاً فيها وقرئ سقط على بناء الفعل للفاعل بمعنى وقع العوض فيها

وقيل معناه سقط الندم في أنفسهم ورأوا وعلموا أنهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بإنزال التوراة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء و ربنا على النداء ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً شديد الغضب وقيل حزيناً قال بنسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة أو أقمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهارون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونها من بعدي خلافتكم ومعنى

من بعدي من بعد انطلاقي أو من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه أعجلتم أمر ربكم أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته أو أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم وألقى الألواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي أن التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة ألواح فلما ألقيها انكسرت فرفع ستة أسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام وأخذ برأس أخيه بشعر رأسه يجره إليه توهما بأنه قصر في كفههم وهارون كان أكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لنا ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل قال ابن أم ذكر الام ليرفقه عليه وكانا من اب وأم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن أم بالكسر وأصله يا ابن أمي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادي المضاف إلى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله أو تشبيها بخمسة عشر أن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني إزاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفههم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الأعداء فلا تفعل بي ما يشتمون بي لأجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة أو نسبة التقصير قال رب اغفر لي بما صنعت بأخي ولأخي أن فرط في كفههم ضمه إلى نفسه

في الاستغفار ترضية له ودفعاً للشتماتة عنه وأدخلنا في رحمتك بمزيد الإنعام علينا وأنت أرحم الراحمين فأنت أرحم بنا منا على أنفسنا إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما أمرهم به من قتل أنفسهم وذلة في الحياة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية أعظم من فريتهم وهي قولهم هذا إلهكم وإله موسى ولعله لم يفتر مثلها أحد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وأمنوا واشتغلوا بالإيمان وما هو مقتضاه من الأعمال الصالحة إن ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وإن عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثير كجرائم بني إسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ سكت وأسكت على أن المسكت هو الله أو أخوه أو الذين تابوا أخذ الألواح التي ألقيها وفي نسخها وفيما نسخ فيها أي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها من الألواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة إرشاد إلى الصلاح والخير للذين

هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير أو حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه أي من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل إليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة روي أنه تعالى أمره أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل فاختر من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال إن لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب وبوشع وذهب مع الباقيين فلما دنوا من الجبل غشيهم غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة أي الصاعقة أو رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما رأى أو بسبب آخر أو عنى به أنك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وياغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فإن ترحمت عليهم مرة أخرى لم يبعد من عميم إحسانك أتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل

المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم إن هي فتنتك ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية أو أوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده أو باتباع المخايل وتهدى من تشاء هداه فيقوى بها إيمانه أنت ولينا القائم بأمرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارقنا وارحمنا وأنت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة

^ ^ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة إنا هدنا إليك تبنا إليك من هاد يهود إذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهده إذا أماله ويحتمل أن يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا أنفسنا وأملنا إليك ويجوز أن يكون المضموم أيضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي أصيب به من أشياء تعذبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها فسأثبتها في الآخرة أو فسأكتبها كتبه خاصة منكم يا بني إسرائيل وللذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكاة خصها بالذكر لإنافتها ولأنها كانت أشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم أو خبر مبتدأ تقديره هم الذين أو بدل من الذين يتقون بدل البعض أو الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وإنما سماه رسولا بالإضافة إلى الله تعالى ونبيا بالإضافة إلى العباد الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل أسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير أو كالربا والرشوة ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض

موضع النجاسة وأصل الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر أصارهم فالذين أمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف وأصله المنع ومنه التعزير ونصروه لي واتبعوا النور الذي أنزل معه أي مع نبوته يعني القرآن وإنما سماه نورا لأنه بإعجازه ظاهر أمره مظهر غيره أو لأنه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز أن يكون معه متعلقا باتبعوا أي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون إشارة إلى اتباع الكتاب والسنة أولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى صلى الله عليه وسلم قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم الخطاب عام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا إلى كافة الثقيلين وسائر الرسل إلى أقوامهم جميعا حال من إليكم الذي له ملك السموات والأرض صفة لله وإن حيل بينهما بما هو متعلق المضاف إليه لأنه كالتقدم عليه أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره لا إله إلا هو وهو على الوجوه الأول بيان لما قبله فإن من ملك العالم كان هو الإله لا غيره وفي يحيى وبميت مزيد تقرير لاختصاصه بالألوهية فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ما أنزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على إرادة الجنس أو القرآن أو عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على أن من لم يؤمن به لم يعتبر إيمانه وإنما عدل عن التكلم إلى الغيبة لإجراء هذه الصفات الداعية إلى الإيمان به والاتباع

له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين تنبيها على أن من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو يعد في خطط الضلالة

^ ومن قوم موسى يعنى من بني إسرائيل أمة يهدون بالحق يهدون الناس محقين أو بكلمة الحق وبه بالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الإيمان القائمون بالحق من أهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر أصدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على أن تعارض الخير والنشر وتزاحم أهل الحق والباطل أمر مستمر وقيل مؤمنو أهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فأمنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعاً متميزاً بعضهم عن بعض ^ اثنتي عشرة ^ مفعول ثانٍ لقطع فإنه متضمن معنى صير أو حال وتأتيه للحمل على الأمة أو القطعة أسباطاً بدل منه ولذلك جمع أو تمييز له على أن كل واحد من اثنتي عشرة أسباط فكأنه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين وإسكانها أمماً على الأول بدل بعد بدل أو نعت أسباط وعلى الثاني بدل من أسباط ^ وأوحينا إلى موسى إذ استسقاها قومه ^ في التيه أن اضرب بعصاك الجر فانجست أي فضرب فانجست وحذفه للإيماء على أن موسى صلى الله عليه وسلم لم يتوقف في الامتثال وإن ضربه لم يكن مؤثراً يتوقف عليه الفعل في ذاته ^ منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس ^ كل سبط ^ مشربهم وظللنا عليهم الغمام ^ ليقهم حر الشمس ^ وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا ^ أي وقلنا لهم كلوا ^ من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ^ سبق تفسيره في سورة البقرة ^ وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية ^ بإضمار اذكروا لقرية بيت المقدس ^ وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وإدخلوا الباب سجداً ^ مثل ما في سورة البقرة معنى غير أن قوله فكلوا فيها بالفاء أفاد تسبب سكنائهم للأكل منها ولم يتعرض له ها هنا اكتفاء بذكره ثمة أو بدلالة الحال عليه واما تقديم قوله قولوا على وادخلوا فلا أثر له في المعنى لأنه لا

يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما ^ نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين ^ وعد بالغفران والزيادة عليه بالإثابة وانما أخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على أنه تفضل محض ليس في مقابلة ما أمروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول و خطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فإنه وجد وقرأ أبو عمرو خطاياكم ^ فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجلاً من السماء بما كانوا يظلمون ^ مضى تفسيره فيها واسئلهم للتقرير والتقرير بتقديم كفرهم وعصيانهم والإعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم إلا بتعليم أو وحي ليكون لك ذلك معجزة عليهم ^ عن القرية ^ عن خبرها وما وقع بأهلها ^ التي كانت حاضرة البحر ^ قريبة منه وهي أيلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية إ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت وإذ ظرف ل كانت أو حاضرة أو للمضاف المحذوف أو بدل منه بدل اشتمال ^ إذ تأتيهم حيثانهم ^ ظرف ل يعدون أو بدل بعد بدل وقرئ يعدون وأصله يعتدون ويعدون من آل الإعداد أي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا أن يشتغلوا فيه بغير العبادة ^ يوم سبتهم شرعاً ^ يوم تعظيمهم أمر السبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم بالإضافة لاختصاصهم بإحكام فيه ويؤيد الأول إن قرئ يوم اسباتهم وقوله ^ ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ^ وقرئ ^ لا يسبتون ^ من أسبت و ^ لا يسبتون ^ على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت و شرعاً حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من

شرع علينا إذا دنا وأشرف ^ كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ^ مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله أي لا تأتيهم مثل إتيانهم يوم السبت والباء متعلق ب يعدون ^ وإذ قالت ^ عطف على ^ إذ يعدون ^ أمة منهم ^ جماعة من أهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى أيسوا من اتعاضهم ^ لم تعظون قوما الله مهلكهم ^ محترمهم ^ أو معذبهم عذابا شديدا ^ في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في أن الوعظ لا ينفع فيهم أو سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاويل بينهم أو قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة أجابوا به وعاضهم ردا عليهم وتهكما بهم ^ قالوا معذرة إلى ربكم ^ جواب للسؤال أي موعظتنا انهاء عذر إلى الله حتى لا ننسب إلى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر أو العلة أي اعتذرنا به معذرة ووعظناهم معذرة ^ ولعلمهم يتقون ^ إذ اليأس لا يحصل إلا بالهلاك ^ فلما نسوا ^ تركوا ترك الناسي ^ ما ذكروا به ^ ما ذكرهم به صلحاؤهم ^ أنجينا الذين يهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا ^ بالإعتداء ومخالفة أمر الله ^ بعذاب بيئس ^ شديد فعيل من يؤس يؤس بؤسا إذا اشتد وقرأ أبو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بيئس بكسر الباء وسكون الهمز على انه بيئس كحذر كما قرئ به فخفف عينه بنقل حركتها إلى الفاء ككبد في كبد وقرأ نافع بيئس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذئب أو على انه فعل المذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيئس كريس على قلب الهمزة ثم

ادعامها ويئس بالتخفيف كهين وبائس كفاعل ^ بما كانوا يفسقون ^ بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله تعالى ^ وعتوا عن أمر ربهم ^ قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ^ كقوله ^ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ^ والظاهر يقتضي أن الله تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز أن تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للأولى روي أن الناهين لما أيسوا عن اتعاض المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فأصبحوا يوما ولم يخرج إليهم أحد من المعتدين فقالوا إن لهم شأنا فدخلوا عليهم فإذا هم قردة فلم يعرفوا أنسابهم ولكن القردة تعرفهم فجعلت تأتي أنسابهم وتشتم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا أبدانهم ^ وإذ تأذن ربك ^ أي أعلم من الإيدان بمعناه كالتوعد والإيعاد أو عزم لأن العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله فأجرى مجرى فعل القسم كعلم الله و ^ شهد الله ^ ولذلك اجيب بجوابه وهو ^ ليعثن عليهم إلى يوم القيامة ^ والمعنى وإذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود ومن يسومهم سوء العذاب كالإذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بختنصر فحرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذرائعهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها إلى المجوس حتى بعث الله محمدا صلي الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة إلى آخر الدهر ^ إن ربك لسريع العقاب ^ عاقبهم في الدنيا ^ وإنه لغفور رحيم ^ لمن تاب وأمن ^ وقطعناهم في الأرض أمما ^ وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تنمة لأديارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط و أمما مفعول ثان أو حال ^ ومنهم دون ذلك ^ تقديره ومنهم أناس دون ذلك أي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم ^ وبلوناهم بالحسنات والسيئات ^ بالنعمة والنقم ^ لعلمهم يرجعون ^ يهون فيرجعون عما كانوا عليه

فخلف من بعدهم ^ من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في ^ ورثوا الكتاب ^ التوراة من اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها ^ يأخذون عرض هذا الأدنى ^ حطام هذا الشيء الأدنى يعني الدنيا وهو من الدنو أو الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشا في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ^ ويقولون سيغفر لنا ^ لا يؤخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والجال والفعل مسند إلى الجار والمجرور أو مصدر يأخذون ^ وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ^ حال من الضمير في لنا أي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدتين إلى مثله غير تائبين عنه ^ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ^ أي في الكتاب ^ أن لا يقولوا على الله إلا الحق ^ عطف بيان للميثاق أو متعلق به أي بأن يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على أنه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ^ ودرسوا ما فيه ^ عطف على ^ ألم يؤخذ ^ من حيث المعنى فإنه تقرير أو على ورثوا وهو اعتراض ^ والدار الآخرة خير للذين يتقون ^ مما يأخذ هؤلاء أفلا يعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الأدنى الدنيء المؤدي إلى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلويح ^ والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة عطف على الذين يتقون وقوله ^ أفلا يعقلون ^ اعتراض أو مبتدأ خبره ^ إنا لا نضيع أجر المصلحين ^ على تقدير منهم أو وضع الظاهر موضع المضمرة تنبيها على أن الإصلاح كالمانع من التضييع وقرأ أبو بكر يمسكون بالتخفيف وإفراد الإقامة لإنافتها على سائر أنواع التمسكات

^ وإذ نتقنا الجبل فوقهم ^ أي قلعناه ورفعناه فوقهم وأصل نتق الجذب ^ كأنه ظلة ^ سقيفة وهي ما أظلك وظنوا وتيقنوا ^ أنه واقع بهم ^ ساقط عليهم لأن الجبل لا يثبت في الجو ولأنهم كانوا يوعدون به وإنما أطلق الظن لأنه لم يقع متعلقه وذلك أنهم أبوا أن يقلبوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم إن قبلتم ما فيها وإذا ليقعن عليكم خذوا على إضمار القول أي وقلنا خذوا أو قائلين خذوا ^ ما أتيناكم ^ من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو اذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي ^ لعلكم تتقون ^ قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق ^ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ^ أي أخرج من أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن و ^ من ظهورهم ^ بدل من بني آدم ^ بدل البعض وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم ^ وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا ^ أي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ^ قالوا بلى ^ فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنوا منه بمنزلة الأشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل وبدل عليه قوله ^ أن تقولوا يوم القيامة ^ أي كراهة أن تقولوا ^

إنا كنا عن هذا غافلين ^ لم ننبه عليه بدليل ^ أو تقولوا ^ عطف على ^ أن تقولوا ^ وقرأ أبو عمرو كليهما بالياء لان أول الكلام على الغيبة ^ إنما اشرك أبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ^ فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا ^ افتهلكننا بما فعل المبطلون ^ يعنى آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم أخرج من ظهره ذرية كالذر وأحياهم وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله تعالى عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصاييح والمقصود من إيراد هذا الكلام ها هنا إلزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما

اعتبار ^ ولهم آذان لا يسمعون بها ^ الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر ^ أولئك كالأنعام ^ في عدم الفقه والإبصار للاعتبار والاستماع للتدبير أو في أن مشاعرهم وقواهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها ^ بل هم أضل ^ فإنها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جلبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار ^ أولئك هم الغافلون ^ الكاملون في الغفلة ^ ولله الأسماء الحسنى ^ لأنها دالة على معان هي أحسن المعاني والمراد بها الألفاظ وقيل الصفات ^ فادعوه بها ^ فسموه بتلك الأسماء ^ وذروا الذين يلحدون في أسمائه ^ واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه إذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه أو لا تبالوا بإنكارهم ما سمي به نفسه كقولهم ما نعرف إلا رحمان اليمامة أو وذروهم وإلحادهم فيها بإطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كالكالات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه أو أعرضوا عنهم فإن الله مجازيهم كما قال ^ سيجزون ما كانوا يعملون ^ وقرأ حمزة هنا وفي فصلت يلحدون بالفتح يقال لحد وألحد إذا مال عن القصد

^ وممن خلقنا أمه يهدون بالحق وبه يعدلون ^ ذكر ذلك بعد ما بين أنه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على أنه خلق أيضا للجنة هادين بالحق عادلين في الأمر واستدل به على صحة الإجماع لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه الصلاة والسلام لا تزال من أمتي طائفة على الحق إلى أن يأتي أمر الله إذ لو اختص بعهد الرسول أو غيره لم يكن فائدة فإنه معلوم ^ والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم ^ سنستدنيهم إلى الهلاك قليلا قليلا وأصل الاستدراج الاستتعال أو الاستنزال درجة بعد درجة ^ من حيث لا يعلمون ^ ما نريد بهم وذلك أن تتواتر عليهم النعم فيظنوا أنها لطف من الله تعالى بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب ^ وأملي لهم ^ وأمهلهم عطف على سنستدرجهم ^ إن كيدي متين ^ إن أخذي شديد وإنما سماه كيذا لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان أو لم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة ^ من جنون روي أنه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا فدعاهم فخذوا فخذاء يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلي الصباح فنزلت ^ إن هو إلا نذير مبين ^ موضح إنذاره بحيث لا يخفى على ناظر أو لم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه اسم الشيء من الأجناس التي لا يمكن حصرها ليدهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكتها ومتولي أمرها ليظهر لهم صحة ما يدعوههم إليه ^ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ^ عطف على ملكوت وأن مصدرية أو مخففة من الثقلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى أو لم ينظروا في اقترب أجلهم

وتوقع حلولها فيسارعوا إلى طلب الحق والتوجه إلى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب ^ فبأي حديث بعده ^ أي بعد القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه إخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد إلزام الحجة والارشاد إلى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى أن يكون كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون بالإيمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فإنلم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به وقوله ^ من يضل الله فلا هادي له ^ كالتقريب والتعليل له ^ ونذرهم في طغيانهم ^ بالرفع على الاستئناف وقرأ أبو

عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله ^ من يضل الله ^ وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفًا على محل ^ فلا هادي له ^ كأنه قيل لا يهده أحد غيره ونذرهم يعمهون حال من هم ^ يسئلونك عن الساعة ^ أي عن القيامة وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو لأنها على طولها عند الله كساعة ^ أيا نمرساها ^ متى إرساؤها أي إثباتها واستقرارها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وأرسي السفينة واشتقاق أيا ن من أي لأن معناه أي وقت وهو من أويت إليه لأن البعض أوى إلى الكل ^ قل إنما علمها عند ربي ^ استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا يجليها لوقتها لا يظهر أمرها في وقتها ^ إلا هو ^ والمعنى أن الخفاء بها مستمر

على غيره إلى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام في قوله ^ أقم الصلاة لدلوك الشمس ^ ثقلت في السموات والأرض عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكأنه إشارة إلى الحكمة في إخفائها ^ لا تأتاكم إلا بغتة ^ إلا فجأة على غفلة كما قال عليه الصلاة والسلام إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسئلونك كأنك حفي عنها عالم بها فعيل من حفى عن الشيء إذا سأل عنه فإن من بالغفي السؤال عن الشيء والبحث عنه استحکم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فإن قریشا قالوا له إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتحضهم لأجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه من حفى بالشيء إذا فرح أن تكثره لأنه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه قل إنما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن علمها عند الله لم يؤته أحدا من خلقه

^ ^ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو إظهار للعبودية والتبري من ادعاء العلم بالغيوب إلا ما شاء الله من ذلك فيلهمني إياه ويوفقني له ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت أعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسنى سوء إن أنا إلا نذير وبشير ما أنا إلا عبد مرسل للأنذار والبشارة لقوم يؤمنون فإنهم المنتفعون بهما ويجوز أن يكون متعلقا بال بشير ومتعلق ال نذير محذوف هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها أو من جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ^ ^ زوجها ^ ^

حواء ليسكن إليها ليستأنس بها ويطمئن إليها اطمئنان الشيء إلى جزئه أو جنسه وإنما ذكر الضمير ذهابا إلى المعنى ليناسب فلما تغشاها أي جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الأذى أو محمولا خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت به أي قامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت به وفماتت من المور وهو المجيء والمذهب أو من المرية أي فظنت الحمل وارتابت منه فلما أثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول أي أثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن أتينا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنتكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما آتاها صالحا جعل له شركاء فيما آتاها أي جعل اولادها له شركاء فيما أتى اولادها فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ^ ^

^ ^ أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون يعني الأصنام وقيل لما حملت حواء
أثامها إبليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة أو كلب
وما يدريك من أين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهما منه ثم عاد إليها وقال
إني من الله بمنزلة فإن دعوت الله أن يجعله خلقاً مثلك ويسهل عليك خروجه
تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثاً بين الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمياه عبد
الحارث وأمثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل أن يكون الخطاب في خلقكم لآل قصي
من قريش فإنهم خلقوا من نفس قصي وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلباً
من الله الولد فأعطاها أربعة بنين فسميهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي
وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولأعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وأبو
بكر شركاً أي شركة بأن أشركا فيه غيره أو ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير
الأصنام جيء به على تسميتهم إياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصراً أي لعبدتهم ولا
أنفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتربها وإن تدعوهم أي المشركين إلى الهدى إلى
الإسلام ولا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وفتح الباء وقيل الخطاب للمشركين وهم
ضمير الأصنام أي إن تدعوهم إلى أن يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم ولا يجيبوكم
كما يجيبكم الله ^ سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ^ وإنما لم يقل أم
صمتتم للمبالغة في عدم إفادة الدعاء من حيث إنه مسوى بالثبات على الصمات أو
لأنهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم أحداثكم دعاءهم واستمراركم
على الصمات عن دعائهم

^ إن الذين تدعون من دون الله ^ أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة ^ عباد أمثالكم ^
من حيث إنها مملوكة مسخرة ^ فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ^ أنهم
آلهة ويحتمل أنهم لما نحتوها بصور الأناسي قال لهم أن قصارى أمرهم أن يكونوا
أحياء عقلاء أمثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد
عليه بالنقض فقال ^ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين
يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها ^ وقرئ ^ إن الذين ^ بتخفيف أن ونصب
عباد على أنها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله و يبطشون بالضم ها
هنا وفي القصص والدخان ^ قل ادعوا شركاءكم ^ واستعينوا بهم في عداوتي ^ ثم
كيدون ^ فالبلغوا فيما تقدرتون عليه من مكر وهي أنتم وشركاؤكم ^ فلا تنظرون ^
فلا تمهلون فإني لا أبالي بكم لوثوقي على ولاية الله تعالى وحفظه ^ إن وليي الله
الذي نزل الكتاب ^ القرآن ^ وهو يتولى الصالحين ^ أي ومن عادته تعالى أن يتولى
الصالحين من عباده فضلاً عن أنبيائه ^ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم
ولا أنفسهم ينصرون ^ من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم ^ وإن تدعوهم إلى الهدى
لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ^ يشبهون الناظرين إليك لأنهم
صوروا بصورة من ينظر إلى من يواجهه ^ خذ العفو ^ أي خذ ما عفا لك من
أفعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد أو ^
خذ العفو ^ عن المذنبين أو الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة
^ وأمر بالعرف ^ المعروف المستحسن من الأفعال ^ وأعرض عن الجاهلين ^ فلا
تمارهم ولا تكافئهم بمثل أفعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق أمرة للرسول
باستجماعها

إما ينزغك من الشيطان نزع ينخسك منه نخس أي وسوسة تحملك على خلاف ما
أمرت به كاعتراء غضب وفكر والنزع والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته إغراء لهم
على المعاصي وإزعاجاً بغرز السائق ما يسوقه ^ فاستعذ بالله إنه سميع ^ يسمع

استعادتكم عليم يعلم ما فيه صلاح أمرك فيحملك عليه أو سميع بأقوال من آذاك عليهم بأفعاله فيجازيه عليها مغنيا إياك عن الانتقام ومشابعة الشيطان إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر أن تؤثر فيهم أو من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على أنه مصدر أو تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه فإذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكائد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله وإخوانهم يمدونهم أي وإخوان الشياطين الذين لم يتقوا بمدهم الشياطين في الغي بالترزين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من أمد وبمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاعراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامثال ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز أن يكون الضمير للاخوان أي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز أن يراد بال إخوان الشياطين ويرجع الضمير إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له وإذا لم تأتهم بآية من القرآن أو مما اقترحوه قالوا لولا اجتبتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرؤه أو هلا طلبتها من الله قل إنما اتبع ما يوحى إلي من ربي لست بمخترق للآيات أو لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره

^ ^ وإذا قرئ القرآن ^ فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ^ نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فأمرُوا باستماع قراءة الأمام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة واحتج به من لا يرى وجوب القراءة على المأموم وهو ضعيف ^ وأذكر ربك في نفسك ^ عام في الأذكار من القراءة والدعاء وغيرهما أو أمر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الأمام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه ^ تضرعا وخيفة ^ متضرعا وخائفا ^ ودون الجهر من القول ^ ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فإنه أدخل في الخشوع والإخلاص ^ بالغدو والأصا ^ بأوقات الغدو والعشيات وقرئ والإيصال وهو مصدر أصل إذا دخل في الأصيل وهو مطابق للغدو ^ ولا تكن من الغافلين ^ عن ذكر الله ^ إن الذين عند ربك ^ يعني ملائكة الملائكة الأعلى ^ لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه ^ وله يسجدون ^ ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة سورة الانفال بسم الله الرحمن الرحيم ^ يستلونك عن الأنفال ^ أي الغنائم يعني حكمها وإنما سميت الغنيمة نفلا لأنها عطية من الله وفضل كما سمي به ما يشترطه الأمام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه ^ قل الأنفال لله والرسول ^ أي أمرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر أنها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم أو الأنصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء أن ينقله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال

الشيخ والوجه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تتجاوزون إلينا فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الأمام أن يفي بما وعد وهو قول الشافعي رضي الله عنه وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال لما كان يوم بدر قتل أخي عمير فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبني ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلمي فما جاوزت إلا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وأنه قد صار لي فاذهب فخذة وقرئ ويسألونك عننفاك يحذف الهمزة والفاء حركتها على اللام وإدغام نون عن فيها ويسألونك الانفال أي يسألك الشبان ما شرطت لهم ^ فاتقوا الله ^ في الاختلاف والمشاجرة ^ وأصلحوا ذات بينكم ^ الحال التي بينكم

بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم أمره إلى الله والرسول ^ وأطيعوا الله ورسوله ^ فيه ^ إن كنتم مؤمنين ^ فإن الإيمان يقتضي ذلك أو أن كنتم كاملي الإيمان فإن كمال الإيمان بهذه الثلاثة طاعة الأوامر والالتقاء عن المعاصي وإصلاح ذات البين بالعدل والإحسان ^ إنما المؤمنون ^ أي الكاملون في الإيمان ^ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ^ فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت أي خافت وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا لزيادة المؤمن به أو لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الأدلة أو بالعمل بموجبها وهو قول من قال الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على أن العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون إليه أمورهم ولا يخشون ولا يرجون إلا إياه الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ^ أولئك هم المؤمنون حقا لأنهم حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه مكارم أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل ومحاسن أفعال الجوارح التي هي العيار عليها من

الصلاة والصدقة و حقا صفة مصدر محذوف أو مصدر مؤكد كقوله وعد الله حقا ^ لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم أعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي أمده كما أخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال في كراحتهم إياها كحال إخراجك للحرب في كراحتهم له وهي كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة أو صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول أي الأنفال ثبتت لله والرسول صلى الله عليه وسلم مع كراحتهم ثباتا مثل ثبات إخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لأنها مهاجرة ومسكنه أو بيته فيها مع كراحتهم وإن فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع الحال أي أخرجك في حال كراحتهم وذلك أن غير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم لتلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر أهل مكة فنأدى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول غيركم أموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب أن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة إلا أصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك أبا جهل فقال ما نرضى رجالهم أن يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل

بجميع أهل مكة ومضى بهم إلى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي ذفران فنزل عليه جبريل عليه السلام بالوعد بإحدى الطائفتين إما العير وإما قريش فاستشار فيه أصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال

حتى تتأهب له إنما خرجنا للعير فردد عليهم وقال إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وقالوا فأحسنا ثم قام سعد بن عباد فقال انظر أمرك فامض فيه فوالله لو سرت إلى عدن أئين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما أمرك الله فأنا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيرو علي أيها الناس وهو يريد الانصال لأنهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعون بالعقبة أنهم براء من ذمامه حتى يصل إلى ديارهم فيتخوف أن لا يروا نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله فقال أجل قال آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا وإننا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم وقيل إنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير

فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لأن وعدك إحدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في إثراك الجهاد بإظهار الحق لإيثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين لهم أنهم ينصرون وإنما توجهوا بأعلام الرسول عليه الصلاة والسلام كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون أي يكرهون القتال كراهة من يساق إلى الموت وهو يشاهد أسبابه وكان ذلك لقلّة عددهم وعدم تأهبهم إذ روي أنهم كانوا لفرط فزعهم ورعبهم وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين على إضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد أبدل منها أنها لكم بدل الاشتمال وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فإنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله أن يحق الحق أي يشته ويعليه بكلماته المومحى بها في هذه الحال أو بأوامره للملائكة بالإمداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى أنكم تريدون أن تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد إعلاء الدين وإظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل أي فعل ما فعل وليس بتكرير لأن الأول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي إلى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصرة عليها ولو كره المجرمون ذلك

إذ تستغيثون ربكم بدل من إذ يعدكم أو متعلق بقوله ليحق بقوله ليحق الحق أو على إضمار اذكر واستغاثتهم أنهم لما علموا أن لا محيص عن القتال أخذوا يقولون أي رب انصرنا على عدوك أغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله

تعالى عنه عليه السلام نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال أبو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم أني ممدكم بأنبي ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ أبو عمرو بالكسر على إرادة القول أو اجراء استجاب مجرى قال لأن الاستجابة من القول بألف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين أو بعضهم بعضا من أردفته أنا إذا جئت بعده أو متبعين بعضهم بعض المؤمنين أو أنفسهم المؤمنين من أردفته إياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال أي متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش أو ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وأصله مرتدلين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الأصل أو بالضم على الاتباع وقرئ بالآف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور أن المراد بالألف الذين كانوا على المقدمة أو الساقة أو وجوههم وأعيانهم أو من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي إخبار تدل عليها وما جعله الله أي الإمداد إلا بشرى إلا بشارة لكم بالنصر ^ ولتطمئن به قلوبكم ^ فيزول ما بها من الوجع لقلبتكم وذلتكم ^ وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ^ وإمداد الملائكة وكثرة العدد والأهب ونحوهما وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تياسوا منه بفقدها

^ إذ يغشاكم النعاس ^ بدل ثان من إذ يعدكم لإظهار نعمة ثالثة أو متعلق بالنصر أو بما في عند الله معنى الفعل أو يجعل أو بإضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من أغشيته الشيء إذا غشيته إياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وأبو عمر يغشاكم الناس بالرفع ^ أمنة منه ^ أمانا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فإن قوله ^ يغشاكم النعاس ^ متضمن معنى تتعسون ويغشاكم بمعناه وال أمنة فعل لفاعله ويجوز أن يراد بها الإيمان فيكون فعل المغشي وأن تجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لأنها لأصحابه أو لأنه كان من حقه أن لا يغشاكم لشدة الخوف فلما غشاهم فكانه حصلت له أمنة من الله لولاها لم يغشاهم كقوله يهاب النوم أن يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ أمنة كرحمة وهي لغة ^ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ^ من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لأنها من تخيله أو وسوسته وتخويفه إياهم من العطش روي أنهم نزلوا في كتيب أغفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس إليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجننين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فأنزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت الوسوسة ^ وليربط على قلوبكم ^ بالوثوق على لطف الله بهم ^ وثبت به الأقدام ^ أي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل أو بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة ^ إذ يوحى ربك ^ بدل ثالث أو متعلق بثبت ^ إلى الملائكة أني معكم ^ في إعانتهم وثنيتهم وهو مفعول يوحى وقرئ بالكسر على إرادة القول أو اجراء الوحي مجراه ^ فثبتوا الذين آمنوا ^ بالبشارة أو بتكثير سوادهم أو بمحاربة أعدائهم فيكون قوله

^ سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ^ كالتفسير لقوله ^ إنني معكم فثبتوا ^ وفيه دليل على أنهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين إما على

تغيير الخطاب أو علي أن قوله سألقي إلى قوله ^ كل بنان ^ تلقين للملائكة ما يثنون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولي هذا ^ فاضربوا فوق الأعناق ^ أعاليها التي هي المذابح أو الرؤوس ^ واضربوا منهم كل بنان ^ أصابع أي جزوا رقابهم واقطعوا أطرافهم ذلك إشارة إلى الضرب أو الأمر به والخطاب للرسول أو لكل أحد من المخاطبين قبل ^ بأنهم شاقوا الله ورسوله ^ بسبب مشاققتهم لهما واشتقاقه من الشق لأن كلا من المتعادين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدو والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ^ ومن يشاقي الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ^ تقرير للتعليل أو وعيد بما أعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحلّه الرفع أي الأمر ذلكم أو ذلكم واقع أو نصب بفعل دل عليه فذوقوه أو غيره مثل باثروا أو عليكم فتكون الفاء عاطفة ^ وأن للكافرين عذاب النار ^ عطف على ذلكم أو نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما أجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير

للدلالة على أن الكفر سبب العذاب الآجل أو الجمع بينهما وقرئ وإن بالكسر على الاستثناف ^ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا ^ كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي إذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال ^ فلا تولوهم الأدبار ^ بالانهزام فضلا أن يكونوا مثلكم أو أقل منكم والأظهر أنها محكمة مخصوصة بقوله ^ حرص المؤمنين على القتال ^ الآية ويجوز أن ينتصب زحفا حالا من الفاعل والمفعول أي إذا لقيتموهم مترحفين يدبون اليكم وتدبون إليهم فلا تنهزموا أو من الفاعل وحده ويكون إشعارا بما سيكون منهم يوم حين حين تولوا وهم اثنا عشر ألفا ^ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال ^ يريد الكر بعد الفر وتغيير العدو فإنه من مكاييد الحرب ^ أو متحيزا إلى فئة ^ أو منحازا إلى فئة أخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضي الله عنهما انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا إلى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وأنا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال وإلا لغو لا عمل لها

أو الاستثناء من المولين أي إلا رجلا متحرفا أو ومتحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل وإلا لكان متحوزا لأنه من حاز يحوز ^ فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير ^ هذا إذا لم يزد العدو على الضعف لقوله ^ الآن خفف الله عنكم ^ الآية وقيل الآية مخصوصة بأهل بيته والحاضرين معه في الحرب ^ فلم تقتلوهم ^ بقوتكم ^ ولكن الله قتلهم ^ بنصركم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم روي أنه لما طلعت قريش من العقنقل قال صلى الله عليه وسلم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصاء فرمى بها في وجوههم وقال شأهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهم وردفهم المؤمنون يقتلونهم وبأسرونهم ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتل وأسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره إن افتخرتم يقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ^ وما رميت ^ يا محمد رميا توصله إلى أعينهم ولم تقدر عليه ^ إذ رميت ^ أي إذ أتيت بصورة الرمي ^ ولكن الله رمى ^ أتى بما هو غاية الرمي فأوصلها إلى أعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع

دابرههم وقد عرفت أن اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل انه نزل في طعنة طعن بها أبي بن خلف يوم أحد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات أو رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فأصاب كنانة بن أبي الحقيق على فراشه والجمهور على الأول وقرأ ابن

عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنمة ومشاهدة الآيات فعل ما فعل أن الله سمع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم وأحوالهم ذلكم إشارة إلى البلاء الحسن أو القتل أو الرمي ومحلّه الرفع أي المقصود أو الأمر ذلكم وقوله وأن الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه أي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وإبطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالإضافة والتخفيف إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وإن تنتهوا عن الكفر ومعادة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وإن تعودوا لمحاربتة نعد لنصرتة عليكم ^ ولن تغني ^ ولن تدفع ^ عنكم فئتكم ^ جماعتكم شيئا من الاغناء أو المضار لو كثرت فئتكم ^ وأن الله مع المؤمنين ^ بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وأن بالفتح على تقدير ولأن الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى أن تستنصروا فقد جاءكم النصر وإن تنتهوا عن التكاثر في القتال والرغبة عما يستأثره

الرسول فهو خير لكم وإن تعودوا إليه نعد عليكم بالإنكار أو تهيج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر فإنه مع الكاملين في إيمانهم ويؤيد ذلك ^ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه ^ أي ولا تتولوا عن الرسول فإن المراد من الآية الأمر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على أن طاعة الله في طاعة الرسول لقوله تعالى ^ من يطع الرسول فقد أطاع الله ^ وقيل الضمير للجهد أو للأمر الذي دل عليه الطاعة ^ وأتم تسمعون ^ القرآن والمواظ على سماع فهم وتصديق ^ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ^ كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع ^ وهم لا يسمعون ^ سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأسا ^ إن شر الدواب عند الله ^ شر ما يدب على الأرض أو شر البهائم الصم عن الحق ^ البكم الذين لا يعقلون ^ إياه عدتهم من البهائم ثم جعلهم شرها لإبطالهم ما ميزوا به وفضلوا لأجله ^ ولو علم الله فيهم خيرا ^ سعادة كتبت لهم أو انتفاعا بالآيات لأسمعهم سماع تفهم ^ ولو أسمعهم ^ وقد علم أن لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به أو ارتدوا بعد التصديق والقبول ^ وهم معرضون ^ لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم أحبي لنا قصيا فإنه كان شيئا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لأسمعهم كلام قصي ^ يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول ^ بالطاعة ^ إذا دعاكم ^ وخذ الضمير فيه

لما سبق ولأن دعوة الله تسمع من الرسول وروي أنه عليه الصلاة والسلام مر على أبي وهو يصلي فدعاه فجعل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن إجابتي قال كنت أصلي قال ألم تخبر فيما أوحى إلي ^ استجبوا لله وللرسول ^ واختلف فيه فقيل هذا لأن إجابته لا تقطع الصلاة فإن الصلاة أيضا إجابة وقيل لأن دعاءه كان لأمر لا يحتمل التأخير وللمصلي أن يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الأول ^ لما يحييكم ^ من العلوم الدينية فإنها حياة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول

حلته فذاك ميت وثوبه كفن أو مما يورثكم الحياة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والأعمال أو من الجهاد فإنه سبب بقائكم إذ لو تركوه لغلهم العدو وقتلهم أو الشهادة لقوله تعالى ^ بل أحياء عند ربهم يرزقون ^ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ^ تمثيل لغاية قرينه من العبد كقوله تعالى ^ ونحن اقرب إليه من حبل الوريد ^ وتنبيه على أنه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها أو حث على المبادرة إلى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل أن يحول الله بينه وبين قلبه بالموت أو غيره أو تصوير وتخيل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته وبينه وبين الإيمان إن قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الراء

وإجراء الوصل الوقف على لغة من يشدد فيه ^ وأنه إليه تحشرون ^ فيجازيكم بأعمالكم ^ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ^ اتقوا ذنبا يعمكم اثره كإقرار المنكر بين أظهركم والمداهنة في الأمر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على أن قوله لا تصيبن إما جواب الأمر على معنى أن أصابتمكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة بل تعمكم وفيه أن جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ^ ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم ^ وأما صفة ل لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لأن النون لا تدخل المنفي في غير القسم أو لنهي على إرادة القول كقوله حتى إذا جن الظلام واختلف جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط وإما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وإن اختلفا في المعنى ويحتمل أن يكون نهيا بعد الأمر باتقاء الذئب عن التعرض للظلم لأن وباله يصيب الظالم خاصة ويعود

عليه ومن في منكم على الوجوه الأول للتبويض وعلى الآخرين للتبيين وفائدته التنبيه على أن الظلم منكم اقبح من غيركم ^ واعلموا أن الله شديد العقاب ^ ^ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض ^ أرض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فإنهم كانوا اذلاء في أيدي فارس والروم ^ تخافون أن يتخطفكم الناس ^ كفار قريش أو من عداهم فإنهم كانوا جميعا معادين لهم مضادين لهم فأواكم إلى المدينة أو جعل لكم مأوى تتحصنون به عن أعدائكم ^ وأيدكم بنصره ^ على الكفار أم بمظاهرة الأنصار أو بإمداد الملائكة يوم بدر ^ ورزقكم من الطيبات ^ من الغنائم ^ لعلكم تشكرون ^ هذه النعم

^ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ^ بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون أو بالغلول في المغانم وروي انه عليه الصلاة والسلام حاصر بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسأله الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرع وأريحاء بأرض الشام فأبى إلا أن ينزلوا على احكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحا لهم لأن عياله وماله في أيديهم فبعثه إليهم فقالوا ما ترى هل نزل على حكم سعد بن معاذ فأشار إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت أنني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلي الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال إن من تمام تويتي أن أهجرت دار قومي التي أصبت فيها الذئب وأن أنخلع من مالي فقال صلى الله عليه وسلم يجيزك الثلث أن تتصدق به وأصل الخوف النقص كما أن أصل

الوفاء التمام واستعماله في ضد الأمانة لتضمنه إياه ^ وتخونوا اماناتكم ^ فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الأول أو منصوب على الجواب بالواو ^ وأنتم تعلمون ^ أنكم تخونون أو أنتم علماء تميزون الحسن من القبيح

^ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ^ لأنهم سبب الوقوع في الاثم أو العقاب أو محنة من الله تعالى ليلوكم فيهم فلا يحملنكم حبه على الخيانة كأبي لبابة ^ وأن الله عنده أجر عظيم ^ لمن أثار رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم إليه ^ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ^ هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصرا يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين أو مخرجا من الشبهات أو نجاة عما تحذرون في الدارين أو ظهورا يشهر امركم وبيث صيتكم من قولهم بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أي الصبح ^ ويكفر عنكم سيئاتكم ^ ويسترها ^ ويغفر لكم ^ بالتجاوز والعفو عنكم وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لأنها في أهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم ^ والله ذو الفضل العظيم ^ تنبيه على أن ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وأنه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد إذا وعد عبده انعاما على عمل ^ وإذ يمكر بك الذين كفروا ^ تذكّر لما مكر به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر إذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق أو الحبس أو الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى أثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليثبتوك من البيات وليقيدوك ^ أو يقتلوك ^ بسيفهم ^ أو يخرجوك ^ من مكة وذلك أنهم لما سمعوا بإسلام الأنصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ وقال أنا

من نجد سمعت اجتماعكم فأردت أن احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البحتري رأبي أن تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمر ورأبي أن تحملون على جمل فتخرجه من أرضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر وأمره بالهجرة فبيت عليا رضي الله تعالى عنه في مضجعه وخرج مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه إلى الغار ^ ويمكرون ويمكر الله ^ برد مكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أو بمعاملة الماكرين معهم بأن اخرجهم إلى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا ^ والله خير الماكرين ^ إذ لا يؤبه مكرهم دون مكره وإسناد أمثال هذا ما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من إيهام الذم ^ وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ^ هو قول النضر بن الحارث وإسناده إلى الجميع إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم فإنه كان قاصهم أو قول الذين ائتمروا في أمره عليه الصلاة والسلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤوا وقد تحادهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصا في باب البيان ^ إن هذا إلا أساطير الأولين ^ ما سطره الأولون من القصص وإذ قالوا اللهم أن كان هذا هو الحق من

عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم هذا أيضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي أنه لما قال النضر أن هذا إلا أساطير الأولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم وبلك إنه كلام الله فقال ذلك والمعنى إن كان هذا حقا منزلا فأمطر الحجارة علينا عقوبة على إنكاره أو ائتنا بعذاب اليم سواء والمراد منه التهكم وإظهار اليقين والحزم التام على كونه باطلا وقرئ احلق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على أن المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو تنزيهه لا الحق مطلقا لتجويزهم أن يكون مطابقا للواقع غير منزل كأساطير الأولين وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهو يستغفرون بيان لما كان الموجب لإمهالهم والتوقف في إجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم أما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين أو قولهم اللهم غفرانك أو فرصة على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله ^ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ^

^ وما لهم ألا يعذبهم الله ^ وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون ^ وهم يصدون عن المسجد الحرام ^ وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إلى الهجرة واحصارهم عام الحديبية ^ وما كانوا أولياءه ^ مستحقين ولاية أمره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاية البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ^ إن أولياؤه إلا المتقون ^ من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ^ ولكن أكثرهم لا يعلمون ^ أن لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالكثر أن منهم من يعلم ويعاند أو أراد به الكل كما يراد بالقلة العدم ^ وما كان صلاتهم عند البيت ^ أي دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يضعون موضعها ^ إلا مكاء ^ صغيرا فعال من مكا يمكو إذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعله من الصدا أو من الصد على إبدال أحد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على أنه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فإنها لا تليق بمن هذه صلاته روي أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك إذا أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي يخلطون عليه ويرون أنهم يصلون أيضا ^ فذوقوا العذاب ^ يعني القتل والأسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل أن تكون للعهد والمعهود ^ ائتنا بعذاب ^ بما كنتم تكفرون ^ اعتقادا وعملا ^ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ^ نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر أو في أبي سفيان استاجر ليوم أحد ألفين من العرب سوى من استجاش من العرب وإنفق عليهم أربعين أوقية أو في أصحاب العير فإنه لما أصيب قريش ببدر قيل لهم أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعنا ندرك منه ثأرنا ففعلوا والمراد ب ^ سبيل الله ^ دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الأول إخبار عن إنفاقهم في تلك الحال وهو إنفاق بدر والثاني إخبار عن إنفاقهم فيما يستقبل وهو إنفاق حد ويحتمل أن يراد بهما واحد على أن

مساق الأول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وإنه لم يقع بعد ^ ثم تكون عليهم حسرة ^ ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة إنفاقها مبالغة ^ ثم يغلبون ^ آخر الأمر وإن كان الحرب بينهم سجالا

قبل ذلك ^ والذين كفروا ^ أي الذين ثبتوا على الكفر منهم إذا أسلم بعضهم ^ إلى جهنم يحشرون ^ يساقون ^ ليميز الله الخبيث من الطيب ^ الكافر من المؤمن أو الفساد من الصلاح واللام متعلقة ب يحشرون أو يغبون أو ما أنفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أنفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ^ ثم تكون عليهم حسرة ^ وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو أبلغ من الميز ^ ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا ^ فيجمعه ويضم بعضه إلى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم أو يضم إلى الكافر ما أنفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين ^ فيجعله في جهنم ^ كله أولئك إشارة إلى الخبيث لأنه مقدر بالفريق الخبيث أو إلى المنفقين ^ هم الخاسرون ^ الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم ^ قل للذين كفروا ^ يعني أبا سفيان وأصحابه والمعنى قل لأجلهم ^ إن ينتهوا ^ عن معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم بالدخول في الإسلام ^ يغفر لهم ما قد سلف ^ من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على أنه خاطبهم و يغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى ^ وإن يعودوا ^ إلى قتاله فقد مضت سنت الأولين الذين تحزبوا على الأنبياء بالتدمير كما جرى على أهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك

^ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ^ لا يوجد فيهم شرك ^ ويكون الدين كله لله ^ وتضمحل عنهم الأديان الباطلة ^ فإن انتهوا ^ عن الكفر ^ فإن الله بما يعملون بصير ^ فيجازيهم على انتهائهم عنه وإسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فإن الله بما تعملون من الجهاد والدعوة إلى الإسلام والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهاهم دلالة على أنه كما يستدعي إثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب ^ وإن تولوا ^ ولم ينتهوا ^ فأعلموا أن الله مولاكم ^ ناصرهم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم ^ نعم المولى ^ لا يضع من تولاه ^ ونعم النصير ^ لا يغلب من نصره ^ وأعلموا أنما غنمتم ^ أي الذي أخذتموه من الكفار قهرا ^ من شيء ^ مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط ^ فإن لله خمسه ^ مبتدأ خبره محذوف أي فثابت أن لله خمسه وقرئ فإن بالكسر والجمهور على أن ذكر الله للتعظيم كما في قوله ^ والله ورسوله أحق أن يرضوه ^ وأن المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين ^ وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ^ فكأنه قال فإن لله خمسه يصرف إلى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير أن سهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضي الله تعالى

عنهما وقيل إلى الأمام وقيل إلى الأصناف الأربعة وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا إلى الثلاثة الباقية وعن مالك رضي الله تعالى عنه الأمر فيه مفوض إلى رأي الأمام يصرفه إلى ما يراه أهم وذهب أبو العالية إلى ظاهر الآية فقال يقسم ستة أقسام ويصرف سهم الله إلى الكعبة لما روي أنه عليه الصلاة والسلام كان يأخذ قبضة منه فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم إلى سهم الرسول صلى الله عليه وسلم ذووا القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم رأيت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام

وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش الغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت بيدر وقيل الخمس كان في غزوة بني قنيقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ^ إن كنتم آمنتم بالله جعل الخمس لهؤلاء فسلموه إليهم عليه واعلموا أي أن كنتم آمنتم بالله فعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه إليهم واقتنعوا بالاحماس الأربعة الباقية فإن العلم العملي إذا أمر به لم يرد منه العلم المجرد لأنه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما أنزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والملائكة

والنصر وقرئ عبدنا بضمين أي الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فإنه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكافرون والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والإمداد بالملائكة إذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الأصل كالقود وهو أكثر استعمالا من القصيا والركب أي لغير أو قوادها أسفل منكم في مكان أسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على أن لا يخلوا مراكزهم ويبدلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والنيات أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فإن العدو الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الرجل ولا يمشي فيها إلا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدو القصوى وكذا قوله ولو توأعدتم لاختلفتم في الميعاد أي لو توأعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم وبأسا من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس إلا صنعا من الله تعالى خارقا للعادة فيزدادوا إيمانا وشكرا ولكن جميع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقتضي الله أمرا كان مفعولا حقيقا بأن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ^ ^

بدل منه أو متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعدرة فإن وقعة بدر من الآيات الواضحة أو ليصدر كفر من كفر وإيمان من أمن وعو وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة أو من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر ويعقوب من حيي بفك الإدغام للحمل على المستقبل وإن الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وإيمان من أمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتغال الأمرين على القول والاعتقاد إيريكمهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر أو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو أن تخبر به أصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو أراكم كثيرا لفشلتم لجنتم ولتنازعتم في الأمر في أمر القتال وتفرقت أراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع إنه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير أحوالها وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى و قليلا حال من الثاني وإنما قللهم في أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي

الله تعالى عنه لمن إلى جنبه أتراهم سبعين فقال إراهم مائة تشبها لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم في أعينهم حتى قال أبو جهل إن محمدا وأصحابه أكلة جزور وقللهم في أعينهم قبل التحام القتال ليحترعوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثلهم لتفجأهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظام آيات تلك الواقعة فإن البصر وإن كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا إلى هذا الحد وإنما يتصور ذلك

بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله أمرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به أو لأن المراد بالأمر ثمة الاكتفاء على الوجه المحكي وها هنا اعزاز الإسلام وأهله وإذلال الاشرار وحزبه وإلى الله ترجع الأمور ^ ^ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة حاربتهم جماعة ولم يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقاءهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهريين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظهرون بمرادكم من النصر والمثوبة وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله وإن يلتجئ إليه عند الشدائد ويقبل عليه بشرائره فارغ البال واثقا بأن لطفه لا ينفك عنه في شيء من الأحوال وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم بيدر أو أحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ربحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فإن النصر لا تكون إلا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور واصبروا إن الله مع الصابرين بالكلاءة والنصرة

^ ^ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني أهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا وأشرا ورثاء الناس ليشوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وأفاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت غيركم فقال أبو جهل لا والله حتى تقدم بدرا ونشرب فيها الخمر وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مرئين وأمرهم بأن يكونوا أهل تقوى وإخلاص من حيث أن النهي عن الشيء أمر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا أن جعل مصدرا في موضع الحال وكذا أن جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه وإذ زين لهم الشيطان مقدر بإذكار أعمالهم في معادة الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها بأن وسوس إليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى أنه ألقى في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدي الفئتين وأفضل الدينين ولكم خبر لا غالب أو صفته وليس صلته وألا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان أي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقري أي بطل كيده وعاد ما خيل إليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال إني منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله أي تبرا منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما أجمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يشيهم فتمثل لهم إبليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم وإني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له إلى أين اتخذلنا في هذه الحالة فقال

إني أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهمزوا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقه فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل أن يكون معنى قوله إني أخاف الله إني أخافه أن

يصيني مكروها من الملائكة أو يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود إذ رأى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز أن يكون من كلامه وان يكون مستأنفا إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئثوا إلى الإيمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غير هؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشرة إلى زهاء ألف ومن يتوكل على الله جواب لهم فإن الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وإن قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه ولو ترى ولو رأيت فإن لو تجعل المضارع ماضيا عكس إن إذ يتوفى الذين كفروا والملائكة بدر وإذ ظرف ترى والمفعول محذوف أي ولو ترى الكفرة أو حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز أن يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو على الأول حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على الضميرين وأدبارهم ظهورهم أو أستاهم ولعل المراد تعميم الضرب أي يضربون ما أقبل منهم وما أدبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون بإضمار القول أي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهيت النار منها وجواب لو محذوف لتقطيع الأمر وتهويله

^ ^ ذلك الضرب والعذاب بما قدمت أيديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وأن الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما للدلالة على أن سببته بانضمامه إليه إذ لولاه لا يمكن أن يعذبه مغير ذنوبهم لا أن لا يعذبهم بذنوبهم فإن ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام التكثير لأجل العبيد كدأب آل فرعون أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه أي داموا عليه والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم فأخذهم الله بذنوبهم كما أخذ هؤلاء إن الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك إشارة إلى ما حل بهم بأن الله بسبب أن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم مبدلا إياها بالنعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم يبدلوا ما بهم من الحال إلى حال أسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسول بمعادة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعه منهم والسعي في إراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها إلى غير ذلك مما أحدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما أنعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته على تغييره متى يغيروا حالهم وأصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وأن الله سميع لما يقولون عليم ^ بما يفعلون ^ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون تكرر للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما أخذ به آل فرعون وقيل الأول لتشبيه الكفر والاختذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم وكل من الفرق المكذبة أو من غرقى القبط

وقتل قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي إن شر الدواب عند الله الذين كفروا أصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم إيمان ولعله إخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بأنهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على أن تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله ^ الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة ^ بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدتهم فنكثوا ومالئوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الأخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة أو المحاربة ^ وهم لا يتقون ^ سبة الغدر ومغيبته أو لا يتقون الله فيه أو نصره للمؤمنين وتسليطه إياهم عليهم ^ فإما تثقفنهم ^ فإما تصادفهم وتظفرن بهم ^ في الحرب فشردهم بهم ^ ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكايه فيهم ^ من خلفهم ^ من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر و ^ من خلفهم ^ والمعنى واحد فإنه إذا شرذ من وراءهم فقد فعل التشريد في الورا ^ لعلهم يذكرون ^ لعل المشركين يتعظون ^ وإما تخافن من قوم ^ معاهدين خيانة نقض عهد بأمارات تلوح لك ^ فانبذ إليهم ^ فاطرح إليهم عهدهم ^ على سواء ^ على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تتاجزهم الحرب فإنه يكون خيانة منك أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الأول أي ثابتا على طريق سوي أو منه أو من المنبوذ إليهم أو منهما على غيره وقوله ^ إن الله لا يحب الخائنين ^ تعليل للأمر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف ^ ولا تحسبن ^ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله ^ الذين كفروا سبقوا ^ مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على أن الفاعل ضمير أحد أو ^ من خلفهم ^ أو ^ الذين كفروا ^ والمفعول الأول أنفسهم فحذف للتكرار أو على تقدير أن سبقوا وهو ضعيف لأن المصدرية كالموصول فلا تحذف أو على إيقاع الفعل على ^ أنهم لا يعجزون ^

بالفتح على قراءة ابن عامر وأن لا صلة و سبقوا حال بمعنى سابقين أي مفلتين والظاهر أنه تعليل للنهي أي لا تحسبنهم سبقوا فأفلتوا لأنهم لا يفوتون الله أو لا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم وكذا أن كسرت إن إلا أنه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وإيقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين وأعدوا أيها المؤمنون لهم لناقضي العهد أو الكفار ما استطعتم من قولة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عتبة بن عامر سمعته صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر ألا أن القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله صلى الله عليه وسلم خصه بالذكر لأنه أقواه ^ ومن رباط الخيل ^ اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول أو مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورباطة ورباطة أو جمع ربيط كفضيل وفضال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ^ ترهبون به ^ تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير ل ^ ما استطعتم ^ أو للإعداد ^ عدو الله وعدوكم ^ يعني كفار مكة ^ وآخرين من دونهم ^ من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقل الفرس لا

تعلمونهم لا تعرفونهم بأعيانهم ^ الله يعلمهم ^ يعرفهم ^ وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم ^ جزاؤه ^ وأنتم لا تظلمون ^ بتضييع العمل أو نقص الثواب

^ وإن جنحوا ^ مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام وإلى للسلم للصلح أو الاستسلام
 وقرأ أبو بكر بالكسر ^ فاجح لها ^ وعاهد معهم وتأنث الضمير لحمل السلم على
 نقيضها فيه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع
 وقرئ فاجح بالضم ^ وتوكل على الله ^ ولا تخف من إبطانهم خداعاً فيه فإن الله
 يعصمك من مكرهم ويحيق بهم ^ إنه هو السميع ^ لأقوالهم العليم بنياتهم والآية
 مخصوصة بأهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف ^ وإن يريدوا
 أن يخدعوك فإن حسبك الله ^ فإن محسبك الله وكافيك قال جرير إني وجدت من
 المكارم حسبكم أن تلبسوا حر الثياب وتشبعوا ^ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ^
 جميعاً ^ وألف بين قلوبهم ^ مع ما فيهم من العصبية والضعينة في أدنى شيء
 والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا
 من معجزاته صلى الله عليه وسلم وبيانه ^ لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت
 بين قلوبهم ^ أي تناهي عداوتهم إلى حد لو أنفق منفق في إصلاح ذات بينهم ما
 في الأرض من الأموال لم يقدر على الألفة والإصلاح ^ ولكن الله ألف بينهم ^
 بقدرته البالغة فإنه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء ^ إنه عزيز ^ تام القدرة والغلبة
 لا يعصى عليه ما يريد حكيم يعلم انه كيف ينبغي أن يفعل ما يريد وقيل الآية في
 الاوس والخزرج كان بينهم محن لا أمد لها ووقائع هلكت فيها
 ساداتهم فأنساهم الله ذلك وألف بينهم بالإسلام حتى تصافوا وصاروا أنصاراً ^ يا أيها
 النبي حسبك الله ^ كافيك ^ ومن اتبعك من المؤمنين ^ أما في محل النصب على
 المفعول معه كقوله إذا كانت الهيجاء وإشترج القنا فحسبك والضحاك سيف مهند أو
 الجر عطفاً على المكني عند الكوفيين أو الرفع عطفاً على اسم الله تعالى أي كفاك
 الله والمؤمنون و الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل أسلم مع النبي صلى الله
 عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر رضي الله عنه فنزلت
 ولذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في إسلامه ^ يا أيها النبي
 حرص المؤمنين على القتال ^ بالغ في حثهم عليه واصله الحرص وهو أن ينهكه
 المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرص من الحرص ^ أن يكن منكم عشرون
 صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا ^ شرط في
 معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بأنهم أن صبروا غلبوا بعون الله وتأييده
 وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في ^ وإن
 يكن منكم مائة ^ بأنهم قوم لا يفقهون ^ بسبب أنهم جهلة بالله واليوم الآخر لا
 يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا أو قتلوا ولا يستحقون من
 الله إلا الهوان والخذلان ^ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن
 منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ^ لما
 أوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة
 الواحد الاثنتين وقيل كان فيهم قلة فأمروا بذلك
 ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الأعداد المتناسبة للدلالة على
 أن حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا
 متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقيين
 ^ والله مع الصابرين ^ بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ^ ما كان لنبي ^ وقرئ
 للنبي على العهد ^ أن يكون له أسرى ^ وقرأ البصريان بالتاء ^ حتى يثخن في
 الأرض ^ يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الإسلام ويستولي
 أهله من أئنه المرض إذا أثقله وأصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة ^

تريدون عرض الدنيا ^ حطامها بأخذكم الفداء ^ والله يريد الآخرة ^ يريد لكم ثواب الآخرة أو سبب نيل ثواب الآخرة من إعزاز دينه وقمع أعدائه وقرئ بجر الآخرة على إضمار المضاف كقوله أكل امرئ تحسبين امرأً و نار توقد بالليل نارا ^ والله عزيز ^ يغلب أوليائه على أعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما أمر بالإثخان ومنع من الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه السلام أتى يوم بدر بسبعين أسيرا فيهم العباس وعقيل بن أبي طالب فاستشار فيهم فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك وقال عمر رضي الله تعالى عنه اضرب أعناقهم فإنهم أئمة الكفر وإن الله أغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من أخويهما فنضرب أعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللين وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال فمن تبغني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال ^ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ^ فخير أصحابه فأخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر

رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو وأبو بكر بيكيان فقال يا رسول الله أخبرني فإن أجد بكاء بكيت وإلا تباكيت فقال ابك على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون وأنه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه ولولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق إثباته في اللوح المحفوظ وهو أن لا يعاقب المخطئ في اجتهاده أو أن لا يعذب أهل بدر أو قوما بما لم يصرح لهم بالنتهي عنه أو أن الفدية التي أخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم ^ فيما أخذتم ^ من الفداء ^ عذاب عظيم ^ روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لو

نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لأنه أيضا أشار بالإثخان ^ فكلوا مما غنمتم ^ من الفدية فإنها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره أبحث لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم أن الأمر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة أو حرمتها على الأولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتفوا الله في مخالفته إن الله غفور غفر لكم ذنبيكم رحيم أباح لكم ما أخذتم يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى وقرأ أبو عمرو من الأسارى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا إيمانا وإخلاصا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء روي أنها نزلت في العباس رضي الله عنه كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفدي نفسه وابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكف قريشا ما بقيت فقال أين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك وقلت لها إني لا أدري ما يصيبي في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال العباس وما يدريك قال أخبرني به ربي تعالى قال فأشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنتك رسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل قال العباس فأبدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم ^ ^ وإن يريدوا يعني الأسرى

خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فأمكن منهم أي فأمكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ^ ^

^ ^ إن الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا بأموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وأنفقوها على المحايج وأنفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الأنصار آووا المهاجرين إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم أولئك بعضهم أولياء بعض في الميراث وكان المهاجرين والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولياء بعض أو بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا أي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه بتولييه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فإنه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير ^ ^ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض في الميراث أو المؤازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث أو المؤازرة بينهم وبين المسلمين إلا تفعلوه إلا تفعلوا ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الأرض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الإيمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة أقسام بين أن الكاملين في الإيمان منهم هم الذين حققوا إيمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعه له ولا منة فيه ثم ألحق بهم في الأمرين من سيلحق بهن ويتسم بسمتهم فقال

^ ^ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم أي من حملتكم أيها المهاجرون والأنصار وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في التوارث من الأجانب في كتاب الله في حكمه أو في اللوح أو في القرآن واستدل به على توريث ذوي الأرحام إن الله بكل شيء عليم من الموارث والحكمة في إناطتها بنسبة الإسلام والمظاهرة أولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته

سورة التوبة وقيل إلا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزل ولها أسماء آخر التوبة والمقشقة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضة والمنكلة والمشردة والمدممة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين وإثارتهما والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وإيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لأنها نزلت لرفع الأمان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزلت عليه سورة أو آية بين موضعها وتوفي

ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الأنفال وتناسبها لأن في الأنفال ذكر اليهود وفي براءة نبذها فضمت إليها وقيل لما اختلفت الصحابة في أنهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال أو سورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله

براءة من الله ورسوله أي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره وأصله من الله ورسوله ويجوز أن تكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى أن الله ورسوله برئاً من العهد الذي عاهدتم به المشركين وإنما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على أنه يجب عليهم نذ عهود المشركين إليهم وإن كانت صادرة بإذن الله تعالى واتفاق الرسول فإنهما برئاً منها وذلك أنهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا إلا أناساً منهم بنو ضمرة وبنو كنانة فأمرهم بنذ العهد إلى الناكثين وأمهل المشركين أربعة أشهر ليسيروا أين شاءوا فقال فسيحوا في الأرض أربعة أشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وعشر من ربيع الآخر لأن التبليغ كان يوم النحر لما روي أنها لما نزلت أرسل رسول

الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه راكب العضاء ليقرأها على أهل الموسم وكان قد بعث أبا بكر رضي الله تعالى عنه أميراً على الموسم فقبل له لو بعث بها إلى أبي بكر فقال لا يؤدي عني إلا رجل مني فلما دنا علي رضي الله تعالى عنه سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر رضي الله تعالى عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضي الله عنه يوم النحر عند جمره العقبة فقال أيها الناس إنني رسول الله إليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده ولعل قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤدي عني إلا رجل مني ليس على العموم فإنه صلى الله عليه وسلم بعث لأن يؤدي عنه كثير لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهد فإن عادة العرب أن لا يتولي العهد ونقضه على القبيلة إلا رجل منها ويدل عليه أنه في بعض الروايات لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي واعلموا أنكم غير معجزى الله لا تفوتونه وإن أمهلكم وإن الله مخزي الكافرين بالقتل والأسر في الدنيا والعذاب في الآخرة وأدان من الله ورسوله إلى الناس أي إعلام فعال بمعنى الإفعال كالأمان والعطاء ورفع كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الأكبر يوم العيد لأن فيه تمام الحج معظم أفعاله ولأن الإعلام كان فيه ولما روي أنه صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر وقيل يوم عرفة لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر أو لأن المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من أعماله فإنه أكبر من باقي الأعمال أو لأن ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده أعياد أهل الكتاب أو لأنه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين

^ ^ أن الله أي بأن الله بريء من المشركين أي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بريء أو على محل إن واسمها في قراءة من كسرهما إجراء للأذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفاً على اسم إن أو لأن الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فإن قوله براءة من الله إخبار بثبوت البراءة وهذه إخبار بوجوب الإعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخصه بالمعاهدين فإن تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وإن توليتم عن التوبة أو تبتم على التولي عن الإسلام والوفاء فاعلموا أنكم غير معجزى الله لا تفوتونه طلباً ولا تعجزونه هرباً في الدنيا وبشر الذين كفروا

بعذاب أليم ^ في الآخرة ^ إلا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين أو استدراك فكأنه قيل لهم بعد أن أمروا بنبذ العهد إلى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقضوا عهدهم ولم ينكثوه أو لم يقتلوا منكم ولم يضرروكم قط ولم يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم فأتوا إليهم عهدهم إلى مدتهم إلى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين إن الله يحب المتقين تعليل وتنبه على أن إتمام عهدهم من باب التقوى فإذا انسلخ انقضى وأصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابس من سلخ الشاة الأشهر الحرم التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مغل بالنظم مخالف للإجماع فإنه يقتضي بقاء حرمة الأشهر الحرم

إذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل أو حرم وخذوهم وأسروهم والأخذ بالسير واحصوهم واحبسوهم أو حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا يتسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فإن تابوا عن الشرك بالإيمان وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة تصديقا لتوبتهم وإيمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على أن تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله إن الله غفور رحيم تعليل للأمر أي فخلوهم لأن الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف وعدلهم الثواب بالتوبة وإن أحد من المشركين المأمور بالتعرض لهم استجارك استأمنك وطلب منك جوارك فأجره فأمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر ثم أبلغه مأمنه موضع أمنه إن لم يسلم وأحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لأن من عوامل الفعل ذلك الأمن أو الأمر بأنهم قوم لا يعلمون ما الإيمان وما حقيقة ما تدعوهم إليه فلا بد من أمانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الإنكار والاستبعاد لأن يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم أو لأن يفى الله ورسوله

بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام أو للمشركين أو عند الله وهو على الأولين صفة لل عهد أو ظرف له أو ل يكون و كيف على الأخيرين حال من ال عهد و للمشركين إن لم يكن خيرا فتبين إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هما المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء أو الجر على البدل أو الرفع على أن الاستثناء منقطع أي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم أي فتربصوا أمرهم فإن استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فأتوا إليهم عهدهم إلى مدتهم غير أنه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية إن الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرر لاستبعاد ثباتهم على العهد أو بقاء حكمه مع التنبه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني أما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقلب ^ ^

أي فكيف مات وإن يظهروا عليكم أي وحالهم أنهم إن يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم إلا حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمر ك إن لك من قريش كإل السقب من آل النعام وقيل ربوية ولعله اشتق للحلف من الإل وهو الجوار لأنهم كانوا إذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لأنها تعقد بين الأقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوية والتربية وقيل اشتقاقه من آل الشيء إذا حدده أو من آل البرق إذا لمع وقيل إنه عبري بمعنى الإله لأنه قرئ إيلا كجبرئيل وجبرئيل ولا ذمة عهدا أو حقا يعاب على إغفاله يرضونكم بأفواههم استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية إلى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من

فاعل لا يرقبوا فإنهم بعد ظهورهم لا يرضون ولأن المراد إثبات إرضائهم المؤمنين بوعد الإيمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعادة بحيث إن ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتأبى قلوبهم ما تنفوه به أفواههم وأكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعمهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الأكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر إلى أحوثة السوء اشتروا بآيات الله استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الأهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل إليه أو سبيل بيته بحصر الحجاج

والعمار والفاء للدلالة على أن اشتراءهم أداهم إلى الصد إنهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا أو ما دل عليه قوله ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الأول عام في الناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود أو الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم وأولئك هم المعتدون في الشرارة فإن تابوا عن الكفر وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فأخوانكم في الدين فهم إخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تأمل ما فصل من أحكام المعاهدين أو خصال التائبين وإن نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم وإن نكثوا ما بايعوا عليه من الإيمان أو الوفاء بالعهد وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتفتيح الأحكام فقاتلوا أئمة الكفر أي فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع الضمير للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوي الرئاسة والتقدم في الكفر أحقاء بالقتل وقبل المراد بالأئمة رؤساء المشركين فالتخصيص إما لأن قتلهم أهم وهم أحق به أو لمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب أئمة بتحقيق الهمزتين على الأصل والتصريح بالياء لحن إنهم لا إيمان لهم أي لا إيمان لهم على الحقيقة وألا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على أن الذمي إذا طعن في الإسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على أن يمين الكافر ليست يميناً وهو ضعيف لأن المراد نفي الوثوق عليها لا أنها ليست بإيمان لقوله تعالى وإن نكثوا إيمانهم وقرأ ابن عامر لا إيمان لهم بمعنى لا أمان أو لا إسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز أن يكون بمعنى لا يؤمنون على الإخبار عن قوم معينين أو ليس لهم إيمان فإراقبوا لأجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا أي ليكن غرضكم في المقاتلة أن ينتهوا عما هم عليه لا إيصال الأذية بهم كما هو طريقة المؤذنين

^ ^ ألا تقاتلون قوما تحريض على القتال لأن الهمزة دخلت على النفي للإنكار فأفادت المبالغة في الفعل نكثوا إيمانهم التي حلفوها مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا بإخراج الرسول حين تشاوروا في أمره بدار الندوة على ما مر ذكره في قوله وإذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا بإخراجه من المدينة وهم بدعوكم أول مرة بالمعاداة والمقاتلة لأنه صلى الله عليه وسلم بدأهم بالدعوة وإلزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته إلى المعادة والمقاتلة فما يمنعكم أن تعارضوهم وتصادموهم أتخشونهم أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم فالله أحق أن تخشوه فقاتلوا أعداءكم ولا تتركوا أمره إن كنتم مؤمنين فإن قضية الإيمان أن لا يخشى إلا منه قاتلوهم أمر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم إن قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم وإذلالهم وبشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديداً

فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبشروا فإن الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد أوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء إخبار بأن بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك أيضا وقرئ ويتوب بالنصب على إضمار أن على أنه من جملة ما أجيب به الأمر فإن القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم إلا على وفق الحكمة أم حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين و أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحساب أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلق منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم وأراد نفى المعلوم لمبالغة فإن كالبرهان عليه من حيث إن تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون إليهم أسرارهم وما في لما من معنى التوقع منه على أن تبين ذلك متوقع والله خير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيج لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ^ ما كان للمشركين ما صح لهم أن يعمرؤا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وإنما جمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على أنفسهم بالكفر بإظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي أنه لما أسر العباس غيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم وأغلظ له علي رضي الله تعالى عنه في القول فقال ما بالكم تذكرون مساويتنا وتكتمون محاسننا أنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة

ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت أولئك حبطت أعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لأجله إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة أي إنما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وإدامة العبادة والذكر ودروس العلم فيها وصيانتها مما لم تبين له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى إن بيوتى في أرضي المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وإنما لم يذكر الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لما علم أن الإيمان بالله قرينة وتمامه الإيمان به ولدلالة قوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة عليه ولم يخش إلا الله أي في أبواب الدين فإن الخشية عن المحاذير جلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعاً لأطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع بأعمالهم وتوبيخاً لهم بالقطع بأنهم مهتدون فإن هؤلاء مع كمالهم إذا كان اهتداؤهم دائراً بين عسى ولعل فما ظنك بأضدادهم ومنعاً للمؤمنين أن يغتروا بأحوالهم ويتكلموا عليها أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدر أسقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من إضمار تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن ويؤيد الأول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى إنكار أن يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي الظالمين أي الكفرة ظلمة بالشرك ومعادة الرسول صلى الله عليه

وسلم منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووقفهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم تستجمع فيه هذه الصفات أو من أهل السقاية والعمارة عندكم وأولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم

ببشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وحنان لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة ببشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به إشعار بأنه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها أبدا أكد الخلود بالتأييد لأنه قد يستعمل للمكث الطويل إن الله عنده أجر عظيم يستحقه دونه ما استوجبه لأجله أو نعيم الدنيا يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء نزلت في المهاجرين فإنهم لما أمروا بالهجرة قالوا إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرتنا وذهب تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم أولياء يمنعونكم عن الإيمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله إن استحبوا الكفر على الإيمان إن اختاروه وحرصوا عليه ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون بوضعهم الموالة في غير موضعها قل إن كان آباؤكم وأبناءؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم أقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشرة فإن العشرة جماعة ترجع إلى عقد كعقد العشرة وقرأ أبو بكر وعشيرتكم وقرئ وعشائركم ^ ^ وأموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فإنه لا يدخل تحت التكليف في التحفظ عنه فتربصوا حتى يأتي الله بأمره جواب ووعيد والأمر عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدكم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص منه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقفها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز أن يقدر في أيام مواطن أو يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع إبدال قوله إذ أعجبتكم كثرتم منه أن يعطف على موضع في مواطن فإنه لا يقتضي تشاركهما فيما أضيف إليه المعطوف حتى يقتضي كثرتم وإعجابها إياهم في جميع المواطن و حنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر ألفا العشرة الذين حضروا فتح مكة وألفان انضموا إليهم من الطلقاء هوازن وثقيفا وكانوا أربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم أو أبو بكر رضي

الله تعالى عنه أو غيره من المسلمين لن تغلب اليوم من قلة إعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فأدرك المسلمين إعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه إلا عمه العباس أخذا بلجامة وابن عمه أبو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنأدى يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفا من ترا فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم أي الكثرة شيئا من الإغناء أو من أمر العدو وضافت عليكم الأرض بما رحبت برحبها أي بسعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن إليه نفوسكم من شدة الرعب أو لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والإدبار الذهاب إلى خلف الإقبال ثم أنزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وأمنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين

انهزموا وإعادة الجار للتنبيه على اختلاف حالهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفروا وأنزل جنودا لم تروها بأعينكم أي الملائكة وكانوا خمسة آلاف أو ثمانية أو ستة عشر على اختلاف الأقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر والسبي وذلك جزاء الكافرين أي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للإسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي أن ناسا جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلموا وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبرهم وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال صلى الله عليه وسلم اختاروا إما سباياكم وإما أموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن هؤلاء جاءوا مسلمين وأنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا

عرفاءكم فليرفعوا إلينا فرفعوا أنهم قد رضوا يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس لخبث باطنهم أو لأنه يجب أن يجتنب عنهم كما يجتنب عن الأنجاس أو لأنهم لا يتطهرون ولا يتجنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على أن ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن أعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد وأكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وإنما نهى عن الاقتراب للمبالغة أو للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا وإليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وإن ختمت عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والأرفاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه أو تفضله بوجه آخر وقد أنجز وعده بأن أرسل السماء عليهم مدرارا ووفق أهل تبالة وجرش فأسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه إليهم الناس من أقطار الأرض وقرئ عائلة على أنها مصدر كالعافية أو حال إن شاء قيده بالمشيئة لتقطع الآمال إلى الله تعالى ولينبه على أنه تعالى متفضل في ذلك وإن الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام إن الله عليم بأحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر أي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في أول البقرة فإن إيمانهم كلا إيمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى أنهم يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الأديان ومبطلها من الذين أوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم أن يعطوه مشتق من جزى دينه إذا قضاه عن يد جال من الضمير أي عن يد مؤاتية بمعنى منقادين أو عن يدهم بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعثن بأيدي غيرهم

ولذلك منع من التوكيل فيه أو عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير أو عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين أذلاء أو من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد إلى يد أو عن إنعام عليهم فإن إبقاءهم بالجزية نعمة عظيمة وهم صاغرون أذلاء وعن ابن

عباس رضي الله تعالى عنهما قال تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية بأهل الكتاب ويؤيده أن عمر رضي الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر وأنه قال سنوا بهم سنة أهل الكتاب وذلك لأنهم لهم شبهة كتاب فألحقوا بالكتابين وأما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى تؤخذ منهم إلا مشركي العرب لما روى الزهري أنه صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الأوثان إلا من كان من العرب وعند مالك رحمه الله تعالى تؤخذ من كل كافر إلا المرتد وأقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى على الغني ثمانية وأربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على الفقير غير الكسوب وقالت اليهود عزير ابن الله إنما قاله بعضهم من متقدمهم أو ممن كانوا بالمدينة وإنما قالوا ذلك لأنه لم يبق فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التوراة وهو لما أحياه الله بعد مائة عام أملي عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا إلا أنه ابن الله والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزيز بالتنوين على أنه عربي مخبر عنه بآبن غير موصوف به وحذفه في القراءة الأخرى إما لمنع صرفه للعجمة والتعريف أو لالتقاء الساكنين تشبيها للون بحروف اللين أو لأن الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا أو صاحبنا وهو مزيف لأنه يؤدي إلى تسليم النسب وإنكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو أيضا قول بعضهم وإنما قالوه استحالة لأن يكون ولد بلا أب أو لأن يفعل ما فعله من إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى من لم يكن إلها ذلك قولهم

بأفواههم إما تأكيد لنسبة هذا القول إليهم ونفي للتجاوز عنها أو إشعار بأنه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الأفواه ولا يوجد مفهومه في الأعيان يضاهئون قول الذين كفروا أي يضاهاي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه من قبل أي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى أن الكفر قديم فيهم أو المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله أو اليهود على أن الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهياً على فعيل للتي شابهت الرجال في أنها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالإهلاك فإن من قاتله الله هلك أو تعجب من شناعة قولهم أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله بأن أطاعوهم في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله أو بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بأن جعلوه ابنا لله وما أمروا أي وما أمر المتخذون أو المتخذون أربابا فيكون كالدليل على بطلان اتخاذ إلا ليعبدوا ليطيعوا إلها واحدا وهو الله تعالى وأما طاعة الرسول وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة لله لا إله إلا هو صفة ثانية أو استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن أن يكون له شريك ^ يريدون أن يطفئوا ^ يخدموا ^ نور الله ^ حجتة الدالة على وحدانيته وتقدسسه عن الولد أو القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بأفواههم بشركهم أو بتكذيبهم ^ وبأبي الله ^ أي لا يرضى ^ إلا أن يتم نوره ^ بإعلاء التوحيد وإعزاز الإسلام وقيل إنه تمثيل لحالهم في

طلبهم إبطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب إطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيد بنفخه وإنما صح الاستثناء المفرغ والفعل

موجب لأنه في معنى النفي ^ ولو كره الكافرون ^ محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه ^ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ^ كالبيان لقوله ^ وبأبى الله إلا أن يتم نوره ^ ولذلك كرر ^ ولو كره المشركون ^ غير أنه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على أنهم ضموا الكفر بالرسول إلى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق أو للرسول صلى الله عليه وسلم واللام في الدين للجنس أي علي سائر الأديان فينسخها أو على أهلها فيخذلهم ^ يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ^ يأخذونها بالرشا في الأحكام سمي أخذ المال أكلا لأنه الغرض الأعظم منه ^ ويصدون عن سبيل الله ^ دينه ^ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ^ يجوز أن يراد به الكثير من الأحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضمن به وأن يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقتترانه بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه أنه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وقوله صلى الله عليه وسلم ما أدي زكاته فليس بكنز أي بكنز أوعد عليه فإن الوعيد على الكنز مع عدم الإنفاق فيما أمر الله أن ينفق فيه وأما قوله صلى الله عليه وسلم من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله صلى الله عليه وسلم فيما أوردته الشيخان مرويا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها

جيبه وجنبه وظهره ^ فبشرهم بعذاب أليم ^ هو الكي بهما ^ يوم يحمى عليها في نار جهنم ^ أي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها وأصله تحمى بالنار فجعل الإحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار وأسند الفعل إلى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث إلى صيغة التذكير وإنما قال عليها والمذكور شيئان لأن المراد بهما دنائير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله تعالى عنه أربعة آلاف وما دونها وما فوقها كنز وكذا قوله تعالى ^ ولا ينفقونها ^ وقيل الضمير فيهما للكنوز أو للأموال فإن الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لأنهما قانون التمول أو للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على أن الذهب أولى بهذا الحكم ^ فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ^ لأن جمعهم وإمسآكهم إياه كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية أو لأنهم ازوروا عن السائل وأعرضوا عنه وولوه ظهورهم أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة فإنها المشتملة على الأعضاء الرئيسية التي هي الدماغ والقلب والكبد أو لأنها أصول الجهات الأربع التي هي مقادير البدن وماخيره وجنياه ^ هذا ما كنزتم ^ على إرادة القول لأنفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها ^ فذوقوا ما كنتم تكنزون ^ أي وبال كنزكم أو ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ^ إن عدة الشهور ^ أي مبلغ عددها ^ عند الله ^ معمول عدة لأنها مصدر ^ اثنا عشر ^

شهرًا في كتاب الله ^ في اللوح المحفوظ أو في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله يوم خلق السموات والأرض متعلق بما فيه من معنى الثبوت أو بالكتاب إن جعل مصدرا والمعنى أن هذا أمر ثابت في نفس الأمر مذ خلق الله الأجرام والأزمنة ^ منها أربعة حرم ^ واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ^ ذلك الدين القيم ^ أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم دين إبراهيم

وإسماعيل صلى الله عليه وسلم والعرب ورثوه منهما ^ فلا تظلموا فيهن أنفسكم ^
بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة وأولو
الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فإنه أعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الإحرام
وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم وفي الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا
ويؤيد الأول ما روي أنه صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في
شوال وذى القعدة ^ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ^ جميعا وهو مصدر
كف عن الشيء فإن الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال ^ واعلموا أن الله
مع المتقين ^ بشارة وضمن لهم بالنصرة بسبب تقواهم ^ إنما النسيء ^ أي تأخير
حرمة الشهر إلى شهر آخر كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا
مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية
ورش إنما النسيء بقلب الهمزة ياء وإدغام الياء فيها وقرئ
النسيء بحذفها والنسيء والنساء وثلاثها مصادر نساء إذا أخره ^ زيادة في الكفر ^
لأنه تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه الله فهو كفر آخر ضموه إلى كفرهم ^
يضل به الذين كفروا ^ ضللا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء
للمفعول وعن يعقوب يضل على أن الفعل لله تعالى ^ يحلونه عاما ^ يحلون
المنسي من الأشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ^ ويحرمونه عاما ^
فيتركونه على حرمة قيل أول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم
على جمل في الموسم فينادي إن آهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادي
في القبائل إن آهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال أو
حال ^ ليواطئوا عدة ما حرم الله ^ أي ليوافقوا عدة الأربعة المحرمة واللام متعلقة
بيحرمونه أو بما دل عليه مجموع الفعلين ^ فيحلوا ما حرم الله ^ بمواطأة العدة
وحدها من غير مراعاة الوقت ^ زين لهم سوء أعمالهم ^ وقرئ على البناء للفاعل
وهو الله تعالى والمعنى خذلهم وأضلهم حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسنا ^ والله لا
يهدي القوم الكافرين ^ هداية موصلة إلى الهداء ^ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا
قيل لكم انفروا في سبيل الله أثاقلتم ^ تباطأتم وقرئ ثناقلتم على الأصل و أثاقلتم
على الاستفهام للتوبيخ ^ إلى الأرض ^ متعلق به كأنه ضمن معنى الاخلاص والميل
فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك أمروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت
عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ^ أرضيتم بالحياة الدنيا ^
وغرورها ^ من الآخرة ^ بدل الآخرة ونعيمها ^ فما متاع الحياة الدنيا ^ فما التمتع
بها ^ في الآخرة ^ في جنب الآخرة ^ إلا قليل ^ مستحقر ^ إلا تنفروا ^ إن لا
تنفروا إلى ما استنفرتم إليه ^ يعذبكم عذابا أليما ^ بالإهلاك بسبب فطيع كقحط
وظهور عدو ^ ويستبدل قوما غيركم ^ ويستبدل بكم آخرين مطيعين كأهل اليمن
وأبناء فارس ^ ولا تضروه شيئا ^ إذ لا يقدح ثناقلكم في نصر دينه شيئا فإنه الغني
عن كل شيء وفي كل أمر وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم أي ولا
تضروه فإن الله سبحانه وتعالى وعد له بالعصمة والنصرة ووعدده حق ^ والله على
كل شيء قدير ^ فيقدر على التبديل وتغيير الأسباب والنصرة بلا مدد كما قال
^ إلا تنصروه فقد نصره الله ^ أي إن لم تنصروه فسينصره الله كما نصره ^ إذ
أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ^ ولم يكن معه إلا رجل واحد فحذف الجزاء وأقيم
ما هو كالدليل عليه مقامه أو إن لم تنصروه فقد أوجب الله له النصر حتى نصره
في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج إلى الكفرة لأن همهم
بإخراجه أو قتله تسبب لإذن الله له بالخروج وقرئ ^ ثاني اثنين ^ بالسكون على

لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال ^ إذ هما في الغار ^ بدل من إذ أخرجه بدل البعض إذ المراد به زمان متسع والغار نقب في أعلى ثور وهو جبل في اليمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا ^ إذ يقول ^ بدل ثان أو ظرف لثاني لصاحبه وهو أبو بكر رضي الله تعالى عنه ^ لا تحزن إن الله معنا ^ بالعصمة والمعونة روي أن المشركين طلوعوا فوق الغار فأشفق أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما فأعماههم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمايتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه ^ فأنزل الله سكينته ^ أمته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي صلى الله عليه وسلم أو على صاحبه وهو الأظهر لأنه كان منزعا ^ وأيده جنود لم تروها ^ يعني الملائكة أنزلهم ليحرسوه في الغار أو ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحين فتكون الجملة معطوفة على قوله ^ نصره الله ^ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك أو دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد أو دعوة الإسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم عن أيدي الكفار إلى المدينة فإنه المبدأ أو بتأييده إياه بالملائكة في هذه المواطن أو بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب وكلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع أبلغ لما فيه من الاشعار بأن كلمة الله عالية في نفسها وإن فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار

ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في أمره وتدييره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقتة عليكم أو لقلّة عيالكم ولكثرتها أو ركبانا ومشاة أو خفافا وثقالا من السلاح أو صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن أم مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي أن أنفر قال نعم حتى نزل ليس على الأعمى جرح ^ ^ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله بما أمكن لكم منهما كليهما أو أحدهما ذلكم خير لكم من تركه إن كنتم تعلمون الخير علمتم أنه خير أو إن كنتم تعلمون أنه خير إذ إخبار الله تعالى به صدق فبادروا إليه لو كان عرضا أي لو كان ما دعوا إليه نفعا دنيويا قريبا سهل المآخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة أي المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله أي المتخلفون إذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة أو البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة ^ ^ لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لأنه إخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون أنفسهم بإيقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لأن الحلف الكاذب إيقاع للنفس في الهلاك أو حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لأنهم كانوا مستطيعين الخروج

^ عفا الله عنك كناية عن خطئه في الإذن فإن العفو من رواده لم أذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو ومعاتبته عليه والمعنى لأي شيء أذنت لهم في القعود حين استأذنونك واعتلوا بكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل إنما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء وإذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم أي ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنونك في أن يجاهدوا فإن الخلف منهم يبادرون إليه ولا يتوقفون على الأذن فيه فضلا أن يستأذنونك في التخلف عنه أو أن يستأذنونك في التخلف لا كراهة أن يجاهدوا والله

عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه إنما يستأذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الإيمان بالله عز وجل واليوم الآخر في الموضعين للاشعار بأن الباعث على الجهاد والوازع عنه الإيمان وعدم الإيمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحIRON ولو أرادوا الخروج لأعدوا له للخروج عدة أهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الإضافة كقوله إن الخليط أجداو اللين فانجردوا وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا وعده بكسر العين بالاضافة وعدة غيرها ولكن كره الله انبعائهم استدراك عن مفهوم قوله ولو أرادوا الخروج كأنه قال ما خرجوا ولكن تشبطوا لأنه تعالى كره انبعائهم أي نهوضهم للخروج فثبطهم فحسبهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع

القاعدين تمثيل لإلقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم أو وسوسة الشيطان بالأمر بالقعود أو حكاية قول بعضهم لبعض أو إذن الرسول عليه السلام لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا إلا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك أن يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لأن الزيادة باعتبار أعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولأجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لأنه لا يكون مفرغا ولأوضعوا خلالكم ولأسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب أو الهزيمة والتخذييل من وضع البعير وضعا إذا أسرع يبغونكم الفتنة يريدون أن يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم أو الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في أوضعوا ^ ^ وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم أو ينامون يسمعون حديثكم للنقل إليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت أمرك وتفريق أصحابك من قبل يعني يوم أحد فإن ابن أبي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعدما خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ذي جدة أسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم أحد وقلبوا لك الأمور ودبروا لك المكاييد والحيل ودوروا الآراء في ابطال أمرك حتى جاء الحق بالنصر والتأييد الإلهي وظهر أمر الله وعلا دينه وهم كارهون أي على رغم منهم والآيات لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لأجله وكره انبعائهم له وهتك أستارهم وكشف أسرارهم وإزاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة إلى الأذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة أي في العصيان والمخالفة بأن لا تأذن لي وفيه أشعار بأنه لا محالة متخلف أذن له أم يأذن أو في الفتنة بسبب

ضياح المال والعيال إذ لا كافل لهم بعدي أو في الفتنة بنساء الروم لما روي أن جد بن قيس قال قد علمت الأنصار أنني مولع بالنساء فلا تفتني بنات الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني ألا في الفتنة سقطوا أي إن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف أو ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وإن جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيامة أو الآن لأن احاطة أسبابها بهم كوجودها إن تصبك في بعضها مصيبة كسر أو شدة أو كما أصاب يوم أحد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رأيهم في التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له أو عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا إلا ما احتصنا بإثباته وإيجابه من النصر أو الشهادة أو ما كتب لأجلنا في اللوح المحفوظ لا يتغير بموافقكم ولا بمخالفكم وقرئ هل يصيبنا و هل يصيبنا وهو من يفعل لا من فعل لأنه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من

الصواب لأنه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصواب هو مولانا ناصرنا ومتولي أمورنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لأن حقهم أن لا يتوكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا إلا إحدى الحسينين إلا إحدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصر والشهادة ونحن نتربص بكم أيضا إحدى السوابين إن يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء أو بأيدينا أو بعذاب بأيدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا إنا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم أمر في معنى الخبر أي لن يتقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعا أو كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كأنهم أمروا بأن يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس وأعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل أمرين أن لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله إنكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله أي وما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي أن يقبل بالياء لأن تأنيث النفقات غير حقيقي وقرئ يقل على أن الفعل لله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون إلا وهم كارهون لأنهم لا يرجون بهما ثوبا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فإن ذلك استدراج ووبال لهم كما قال إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق أنفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة

^ ^ ويحلفون بالله إنهم لمنكم إنهم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الإسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجؤون إليه أو مغارات غيرانا أو مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من المدخول وقرأ يعقوب مدخلا من مدخل وقرئ مدخلا أي مكانا يدخلون فيه أنفسهم و متدخلا و مندخل من تدخل لولوا إليه لأقبلوا نحوه وهم يجمعون يسرعون إسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلزمك يعيبك وقرأ يعقوب يلزمك بالضم وابن كثير يلامزك ^ ^ في الصدقات في قسمها فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون قيل إنها نزلت في أبي الجواظ المنافق فقال ألا ترون إلى صاحبكم إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم أنه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حين فاستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال عدل يا رسول الله فقال ويلك إن لم أعدل فمن يعدل و إذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما أعطاهم الرسول من الغنيمة أو الصدقة وذكر الله للتعظيم وللتنبية على أن ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان بأمره وقالوا

حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة أو غنيمة أخرى ورسوله فيؤتينا أكثر مما آتانا إنا إلى الله راغبون في أن يغنينا من فضله والاية بأسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فقال إنما الصدقات للفقراء والمساكين أي الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على أن المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته

من الفقار كأنه أصيب فقاره والمسكين من له مال أو كسب لا يكفيه من السكون كان العجز أسكنه ويدل عليه قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين وأنه صلى الله عليه وسلم كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى ومسكيننا ذا مترية ^ والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستأنف قلوبهم أو أشرف قد يترتب بإعطائهم ومراعاتهم إسلام نظرائهم وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عينة بن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل أشرف يستألفون على أن يسلموا فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم والأصح أنه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قبله بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الإسلام فلما أعزه الله وأكثر أهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بأن يعاون المكاتب بشيء منها على أداء النجوم وقيل بأن تتباع الرقاب فتعتق وبه قال مالك وأحمد أو بأن يفدي الأساري والعدول عن اللام إلى في للدلالة على أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايدان بأنهم أحق بها والغارمين والمديونين لأنفسهم غير معصية ومن غير إسراف إذا لم يكن لهم وفاء أو الإصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة لغاز في سبيل الله أو لغارم أو لرجل اشتراها بماله أو لرجل له جار مسكين

فتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني أو لعامل عليها ^ وفي سبيل الله ^ وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياح الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع ^ وابن السبيل ^ المسافر المنقطع عن ماله ^ فريضة من الله ^ مصدر لما دل عليه الآية الكريمة أي فرض لهم الله الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة ^ والله عليم حكيم ^ يضع الأشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية ووجوب الصرف إلى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين جواز صرفها إلى صنف واحد وبه قال الأئمة الثلاثة واختاره بعض أصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله تعالى على أن الآية بيان أن الصدقة لا تخرج منهم لا إيجاب قسمها عليهم ^ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ^ يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك أو اشتق له فعل من أذن أذنا إذا استمع كأنف وشلل روي أنهم قالوا محمد أذن سامعه نقول ما شئنا ثم تأتيه فيصدقنا بما نقول ^ قل أذن خير لكم ^ تصديق لهم بأنه أذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث أنه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله ^ يؤمن بالله ^ يصدق به لما قام عنده من الأدلة ^ ويؤمن للمؤمنين ^ ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين إيمان التصديق فإنه بمعنى التسليم وإيمان الأمان ورحمة أي وهو رحمة ^ للذين آمنوا منكم ^ لمن أظهر الإيمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على إنها علة فعل دل عليه ^ أذن خير ^ أي بأذن لكم رحمة وقرأ نافع أذن بالتخفيف فيهما وقرئ ^ أذن خير ^ على أن خير

صفة له أو خبر ثان ^ والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ^ بإيذائه ^ يحلفون بالله لكم ^ على معاذيركم فيما قالوا أو تخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين ^ والله ورسوله أحق أن يرضوه ^ أحق بالإرضاء بالطاعة والوفاء وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين أو لأن الكلام في إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وإرضائه أو لأن التقدير والله أحق أن يرضوه والرسول كذلك ^ إن كانوا مؤمنين ^ صدقا ^ ألم يعلموا انه ^ أن الشأن وقرئ بالتاء ^ من يحادد الله ورسوله ^ يشاقق مفاعلة من الحد ^ فإن له نار جهنم خالدا فيها ^ على حذف الخبر أي فحق أن له أو على تكرير أن للتأكيد ويحتمل أن يكون معطوفا على أنه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فإن بالكسر ^ ذلك الخزي العظيم ^ يعني الهلاك الدائم ^ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم ^ على المؤمنين ^ سورة تنبئهم بما في قلوبهم ^ وتهتك عليهم استارهم ويجوز أن يكون الضمائر للمنافقين فإن النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث أنه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم أيضا في كفرهم وأنهم لم يكونوا علي بت في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بشيء وقيل إنه خبر في معنى الأمر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله ^ قل استهزؤوا إن الله مخرج ^ مبرز أو مظهر ^ ما تحذرون ^ أي ما تحذرونه من إنزال السورة فيكم أو ما تحذرون اظهاره من مساويكم ^ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ^ روي أن ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من أمرك وأمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر ^ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ^ توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به وإلزاما للحجة عليهم ولا تعبا باعتذارهم الكاذب ^ لا تعتذروا ^ لا تشتغلوا باعتذاراتكم فإنها معلومة الكذب ^ قد كفرتم ^ قد أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم والظعن فيه ^ بعد إيمانكم ^ بعد اظهاركم الإيمان ^ أن نعف عن طائفة منكم ^ لتوبتهم وإخلاصهم أو لتجنهم عن الإيذاء والاستهزاء ^ نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ^ مصرين على النفاق أو مقدمين على الإيذاء والاستهزاء وقرأ

عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وإن تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا إلى المعنى كأنه قال أن ترحم طائفة ^ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ^ أي متشابهة في النفاق والبعد عن الإيمان كأبعض الشيء الواحد وقيل إنه تكذيب لهم في حلفهم بالله إنهم لمنكم وتقرير لقولهم وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فإنه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله ^ يأمرن بالمنكر ^ بالكفر والمعاصي ^ وينهون عن المعروف ^ عن الإيمان والطاعة ^ ويقبضون أيديهم ^ عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح ^ نسوا الله ^ غفلوا عن ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ^ إن المنافقين هم الفاسقون ^ الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير ^ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ^ مقدرين الخلود ^ هي حسبهم ^ عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ^ ولعنهم الله ^ أبعدهم من رحمته وأهانهم ^ ولهم عذاب مقيم ^ لا ينقطع والمراد به ما وعدوه أو ما يقاسونه من تعب النفاق ^ كالذين من قبلكم ^ أي أنتم مثل الذين أو فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم ^

كانوا اشد منكم قوة وأكثر اموالا وأولادا ^ بيان لتشبيهم بهم وتمثيل حالهم بحالهم
^ فاستمتعوا بخلاقهم ^ نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير
فإنه ما قدر لصاحبه ^ فاستمتعتم بخلاصكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ^
ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائم بها عن
النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لدم المخاطبين
بمشابعتهم واقتفاء أثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذين خاضوا كالذين خاضوا أو
كالفوج الذي خاضوا أو كالخوض الذي خاضوه ^ أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا
والآخرة ^ لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين ^ وأولئك هم الخاسرون ^ الذين
خسروا الدنيا والآخرة

^ ألم يأتيهم نبي الذين من قبلهم قوم نوح ^ اغرقوا بالطوفان وعباد اهلكوا بالريح
وتمود اهلكوا بالرجفة ^ وقوم إبراهيم ^ اهلك نمرود ببعوض وأهلك اصحابه ^
وأصحاب مدين ^ وأهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات
قريات قوم لوط ائتفكت بهم أي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة
من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفكهن انقلاب احوالهن من الخير إلى
الشر ^ أتهم رسلمهم ^ يعني الكل ^ بالبينات فما كان الله ليظلمهم ^ أي لم يك
من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ^ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ^
حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب ^ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض
^ في مقابلة قوله المنافقون والنافاق بعضهم من بعض ^ يأمرن بالمعروف
وينهون عن المنكر وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ^ في سائر
الأمور ^ أولئك سيرحمهم الله ^ لا محالة فإن السين مؤكدة للوقوع ^ إن الله عزيز
^ غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريد حليم يضع الاشياء مواضعها ^ وعد
الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة ^
تستطيبها النفس أو يطيب فيها العيش وفي الحديث إنها قصور من اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت الأحمر ^ في جنات عدن ^ إقامة وخلود وعنه عليه الصلاة والسلام عدن
دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون
والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل
أن يكون إلى تعدد الموعود لكل واحد أو للجميع على سبيل التوزيع أو إلى تباين
وصفه فكأنه وصفه أولا بأنه من جنس ما هو أبهى الاماكن التي يعرفونها لتميل إليه
طباعهم أول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بأنه محفوف بطيب العيش معرى عن
شوائب الكدورات التي لا تخلو

عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بأنه دار
إقامة وثبات في جوار عليين لا يعترهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر
من ذلك فقال ^ ورضوان من الله أكبر ^ لأنه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي
إلى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول لأهل
الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك
فيقول أنا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شيء من ذلك فيقول احل عليكم
رضواني فلا اسخط عليكم أبدا ذلك أي الرضوان أو جميع ما تقدم ^ هو الفوز
العظيم ^ الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها ^ يا أيها النبي جاهد الكفار ^ بالسيف
والمنافيقين بإلزام الحجة وإقامة الحدود ^ واغلظ عليهم ^ في ذلك ولا تحابهم ^
ومأواهم جهنم ونس المصير ^ مصيرهم ^ يحلفون بالله ما قالوا ^ روي أنه صلى
الله عليه وسلم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين

فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لإخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ^ ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ^ واطهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ^ وهموا بما لم ينالوا ^ من فتك الرسول وهو أن خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحته إلى الوادي إذ تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن

ياسر بخطام راحته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فيبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الإبل وقعقة السلاح فقال إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا أو اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة أو بأن يتوجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ^ وما نعموا ^ وما أنكروا أو ما وجدوا ما يورث نعمتهم ^ إلا أن اغناهم الله ورسوله من فضله ^ فإن أكثر أهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر ألفا فاستغنى والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أو العلل ^ فإن يتوبوا يك خيرا لهم ^ وهو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب ^ وإن يتولوا ^ بالإصرار على النفاق ^ يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة ^ بالقتل والنار ^ وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير ^ فينجيهم من العذاب ^ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ^ نزلت في ثعلبة بن حاطب أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية فارجعا حتى أرى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله منعني أن أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فلم يقبلها ثم جاء بها إلى عمر رضي الله تعالى عنه في خلافته فلم يقبلها

وهلك في زمان عثمان رضي الله تعالى عنه ^ فلما أتاهم من فضله بخلوا به ^ منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله ^ وهم معرضون ^ وهم قوم عادتهم الإعراض عنها ^ فأعقبهم نفاقا في قلوبهم ^ أي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للبخل والمعنى فأورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم ^ إلى يوم يلقونه ^ يلقون الله بالموت أو يلقون عملهم أي جزاءه وهو يوم القيامة ^ بما أخلفوا الله ما وعدوه ^ بسبب إخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح ^ وبما كانوا يكذبون ^ ويكونهم كاذبين فيه فإن خلف الوعد متضمن لكذب مستقبح من الوجهين أو المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد ^ ألم يعلموا ^ أي المنافقون أو من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ^ أن الله يعلم سرهم ^ ما أسروه في أنفسهم من النفاق أو العزم على الإخلاف ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن أو تسمية الزكاة جزية ^ وأن الله علام الغيوب ^ فلا يخفى

عليه ذلك ^ الذين يلمزون ^ ذم مرفوع أو منصوب أو بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين ^ من المؤمنين في الصدقات ^ روي أنه صلى الله عليه وسلم حث علي الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت إحدى امرأته عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت ^ والذين لا يجدون إلا جهدهم ^ إلا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الأمر إذا بالغ فيه ^ فيسخرون منهم ^ يستهزئون بهم ^ سخر الله منهم ^ جازاهم على سخرتهم كقوله تعالى ^ الله يستهزئ بهم ^ ولهم عذاب أليم ^ على كفرهم ^ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ^ يريد به التساوي بين الأمرين في عدم الإفادة لهم كما نص عليه بقوله ^ إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ^ روي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض أبيه أن يستغفر له ففعل صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم لأزيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم

فهم من السبعين العدد المخصوص لأنه الأصل فجوز أن يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له أن المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكانه العدد بأسره ^ ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ^ إشارة إلى أن اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها ^ والله لا يهدي القوم الفاسقين ^ المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فإن مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد إلى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه من إيمانهم ما لم يعلم أنهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ^ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أصحاب الجحيم ^ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ^ بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي أي بعدهم ويجوز أن يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة أو الحال ^ وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ^ ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الأموال والمهج ^ وقالوا لا تنفروا في الحر ^ أي قال بعضهم لبعض أو قالوه للمؤمنين تشييطا ^ قل نار جهنم أشد حرا ^ وقد آثرتموها بهذه المخالفة ^ لو كانوا يفقهون ^ أن مآبهم إليها أو إنها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة ^ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ^ إخبار عما يؤول إليه حالهم في الدنيا والآخره اخرجته على صيغة الأمر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز أن يكون الضحك والبكاء كناية عن السرور والغم والمراد من القلة العدم ^ فإن

رجعك الله إلى طائفة منهم ^ فإن ردك إلى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فإن كلهم لم يكونوا منافقين أو من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلاً ^ فاستأذنوك للخروج ^ إلى غزوة أخرى بعد تبوك ^ فقل لمن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً ^ إخبار في معنى النهي للمبالغة ^ انكم رضيتم بالعود أول مرة ^ تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم و ^ أول مرة ^ هي الخرجة إلى غزوة تبوك ^ فاقعدوا مع الخالفين ^ أي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ^ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ^ روي أن عبد الله بن أبي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات أرسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة عليه لأن الضن بالقميص كان مخلًا بالكرم ولأنه كان مكافأة لا لباسه العباس قميصه حين أسر بيدر والمراد من الصلاة المدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله ^ مات أبداً ^ يعني الموت على الكافر فإن إحياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحيى ^ ولا تقم على قبره ^ ولا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة ^ إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ^ تعليل للنهي أو لتأييد الموت

ولا تعجبك أموالهم لا أولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون تكرير للتأكيد والأمر حقيق به فإن الابصار طامحة إلى الأموال والأولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز أن تكون هذه في فريق غير الأول ^ وإذا انزلت سورة ^ من القرآن ويجوز أن يراد بها بعضها ^ أن آمنوا بالله ^ بأن آمنوا بالله ويجوز أن تكون أن المفسرة ^ وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم ^ ذوو الفضل والسعة ^ وقالوا ذرنا نحن مع القاعدين ^ الذين قعدوا لعذر ^ رضوا بأن يكونوا مع الخوالب ^ مع النساء جمع خالفه وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه ^ وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ^ ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة ^ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ^ أي إن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم ^ وأولئك لهم الخيرات ^ منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله تعالى ^ فيهن خيرات حسان ^ وهي جمع خيرة تخفيف خيرة ^ وأولئك هم المفلحون ^ الفائزون بالمطالب ^ أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ^ بيان لما لهم من الخيرات الأخروية ^ وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم ^ يعني اسداً وغطفان استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا أن غزونا معك اغارت طيبء على اهالينا ومواشينا والمعذر أما من عذر في الأمر إذا قصر فيه موهما أن له عذراً

ولا عذر له أو من اعتذر إذا مهد العذر بإدغام التاء في المذال ونقل حركتها إلى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب المعذرون من أعذر إذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والمذال على أنه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن إذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في أنهم كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة فيكون قوله ^ وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ^ في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الإيمان وإن كانوا

هم الأولين فكذبهم بالاعتذار ^ سيصيب الذين كفروا منهم ^ من الأعراب أو من
المعذرين فإن منهم من اعتذر لكسله لا لكفره ^ عذاب اليم ^ بالقتل والنار ^ ليس
على الضعفاء ولا على المرضى ^ كالهرمى والزمنى ^ ولا على الذين لا يجدون ما
ينفقون ^ لفقرهم كجهينة ومزينة وبنى عذرة حرج إثم في التأخر ^ إذا نصحوا لله
ورسوله ^ بالإيمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح أو بما
قدروا عليه فعلا أو قولا يعود على الإسلام والمسلمين بالصلاح ^ ما على المحسنين
من سبيل ^ أي ليس عليهم جناح ولا إلى معاتبتهم سبيل وإنما وضع المحسنين
موضع الضمير للدلالة على أنهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك ^
والله غفور رحيم ^ لهم أو للمسيء فكيف للمحسن ^ ولا على الذين إذا ما أتوك
لتحملهم ^ عطف على الضعفاء أو على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الأنصار
معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن
غنمة وعبد الله بن مغفل وعليه بن زيد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال
صلى الله عليه وسلم لا اجد ما احملكم عليه فتولوا وهم يبكون وقيل هم
بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى وأصحابه ^ قلت لا أجد ما
أحملكم عليه ^ حال من الكاف في أتوك بإضمار قد تولوا ج في جملة الخوالف
إثارا للدعة ^ وطبع الله على قلوبهم ^ حتى غفلوا عن وخامة العاقبة ^ فهم لا
يعلمون ^ مغبته ^ يعتذرون اليكم ^ في التخلف ^ إذا رجعت إليهم ^ من هذه
السفرة ^ قل لا تعتذروا ^ بالمعاذير الكاذبة لأنه ^ لن يؤمن لكم ^ لن نصدقكم
لأنه ^ قد نبأنا الله من أخباركم ^ أعلمنا بالوحي إلى نبيه بعض أخباركم وهو ما في
ضمائركم من الشر والفساد ^ وسيرى الله عملكم ورسوله ^ أتتوبون عن الكفر أم
تثبتون عليه فكأنه استتابة وإمهال للتوبة ^ ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة ^
أي إليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على أنه مطلع على سرهم وعلنهم لا
يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم وأعمالهم ^ فينبئكم بما كنتم تعملون ^ بالتوبيخ
والعقاب عليه ^ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم ^ فلا تعاتبوهم
^ فأعرضوا عنهم ^ ولا توبخوهم ^ إنهم رجس ^ لا ينفع فيهم التائب فإن المقصود
منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء أرجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض
وترك المعاتبة ^ وماوأهم جهنم ^ من تمام التعليل وكأنه قال إنهم أرجاس من أهل
النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخره أو تعليل ثان والمعنى أن النار كفتهم
عتابا فلا تتكلفوا عتابهم ^ جزاء بما كانوا يكسبون ^ يجوز أن يكون مصدرا وان
يكون علة

^ يحلفون لكم لترضوا عنهم ^ بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم ^ فإن
ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ^ أي فإن رضاكم لا يستلزم
رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه وان
امكنهم أن يلبسوا عليكم لا يمكنهم أن يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل
الهبوط بهم والمقصود من الآية النهي عن الرضا عنهم والاعتذار بمعاذيرهم بعد الأمر
بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الأعراب أهل البدو ^ أشد كفرا ونفاقا ^ من أهل
الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لأهل العلم وقلة استماعهم للكتاب
والسنة وأجدر أن لا يعلموا وأحق بأن لا يعلموا ^ حدود ما أنزل الله على رسوله ^
من الشرائع فرائضها وسنتها ^ والله عليم ^ بعلم حال كل أحد من أهل الوبر
والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ^ ومن الأعراب من يتخذ

يحتسبه قربة عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وإنما ينفق رياء أو تقية ^ ويتربص بكم الدوائر ^ دوائر الزمان ونوبه لينقلب الأمر عليكم فيتخلص من الانفاق ^ عليهم دائرة السوء ^ اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون أو الإخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الأصل مصدر أو اسم فاعل من دار يدور وسمي به عقبة الزمان و السوء بالفتح مصدر اضيف إليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابن كثير وأبو عمرو السوء هنا وفي الفتح بضم السين ^ والله سميع ^ لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ^ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ^ سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها أو ظرف ل يتخذ ^ وصلوات الرسول ^ وسبب صلواته لأنه صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق عليه أن يدعو للمتصدق عند أخذ صدقته لكن ليس له أن يصلي عليه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى لأنه منصفه فله أن يتفضل به على غيره ^ إلا إنها قربة لهم ^ شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وإن المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة بضم الراء ^ سيدخلهم الله في رحمته ^ وعدلهم بإحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ^ إن الله غفور رحيم ^ لتقريره وقيل الأولى في أسد وغطفان وبنى تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه ^ والسابقون الأولون من المهاجرين ^ هم الذين صلوا إلى القبيلتين أو الذين شهدوا بدرا أو الذين أسلموا قبل الهجرة والانصار أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة وأهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير وقرئ عطفا على والسابقون ^ والذين اتبعوهم بإحسان ^ اللاحقون بالسابقين من القبيلتين أو من اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة ^ رضي الله عنهم ^ بقبول طاعتهم وارتضا أعمالهم ^ ورضوا عنه ^ بما نالوا من نعمه الدينية والدينية ^ وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار ^ وقرأ ابن كثير ^ من تحتها الأنهار ^ كما في سائر المواضع ^ خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ^ ^ وممن حولكم ^ أي وممن حول بلدتكم يعني المدينة ^ من الاعراب منافقون ^ هم

جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ^ ومن أهل المدينة ^ عطف على ممن حولكم أو خبر لمحذوف صفته ^ مردوا على النفاق ^ ونظيره في حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه قوله أنا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الأول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر أو كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق ^ لا تعلمهم ^ لا تعرفهم بأعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم إلى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك ^ نحن نعلمهم ^ ونطلع على اسرارهم إن قدروا أن يلبسوا عليك لم يقدروا أن يلبسوا علينا ^ سنعدّهم مرتين ^ بالفضيحة والقتل أو بأحدهما وعذاب القبر أو بأخذ الزكاة ونهك الأبدان ^ ثم يردون إلى عذاب عظيم ^ إلى عذاب عظيم ^ إلى عذاب النار ^ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا أنفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فراهم فسأل عنهم فذكر له أنهم اقساموا أن لا يخلوا أنفسهم حتى تحلهم فقال وأنا اقسام أن لا احلهم حتى اوامر فيهم فنزلت فأطلقهم خلطوا

عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا الفعل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بأخر سييء هو التخلف وموافقة أهل النفاق والواو إما بمعنى الباء كما في قولهم بعث الشاء شاة ودرهما أو للدلالة على أن كل واحد منهما

مخلوط بالآخر عسى الله أن يتوب عليهم أن يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ^ ^ إن الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويفضل عليه خذ من أموالهم صدقة روي أنهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت تطهرهم من الذنوب أو حب المال المؤدي بهم إلى مثله وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره و تطهرهم بالجزم جوابا للأمر وتركيبهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم إلى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم إن صلاتك سكن لهم تسكن إليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع لاعترافهم عليم بندامتهم ألم يعلموا الضمير إما للمتوب عليهم والمراد به التحضيض عليهما أن الله هو يقبل التوبة عن عباده إذا صحت وتعديته ب عن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وأن الله هو التواب الرحيم وأن من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ^ ما شئتم ^ فسيرى الله عملكم فإنه لا يخفى عليه خيرا كان أو شرا ورسوله والمؤمنون فإنه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون إلى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه

^ ^ وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون أي موقوف أمرهم من ارجائه إذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لأمر الله في شأنهم إما يعذبهم إن أصروا على النفاق وإما يتوب عليهم إن تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على أن كلا الأمرين بإرادة الله تعالى والله عليم بأحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك أخلصوا نياتهم وفوضوا أمرهم إلى الله فرحمهم الله تعالى والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون أو مبتدأ خبره محذوف أي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا أو منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير الواو ضاررا مضارة للمؤمنين وروي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد أن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام فلما اتموه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا إلى المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذي كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قباء وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فإنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لا اجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين حتى انهزم مع هوازن وهرب إلى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الأحزاب فلما انهزموا خرج إلى

الشام و من قبل متعلق ب حارب أو ب اتخذوا أي اتخذوا مسجدا من قبل أن يوافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيه فقال أنا على جناح سفر وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن أن أردنا إلا الحسنى ما أردنا ببنائه إلا الخصلة الحسنى أو الإرادة الحسنى وهي الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه أبدا للصلاة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء من الاثنين إلى الجمعة لأنه أوفق للقصة أو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أبي سعيد رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من أول يوم من أيام وجوده ومن يوم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر ^ ^ احق أن تقوم فيه اولى بأن تصلي فيه فيه رجال يحيون أن يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله سبحانه وتعالى وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدينهم من جنابه تعالى ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء

فإذا الأنصار جلوس فقال صلى الله عليه وسلم امؤمنون انتم فسكتوا فأعادها فقال عمر انهم مؤمنون وأنا معهم فقال صلى الله عليه وسلم اترضون بالقضاء قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم انتم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الأنصار أن الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا النبي فيه رجال يحيون أن يتطهروا ^ ^ أفمن أسس بنيانه ببيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هو التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فأدى به لخوره وقلة استمساكه إلى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفها الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه أمر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهاره به في النار ووضع في مقابلة الرضوان تنبيها على أن تأسيس ذلك على أمر يحفظه من النار ويوصله إلى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة إداها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم أن مصيرهم إلى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر أسس على البناء للمفعول وقرئ أساس بنيانه و أسس بنيانه على الاضافة و 6 أسس على البناء للمفعول وقرئ أساس بنيانه و أسس بنيانه على الاضافة و أسس و أساس بالفتح والمد و أساس بالكسر وثلاثتها جمع أس و تقوى بالتثنية على أن الألف لللاحق لا للتأنيث كترى وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين إلى ما فيه صلاحهم ونجاحهم

^ ^ لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر أريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ربية في قلوبهم أي شكا ونفاقا والمعنى أن بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فإنه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم قطعاً بحيث لا يبقى لها قابلية

الادراك وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو كائن بالقتل أو في القبر أو في النار وقيل المراد بالتقطع ما هو كائن بالقتل أو في القبر أو في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما وأسفا وقرأ يعقوب إلى بحرف الانتهاء و تقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء و تقطع بالتخفيف و تقطع قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما أمر بهدم بنيانهم إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة تمثيل لإثابة الله اياهم الجنة على بذل أنفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استئناف ما لأجله الشراء وقيل يقاتلون في معنى الأمر وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المني للمفعول وقد عرفت أن الواو لا توجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند بالكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشراء فإنه في معنى الوعد في التوراة والانجيل والقرآن مذكورا فيهما اثبت في القرآن ومن أوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فإنه اوجب لكم عظام المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم ^ ^

التائبون رفع على المدح أي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من أهل الجنة وإن لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى أو خبره ما بعده أي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح أو جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الدين الحامدون لنعمائه أو لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة أمتي الصوم شبه بها لأنه يعوق عن الشهوات أو لأنه رياضة نفسانية يتوصل بها إلى الاطلاع على حفايا الملك والملكوت أو السائحون للجهاد أو لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلاة الآمرون بالمعروف بالإيمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله تعالى والحافظون لحدود الله أي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على أن ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايدان بأن التعداد قد تم بالسابع من حيث أن السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على أن ايمانهم دعاهم إلى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجلب عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين روي انه صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فأبى فقال صلى الله عليه وسلم

لا
أزال استعفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج إلى ابواء فزار قبر أمه ثم قام مستعبرا فقال إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وأنزل علي الآيتين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أصحاب الجحيم بأن ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لحياتهم فإنه طلب توفيقهم للإيمان وبه دفع النقيض باستغفار إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه الكفار فقال وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه وعدها إبراهيم أباه بقوله لأستغفرن لك أي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق

لايمان فإنه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ أباه أو وعدّها إبراهيم أبوه وهي الوعد بالإيمان فلما تبين له أنه عدو لله بأن مات على الكفر أو أوحى إليه بأنه لن يؤمن تبرأ منه فقطع استغفاره إن إبراهيم لأواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الأذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوماً أي ليسمهم ضللاً ويؤاخذه مؤاخذتهم بعد إذ هداهم للإسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكأنه بيان عذر الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله لعمه أو لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل إنه في قوم مضوا على الأمر الأول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة

دليل على أن الغافل غير مكلف إن الله بكل شيء عليم فيعلم أمرهم في الحالين إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم رأساً بين لهم أن الله مالك كل موجود ومتولي أمره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة إلا منه ليتوجهوا بشرائهم إليه ويتبرؤوا مما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه ^ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار ^ من إذن المنافقين في التخلف أو هو بعث على التوبة والمعنى ما من أحد إلا وهو محتاج إلى التوبة حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والانصار لقوله تعالى ^ وتوبوا إلى الله جميعاً ^ إذ ما من أحد إلا وله مقام الأنبياء والصالحين من عباده الذين ابتعوه في ساعة العسرة في وقتها هي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل أن الرجلين كانا يفتسمان تمره والماء حتى شربوا القيط من بعد ما كان يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الإيمان أو اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشأن أو ضمير القوم والعائد إليه الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لأن

تأنيث القلوب غير حقيق وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ^ ثم تاب عليهم ^ تكرير للتأكيد وتنبه على أنه تاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة أو المراد أنه تاب عليهم لكي يذودتهم ^ إنه بهم رؤوف رحيم ^ وعلى الثلاثة ^ وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ^ الذين خلفوا ^ تخلفوا عن الغزو أو خلف أمرهم فإنهم المرجئون ^ حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ^ أي برحبها لإعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحرية ^ وضاقت عليهم أنفسهم ^ قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور وظنوا وعلموا ^ أن لا ملجأ من الله ^ من سخطه ^ إلا إليه ^ إلا إلى استغفاره ^ ثم تاب عليهم ^ بالتوفيق للتوبة ليتوبوا أو أنزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التائبين أو رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ^ إن الله هو التواب ^ لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم المتفضل عليهم بالنعمة ^ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ^ فيما لا يرضاه ^ وكونوا مع الصادقين ^ في إيمانهم وعهودهم أو في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ ^ من الصادقين ^ أي في توبتهم وإنابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة وأضرابهم ^ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ^ نهى عبر به ببيضة النفي للمبالغة ^ ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ^ ولا يصونوا أنفسهم عما لم يصن نفسه عنه وبكابدوا معه ما يكابده من الأهوال روي أن أبا خيثمة بلغ بستانه وكانت

له زوجة حسنة فرشت في الظل وبسطت له الحصر وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما

هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه إلى الطريق فإذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك إشارة إلى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف أو وجوب المشايعة بأنهم بسبب أنهم لا يصيهم ظمأً شياً من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطئون ولا يدوسون موطنًا مكانًا يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا ينالون من عدو نيلًا كالقتل والاسر والنهب إلا كتب لهم به عمل صالح إلا استوجبوا به الثواب ولك أحسن ما كانوا يعملون جزاء أحسن أعمالهم أو أحسن جزاء أعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم أن ينفروا جميعا لنحو غزو أو طلب علم كما لا يستقيم لهم أن يتشبثوا جميعا فإنه يخل بأمر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكفوا الفقاها فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم إذا رجعوا

إليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاها ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على أن التفقه و التذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي أن يكون غرض المتعلم فيه أن يستقيم وقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلمهم يحذرون إرادة أن يحذروا عما يندرون منه واستدل به على أن إخبار الآحاد حجة لأن عموم كل فرقة يقتضي أن ينفر منكل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة إلى التفقه لتندر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الأخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريراً واعتراضاً في كتابي المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون إلى النفير وانقطعوا عن التفقه فأمروا أن ينفر من كل فرقة طائفة إلى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الأكبر لأن الجدل بالحجة هو الأصل والمقصود م البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف أي ولينذروا لبواقي قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا أيام غيبتهم من العلوم يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار أمروا بقتال الأقرب منهم فالأقرب كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اولاً بإنذار عشيرته الاقربين فإن الأقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فإنهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا أن الله مع المتقين بالحراسة والاعانة وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول من يقول إنكار واستهزاء أيكم

زادته هذه السورة ايمانا وقرئ أيكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الإيمان بها وبما فيها إلى إيمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم وأما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا إلى

رجسهم ^ كفرا بها مضموما إلى الكفر بغيرها ^ وماتوا وهم كافرون ^ واستحکم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه ^ أو لا يرون ^ يعني المنافقين وقرئ بالتاء ^ انهم يفتنون ^ يتلون بأصناف البليات أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعانون ما يظهر من الآيات ^ في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ^ لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ^ ولا هم يذكرون ^ ولا يعتبرون ^ وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض ^ تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية أو غيظا لما فيها من عيوبهم ^ هل يراكم من أحد ^ أي يقولون هل يراكم أحد إن قمتم من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فإن لم يره أحد قاموا وإن يره أحد أقاموا ^ ثم انصرفوا ^ عن حضرته مخافة الفضيحة ^ صرف الله قلوبهم ^ عن الإيمان وهو يحتمل الأخبار والدعاء بأنهم بسبب انهم ^ قوم لا يفقهون ^ لسوء فهمهم أو لعدم تدبرهم ^ لقد جاءكم رسول من انفسكم ^ من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم أي من اشرفكم ^ عزيز عليه ^ شديد شاق ^ ما عنتم ^ عنتم ولقاؤكم المكروه ^ حريص عليكم ^ أي على ايمانكم وصلاح شأنكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم ^ رؤوف رحيم ^ قدم الابلغ منهما وهو الرؤوف لأن الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل ^ فإن تولوا ^ عن الإيمان بك ^ فقل حسبي الله ^ فإنه يكفيك معرفتهم ويعينك عليهم ^ لا إله إلا هو ^ كالدليل عليه ^ عليه توكلت ^ فلا أرجو ولا اخاف إلا منه وهو

^ رب العرش العظيم ^ الملك العظيم أو الجسم العظيم المحيط الذي تنزل منه الأحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه أن آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي إلا آية آية وحرفا وحرفا ما خلا سورة براءة و ^ قل هو الله أحد ^ فإنهما انزلتا علي ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة والله اعلم

سورة يونس عليه السلام مكية وهي مائة وتسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم الر فخمها ابن كثير ونافع برواية قالون وحفص وقرأ ورش بين اللفظين وأمالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء ^ تلك آيات الكتاب الحكيم ^ إشارة إلى ما تضمنته السورة أو القرآن من الآي والمراد من الكتاب أحدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم أو لأنه كلام حكيم أو محكم آياته لم ينسخ شيء منها ^ أكان للناس عجا ^ استفهام انكار للتعجب و عجا خبر كان واسمه ^ أن أوحينا ^ وقرئ بالرفع على أن الأمر بالعكس أو على ^ أن كان ^ تامة و ^ أن أوحينا ^ بدل من عجب واللام للدلالة على أنهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه إنكارهم واستهزاءهم ^ إلى رجل منهم ^ من أفناء رجالهم دون عظيم من عظماء من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب أن الله تعالى لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الأمور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه إلا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان أكثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقل تعجبوا من أنه

بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الأنعام ^ أن أنذر الناس ^ أن هي المفسرة أو المخففة من الثقيلة فتكون في موقع مفعول أوحينا ^ وبشر الذين آمنوا ^ عمم الانذار إذ قلما من أحد ليس فيه ما ينبغي أن ينذر منه وخصص البشارة بالمؤمنين إذ ليس للكفار ما يصح أن يبشروا به حقيقة ^ أن لهم ^ بأن لهم ^ قدم صدق عند ربهم ^ سابقة منزلة رفيعة سميت قدما لأن السبق بها كما سميت النعمة

يدا لأنها تعطى باليد وإضافتها إلى الصدق لتحقيقها والتنبيه على انهم إنما ينالونها بصدق القول والنية ^ قال الكافرون إن هذا ^ يعنون الكتاب وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ^ لسحر مبین ^ وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على أن الإشارة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أمورا خارقة للعادة معجزة إياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا إلا سحر مبین ^ أن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض ^ التي هي أصول الممكنات ^ في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ^ يقدر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه أسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في أدبار الأمور لتجيء محمودة العقاب ^ ما من شفيع إلا من بعد أذنه ^ تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه إثبات الشفاعة لمن أذن له ^ ذلكم الله ^ أي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للألوهية والربوبية ربكم لا غير إذ لا يشاركه أحد في شيء من

ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة ^ أفلا تذكرون ^ تتفكرون أدنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه ^ إليه مرجعكم جميعا ^ بالموت أو النشور لا إلى غيره فاسعدوا للقاءه ^ وعد الله ^ مصدر مؤكد لنفسه لأن قوله ^ إليه مرجعكم ^ وعد من الله حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه ^ وعد الله ^ إنه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه وإهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط أي بعدله أو بعدآلتهم وقيامهم على العدل في أمورهم أو بإيمانهم لأنه العدل القويم كما أن الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فإن معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على أن المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وأنه تعالى يتولى ااثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والاية كالتعليل لقوله تعالى إليه مرجعكم جميعا فإنه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على أعمالهم كان مرجع الجميع إليه لا محالة ويؤديه قراءة من قرأ أنه يبدأ بالفتح أي لأنه ويجوز أن يكون منصوبا أو مرفوعا بما نصب وعد الله أو بما نصب حقا ^ هو الذي جعل الشمس ضياء أي ذات ضياء وهو مصدر كقيام أو جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وقرأ ابن كثير برواية قبل هنا وفي الأنبياء وفي القصص ضياء بهمزتين على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا أي ذا

نورا أو سمي نورا للمبالغة وهو أعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد أي قدر مسير كل واحد منهما منازل أو قدره ذا منازل أو للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منزله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك إلا بالحق إلا ملتبسا بالحق مراعيًا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الآيات لقوم يعلمون فإنهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض من أنواع الكائنات آيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته ^ لقوم يتقون

العواقب فإنه يحملهم على التفكير والتدبر ^ إن الذين لا يرجون لقاءنا ^ لا يتوقعونه لإنكارهم البعث وذهورهم بالمحسوسات عما وراءها ^ ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها ^ واطمأنوا بها ^ وسكنوا إليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها أو سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها ^ والذين هم عن آياتنا غافلون ^ لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف إما لتغاير الوصفين والتنبية على أن الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم اصلا وإما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير إلا الحياة الدنيا وبالاخرين من ألهاه حب العاجل عن التأمل في الاجل والاعداد له ^ أولئك ماوهم النار بما كانوا يكسبون ^ بما واطبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ^ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم ^ بسبب إيمانهم إلى سلوك

سبيل يؤدي إلى الجنة أو لادراك الحقائق كما قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أو لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وإن دل على أن سبب الهداية هو الإيمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بإيمانهم على استقلال الإيمان بالسببية وأن العمل الصالح كالنتمة والرييف له ^ تجري من تحتهم الأنهار ^ استئناف أو خبر ثان أو حال من الضمير المنصوب على المعنى الأخير وقوله ^ في جنات النعيم ^ خبر أو حال أخرى منه أو من الأنهار أو متعلق ب تجري أو يهدي ^ دعواهم فيها ^ أي دعاؤهم ^ سبحانك اللهم ^ اللهم إنا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيى به بعضهم بعضا أو تحية اللائكة إياهم ^ فيها سلام وآخر دعواهم ^ وآخر دعائهم ^ أن الحمد لله رب العالمين ^ أي أن يقولون ذلك ولعل المعنى انهم إذا دخلوا الجنة وعابنوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونبعته بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز بأصناف الكرامات أو الله تعال فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام و أن هي المخففة من الثقلة وقد قرئ بها وينصب الحمد ^ ولو يعجل الله للناس الشر ^ ولو يسرعه إليهم ^ استعجالهم بالخير ^ وضع موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم أو بأن المراد شر استعجلوه كقولهم ^ فأمطر علينا حجارة من السماء ^ وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا

كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه ^ لقضي إليهم اجلهم ^ لاميتوا وأهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا ^ فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون ^ عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا واستدراجا ^ وإذا مس الإنسان الضر دعانا ^ لإزالته مخلصا فيه لجنيه ملقى لجنيه أي مضجعا ^ أو قاعدا أو قائما ^ وفائدة الترييد تعميم الدعاء لجميع الأحوال أو لأصناف المضار ^ فلما كشفنا عنه ضره مر ^ يعني مضى على طريقته واستمر على كفره أو مر عن موقف الدعاء لا يرجع إليه ^ كأن لم يدعنا ^ كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقان ^ إلى ضر مسه ^ إلى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين ^ زين للمسرفين ما كانوا يعملون ^ من الانهماك في الشهوات والأعراض عن العبادات ^ ولقد اهلكنا القرون من قبلكم ^ يا أهل مكة ^ لما ظلموا ^ حين ظلموا بالكذب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي ^ وجاءتهم رسلهم بالبينات ^ بالحجج الدالة على صدقهم

وهو حال من الواو بإضمار قد أو عطف على ظلموا ^ ما كانوا ليؤمنوا ^ وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بأنهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسول واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم ^ نجزي القوم المجرمين ^ نجزي كل مجرم أو نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ^ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم ^ استخلفناكم فيها بعد القرون التي

أهلكناها استخلاف من يختبر ^ لننظر كيف تعملون ^ أتعلمون خيرا أو شرا فنعاملكم على مقتضى أعمالكم وكيف معمول تعملون فإن معنى الاستفهام يحجب أن يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على أن المعتبر في الجزاء جهات الأفعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح أخرى ^ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ^ يعني المشركين ^ ائت بقرآن غير هذا ^ بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستعبده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت أو ما نكرهه من معائب الهتنا ^ أو بدله ^ بأن تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى ولعلمهم سألوا ذلك كي يسعفهم إليه فيلزموه ^ قل ما يكون لي ^ ما يصح لي ^ أن أبدله من تلقاء نفسي ^ من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وإنما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه الايتان بقرآن آخر ^ إن اتبع إلا ما يوحى الي ^ تعليلا لما يكون فإن المتبع لغيره في أمر لا يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من أن القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيل التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال ^ إني اخاف أن عصيت ربي ^ أي بالتبديل ^ عذاب يوم عظيم ^ وفيه ايماء بأنهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح ^ قل لو شاء الله ^ غير ذلك ^ ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ^ ولا أعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولأدراكم بلام التأكيد أي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم أرسل به لأرسل به غيري وقرئ ^ ولا أدراكم ^ ولا أدراكم بالهمز فيهما علي لغة من يقلب الألف المبدلة من الياء همزة أو على انه من الدرء بمعنى الدفع أي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤنني

بالجدال والمعنى أن الأمر بمشيئة الله تعالى لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله ^ فقد لبث فيكم عمرا ^ مقدارا عمر أربعين سنة ^ من قبله ^ من قبل القرآن ولا أتلوه ولا أعلمه فإنه إشارة إلى أن القرآن معجز خارق للعادة فإن من عاش بين اظهرهم أربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطية ثم قرأ عليهم كتابا بزت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا من كل منشور ومنظوم واحتوى على قوماعد علمي الاصول والفروع واعرب عن افاصيص الأولين واحاديث الآخرين على ما هي عليه علم انه معلوم به من الله تعالى ^ أفلا تعقلون ^ أي أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا أنه ليس إلا من الله ^ فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ^ تفاد مما اضافوه إليه كناية أو تظليم للمشركين بافترائهم على الله تعالى في قولهم إنه لذو شريك وذو ولد ^ أو كذب بآياته ^ فكفر بها ^ إنه لا يفلح المجرمون ^ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ^ فإنه جماد لا يقدر على نفع ولا ضرر ^ ويقولون هؤلاء ^ الأوثان ^ شفعاؤنا عند الله ^ تشفع لنا فيما يهمننا من أمور الدنيا أو في الآخرة أن يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث

تركوا عبادة الموجد الضار النافع إلى عبادة ما يعلم قطعاً أنه لا يضر ولا ينفع على توهم أنه ربما يشفع لهم عنده ^ قل أتنبئون الله ^ أتخبرونه ^ بما لا يعلم ^ وهو أن

له شريكا أو هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما وفيه تقريع وتهكم بهم في السموات ولا في الأرض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على أن ما يعبدون من دون الله أما سماوي وإما أرضي ولا شيء من الموجودات فيهما إلا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق أن يشرك به ^ سبحانه وتعالى عما يشركون ^ عن إشراكهم أو عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في أول النحل والروم بالتاء ^ وما كان الناس إلا أمة واحدة ^ موحدين على الفطرة أو متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل أو بعد الطوفان أو على الضلال في فترة من الرسل فاختلّفوا باتباع الهوى والأباطيل أو بيعته الرسل عليهم الصلاة والسلام فتبعتهم طائفة وأصرت أخرى ^ ولولا كلمة سبقت من ربك ^ بتأخير الحكم بينهم أو العذاب الفاصل بينهم إلى يوم القيامة فإنه يوم الفصل والجزاء ^ لقضي بينهم ^ عاجلاً ^ فيما فيه يختلفون ^ بإهلاك المبطل وإبقاء المحق ^ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه ^ أي من الآيات التي اقترحوها ^ فقل إنما الغيب لله ^ هو المختص بعلمه فلعله يعلم في إنزال الآيات المقترحة من مفاصد تصرف عن إنزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه ^ إني معكم من المنتظرين ^ لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل علي من الآيات العظام واقتراحكم غيره ^ وإذا أذقنا الناس رحمة ^ صحة وسعة ^ من بعد ضراء مستهم ^ كقحط ومرض ^ إذا لهم مكر في آياتنا ^ بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط أهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله ^ قل الله أسرع مكرًا ^ منكم قد دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدهم وإنما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جواباً لإذا الشرطية والمكر إخفاء الكيد وهو من الله تعالى أما الاستدراج أو الجزاء على المكر ^ إن رسلنا يكتبون ما تمكرون ^ تحقيق للانتقام وتنبية على أن ما دبروا في إخفائه لم يخف على الحفظة فضلاً أن يخفى على الله تعالى وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله

هو الذي يسيركم ^ يحملكم على السير ويمكنكم منه وقرأ ابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة كأنه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب إذا والضمير للفلك أو للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا أنهم أحيط بهم اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير إشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لأن دعاءهم من لوازم ظنهم لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على إرادة القول أو مفعول دعوا لأنه من جملة القول فلما أنجاهم إجابة لدعائهم إذا هم يبغون في الأرض فاجئوا الفساد فيها وسارعوا إلى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة وإحراق زروعهم وقلع أشجارهم فإنها إفساد بحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم فإن وبالهم عليكم أو أنه على أمثالكم وابتاء جنسكم متاع الحياة الدنيا منفعة الحياة الدنيا

لا تبقى ويبقى عقابها ورفعها على أنه خبر بغيركم و على انفسكم صلته أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا و على أنفسكم خبر بغيركم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا أو مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف والخبر محذوف تقديره بغيركم متاع الحياة الدنيا محذور أو ضلال أو مفعول فعل دل عليه البغي وعلى أنفسكم خبره ثم إلينا مرجعكم في القيامة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه إنما مثل الحياة الدنيا حالها العجبية في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد إقبالها واغترار الناس بها كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما يأكل الناس والأنعام من الزرع والبقول والحشيش حتى إذا أخذت الأرض زخرفها حسنها وبهجتها وازينت تزينت بأصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة كعروس أخذت من ألوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت أصله تزينت فأدغم وقد قرئ على الأصل وازينت على أفعلت من غير اعلال كاغليت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كإباضت وظن أهلها أنهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها أنها أمرنا ضرب زرعها ما يحتاجه ليلا أو نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من أصله كان لم تغن كأن لم يغن زرعها أي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضوعين للمبالغة وقرئ بالياء على الأصل بالأمس فيما قبله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاما بعدما كان غضا والتف وزين الأرض حتى طمع فيه أهله ووطنوا أنه قد سلم من الجوائح لا الماء وإن وليه حرف التشبيه لأنه من التشبيه المركب كذلك انفصل الآيات لقوم يتفكرون فإنهم المنتفعون والله يدعو إلى دار السلام دار السلام من التقضي والآفة أو دار الله وتخصيص هذا الاسم أيضا للتنبية على ذلك أو دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق إلى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الإسلام والتدرب بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على أن الأمر غير الإرادة وأن المصير على الضلالة لم يرد الله رشده للذين أحسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا

لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هي اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار أولا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين أحسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو أو للذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة بمثلها على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها أي أن تجازى بسيئة مثلها لا يزداد عليها وفيه تنبيه على أن الزيادة هي الفضل أو التضعيف أو كأنما اغشيت وجوههم أو أولئك أصحاب النار وما بينهما اعتراض ف كأنما اغشيت وجوههم أو أولئك أصحاب النار وما بينهما اعتراض ف جزاء سيئة مبتدأ وخبره محذوف أي فجزاء سيئة بمثلها واقع أو بمثلها على زيادة الباء أو تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من أحد يعصمهم من سخط الله أو من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كأنما اغشيت غطيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً لفرط سوادها وظلمتها ومظلماً حال من الليل

والعامل فيه أغشيت لأنه العامل في قطعاً وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة أو معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعاً بالسكون فعلى هذا يصح أن يكون مظلماً ل أو حالا منه أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب أن الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولأن الذين احسنوا يتناول أصحاب الكبيرة من أهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشهم جميعاً يعني افرضين جميعاً ثم نقو للذين اشركوا مكانكم ألزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم أنتم تأكيد للضمير المنتقل إليه من عامله وشركاؤكم عطف علوي وقرئ بالنصب على المفعول معه فزبلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم آيانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبده من عبادتهم فإنهم إنما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لأنها الأمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافهم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم فإنه العالم بكنه الحال إن كنا عن عبادتكم لغافلين ^ ^ إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تلبو كل نفس ما أسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعابن نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة أي تقرأ ذكر ما قدمت أو من التلو أي تتبع عملها فيقودها إلى الجنة أو إلى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وإبدال ما منه والمعنى نختبرها أي نعمل بها فعل المختبر لحالها المعترف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما أسلفت من

أعمالها ويجوز أن يراد به نصيب بالبلاء أي بالعذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا إلى الله إلى جزائه إياهم بما أسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي أمرهم على الحقيقة لا ما اتخذه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح أو المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من أن ألهمهم تشفع لهم أو ما كانوا يدعون أنها آلهة قل من يرزقكم من السماء والأرض أي منهما جميعاً فإن الأرزاق تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية أو من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف أي من أهل السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار أم من يستطيع خلقهما وتسويتها أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها من أدنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت أو من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الأمر ومن يلي تدبير أمر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله إذ لا يقدر على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل أفلا تتقون أنفسكم عقابه بإشراككم إياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق أي المتولي لهذه الأمور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لأنه الذي أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أموركم فماذا بعد الحق إلا الضلال استفهام إنكار أي ليس بعد الحق إلا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال فأنى تصرفون عن الحق إلى الضلال كذلك حقت كلمت ربك أي كما حقت الربوبية لله أو أن الحق بعده الضلال أو أنهم مصرفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه وقرأ نافع وابن عامر كلمات هنا وفي آخر السورة وفي غافر على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح أنهم لا يؤمنون بدل من الكلمة أو تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده جعل الإعادة كالإبداء في الإلزام بها لظهور برهانها وإن لم يساعدوا

عليها ولذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم في الجواب فقال قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده لأن لجاهم لا يدعهم أن يعترفوا بها فأنى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق بنصب الحجج وإرسال الرسل صلى الله عليه وسلم والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بآلى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على أن المنتهى غاية الهداية وأنها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما أسند إلى الله تعالى قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلى أن يهدي أم الذي لا يهدي إلا أن يهدي من قولهم هدي بنفسه إذا اهتدى أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله وهذا حال أشرف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والأصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو

كسرت لالتقاء الساكنين وروى أبو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرأ أبو عمرو بالإدغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لأن المدغم في حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ إلا أن يهدي للمبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع أكثرهم فيما يعتقدونه إلا ظنا مستندا إلى خيالات فارغة وأقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بأدنى مشاركة موهومة والمراد بالأكثر الجميع أو من ينتمي منهم إلى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف إن الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الإغناء ويجوز أن يكون مفعولا به و من الحق حالا منه وفيه دليل على أن تحصيل العلم في الأصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز إن الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن وإعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابقا لما تقدمه من الكتب الإلهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بأنه خبر لكان مقدرًا أو علة لفعل محذوف تقديره ولكن أنزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيلا للكتاب وتفصيل ما حقق وأثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خير ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز أن يكون حالا من الكتاب فإنه مفعول في المعنى وأن يكون استئنافا من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين أو متعلق بتصديق أو تفصيل و لا ريب فيه اعتراض أو بالفعل المعلل وبهما ويجوز أن يكون حالا من الكتاب أو من الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه أم يقولون بل يقولون افتراه محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الهمزة فيه للإنكار قل فأتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فإنكم مثلي في

العربية والفصاحة وأشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن أمكنكم أن تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فإنه وحده قادر على ذلك إن كنتم صادقين أنه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا إلى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه أو بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ أذهانهم معانيه أو ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب حتى يتبين لهم أنه صدق أم كذب والمعنى أن القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم إنهم فاجئوا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه

ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما أنه قد ظهر لهم بالآخرة إعجازه لما كرر عليهم التحدي فزادوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها أو لما شاهدوا وقوع ما أخبر به طبقا لإخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم أنبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند أو من سيؤمن به ويتوب عن الكفر ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره أو فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك أعلم بالمفسدين بالمعاندين أو المصرين وإن كذبوك وإن أصروا على تكذيبك بعد إلزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فقبلاً منهم فقد أعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان أو باطلا أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون لا تؤخذون بعلمي ولا أؤخذ بعملكم ولما فيه من إيهام الإعراض عنهم وتخليه سبيلهم قيل إنه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقلون كالأصم الذي لا يسمع أصلاً أفأنت تسمع الصم تقدر على إسماعهم ولو كانوا لا

يعقلون ولو إنضم إلى صممهم عدم تعلمهم وفيه تنبيه على أن حقيقة إستماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتأتى إلا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومشايعة الإلف والتقليد تعذر إفهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الألفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر إليك يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقونك أفأنت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وإن انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة فإن المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصرة ولذلك يحدس الأعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصر الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبني والأعراض عنهم إن الله لا يظلم الناس شيئاً بسلم حواسهم وعقولهم ولكن الناس أنفسهم يظلمون بإفسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على أن للعبد كسبا وأنه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز أن يكون وعيدا لهم بمعنى أن ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف أسبابه وقرأ أبو عمرو والكسائي بالتخفيف ورفع الناس الناس ^ ^ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا أو في القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موضع الحال أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة أو صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله أو لمصدر محذوف أي حشرا كأن لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلا وهذا أول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الأمر عليهم وهي حال أخرى مقدرة أو بيان لقوله كأن لم يلبثوا أو متعلق الظروف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بقاء الله استئناف للشهادة على خسرتهم والتعجب منه ويجوز

أن يكون حالا من الضمير في يتعارفون على إرادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من معاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات أدت بهم إلى الردى والعذاب الدائم وإما نرينك نبصرك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما أراه يوم بدر أو تتوفينك قبل أن نريك فإلينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب تتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة وأراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع ب ثم أو

مؤد شهادته على افعالهم يوم القيامة ^ ولكل أمة ^ من الأمم الماضية رسول يعث إليهم ليدعوهم إلى الحق ^ فإذا جاء رسولهم ^ بالبينات فكذبوه ^ فضي بينهم ^ بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فأنجى الرسول وأهلك المكذبون ^ وهم لا يظلمون ^ وقيل معناه لكل أمة يوم القيامة رسول تنسب إليه فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان قضى بينهم بإنجاء المؤمنين وعقاب الكفار لقوله ^ وجيء بالنيبين والشهداء وقضى بينهم ^ ويقولون متى هذا الوعد ^ استبعادا له واستهزاء به ^ إن كنتم صادقين ^ خطاب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل لا أملك لنفي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم ^ إلا ما شاء الله ^ أن أملكه أو ولكن ما شاء الله من ذلك كائن ^ لكل أمة أجل ^

مضروب لهلاكهم ^ إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ^ لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلون فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل أرأيتم إن أتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات اشتغال بالنوم ^ أو نهارا ^ حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ما يستعجل منه المجرمون أي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق ب أرأيتم لأنه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي أن يفزعوا من مجيء العذاب لا أن يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا خطاه ويجوز أن يكون الجواب ماذا كقولك أن أتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة ب أرأيتم أو بقوله ^ أتم إذا ما وقع آمنتم به ^ بمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير الآن على إرادة القول أي قيل لهم إذا أمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به وعن نافع الآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام ^ وقد كنتم به تستعجلون ^ تكذبا واستهزاء ^ ثم قيل للذين ظلموا ^ عطف على قيل المقدر ^ ذوقوا عذاب الخلد ^ المؤلم على الدوام ^ هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون ^ من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك ^ أحق هو ^ أحق ما تقول من الوعد أو ادعاء النبوة تقوله بجد أم باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاطهر أن الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل إنه للانكار ويؤيده انه قرئ ^ الحق هو ^ فإن فيه تعريضا بأنه باطل وأحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر أو خبر مقدم والجملة في

موضع النصب يستنبئونك قل إي إنه لحق أن العذاب لكائن أو ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن وإي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال إي والله ولا يقال إي وحده ^ وما أنتم بمعجزين ^ بفائتين العذاب ^ ولو أن لكل نفس ظلمت ^ بالشرك أو التعدي على الغير ^ ما في الأرض ^ من خزائنها وأموالها ^ لافتدت به ^ لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه ^ وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ^ لأنهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الأمر وهوله فلم يقدرُوا أن ينطقوا وقيل أسروا الندامة أخلصوها لأن اخفاءها اخلاصها أو لأنه يقال سر الشيء وأسره إذا اظهره وفي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لأن الأول قضاء بين الأنبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك أو الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير إنما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم ^ ألا إن لله ما في السماوات والأرض ^ تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب ^ ألا إن وعد الله حق ^ ما وعده من الثواب والعقاب

كائن لا خلف فيه ^ ولكن أكثرهم لا يعلمون ^ لأنهم لا يعلمون لقصور عقولهم إلا ظاهرا من الحياة الدنيا ^ هو يحيى ويميت ^ في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت لهما أبدا ^ وإليه ترجعون ^ بالموت أو النشور ^ يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة ^

للمؤمنين أي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الأعمال ومقابحها المرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح ولاحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى إلى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلالة إلى نور الإيمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم ^ قل بفضل الله وبرحمته ^ بإنزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله ^ فبذلك فليفرحوا ^ فإن اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا أو فليفرحوا فبذلك وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الأجمال وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح أو بفعل دل عليه ^ قد جاءكم ^ وذلك إشارة إلى مصدره أي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشيء فيهما فليفرحوا أو للربط بما قبلها والدلالة على أن مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الأصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا ^ هو خير مما يجمعون ^ من حطام الدنيا فإنها إلى الزوال قريب وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون بالتاء على معنى فبذلك المؤمنون فهو خير مما تجمعونه أيها المخاطبون ^ قل أرأيتم ما انزل الله لكم من رزق ^ جعل الرزق منزلا لأنه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب ب أنزل أو ب أرأيتم فإنه بمعنى اخبروني ولكم دل على أن المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعض فقال ^ فجعلتم منه حراما وحلالا ^ مثل ^ هذه انعام وحرث حجر ^ وعند قوله تعالى ^ ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ^ ^ قل ءآله أذن لكم ^ في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكه ^ أم على الله تفترون ^ في نسبة ذلك إليه ويجوز أن تكون المنفصلة متصلة ب أرأيتم وقل مكرر للتأكيد وأن يكون الاستفهام للانكزار و أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله ^ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب ^ أي شيء ظنهم ^ يوم القيامة ^ يحسبون أن لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ^ إن الله لذو فضل على الناس ^ حيث أنعم عليهم بالعقل وهداهم إرسال الرسل وإنزال الكتب ^ ولكن أكثرهم لا يشكرون ^ هذه النعمة ^ وما تكون في شأن ^ ولا تكون في أمر وأصله الهمز من شأنت شأنه إذا قصدت قصده والضمير في ^ وما تتلو منه ^ له لأن تلاوة القرآن معظم شأن الرسول أو لأن القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من أجله ومفعول تتلو ^ من قرآن ^ على أن من تبعية أو مزيدة لتأكيد النفي أو لل قرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له أو لله ^ ولا تعملون من عمل ^ تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير ^ إلا كنا عليكم شهودا ^ رقباء مطلعين عليه ^ إذ تفيضون فيه ^ تخوضون فيه وتندفعون ^ وما يعزب عن ربك ^ ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاي هنا وفي سبأ ^ من مثقال ذرة ^ موازن نملة

صغيرة أو هباء ^ في الأرض ولا في السماء ^ أي في الوجود والامكان فإن العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الأرض لأن الكلام في حال أهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ^ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في ^

^ كتاب مبين ^ كلام برأسه مقرر لما قبله لا نافية و أصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ ^ مثقال ذرة ^ وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف أو على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ ^ ألا إن أولياء الله ^ الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة ^ لا خوف عليهم ^ من لحوق مكروه ^ ولا هم يحزنون ^ لفوات مأمول والاية جمعل فسرره قوله ^ الذين آمنوا وكانوا يتقون ^ وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم إياه ^ لهم البشرى في الحياة الدنيا ^ هو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسبح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع ^ وفي الآخرة ^ بتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليهم لهم ومحل ^ الذين آمنوا ^ النصب أو الرفع على المدح أو على وصف الأولياء أو على الابتداء وخبره ^ لهم البشرى ^ لا تبديل لكلمات الله ^ أي لا تغيير لأقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين ^ هو الفوز العظيم ^ هذه اجلملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه أن يقع بعده كلام يتصل بما قبله 3 ^ ولا يحزنك قولهم ^ اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من

أحزنه وكلاهما بمعنى ^ إن العزة لله جميعا ^ استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القارة بالفتح كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لأن الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم ^ هو السميع ^ لا قوالهم العليم بعزماهم فيكافئهم عليها ^ ألا إن لله من في السماوات ومن في الأرض ^ من الملائكة والثقلين وإذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح أحد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق أن لا يكون له ندا أو شريكا فهو كالدليل على قوله ^ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ^ أي شركاء على الحقيقة وإن كان يسمونها شركاء ويجوز أن يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ^ إن يتبعون إلا الظن ^ أي ما يتبعون يقينا وإنما يتبعون ظنهم أنها شركاء ويجوز أن تكون ما استفهامية منصوبة ب يتبع أو موصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء الخاطبية والمعنى أي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبين أي أنهم لا يتبعون إلا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله ^ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ^ فيكون إلزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم ^ وإن هم إلا يخرصون ^ يكذبون فيما ينسبون إلى الله أو يحزرون ويقدرن أنها شركاء تقديرا باطلا ^ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ^ تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وإنما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب ^ إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ^

سماع تدبر واعتبار
^ قالوا اتخذ الله ولدا ^ أي تنباه سبحانه تنزيه له عن التبني فإنه لا يصح إلا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء ^ هو الغني ^ علة لتنزيهه فإن اتخاذ

الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الأرض تقرير لغناه ^ إن عندكم من سلطان بهذا ^ نفي لمعارض ما أقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم و بهذا متعلق ب سلطان أو نعت له أو ب عندكم كأنه قيل إن عندكم في هذا من سلطان ^ اتقولون على الله ما لا تعلمون ^ توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم وفيه دليل على أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وأن العقائد لا بد لها من قاطع وأن التقليد فيها غير سائغ ^ قل إن الذين يفترون على الله الكذب ^ باتخاذ الولد وإضافة الشريك إليه ^ لا يفلحون ^ لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة ^ متاع في الدنيا ^ خبر مبتدأ محذوف أي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رئاستهم في الكفر أو حياتهم أو تقليبهم متاع مبتدأ خبره محذوف أي لهم تمتع في الدنيا ^ ثم إلينا مرجعهم ^ بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ^ ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ^ بسبب كفرهم ^ واتل عليهم نبأ نوح ^ خبره مع قومه ^ إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم ^ عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان أو كوني وإقامتي بينكم مدة مديدة أو قيامي على الدعوة وتذكيري إياكم ^ بآيات الله فعلى الله توكلت ^ وثقت به ^ فاجمعوا أمركم ^ فاعزموا عليه وشركاءكم أي مع شركائكم وبؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير أن يؤكد للفصل وقيل إنه معطوف على أمركم بحذف المضاف أي وأمر شركائكم وقيل إنه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى أمرهم بالعزم أو الاجتماع على قصده والسعي في إهلاكه على أي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ^ ثم لا يكن أمركم ^ في قصدي ^ عليكم غمة ^ مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفاً من غمه إذا ستره أو ثم لا يكن حالكم عليكم غما إذا أهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري ^ ثم اقضوا ^ أدوا إلي ذلك الأمر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا إلي بالفاء أي انتهوا إلي بشركم أو ابرزوا إلي من أفضى إذا خرج إلى الفضاء ^ ولا تنتظرون ^ ولا تمهلوني ^ فإن توليتم ^ أعرضتم عن تذكيري ^ فما سألتكم من أجر ^ يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم إياي لأجله أو يفوتني لتوليكم ^ إن أجري ^ ما ثوابي على الدعوة والتذكير ^ إلا على الله ^ لا تعلق له بكم يثيني به أمتهم أو توليتم ^ وأمرت أن أكون من المسلمين ^ المنقادين لحكمه لا أخالف أمره ولا أرجو غيره فكذبوه فأصروا على تكذيبه بعدما ألزمهم الحجة وبين أن توليهم ليس إلا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ^ ومن معه في الفلك ^ وكانوا ثمانين وجعلناكم خلائف من الهالكين به ^ وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ^ بالطوفان ^ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ^ تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له ^ ثم بعثنا ^ أرسلنا ^ من بعده ^ من بعد نوح ^ رسلا إلى قومهم ^ كل رسول إلى قومه فجاءوهم بالبينات والمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم ^ فما كانوا ليؤمنوا ^ فما استقام لهم أن يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله إياهم ^ بما كذبوا به من قبل ^ أي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثه الرسل صلى الله عليه وسلم ^ كذلك نطبع على قلوب المعتدين ^ بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف وفي أمثال ذلك دليل على أن الأفعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ^ ثم بعثنا من بعدهم ^ من بعد هؤلاء الرسل ^ موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا ^ بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعهما ^ وكانوا قوما مجرمين ^ معتادين

الأجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤوا على ردها ^ فلما جاءهم الحق من عندنا ^ وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيلة للشك قالوا من فرط تمردهم ^ إن هذا لسحر مبين ^ ظاهر أنه سحر أو فائق في فنه واضح فيما بين إخوته ^ قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم ^ إنه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز أن يكون ^ أسحر هذا ^ لأنهم بتوا القول بل هو استئناف بإنكار ما قالوه اللهم إلا أن يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز أن يكون معنى ^ أتقولون للحق ^ أتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله تعالى ^ سمعنا فتى يذكرهم ^ فيستغني عن المفعول ^ ولا يفلح الساحرون ^ من تمام كلام موسى للدلالة على أنه ليس بسحر فإنه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل السحرة ولأن العالم بأنه لا يفلح الساحر لا يسحر أو من تمام قولهم إن جعل أسحر هذا محكيا كأنهم قالوا أجتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون ^ قالوا أجتنا لتلفتنا ^ لتصرفنا واللفت والقتل أخوان ^ عما وجدنا عليه آباءنا ^ من عبادة الأصنام ^ وتكون لكما الكبرياء في الأرض ^ الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر أو التكبر على الناس باستتباعهم ^ وما نحن لكما بمؤمنين ^ بمصدقين فيما جئنا به ^ وقال فرعون ائتوني بكل ساحر ^ وقرأ حمزة والكسائي ^ بكل ساحر ^ عليم حاذق فيه ^ فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أتم ملقون ^ فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر ^ أي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ أبو عمرو السحر على أن ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها و السحر بدل منه أو خير مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر أو مبتدأ خبره محذوف أي السحر هو ويجوز أن ينتصب ما يفعل يفسره ما بعده وتقديره أي شيء أتيتم ^ إن الله سيبيطله ^ سيمحقه أو سيظهر بطلانه ^ إن الله لا يصلح عمل المفسدين ^ لا يثبت ولا يقويه وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له ^ وبحق الله الحق ^ ويثبته بكلماته بأوامره وقضايه وقرئ بكلمته ^ ولو كره المجرمون ^ ذلك ^ فما آمن لموسى ^ أي في مبدأ أمره ^ إلا ذرية من قومه ^ إلا أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل دعاهم فلم يحيوه خوفا من فرعون إلا طائفة من شبانهم وقيل الضمير ل فرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به أو مؤمن آل فرعون وامراته أسية وخازنة وزوجته وماشطته ^ على خوف من فرعون وملئهم ^ أي مع خوف منهم والضمير ل فرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء أو على أن المراد ب فرعون آله كما يقال ربيعة ومضر أو للذرية أو للقوم ^ أن يفتنهم ^ أن يعذبهم فرعون وهو بدل منه أو مفعول خوف وإفراده بالضمير للدلالة على أن الخوف من الملائكة كان بسببه ^ وإن فرعون لعال في الأرض ^ لغالب فيها ^ وإنه لمن المسرفين ^ في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء ^ وقال موسى ^ لما رأى تخوف المؤمنين به ^ يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ^ فثقوا به واعتمدوا عليه ^ إن كنتم مسلمين ^ مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فإن المعلق بالإيمان وجوب التوكل فإنه المقتضي له والمشروط بالإسلام حصوله فإنه لا يوجد مع التخطيط ونظيره إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت ^ فقالوا على الله توكلنا ^ لأنهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك أجيبت دعوتهم

^ ربنا لا تجعلنا فتنة ^ موضع فتنة ^ للقوم الظالمين ^ أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ^ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ^ من كيدهم ومن شؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي له أن يتوكل أولا لتجابه

دعوته ^ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوا ^ أي اتخذوا مباءة ^ لقومكما بمصر بيوتا ^ تسكنون فيها أو ترجعون إليها للعبادة واجعلوا أمتا وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبله صلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى صلى الله عليه وسلم يصلي إليها ^ وأقيموا الصلاة ^ فيها أمروا بذلك أول أمرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم ^ وبشر المؤمنين ^ بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وإنما ثنى الضمير أولا لأن التبوأ للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤوس القوم بتشاور ثم جمع لأن جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما ينبغي أن يفعله كل أحد ثم وحد لأن البشارة في الأصل وظيفة صاحب الشريعة ^ وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة ^ ما يتزين به من الملابس والمراكب ونحوهما وأمولا في الحياة الدنيا وأنواعا من المال ^ ربنا ليضلوا عن سبيلك ^ دعاء عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارسة أحوالهم أنه لا يكون غيره كقولك لعن الله إبليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة ب آتيت ويحتمل أن تكون للعلة لأن إتياء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولأنهم لما جعلوها سببا للضلال فكانهم أوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للأول تأكيدا وتنبیها على أن المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمه لقوله ^ ربنا اطمس على أموالهم ^ أي أهلكها والطمس المحق وقرئ اطمس بالضم ^ واشدد على قلوبهم ^ أي وأقسها عليها حتى لا تتشرح للإيمان ^ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ^ جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهي أو عطف على ليضلوا وما بينهم دعاء معترض

^ قال قد أجيب دعوتكما ^ يعني موسى وهارون لأنه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما أمتا عليه من الدعوة وإلزام الحجة ولا تستعجلا فإن ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي أنه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة ^ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ^ طريق الجلهة في الاستعجال أو عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله تعالى وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرهما لالتقاء الساكنين ^ ولا تتبعان ^ من تبع ^ ولا تتبعان ^ أيضا ^ وجاوزنا بني إسرائيل البحر ^ أي جاوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافطين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف فأتبعهم فأدركهم يقال تبعته حتى اتبعته ^ فرعون وجنوده بغيا وعدوا ^ باغين وعادين أو للبغي والعدو وقرئ وعدوا ^ حتى إذا أدركه الغرق ^ لحقه ^ قال أمنت أنه ^ أي بأنه ^ لا إله إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ^ وقرأ حمزة والكسائي إنه بالكسر على إضمار القوم أو الاستئناف بدلا وتفسيرا ل ءأمنت فنكب عن الإيمان أو أن القبول وبالغ فيه حين لا يقبل الآن أتؤمن الآن وقد أيست من نفسك ولم يبق لك اختيار ^ وقد عصيت قبل ^ قبل ذلك مدة عمرك ^ وكنت من المفسدين ^ الضالين المضلين عن الإيمان ^ فاليوم ننحيك ^ ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا أو نلقيك على نجوة من الأرض ليراك بنو إسرائيل وقرأ يعقوب ننحيك من أنجى وقرأ ننحيك بالحاء أي نلقيك بناحية من الساحل بيدتك في موضع الحال أي بيدتك عاريا عن الروح أو كاملا سويا أو عريانا من غير لباس أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بأبدانك أي بأجزاء البدن كلها كقولهم هوى بإجرامه أو بدرعك كأنه كان مظاهرا بينها ولتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو إسرائيل إذ كان في نفوسهم من عظمتهم ما خيل إليهم أنه لا يهلك حتى كذبوا موسى صلى الله عليه وسلم حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه مطرحا على ممرهم من الساحل أو لمن يأتي بعدك من القرون إذا

سمعوا مآل أمرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان أو حجة تدلهم على أن الإنسان على ما كان عليه من عظم الشأن وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك أي لخالقك أية أي كسائر الآيات فإن إفراده إياك باللقاء إلى الساحل دليل على أنه تعمد منه لكشف تزويرك وإماطة الشبهة في أمرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وإرادته وهذا الوجه أيضا محتمل على المشهور ^ وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ^ لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ^ ولقد بوأنا ^ أنزلنا ^ بني إسرائيل مبوأ صدق ^ منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ^ ورزقناهم من الطيبات ^ من اللذائذ ^ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ^ فما اختلفوا في أمر دينهم إلا من بعدما قرأوا التوراة وعلموا أحكامها أو في أمر محمد صلى الله عليه وسلم إلا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ^ إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ^ فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك ^ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ^ من القصص على سبيل الفرض والتقدير ^ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ^ فإنه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا إليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وأن القرآن مصدق لما فيها أو وصف أهل الكتاب الرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إليه أو تهيج الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة تثبيته لا إمكان وقوع الشك له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا أشك ولا أسأل وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أو لكل من يسمع أي أن كنت أيها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا إليك وفيه تنبيه على أن كل من خالجه شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم ^ لقد جاءك الحق من ربك ^ واضحا أنه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة ^ فلا تكونن من الممترين ^ بالتزلزل عما أنت عليه من الحزم واليقين

^ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين ^ أيضا من باب التهيج والتثيبت وقطع الاطماع عنه كقوله ^ فلا تكونن ظهيرا للكافرين ^ إن الذين حقت عليهم ^ ثبتت عليهم ^ كلمة ربك ^ بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب ^ لا يؤمنون ^ إذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ^ ولو جاءتهم كل آية ^ فإن السبب الاصلى لإيمانهم وهو تعلق إرادة الله تعالى به مفقود ^ حتى يروا العذاب الاليم ^ وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون ^ فلولا كانت قرية أمنت ^ فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها أمنت قبل معاناة العذاب ولم تؤخر إليها كما أخر فرعون ^ فنفعها إيمانها ^ بأن يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها ^ إلا قوم يونس ^ لكن قوم يونس عليه السلام ^ لما آمنوا ^ أول ما رأوا أمارة العذاب ولم يؤخره إلى حلوله ^ كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ^ ويجوز أن تكون لاجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لأن المراد من القرى اهاليها كأنه قال ما آمن أهل قرية من القرى العاصية فنفعهم إيمانهم إلا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ^ ومتعناهم إلى حين ^ إلى آجالهم روي أن يونس عليه السلام بعث إلى أهل نينوى من الموصل فكذبوه وأصروا عليه فوعدهم بالعذاب إلى ثلاث وقيل إلى ثلاثين وقيل إلى أربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما أسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فأيقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوما بين كل والدة وولدها فحن بعضها إلى بعض وعلت الاصوات والعجيج

وأخلصوا التوبة وأظهروا الإيمان وتضرعوا إلى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ^ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم ^ بحيث لا يشذ منهم أحد جميعاً مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في أنه تعالى لم يشأ إيمانهم أجمعين وأن من شاء إيمانه يؤمن لا محالة والتقيد بمشيئة الاجاء خلاف الظاهر ^ أفأنت تكره الناس ^ بما لم يشأ منهم ^ حتى يكونوا مؤمنين ^ وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وإيلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على أن خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكن تحصيله بالإكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليّ إذ روي انه كان حريصاً على إيمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله ^ وما كان لنفس أن تؤمن ^ بالله ^ إلا بإذن الله ^ إلا بإرادته وألطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فإنه إلى الله يجعل الرجس العذاب أو الخذلان فإن سببه وقرئ بالزاي وقرأ أبو بكر ونجعل بالنون ^ على الذين لا يعقلون ^ لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات أو لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الأول قوله ^ قل انظروا ^ أي تفكروا ماذا في السموات والأرض من عجائب صنعه لتدلكم على وحدته وكمال قدرته و ماذا إن جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل ^ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ^ في علم الله وحكمته وما نافية أو استفهامية في موضع النصب ^ فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ^ مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم

إذ لا يستحقون غيره من قولهم أيام العرب لوقائعها ^ قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ^ لذلك أو فانتظروا هلاكي إني معكم من المنتظرين هلاككم ^ ثم تنجي رسلنا والذين آمنوا ^ عطف على محذوف دل عليه ^ إلا مثل أيام الذين خلوا ^ كأنه قيل نهلك الأمم ثم تنجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية ^ كذلك حقا علينا ننج المؤمنين ^ كذلك الانجاء أو انجاء كذلك تنجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين و ^ حقا علينا ^ اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائي تنجي مخففا ^ قل يا أيها الناس ^ خطاب لأهل مكة ^ إن كنتم في شك من ديني ^ وصحته فاعبد الذي تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الأنصاف لتعلموا صحتها وهو أنني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجودكم ويتوفاكم وإنما خص التوفي بالذكر للتهديد ^ وأمرت أن أكون من المؤمنين ^ بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من أن يجوز أن يكون من المطرد مع أن وأن يكون من غيره كقوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نسب ^ وأن أقم وجهك للدين ^ عطف على ^ أن أكون ^ غير أن صلة أن محكية بصيغة الأمر ولا فرق بينهما في الغرض لأن المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الأفعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب ومعنى وأمرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه بأداء الفرائض والانتها عن القبائح أو في الصلاة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين أو الوجه ^ ولا تكون من المشركين ^ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ^ بنفسه أن دعوته أو خذلته ^ فإن فعلت ^ فإن دعوته ^ فإنك إذا من الظالمين ^ جزاء للشرك وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء ^ وإن يمسسك الله بضر ^ وإن يصبك به ^ فلا كاشف له ^ يرفعه ^ إلا هو ^ إلا الله ^ وإن يردك بخير فلا راد ^ فلا دافع لفضله الذي أرادك به ولعله ذكر الإرادة

مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الأمرين للتنبيه على أن الخير مراد بالذات وان الضر إنما مسهم لا بالقصد الأول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يرد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لأن مراد الله لا يمكن رده ^ يصيب به ^ بالخير ^ من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ^ فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قال يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله أو القرآن ولم يبق لكم عذر ^ فمن اهتدى ^ بالإيمان والمتابعة ^ فإنما يهتدي لنفسه ^ لأن نفعه لها ^ ومن ضل ^ بالكفر بهما ^ فإنما يضل عليها ^ لأن وبال الضلال عليها ^ وما أنا عليكم بوكيل ^ بحفيظ موكول إلى امركم وانما أنا بشير ونذير ^ واتبع ما يوحى إليك ^ بالامثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم ^ حتى يحكم الله ^ بالنصرة أو بالأمر بالقتال ^ وهو خير الحاكمين ^ إذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعده من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم ^ المر كتاب ^ مبتدأ وخبر أو كتاب خبر مبتدأ محذوف ^ احكمت آياته ^ نظمت نظما محكما لا يعتره إخلال من جهة اللفظ ولا معنى أو منعت من الفساد والنسخ فإن المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ أو احكمت بالحجج والدلائل أو جعلت حكمية منقول من حكم بالضم إذا صار حكيمًا لأنها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ^ ثم فصلت ^ بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار أو جعلها سورا أو بالانزال نجما نجما أو فصل فيها ولخص ما يحتاج إليه وقرئ ^ ثم فصلت ^ أي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ^ ثم فصلت ^ على البناء للمتكلم و ثم للتفاوت في الحكم أو للتراخي في الأخبار ^ من لدن حكيم خبير ^ صفة أخرى ل كتاب أو خبر بعد خبر أو صلة ل احكمت أو فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر أمره وما خفي ^ ألا تعبدوا إلا الله ^ لأن لا تعبدوا وقيل أن مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد أو الأمر بالتبري من عبادة الغير كأنه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه أو اتركوها تركا ^ إنني لكم منه ^ من الله

نذير وبشير ^ بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد ^ وأن استغفروا ربكم ^ عطف على ألا تعبدوا ^ ثم توبوا إليه ^ ثم توسلوا إلى مطلوبكم بالتوبة فإن المعرض عن طريق الحق لا بد له من الرجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا إلى الله بالطاعة ويجوز أن يكون ثم لتفاوت ما بين الأمرين ^ يمتعكم متاعا حسنا ^ يعيشكم في أمن ودعة ^ إلى اجل مسمى ^ هو آخر أعماركم المقدره أو لا يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والاجال وان كانت متعلقة بالاعمار لكنها مسماة بالاضافة إلى كل أحد فلا تتغير ^ ويؤت كل ذي فضل فضله ^ ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والاخرة وهو وعد للمومحد التائب بخير الدارين ^ وإن تولوا ^ وإن تتولا ^ فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ^ يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ ^ وإن تولوا ^ من ولي ^ إلى الله مرجعكم ^ رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس ^ وهو على كل شيء قدير ^ فيقدر على تعذيبكم اشد عذاب وكأنه تقدير لكبر اليوم ^ ألا إنهم يثنون صدورهم ^ يثنونها عن الحق وينحرفون أو يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم أو يولون ظهورهم وقرئ يثنوني بالياء والتاء من اثنوني وهو بناء

مبالغة و تشنون وأصله تشنونن من الثن وهو الكلاً الضعيف أراد به ضعف قلوبهم أو مطاوعة صدورهم للثني وتثنن من اثنان كإياض بالهمزة وتشوي
^ ليستخفوا منه ^ من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل إنها نزلت في طائفة من المشركين قالوا إذا أرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه ظر إذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة ^ ألا حين يستغشون ثيابهم ^ ألا حين يأوون إلى فراشهم ويتغطون بثيابهم ^ يعلم ما يسرون ^ في قلوبهم ^ وما يعلنون ^ بأفواههم يستوي في علمه سرهم وعلمهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرهونه ^ إنه عليم بذات الصدور ^ بالأسرار ذات لاصدور أو بالقلوب وأحوالها ^ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ^ غذاؤها ومعاشها لتكلفه إياه تفضلاً ورحمة وإنما أتى بلفظ الوجوب تحقيقاً لوصوله وحملها على التوكل فيه ^ ويعلم مستقرها ومستودعها ^ أماكنها في الحياة والممات أو الاصلاب والارحام أو مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها ^ في كتاب مبين ^ مذكور في اللوح المحفوظ وكأنه أريد بالآية بيان كونه عالماً بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادراً على الممكنات بأسرها تقريراً للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد ^ وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ^ أي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف اوما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الأرض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون لاسفليات ^ وكان عرشه على الماء ^ قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لأنه كان موضوعاً على متن الماء واستدل به على إمكان الخلاء وأن الماء أول حادث بعد العرش من أجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ^ ليلوكم ايكم احسن عملاً ^ متعلق ب خلق أي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم

معاملة المبتلي لأحوالكم كيف تعملون فإن جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج إليه أعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبتون منها وإنما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق إليه كالنظر والاستماع وإنما ذكر صيغة التفضيل والاختيار شامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقى دائماً في مراتب العلم والعمل فإن المراد باعلم ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلاً واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علماً وعملاً ^ ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ^ أي ما البعث أو القول به أو القرآن المتضمن لذكره إلا كالسحر في الخديعة أو البطلان وقرأ حمزة والكسائي إلا ساحر على أن الاشارة إلى القائل وقرئ أنكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت أو أن يكون أن بمعنى على أي ولئن قلت علمكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل مالا حقيقة له مبالغة في انكاره ^ ولئن اخرنا عنهم العذاب ^ الموعود ^ إلى أمة معدودة ^ إلى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ^ ما يحبسه ^ ما يمنعه من الوقوع ^ ألا يوم يأتيهم ^ كيوم

بدر ^ ليس مصروفا عنهم ^ ليس العذاب مدفوعاً عنهم و يوم منصوب بخير ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها ^ وحاق بهم ^ واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقاً ومبالغة في التهديد ^ ما كانوا به يستهزئون ^ أي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزئون موضع يستعجلون لأن استعجالهم

كان استهزاء ^ ولئن اذقنا الإنسان منا رحمة ^ ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ^ ثم نزعناها منه ^ ثم سلبنا تلك النعمة منه ^ انه ليؤوس ^ قطع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ^ ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ^ كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ^ ليقولن ذهب السيئات عني ^ أي المصائب التي ساءتني ^ إنه لفرح ^ بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وأنه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء لأن الذوق إدراك الطعم والمس مبتدأ الوصول ^ إلا الذين صبروا ^ على الضراء إيماناً بالله تعالى واستسلاماً لقضائه وعملوا

الصالحات شكراً لآلائه سابقها ولاحقها ^ أولئك لهم مغفرة ^ لذنوبهم ^ وأجر كبير ^ اقله الجنة والاستثناء من الإنسان لأن المراد به الجنس فإذا كان محلي باللام أفاد الاستغراق ومن حملة على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعاً فعلق تارك بعض ما يوحى إليك تترك تبليغ بعض ما يوحى إليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو إليه وقوعه لجواز أن يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ ها هنا ^ وضائق به صدرك ^ وعارض لك أحياناً ضيق صدرك بأن تتلوه عليهم مخافة أن يقولون لولا أنزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك ^ أو جاء معه ملك ^ يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ^ أن يقولوا ^ ^ إنما أنت نذير ^ ليس عليك إلا الانذار بما أوحى إليك ولا عليك ردوا أو اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك ^ والله على كل شيء وكيل ^ فتوكل عليه فإنه عالم بحالهم وفاعل بهم حزاء أقوالهم وفعالهم ^ أم يقولون افتراه ^ أم منقطعة والهاء ^ لما يوحى ^ قل فاتوا بعشر سور مثله ^ في البيان وحسن النظم تحداهم أولاً بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الأمر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحدة مفتربات مختلقات من عند انفسكم إن صح أي اختلقته نم عند نفسي فإنكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل أتم لتعلمكم القصص والاشعار وعودكم القريض والنظم ^ وادعوا من استطعتم من دون الله ^ إلى المعاونة على المعارضة ^ إن كنتم صادقين ^ انه مفترى

^ فإن لم يستجيبوا لكم ^ بإتيان ما دعوتهم إليه وجمع الضمير أما لتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم أو لأن المؤمنين كانوا أيضاً يتحدونهم وكان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم متناولاً لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل أمر إلا ما خصه الدليل وللتنبية على أن التحديث مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله ^ فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ^ ملتبسا بما لا يعلمه إلا الله ولا يقدر علهي سواه ^ وأن لا إله إلا هو ^ واعلموا أن لا اله إلا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز أهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقة باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من أن يجيرهم من بأس الله آلهتهم ^ فهل انتم مسلمون ^ ثابتون على الإسلام راسخون فيه مخلصون إذا تحقق عندكم اعجازه مطلقاً ويجوز أن يكون الكل خطاباً للمشركين والضمير في ^ لم يستجيبوا ^ لمن استطعتم أي فإن لم يستجيبوا لكم إلى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من أنفسكم القصور عن المعاونة فاعلموا انه نظم لا يعلمه إلا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم إليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الإسلام

بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر ^ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ^ بإحسانه وبره ^ نوف إليهم أعمالهم فيها ^ نوصل إليهم جزاء أعمالهم في الدنيا من الصحة والرئاسة وسعة الزرق وكثرة الأولاد وقرئ يوف بالياء أي يوف الله ونوف على البناء للمعقول ونوف بالتخفيف والرفع لأن الشرط ماض كقوله وإن أتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم

^ وهم فيها لا يبخسون ^ لا ينقصون شيئاً من أجورهم والآية في أهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وعرضهم وبرهم ^ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار ^ مطلقاً في مقابلة ما عملوا لأنهم استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة ^ وحبط ما صنعوا فيها ^ لأنه لم يبق لهم ثواب في الآخرة أو أم يكن لأنهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الإخلاص ويجوز تعليق الظرف ب صنعوا على أن الضمير ل الدنيا وباطل في نفسه ^ ما كانوا يعملون ^ لأنه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون و ما ابهامية أو في معنى المصدر كقوله ولا خارجاً من في زور كلام

بطل على الفعل ^ أفمن كان على بينة من ربه ^ برهان من الله يدل على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار أن يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين همهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي أغنى عن ذكر الخبر وتقديره أفمن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنوا أهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل ^ شاهد منه ^ شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ^ ومن قبله ^ ومن قبل القرآن ^ كتاب موسى ^ يعني التوراة فإنها أيضاً تتلوه في التصديق أو البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل أو لسان الرسول صلى الله عليه وسلم على أن الضمير له أو من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه إما لمن أو للبينة باعتبار المعنى ^ ومن قبله كتاب موسى ^ جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفاً على الضمير في يتلوه أي يتلو القرآن شاهد ممن أن على بينة دالة على أنه حق كقوله ^ وشهد شاهد من بني إسرائيل ^ ويقرأ من قبل القرآن التوراة إماماً كتاباً مؤتماً به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لأنه الوصلة إلى الفوز بخير الدارين أولئك إشارة إلى من كان على بينة ^ يؤمنون به ^ بالقرآن ^ ومن يكفر به من الأحزاب ^ من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ^ فالنار موعده ^ يردّها لا محالة ^ فلا تك في مرية منه ^ من الموعد أو القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك ^ إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ^ لقلة نظرهم واختلال فكرهم

^ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ^ كأن أسند إليه ما لم ينزله أو نفى عنه ما أنزله أولئك أي الكاذبون ^ يعرضون على ربهم ^ في الموقف بأن يحبسوا وتعرض أعمالهم ^ ويقول الأشهاد ^ من الملائكة والنيبين أو من جوارحهم وهو جمع شاهد كأصحاب أو شهيد كأشراف جمع شريف ^ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ^ تهويل عظيم مما يحق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله ^ الذين يصدون عن سبيل الله ^ عن دينه يبغونها عوجاً يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالردة ^ وهم بالآخرة هم كافرون ^

والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به ^ أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض ^ أي ما كانوا معجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من الياء يمنعونهم من العقاب ولكنه آخر عقابهم إلى هذا اليوم ليكون اشد وأدوم ^ يصاعف لهم العذاب ^ استثناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ^ ما كانوا يستطيعون السمع ^ لتصامهم عن الحق ويغضهم له ^ وما كانوا يبصرون ^ لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الالهة بقوله ^ وما كان لهم من دون الله من اولياء ^ فإن ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يصاعف لهم العذاب اعتراض ^ أولئك الذين خسروا أنفسهم ^ باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله تعالى وضل عنهم ما كانا يفترون من الالهة وشفاعتها أو خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا

فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة ^ لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون ^ لا أحد ابين وأكثر خسرانا منهم ^ أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات واختبوا إلى ربهم ^ اطمأنوا إليه وخشعوا له من الخبت وهو الأرض المطمئنة ^ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ^ دثمون 6 مثل افريقيين الكافر والمؤمن ^ كالاعمى والاصم والبصير والسميع ^ يجوز أن يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن اسماع كلام الله تعالى وتأييه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصر لأن أمره بالضد فيكون كل واحد منهما مشبها بآئين باعتبار وصفين أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصباح فالغانم فالايب وهذا من باب اللف والطباق ^ هل يستويان ^ هل يستوي الفريقان مثلا أي تمثيلا أو صفة أو حالا ^ أفلا تذكرون ^ بضرب الأمثال والتأمل فيها ^ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه أني لكم ^ بأنني لكم قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على إرادة أقول ^ نذير مبين ^ أبين لكم مومجيات العذاب ووجه الخلاص ^ ألا تعبدوا إلا الله ^ بدل من ^ أني لكم ^ أو مفعول مبين ويجوز أن تكون أن مفسرة متعلقة ب أرسلنا أو ب نذير ^ إنني اخاف عليكم عذاب يوم اليم ^ مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده وهاره صائم للمبالغة

^ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا ^ لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نلك اتبعك إلا الذين هم ارادنا اخصاؤنا جمع اردل فإنه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر أو اردل جمع رذل ^ بادي الرأي ^ ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو أو أول الرأي من البدء والباء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ أبو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف أي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم فإنهم لما لم يعلموا إلا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها اردل ^ وما نرى لكم ^ لك ولمتبعيك ^ علينا من فضل ^ يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة ^ بل نظنكم كاذبين ^ اياي في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين ^ قال يا قوم أرايتم ^ أخبروني ^ إن كنت على بينة من ربي ^ حجة شاهدة بصحة دعواي ^ وآتاني رحمة من عنده ^ بإيتاء البينة أو النبوة ^ فعميت عليكم ^ فخفيت عليكم فلم تهديكم وتوحيد الضمير لأن البينة في نفسها هي الرحمة أو لأن خفاءها يوجب خفاء النبوة أو على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار أو لأنه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت أي أخفيت وقرئ عماها على أن الفعل لله

أنلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها ^ وأنتم لها كارهون ^ لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس أحدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ^ ويا قوم لا أسألكم عليه ^ على التبليغ وهو إن لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ^ إن أجري إلا على الله ^ فإنه المأمول منه ^ وما أنا بطارد الذين آمنوا ^ جواب لهم حين سألوا طردهم إنهم ملاقو ربهم فيخاصمون طردهم عنده أو أنهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم ^ ولكني أراكم قوما تجهلون ^ بقاء ربكم أو بأقذارهم أو في التماس طردهم أو تتسفهون عليهم بأن تدعوهم ارادل ^ ويا قوم من ينصرنى من الله ^ يدفع انتقامه ^ إن طردتهم ^ وهم بتلك الصفة والمثابة ^ أفلا تذكرون ^ لتعرفوا أن التماس طردهم وتوقيف الإيمان عليه لس بصواب ^ ولا أقول لكم عندي خزائن الله ^ رزقه وأمواله حتى جحدتم فضلي ^ ولا أعلم الغيب ^ عطف على ^ عندي خزائن الله ^ أي ولا أقول لكم أنا أعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا أو حتى اعلم أن هؤلاء ابتعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على أقول ^ ولا أقول أنني ملك ^ حتى تقولوا ما أنت إلا بشر مثلنا ^ ولا أقول للذين تزدري أعينكم ^ ولا أقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم ^ لن يؤتيهم الله خيرا ^ فإن ما أعده الله لهم في الآخرة خير مما أتاكم في الدنيا ^ الله أعلم بما في أنفسهم أنى إذا لمن الظالمين ^ أن قلت شيئا من ذلك والازدراء به افتعال من زرى عليه إذا عابه قلبت تأؤه دالا لتجانس الراء في الجهر واسناده إلى الاعين للمبالغة والتنبيه على

انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية بما عاينوا من رثاة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم ^ قالوا يا نوح قد جادلتنا ^ خاصمتنا ^ فأكثرنا جدالنا ^ فأطالته أو أتى بأنواعه ^ فأتنا بما تعدنا ^ من العذاب إن كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فإن مناظرتك لا تؤثر فينا ^ قال إنما يأتيكم به الله إن شاء ^ عاجلا أو آجلا ^ وما أنتم بمعجزين ^ بدفع العذاب أو الهرب منه ^ ولا ينفعكم نصحي أن أردت أن أنصح لكم ^ شرط ودليل وجواب والجملة دليل جواب قوله ^ إن كان الله يريد أن يغويكم ^ وتقدير الكلام أن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك تقول لو قال الرجل أنت طالق أن دخلت الدار أن كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لعم تطلق وهو جواب لما أوهموا من أن جداله كلام بلا طائل وهو دليل على أن إرادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ^ أن يغويكم ^ أن يهلككم من غوى الفصيل غوى إذا بشم فهلك ^ هو ربكم ^ هو خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته ^ واليه ترجعون ^ فيجازيكم على أعمالكم ^ أم يقولون افتراه قل أن افتريته فعلي اجرامي ^ وباله وقرئ اجرامي على الجمع ^ وأنا بريء مما تجرمون ^ من اجرامكم في اسناد الافتراء الي وأوحى إلى نوح انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس فلا تحزن ولا تتأسف ^ بما كانوا يفعلون ^ أقنطه الله تعالى من إيمانهم ونهاه أن يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء

^ واصنع الفلك بأعيننا ^ ملتبسا بأعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل ووحينا إليك كيف تصنعها ولا تخاطبني ف ياذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم ^ إنهم مغرقون ^ محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل إلى كفه ^ ويصنع الفلك ^ حكاية حال ماضية ^ وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه ^ استهزؤوا به لعمله السفينة فإنه كان يعملها في بركة بعيدة من الماء اوان عزته

وكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعدما كنت نبيا ^ قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون ^ إذا أخذكم الغرق في أدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالخسرة الاستجهاال فسوف تعملون من ي أتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعداب الغرق ^ ويحل عليه ^ وينزل عليه أو يحل حلول الدين الذي لا انفكك عنه ^ عذاب مقيم ^ دائم وهو عذاب النار حتى إذا أمرنا غاية لقوله ^ ويصنع الفلك ^ وما بينهما حال من الضمير فيه أو حتى هي التي يتبدأ بعدها الكلام ^ وفار التنور ^ نبع الماء منه وارتفع كالقدر تفور

والتنور تنور الخبز ابتداءً منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها أو ي الهند أو بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الأرض أو اشرف موضع فيها ^ قلنا احمل فيها ^ في السينة ^ من كل ^ من كل نوع من لحيوانات المنتفع بها ^ زوجين اثنين ^ ذكراص وأنثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل صنف ذكر وصنف أنثى وأهلك عطف على زوجين أو اثنين والمرأ امرأته وبنوه ونساؤهم ^ إلا من سبق عليه القول ^ بأنه من المغرقين يريد ابنه كنعان وأمه واعلة فإنهما كانا كافرين ^ ومن آمن ^ والمؤمنين من غيرهم ^ وما آمن معه إلا قليل ^ قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافت ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الأنس وفي اعلاها الطير ^ وقال اركبوا فيها ^ أي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لأنها في الماء كالمركوب في الأرض ^ بسم الله مجراها ومرساها ^ متصل ب اركبوا حال من الواو أي اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين باسم الله وقت اجرائها وارسائها أو مكانهما على أن المجرى والمرسى للوقت أو المكان أو المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رعهما ب ^ بسم الله ^ على أن المراد بهما المصدر أو جملة من مبتدأ وخبر أي إجراؤها ^ بسم الله ^ على أن ^ بسم الله ^ خير أو صلة والخبر محذوف وهي أما جملة مقتضية لا تعلق لها بما قبلها أو حال مقدرة من الوار أو الهاء وروي انه كان إذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله

فرست ويجوز أن يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكمم وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها أيضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجربها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ^ إن ربي لغفور رحيم ^ أي لولا مغفرته لفرطتكم ورحمته اياكم لما نجاكم ^ وهي تجري بهم ^ متصل بمحذوف دل عليه اركبوا فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها ^ في موج كالجبال ^ في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من أن الماء طبق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وإن صح فلعل ذلك قبل التطبيق ^ ونادى نوح ابنه ^ كنعان وقرئ ابنها و ابنه بحذف الألف على أن الضمير لامراته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطأ إذ الأنبياء عصمن من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناها على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف ^ وكان في ^

معزل عزل فيه نفسه عن أبيه أو عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه إذا أبعدَهُ ^
يا بني اركب معنا ^ في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة
المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فإنه وقف عليها في لقمان في الموضوع
الأول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قبل وعاصم فإنه فتح ها هنا اقتصارا على
الفتح من الألف المبذولة من ياء الاضافة وختلفت الرواية عنه في سائر المواضع وقد
ادغم الباء في المميم أبو عمرو الكسائي وحفص لتقاربهما ^ ولا تكن مع الكافرين
^ في الدين والانعزال ^ قال ساوي إلى جبل يعصمني من الماء ^ أن يغرقني ^
قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ^ إلا الراحم وهو الله تعالى أو
الإمكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك أن يكون اليوم معتصم من جبل
ونحوه يعصم اللئذ به إلا معتصم المؤمنين وهو منقطع أي لكن من رحمه الله
يعصمه ^ وحال بينهما الموج ^ بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل ^ فكان من
المغرقين ^ فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلي ماءك ويا سماء اقلعي
نوديا بما ينادى به اولوا العلم وامرا بما يؤمرون به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما
يشاء تكونيه فيهما بالأمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر إلى امتثال أمره
مهابة من عظمته وخشية من أليم عقابه والبلغ النشف والاقلاع والامسك ^ وغيض
الماء ^ نقص ^ وقضي الأمر ^ وانجز ما وعد من

إهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة ^ على الجودي ^ جبل
بالموصل وقيل بالشام وقيل بأمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها
عاشر المحرم فصام ذلك اليوم فصار ذلك سنة وقيل بعداص للقوم الظالمين هلاكا
لهم يقال بعد بعداص وبعداص إذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير
للهلك وخص بدعاء السوء والاية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها
والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وفي ايراد الاخبار على البناء
للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره إذ لا
يذهب الوهم إلى غيره للعلم بأن مثل هذه الأفعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار
^ ونادى نوح ربه ^ وأراد ندائه بدليل عطف قوله ^ فقال رب إن ابني من أهلي
^ فأنه النداء ^ وإن وعدك الحق ^ وإن كل وعد تعده حق لا يتطرق إليه الخلف
وقد وعدت أن تنجي أهلي فما حاله أو فما له لم ينج ويجوز أن يكون هذا النداء
قبل غرقه ^ وأنت احكم الحاكمين ^ لأنك اعلمهم وأعدلهم أو لأنك اعلمهم وأعدلهم
أو لأنك أكثر حكمة من ذوي الحكم على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع
^ قال يا نوح انه ليس من أهلك ^ لقطع الولاية بين المؤمن والكافر وأشار إليه
بقوله ^ إنه عمل غير صالح ^ فإنه تعليل لنفي كونه من أهله وأصله إنه ذو عمل
فاسد فجعل ذاته ذات العمل لمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى
إذا ادكرت فإنما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحاً بالمناقضة بين
وصفها وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من أهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب ^ إنه
عمل غير صالح ^ أي عمل عملا غير صالح ^ فلا تسألن ما ليس لك به علم ^ ما
لا تعلم اصواب هو أم ليس كذلك وإنما سمي ندائه سؤالاً لتضمن ذكر الوعد بنجاة
أهله استنجاهه في شأنه ولده أو استفساره المانع للانجاز

في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله ^ إني اعظك أن تكون من الجاهلين ^
لأن استثناء من سبق عليه القول من أهله قد دلل على الحال واغناه عن السؤال
لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه عليه الأمر وقرأ ابن كثير يفتح اللام والنون
الشديدة وكذلك نافع وانب عامر غير انهما كسرا النون على أن أصله تسألنني

فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع بروغاية رويس اثباتها في الوصل ^ قال رب أني أعوذ بك أن أسألك ^ فيما يستقبل ^ ما ليس لي به علم ^ ما لا علم لي بصحته ^ وإلا تغفر لي ^ وإن لم تغفر لي ما فرط مني في السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي ^ أكن من الخاسرين ^ اعمالا ^ قيل يا نوح اهبط بسلام منا ^ أنزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا أو مسلما عليك ^ وبركات عليك ^ ومباركا عليك أو زيادات في نسلك حتى تصير أدما ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهو الخير النامي وعلى امم من معك وعلى امم هم الذين معك سموا أمما لتحزبهم أو لتشعب الأمم منهم أو وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله ^ وأمم ستمتعهم ^ أي وممن معك امم ستمتعهم في الدنيا ^ ثم يمسه من عذاب اليم ^ في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك إشارة إلى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها ^ من انباء الغيب ^ أي بعضها ^ نوحها إليك ^ خبر ثان والضمير لها أي موحاة إليك أو حال من ال انباء أو

هو الخبر و ^ من انباء ^ متعلق به أو حال من الهاء في نوحها ^ ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ^ خبر آخر أي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا إليك أو حال من الهاء في نوحها أو الكاف في إليك أي جاهلا أنت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمها إذ لم يخالط غيرهم وأنهم مع كثرتهم لما لم يسمعوها فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة وأذية القوم كما صبر نوح ^ إن العاقبة ^ في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي ^ وإلى عاد أخاهم هودا ^ عطف على قوله ^ نوحا إلى قومه ^ و هودا عطف بيان ^ قال يا قوم اعبدوا الله ^ وحده مالكم من إله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ^ إن انتم إلا مفترون ^ على الله باتخاذ الأوثان شركاء وجعلها شفعاء ^ يا قوم لا أسألكم عليه اجرا إن أجري إلا على الذي فطرني ^ خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فإنها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع ^ أفلا تعقلون ^ أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ ^ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ^ اطلبوا مغفرة الله بالإيمان ثم توسلوا إليها بالتوبة وأيضا التبري من الغير إنما يكون بعد الإيمان بالله والرغبة فيما عنده ^ يرسل السماء عليكم مدرارا ^ كثير الدر ^ ويزدكم قوة إلى قوتكم ^ ويضاعف قوتكم وانما رغبتهم بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زرع عمارات وقيل حبس الله عنهم القطر وأعقم ارحام نسائهم ثلاثين سنة فوعدهم هود عليه السلام على الإيمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولا ولا تعرضوا عما ادعوكم إليه مجرمين مصرين على اجرامكم ^ قالوا يا هود ما جئنا ببينة ^ بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم

اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات ^ وما نحن بتاركي آلهتنا ^ بتاركي عبادتهم ^ عن قولك ^ صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي ^ وما نحن لك بمؤمنين ^ اقنات له من الإجابة والتصديق ^ إن نقول إلا اعتراك ^ ما نقول إلا قولنا اعتراك أي اصابك من عراه يعروه إذا أصابه ^ بعض آلهتنا بسوء ^ بجنون لسبك إياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتكلم بالخرافات والجملة مقول القول وألا لغو لأن الاستثناء مفرغ ^ قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون ^ من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ^ اجاب به عن مقاتلهم الحمقاء بأن أشهد الله تعالى

على براءته من لآلهتهم وفراغه عن اضرارهم تأكيدا لذلك تشبثا له وأمرهم بأن يشهدوا علي استهانة بهم وأن يجتمعوا على الكيد في إهلاكه من غير انظار حتى إذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء أن يضروه لم يبق لهم شبيهة أن آلهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع لا تتمكن من إضراره انتقاما منه وهذا من جملة معزاته فإن مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش إلى اراقة دمه بهذا الكلام ليس إلا لثقتة بالله وثبثهم عن اضراره ليس إلا بعصمته إياه ولذلك عقبه بقوله ^ إنني توكلت على الله ربي وربكم ^ تقريراً له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم

لن تضروني فإن متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يردّه ولا يقدرّو على ما لم يقدره ثم برهن علي بوقله ^ ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها ^ أي إلا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ^ إن ربي على صراط مستقيم ^ أي انه على الحق والعدل لا يضع عنده معتصم ولا يفوته ظالم ^ فإن تولوا ^ فإن تتولوا ^ فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ^ فقد أدبت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ^ ويستخلف ربي قوما غيركم ^ استئناف بالوعيد لهم بأن الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في يبارهم وأموالهم أو عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضوع كأنه قيل وإن تتولا يعذرني ربي ويستخلف ^ ولا تضرونه ^ لتوليكم شيئاً من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه ^ إن ربي على كل شيء حفيظ ^ رقيب فلا تخفى علي أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم أو حافظ مستول عليه فلا يمكن أن يضره شيء ^ ولما جاء امرنا ^ عذابنا أو امرنا العذاب ^ نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ^ وكانوا أربعة آلاف ^ ونجيناهم من عذاب غليظ ^ تكرير لبيان ما نجاهم منه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم أو المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضا والتعريض بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ ^ وتلك عاد ^ أنت اسم الاشارة باعتبار القبيلة أو لان الاشارة إلى قبورهم وآثارهم ^ جحدوا بآيات ربهم ^ كفروا بها ^ وعصوا رسله ^ لأنهم عصوا رسولهم ومن عصي

رسولا فكأنما عصى الكل لأنهم امروا بطاعة كل رسول ^ واتبعوا أمر كل جبار عنيد ^ يعني كبراءهم الطاغين و عنيد من عند عندا وعنودا إذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم إلى الإيمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم إلى الكفر وما يرديهم ^ واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ^ أي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب ^ ألا إن عادا كفروا ربهم ^ جحدوه أو كفروا نعمه أو كفروا به فحذف الجار ^ ألا بعدا لعاد ^ دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر ألا وأعاد ذكرهم تفضيلاً لأمرهم وحثاً على الاعتبار بحالهم ^ قوم هود ^ عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد إرم والايماء إلى أن استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود ^ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض ^ هو كونكم منها لا غيره فإنه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب ^ واستعمركم فيها ^ عمركم فيها واستبقاكم من العمر أو اقدركم على عمارتها وأمركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعماركم فيها دياركم وبرزها منكم بعد انصرام اعماركم أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم

تتركونها لغيركم ^ فاستغفروه ثم توبوا إليه أن ربي قريب ^ قريب الرحمة مجيب لداعيه ^ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ^ لما نرى فيك من مخايل الرشد

والسداد أن تكون لنا سيذا ومستشارا في الأمور أو أن توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك ^ أتهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ^ على حكاية الحال الماضية ^ وإننا لفي شك مما تدعونا إليه ^ من التوحيد والتبري عن الأوثان مريب موقع في الريبة من أرابه أو ذي ريبة على الإسناد المجازي من أراب في الأمر قال يا قوم أرايتم أن كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين ^ وأتاني منه رحمة ^ نبوة ^ فمن ينصرتني من الله ^ فمن يمنعي من عذابه ^ إن عصيته ^ في تبليغ رسالته والمنع عن الاشرار به ^ فما تزيدونني ^ إذن باستتباعكم اياي ^ غير تخسير ^ غير أن تخسروني بإبطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه أو فما تزيدونني بما تقولون لي غير أن أنسبكم إلى الخسران ^ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية ^ انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتتكبرها ^ فذروها تأكل في ارض الله ^ ترع نباتها وتشرب ماءها ^ ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ^ عاجل لا يتراخي عن مسكهم لها بالسوء إلا يسيرا وهو ثلاثة أيام ^ فعقروها فقال تمتعوا في داركم ^ عيشوا في منازلكم أو في داركم الدنيا ^ ثلاثة أيام ^ الأربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ^ ذلك وعد غير مكذوب ^ أي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا أو غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له أفي بك فإن وفى به صدقه وإلا كذبه أو وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول

^ فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ^ أي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف إليه هنا وفي المعارج في قوله ^ من عذاب يومئذ ^ إن ربك هو القوي العزيز ^ القادر على كل شيء والغالب عليه ^ وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ^ قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف ^ كان لم يغنوا فيها إلا أن تمود كفروا ربهم ^ نونه أبو بكرها هنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو في قوله ^ ألا بعدا لثمود ^ ذهابا إلى الحي أو الاب الأكبر ^ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم ^ يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط ^ قالوا سلاما ^ سلمنا عليك سلاما ويجوز نضبه ب قالوا على معنى ذكروا سلاما ^ قال سلام ^ أي امركم أو جوابي سلام أو وعليكم سلام رعه اجابة بأحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائي سلم وذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فلما لبث أن جاء بعجل حنيد فما أبطأ مجيئه به أو فما ابطأ في المجيء به أو فما تأخر عنه والجار في أن مقدر أو محذوف والحنيد المشوي بالرضف وقيل الذي يفطر ودكه من حنذت الفرس إذا عرقتة بالجلال لقوله ^ بعجل سمين ^

^ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه ^ لا يمدون إليه أيديهم ^ نكرهم واوجس منهم خيفة ^ أنكرك ذلك منهم وخاف أن يريدوا به مكروها ونكر وأنكر واستنكر بمعنى والايحاس الإدراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف ^ لا تخف إنا ارسلنا إلى قوم لوط ^ أنا ملائكة مرسله إليهم بالعذاب وانما لم نمد إليه أيدينا لأننا

لا نأكل ^ وامراته قائمة ^ وراء الستر تسمع محاورتهم أو على رؤوسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الفساد أو بإصابة رأيها فإنها كانت تقول لإبراهيم اضمم إليك لوطا فإني أعلم أن العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت قال الشاعر وعهدي بسلمي ضاحكا في لبابة ولم يعد حقا ثديها أن تحلما ومنه ضحكت السمرة إذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء ^ فيشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ^ نضبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبناها من وراء إسحاق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع بإسحاق أو على لفظ إسحاق وفتحته للجر فإنه غير مصروف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقر بالرفع على انه مبتدأ

وخبره الظرف أي و يعقوب مولود من بعده وقيل الورا ولد الولد ولعله سمي به لأنه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته إلى إسحاق ليس من حيث أن يعقوب عليه الصلاة والسلام وراءه بل من حيث انه وراء إبراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد أن ولدا فسميا به وتوجيه البشارة إليها للدلالة على أن الولد المبشر به يكون منها لا من هاجر ولأنها كانت عقيمة حريصة على الولد ^ قالت يا ويلتي ^ يا عجا وأصله في الشر فأطلق على كل أمر فضيع وقرئ بالياء على الأصل ^ ألد وأنا عجوز ^ ابنة تسعين أو تسع وتسعين ^ وهذا بعلي ^ زوجي وأصله القائم بالأمر شيخا ابن مائة أو مائة وعشرين ونضبه على الحال والعالم فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف أي هو شيخ أو خبر بعد خبر أو هو الخبر و بعلي بدل ^ إن هذا لشيء عجيب ^ يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك ^ قالوا اتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ^ منكرين عليها فإن خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزي النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بأن يستغربه عاقل فضلا عن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات أهل البيت نصب على المدح أو النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايها العصابة ^ انه حميد ^ فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان ^ فلما ذهب عن إبراهيم الروح ^ أي ما اوجس م الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم ^ وجاءته البشري ^ بدل الورع ^ يجادلنا في قوم لوط ^ يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ^ إن فيها لوطا ^ وهو أما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية

الحال أو لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو أو دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا أو شرع في جدالنا أو متعلق به أقيم مقامه مثل اخذ أو اقبل يجادلنا ^ إن إبراهيم لحليم ^ غير عجول على الانتقام من المسيء إليه أو اه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع إلى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه ^ يا إبراهيم ^ على إرادة القول أي قالت الملائكة ^ يا إبراهيم ^ ^ أعرض عن هذا ^ الجدل ^ إنه قد جاء أمر ربك ^ قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم إنهم أتتهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ^ ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ^ ساءه مجيئهم لانهم جاؤوه في صورة غلمان فظن انهم أناس فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم ^ وضاق بهم ذرعا ^ وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيايل فيه ^ وقال هذا يوم عصيب ^ شديد من عصبه إذا شده ^ وجاءه قومه يهرعون إليه ^ يسرعون إليه

كأنهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ^ ومن قبل ^ أي ومن قبل ذلك الوقت ^ كانوا يعملون السيئات ^ الفوماحش فتمرونا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤوا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فإنه شرع طارئ أو مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى إن ذلك أهون منه أو اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فإن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود ^ وازواجه امهاتهم ^ وهو اب لهم ^ هن اطهر لكم ^ انظف فعلا وأقل فحشا كقولك الميئة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ أطهر بالنصب على الحال على أن هن خبر بناتي كقولك هذا أخي هو الأفضل فإنه لا يقع بين الحال وصاحبها ^ فاتقوا الله ^ بترك الفواحش أو بايثارهن عليهم ^ ولا تخزون ^ ولا تفضحوني من الخزي أو ولا تخجلوني من الخزية بمعنى الحياء ^ في ضيفي ^ في شأنهم فإن إجزاء ضيف الرجل اخزاؤه ^ اليس منكم رجل رشيد ^ يهتدي إلى الحق ويرعوي عن القبيح ^ قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ^ من حاجة ^ وإنك لتعلم ما نريد ^ وهو اتيان الذكران ^ قال لو أن لي بكم قوة ^ لو قويت بنفسي على دفعكم ^ أو أوي إلى ركن شديد ^ إلى قوي أبلغ به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي لوطا كان يأوي إلي ركن شديد وقرئ ^ أو أوي ^ بالنصب بإضمار أن كأنه قال لو أن لي بكم قوة أو أويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتمكم روي أنه أغلق بابه دون اضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب

قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ^ لن يصلوا إلى اضرارك بإضرارنا فهون عليك ودعنا وإياهم فخلاهم أن يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس أعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فإن في بيت لوط سحرة ^ فأسر بأهلك ^ بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن من السري ^ بقطع من الليل ^ بطائفة منه ^ ولا يلتفت منكم أحد ^ ولا يتخلف أو لا ينظر إلى وراسه وإلنهي في اللفظ أحد وفي المعنى للوط ^ إلا امرأتك ^ ايتشاء من قوله ^ فأسر بأهلك ^ ويدل عليه انه قرئ فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك وهذا إنما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فإنه إن فسر بالنظر إلى الوراء في الذهاب ناقض لك قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالرفع علي البدل من أحد ولا يجوز حمل القراءتين على الروائين في انه خلفها مع قومها أو اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها لأن القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله ^ ولا يلتفت ^ مثله في قوله ^ ما فعلوه إلا قليل ^ ولا يبعد أن يكون أكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات بل عدم نهيا عنه استصلاحا ولذلك علل طريقة الاستئناف بقوله ^ إنه مصيبتها ما أصابهم ^ ولا يحسن جعل الاستثناء منطوقا على قراءة الرفع ^ إن موعدهم الصبح ^ كأنه علة الأمر بالاسراء ^ أليس الصبح بقريب ^ جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب ^ فلما جاء امرنا ^ عذابنا أو أمرنا به ويؤيده الأصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله ^ جعلنا عاليها سافلها ^ فإنه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها سافلها أي الملائكة

المأمورون به فأسند إلى نفسه من حيث إنه المسبب تعظيما للامر فإنه روي أن جبريل عليهما السلام أدخل جناحه تحت مدائهم ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم ^ وأمطرنا عليها ^ على المدن أو على شذاذها ^ حجارة من سجيل ^ من طين متحجر لقوله ^ حجارة من طين ^ واصله سنك كل فعرب وقيل إنه من أسجله إذا أسله أو أدر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل أو من مثل العطية في الادرار أو من السجل أي مما كتب الله أن يعذبهم به وقيل اصله من سجين أي من جهنم فأبدلت نونه لاما منضود نضد معدا لعذابهم أو نضد في الارسال بتتابع بعضهم بعضا كقطار الامطار أو نضد بعضه على بعض والصق به مسمومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة أو بسيما تتميز به عن حجارة الأرض أو باسم من يرمى بها عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فإنهم بظلمهم حقيق بأن تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من

ظالمي مكة يمرون بها في أسفارهم إلى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر أو المكان والى مدين اخاهم شعيبا أراد أولاد مدين بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أو أهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان أمرهم بالتوحيد اولا فإنه ملاك الأمر ثم نهاهم عنما اعتادوه من البخس في المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض إنني اراكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس أو بنعمة حقها أن تتفضلوا على الناس شركا عليها لا أن تنقصوا حقوقهم أو بسعة فلا تزيلوها مما انتم عليه وهو في الجملة علة للنهي وإنني أخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه أحد منكم ومقيل عذاب مهلك من قوله وأحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح بالامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمدهم التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى بدوها بالقسط بالعدل والسوية من غير زيادة ولا نقصان فإن الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فإنه اعم من أن يكون في المقدار أو في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الأرض مفسدين فإن العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كأخذ العشور في المعاملات والعثو السرعة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال إخراج ما يقصط به الاصلاح كما فعله الخضر عليه الصلاة والسلام قيل معناه ولا تعثوا في الأرض مفسدين في أمر دينكم ومصالح آخرتكم بقيت الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف إن كنتم مؤمنين بشرط أن تؤمنوا فإن خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالإيمان أو إن كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة

كقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما أنا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح أو احفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم عليها وانما أنا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت أو لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا من الاصنام أجابوا به أمرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار بأن

مثله لا يدعو إليه داع عقلي وانما دعاك إليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب كثير الصلاة فلذلك جمعوا وخصوا الصلاة بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الأفراد والمعنى اصلواتك تأمرك بتكليف أن نترك فحذف المضاف لأن الرجل لا يؤمر بفعل غيره أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء عطف على ما أي وان نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا وقرئ بالتاء فيهما على أن العطف على أن نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والأمر بالإيفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فأرادوا به ذلك إنك أنت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بصد ذلك أو عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بأنه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة إلى امثال ذلك قال ارايتم إن كنت على بينة من ربي إشارة إلى ما أتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا إشارة إلى ما أتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف

تقديره فهل يسع مع هذا الأنعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه وأخالفه في أمره ونهيه وهو اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء والضمير في منه لله أي من عنده وبإعانتة بلا كد مني في تحصيله وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه أي وما أريد أن آتي ما أنهاكم عنه لأسبب به دونكم فلو كان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا عن أن انهي عنه يقال خالفت زيدا إلى كذا إذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه إذا كان الأمر بالعكس أن أريد إلا الاصلاح ما استطعت ما أريد إلا أن اصلحكم بأمرى بالمعروف ونهيه عن المنكر ما دمت تستطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على أن العاقل يجب أن يراعي في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلاثة أهمها واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل

ذلك يقتضي أن أمركم بما أمرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه و ما مصدرية واقعة موقع الظروف وقيل خبرية بدل من الاصلاح أي المقدار الذي استطعته أو اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقى إلا بالله وما توفيقى لاصابة الحق والصواب إلا بهدائه ومعونته عليه توكلت فإنه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه إشارة إلى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ واليه انيب إشارة إلى معرفة المعاد وهو أيضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتيه ويذره من الله تعالى والاستعانة به في مجامع أمره والإقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واطهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع إلى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود ^ من الريح ^ أو قوم صالح من الرجفة و أن بصلتها ثاني مفعولي جزم فإنه يعدى إلى واحد والاول افصح فإن اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته إلى المبني كقوله

^ لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة ف يغصون ذات ارقال ^ وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا أو مكانا فإن لم تعتبروا بمن قبلهم فاعبروا بهم أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكمهم أو وما هم بشيء بعيد ولا يبعد أن يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لأنها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستفروا ربكم ثم توبوا إليه عما انتم عليه إن ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان

ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الإصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقولهم وعدم تفكيرهم وقيل قالا ذلك استهانة بكلامه أو لأنهم لم يلقوا إليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وإنما لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا إن أردنا بك سوءا أو مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبتة يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استثناء الأعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فإن الرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى التسعة لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار أو بأصعب وجه وما أنت علينا بعزير فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا يدن السفية المحجوج يقابل الحجج والايات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على أن الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الهل واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر بإشراككم به والاهانة بروسله فلا تبقون علي لله وتبقون علي لرهطي وهو يحتمل الإنكار والتوبيخ والرد والتكذيب و ظهريا منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب إن ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم أي عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الأنعام والفاء في ف سوف تعلمون ثمة للتصريح بأن الإصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها ها هنا لأنه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو

ابلق في التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا لأنه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لأنهم لما أوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الأول إليهم والثاني إليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما أقول لكم إنني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الرقيب كالصريم أو المراقب كالعشير أو المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا إنما ذكره بالواو كما في قصة عاد إذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فإنه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله إن موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية وأخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل عليهم السلام فهلكوا فأصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضا بالصيحة غير أن صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الأصل فإن الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد أرسلنا موسى بآياتنا بالتوراة أو المعجزات وسلطان مبين وهو المعجزات القاهرة أو العصا وإفرادها بالذكر لأنها أبهرها ويجوز أن يراد بهما أحد أي ولقد أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه أو موضحا إياها فإن ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما أن الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص بالقاطع والمبين يخص بما فيه جلاء إلى فرعون ومثله فاتبعوا أمر فرعون فاتبعوا أمره بالكفر بموسى أو فما تبعوا موسى الهادي إلى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فعروا المنهمك في الضلال والطغيان الداعي إلى ما لا يخفي فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط

جهالتهم وعدم استبصارهم وما أمر فرعون برشيد مرشد أو ذي رشد وإنما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيامة إلى النار كما كان يقدمهم في الدنيا إلى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فأوردتهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى آتيانا موردا ثم قال وبئس المورد المورد أي بئس المورد الذي وردوه فإنه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالصد والاية كالدليل على قوله وما أمر فرعون برشيد فإن من كان هذه عاقبته لم يكن في أمره رشد أو تفسير له على أن المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة أي يلعنون في الدنيا والاخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان أو العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف إلى غير ليعمده والمخصوص بالذم حذف أي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك أي ذلك النبا من أنباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافي الأثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح إذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم بإهلاكنا إياهم ولكن ظلموا أنفسهم بأن عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما أغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت أن تدفع عنهم بل ضررتهم آهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته ما زادوهم غير تتيب هلاك أو تخسير وكذلك ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك وقرئ أخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر إذا أخذ القرى أي أهلها وقرئ إذ لان المعنى على الماضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لأهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بأنهم اخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه أو غيره من وخامة العاقبة إن أخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص منه وهو مبالغة في التهديد والتحذير

^ ^ إن في ذلك أي فيما نزل بالأمم الهالكة أو فيما قصه الله تعالى من قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به عظمته لعلمه بأن ما حاق بهم أنموذج مما أعد الله للمجرمين في الآخرة أو ينزجر به عن موجباته لعلمه بأنها من إله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فإن من أنكر الآخرة وأحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لأسباب فلكية اتفقت في تلك الأيام لا لذنوب المهلكين بها وذلك إشارة إلى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له الناس أي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه من شأنه لا محالة وأن الناس لا ينفكون عنه فهو أبلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود أي مشهود فيه أهل السموات والأرضين فاتسع فيه بإجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود أي كثير شاهده ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فإن سائر الأيام كذلك وما نؤخره أي اليوم إلا لأجل معدود إلا لانتهاه مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وإرادة مدة التأجيل كلها بالأجل لا منتهاها فإنه غير معدود يوم يأتي أي الجزاء أو اليوم كقوله أو تأتيهم الساعة ^ على أن ^ يوم بمعنى حين أو الله عز وجل كقوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل منحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجترأ عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه بإضمار اذكر أو بالانتهاه المحذوف إلا بإذنه إلا بإذن الله كقوله لا يتكلمون إلا من

أذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر أو المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الأعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لأهل الموقف وإن لم يذكر لأنه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس أو للناس فأما المذنب شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير إخراج لانفس والشهيق رده واستعمالها في أول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم بأصوات لاحمير وقرئ وشقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامها فإن النصوص دالة على تأييد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأييد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان لارتباط لم يلزم أيضا من زوال السموات والأرض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما إلا من قبيل المفهوم لأن دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت أن المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وأرضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وإن أهل

الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لأنه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فإنما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه إلا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لأن بعضهم وهم فساق الموحدون يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لأن زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فإنهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم فإن التأييد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وإن شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بإيمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لأن من شرطه أن تكون صفة كل قسم منتفية عن قسمه لأن ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي أو مانع من الجمع وها هنا المراد أن أهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وأن حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الأمرين في شخص باعتبارين أو لأن أهل النار ينقلون منها إلى الزمهرير وغيره من العذاب أحيانا وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه أو من أصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لأن ظاهره يقتضي أن يكونوا في النار حين يأتي اليوم أو مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ إن كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل أن يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل إلا ها هنا بمعنى سوى كقولك على ألف إلا الألفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء لاسموات والأرض إن ربك فعال لما يريد من غير اعتراض وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بأن الثواب لا ينقطع وتنبه على أن المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولأجله فرق بين الثواب والعقاب بالتأييد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى أسعده و عطاء نصب على مصدر المؤكد أي أعطوا عطاء أو الحال من الجنة فلا تك في مرية شك بعد ما أنزل عليك من مال أمر الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في أنها ضلال مؤد إلى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم أو من حال ما يعبدونه في أنه ما يضر ولا ينفع ^ ما يعبدون إلا كما

وأوجه لهم ويجوز أن يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد فإنه لما بين أن الله معذبهم وأن غيره لا يقدر على نصرهم أنتج ذلك أنهم لا ينصرون أصلا ^ وأقم الصلاة طرفي النهار ^ غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لأنه مضاف إليه ^ وزلفا من الليل ^ وساعات منه قريبة من النهار فإنه من أزلفه إذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لأنها أقرب الصلاة من أول النهار وصلاة العشي صلاة العصر وقيل الظهر والعصر لأن ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسره و زلفى بمعنى زلفة كقرى وقربة وإن الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث إن الصلاة إلى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتبت الكبائر وفي سبب النزول أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني قد أصبت من امرأة غير أني لم أتها فنزلت ذلك إشارة إلى قوله فاستقم وما بعده وقيل إلى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعبين

^ ^ واصبر على الطاعات وعن المعاصي فإن الله لا يضع أجر المحسنين عدول عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على أن الصلاة والصبر إحسان وإيماء بأنه لا يعتد بهما دون الإخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم أولو بقية من الرأي والعقل أو أولو فضل وإنما سمي بقية لأن الرجل يستبقي أفضل ما يخرج منه ومنه يقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ويجوز أن يكون مصدرا كالنقبة أي ذوو إبقاء على أنفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده أنه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاء ببقية إذا راقبه ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم لكن قليلا منهم أنجيناهم لأنهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله إلا إذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتباع الذين ظلموا ما أترفوا فيه ما أنعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل أسبابها وأعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كأنه أراد أن يبين ما كان السبب لاستئصال الأمم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتباع معطوف مضمحل عليه الكلام إذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتباع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتباع أو اعترض وقرئ و واتباع أي واتباعوا جزاء ما أترفوا فتكون الواو للحال ويجوز أن تفسر به المشهورة ويعضده تقدم الإنجاء

^ ^ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك وأهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمنون إلى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزامم حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظالم ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على أن الأمر غير الإرادة وأنه تعالى لم يرد الإيمان من كل أحد وأن ما أراده يجب وقوعه ولا ير يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا ^ إلا من رحم ربك ^ إلا ناسا هداهم الله فضله فاتفقوا على ما هو أصول دين الحق والعمدة فيه ^ ولذلك خلقهم ^ إن كان الضمير ل الناس فلإشارة إلى الإختلاف واللام للعاقبة أو إليه وإلى الحرمة وإن كان لمن فإلى الرحمة ^ وتمت كلمة ربك ^ وعيد أو قوله للملائكة ^ لأملأن جهنم من الجنة والناس ^ أي من عصاتها أجمعين أو منهما أجمعين لا من أحدهما كلا ولك وكل نيا ^ نقص عليك من أنباء الرسل ^ نخبرك به ^ ما ثبت به فؤادك ^

بيان لكلا أو بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الأقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداء الرسالة واحتمال أذى الكفار أو مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من أنواع الإقتصاص نقص عليك ما ثبت به

فؤادك من أنباء الرسل ^ وجاءك في هذه ^ الشورة أو الأنباء المقتصة عليك الحق ما هو حق ^ وموعظة وذكرى للمؤمنين ^ إشارة إلى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعلّموا علمكماتكم على حالكم ^ إنا عاملون ^ على حالنا وانتظروا بنا الدوائر إنا منتظرون أن ينزل بكم نحو ما نزل على أمثالكم ولله غيب السموات والأرض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيها وإليه يرجع المر كله فيرجع لا محالة أمرهم وأمرك إليه وقرأ نافع وحفص و يرجع على البناء للمفعول فاعبده وتوكل عليه فإنه كافيك وفي تقديم الأمر بالعباد على التوكل تنبيه على أنه إنما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعلمون أنت وهم فيجازي كلا ما يستحقه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء هنا وفي آخر النمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء إن شاء الله تعالى

سورة يوسف مكية وآيها مائة وإحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم آلر تلك آيات الكتاب المبين ^ ^ تلك إشارة إلى آيات السورة وهي المراد ب الكتاب أي تلك الآيات آيات السورة الظاهرة أمرها في الأعجاز أو الواضحة معانيها أو المبينة لمن تدبرها أنها من عند الله أو لليهود ما سألوا إذ روي أن علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم أنتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت إنا أنزلناه أي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لأنه في الأصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما لكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه إما توطئه للحال التي هي عربيا أو حال لأنه مصدر بمعنى مفعول و عربيا صفة له أو حال ممن الضمير فيه أو حال بعد جال وفي كل ذلك خلاف لعلمكم تعقلون علة لإنزاله بهذه الصفة أي أنزلناه مجموعا أو مقرءا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه أو تستعلموا فيه عقولكم فتعلموا أن اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور إلي بالإيحاء

^ ^ محن نقص عليك أحسن القصص أحسن الإقتصاص لأن اقتص على أبداع الأساليب أو أحسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبير فعل بمعنى مفعول كالتقص والسلب واشتقاقه من قص أثره إذا تبعه بما أوحينا إليك أي بإيحائنا المصدر وإن كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرر سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وإن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة إذ قال يوسف بدل من أحسن القصص إن جعل مفعولا بدل الأشتمال أو منصوب بإضمار اذكر و يوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئء بفتح السين وكسرهما على التلعب به لا على أنه مضارع بني للمفعول أو الفاعل من أسف لأن المشهورة شهدت بعجمته لأبيه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وعنه عليه الصلاة السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم يا أبت أصله يا أبي فعوض عن الياء التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك

قلبها هاء في الوقف ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وكسرهما لأنها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لأنها حركة أصلها أو لأنه كان يا أبتا فحذف الألف وبقي الفتحة وإنما جاز يا أبتا ولم يجز ا أبتى لأنه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم إجراء لها مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وإنما لم تسكن كأصلها لأنها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب إني رأيت

من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك ولقوله هذا تأويل رؤياي من قبل ^
^ أحد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر رضي الله تعالى عنه أن يهوديا
جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرني يا محمد عن النجوم التي
رأهن يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال إذا أخبرتك هل
تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفيلق والمصيح
والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء
وسجدن له فقال اليهودي إي والله إنها لأسماؤها رأيتهم لي ساجدين استئناف لبيان
حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وإنما أجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم
^ ^ قال يا نبي تصغير ابن صغره للشفقة أو الصغر السن لأنه كان ابن اثنتي
عشرة سنة وقرأ حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء لا تقصص رؤياك على إختوك
فيكيدوا لك كيذا فيحتالوا لإهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه أن الله
يصطفيه لرسالته وفوقه على إخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير
أنها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحر في التأنيث كالقربة والقربة وهي
انطباع الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة إلى الحس المشترك والصدقة منها إنما
تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن
أدنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم إن المتخيلة
تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها إلى الحس المشترك فصير مشاهدة ثم إن كانت
شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت إلا بالكلية والجزئية استغنت
الرؤيا عن التعبير وإلا احتاجت إليه وإنما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه
معنى فعل يعدي به أكيدا ولذلك أكد بالمصدر وعله بقوله إن الشيطان للإنسان عدو
مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يألو جهدا في تسويلهم
وإثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك أي وكما احتباك لمثل لهذه الرؤيا
الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك أو لأمر عظام
والاجتباء من جيب الشئ إذا حصلته لنفسك وبعلمك كلام مبتدأ خارج عن التشبيه
كأنه قيل وهو يعلمك من تأويل الأحاديث من تعبير الرؤيا لأنها أحاديث الملك إن
كانت صادقة وأحاديث النفس أو الشيطان إن كانت كاذبة أو من تأويل غوامض كتب
الله تعالى وسنن الأنبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كأباطيل اسم جمع
للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة أو بأن يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة وعلى آل
يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب أو نسله كما أنها
على أبويك بالرسالة وقيل على إبراهيم

بالخلة والإنجاء من النار وعلى إسحاق بإنقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل
أي من قبلك أو من قبل هذا الوقت إبراهيم وإسحاق عطف بيان لأبويك إن ربك
عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الأشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف
وإخوته أي في قصتهم آيات دلائل قدرة الله تعالى وحكمته أو علامات نبوتك وقرأ
ابن كثير آية ^ ^ للسائلين لمن سأل عن قصتهم والمراد بإخوته بنو علاته العشرة
وهم يهوذا وروبيلا وشمعون ولاوي وزبالون ويشخر ودينه من بنت خالته ليا تزوجها
يعقوب أولا فلما توفيت تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع
بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ وأربعة آخرون دان ونفتالي وجاد وأشر من
سريتين زلفة وبلهة إذ قالوا ليوسف وأخوه بنيامين وتخصيصه بالإضافة لاختصاصه
بالأخوة من الطرفين أحب إلى ابنا منا وحده لأن أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد
وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف أخويه فإن الفرق واجب في المحلي جائز في

المضاف ونحن عصبة والحال أنا جماعة أقوياء أحق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصاة العشرة فصاعدا سموا بذلك لأن الأمور تعصب بهم إن أبانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول أو لترك التعديل في المحبة روي أنه كان أحب إليه لما يرى فيه من المخايل وكان إخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله إذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الأمر إلا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل إنما قاله شمعون أو دان ورضي به الآخرون

^ ^ أو اطرحوه أرضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وإبهامها ولذلك نصبت كالظروف المهمة يخل لكم وجه أيكم جواب الأمر والمعنى يصف لكم وجه أيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم إلى غيركم ولا ينازعكم في محبته أحد وتكونوا جزم بالعطف على يخل أو نصب بإضمار أن من بعده من بعد يوسف أو الفراغ من أمره أو قتله أو طرحه قوما صالحين تائبين إلى الله تعالى عما جنيتم أو صالحين مع أيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه أو صالحين في أمر دنياكم فإنه ينتظم لكم بعده بخلو وجه أيكم قال قائل منهم يعني يهودا وكان أحسنهم فيه رأيا وقيل رويلا لا تقتلوا يوسف فإن القتل عظيم والقوه في غيابة الجب في قعره سمي به لغيوبته عن أعين الناظرين وقرأ نافع في غيابات في الموضعين على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة و غيابات بالتشديد يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الأرض إن كنتم فاعلين بمشورتي أو إن كنتم على أن تفعلوا ما يفرق بينه وبين أبيه قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وإنما له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير أرادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع بترك الإشمام ومن الشواذ ترك الإدغام لأنهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء أرسله معنا غدا إلى الصحراء يرتع نتسع في أكل الفواكه ونحوهما من الرتعة وهي الخصب ويلعب بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على أنه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على إسناد الفعل إلى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته و يرتع بكسر العين و يلعب بالرفع على الابتداء وإنما لحافظون من أن يناله مكروه

^ ^ قال إنني ليحزنني أن تذهبوا به لشدة مفارقتي علي وقلة صبري عنه وأخاف أن يأكله الذئب لأن الأرض كانت مذابة وقيل رأي في المنام أن الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره عليه وقد همزها على الأصل ابن كثير ونافع في رواية قالون وفي رواية اليزيدي وأبو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذاعبت الريح إذا هبت من كل جهة وأنتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب أو لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة اللام موطنه للقسم وجوابه إنا إذا لخاسرون ضعفاء مغبونون أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن عصبة للحال فلما ذهبوا به واجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على إلقائه فيها والبئر بئر المقدس أو بئر بأرض الأردن أو بين مصر و مدين أو على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الأذى فقد روي أنهم لما بروزا به إلى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهودا أما عاهدتموني أن لا تقتلوه فأتوا به إلى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به إلى أبيهم فقال يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتواري به فقالوا ادع الأحد عشر كوكبا

والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها ألقوه وكان فيها ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال وأوحينا إليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا أوحى إليه في صغره كما أوحى إلي يحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وفي

القصص أن إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحاق وإسحاق إلى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فأخرجه جبريل عليه السلام وألبسه إياه ولتنبئهم بأمره هذا لتحدثهم بما فعلوا بك ^ وهم لا يشعرون ^ إنك يوسف لعلو شأنك وبعده عن أوهامهم وطول العهد المغير لحلى والهيئات وذلك إشارة إلى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين ^ فعرفهم وهم له منكرون ^ بشره بما يؤول إليه أمره إيناسا له وتطيبا لقلبه وقيل ^ وهم لا يشعرون ^ متصل ب أوحينا أي أنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك ^ وجاءوا أباهم عشاء ^ أي آخر النهار وقرىء عشيا وهو تصغير عشى وعشى بالضم والقصر جمع أي عشوا من البكاء يكون متباكين روي أنه لما سمع بكاءهم فزع وقال مالكم يا بني وابن يوسف قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتتسابق في العدو أو في الرمي وقد يشترك الإفتعال والتفاعل كالإنتضال والتناضل ^ وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ^ بمصدق لنا ^ ولو كنا صادقين ^ لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف ^ وجاءوا على قميصه بدم كذب ^ أي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرىء بالنصب على الحال من الواو أي جاؤوا كاذبين و كذب بالدال غير المعجمة أي كدر أو طري وقيل أصله البياض الخارج على أظفار الأحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف أي فوق قميصه أو على الحال من الدم إن جوز تقديمها على المجرور روي أنه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كالיום ذئبا أحلم من هذا أكل أبنى ولم يمزق عليه قميصه ولذلك ^ قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا ^ أي سهلت لكم أنفسكم وهونت في أعينكم أمرا

عظيما من السؤل وهو الاسترخاء ^ فصبر جميل ^ أي فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل أجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه إلى الخلق ^ والله المستعان على ما تصفون ^ على احتمال ما تصفونه من إهلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم إن صح ^ وجاءت سيارة ^ رفقة يسرون من مدين إلى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاث من إلقائه فيه ^ فأرسلوا واردهم ^ الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن زعر الخزاعي ^ فأدلى دلوه ^ فأرسلها في الجب ليملاها فتدلى بها يوسف فلما رآه ^ قال يا بشرى هذا غلام ^ نادى البشرى بشارة لنفسه أو لقومه كأنه قال تعال فهذا أوانك وقيل هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على إخراجهم وقرأ غير الكوفيين يا بشرى بالإضافة وأمال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ ^ يا بشرى ^ بالإدغام وهو له بشرى بالسكون على قصد الوقف وأسروه أي الوارد وأصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا أمره وقال لهم دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لإخوة يوسف وذلك أن يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فأتاه يومئذ فلم يجده فيها فأخبر أخوته فأتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتوه فسكت يوسف مخافة أن يقتلوه بضاعة نصب على الحال أي أخفوه متاعا للتجارة واشتقاه من

البيع فإنه ما بضع من المال للتجارة ^ والله عليم بما يعملون ^ لم يخف عليه أسرارهم أو صنع إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان أو اشتروه من اخوته ^ بثمن بخس ^ مخوس لزيفه أو نقصانه دارهم بدل من الثمن معدودة قليلة فإنهم يزنون ما بلغ الأوقية ويعدمون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل كان اثنين وعشرين درهما

^ وكانوا فيه ^ في يوسف ^ من الزاهدين ^ الراغبين عنه والضمير في وكانوا إن كان للإخوة فظاهر وإن كان للرفقة بائعين فزهدهم فيه لأنهم التقطوه والمليق للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وإن كانوا مبتاعين فلأنهم اعتقدوا أنه أبق وفيه متعلق بالزاهدين إن جعل اللام للتعريف وإن جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف بينه الزاهدين لأن متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول ^ وقال الذي اشتراه من مصر ^ وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير أو إطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد أمن بيوسف عليه السلام ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش أربعمئة سنة بدليل قوله تعالى ^ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ^ والمشهور أنه من أولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الأولاد بأحوال الآباء روي أنه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزلة ثلاث عشرة سنة واستورزه الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شراؤه به غير الأول فقيل عشرون ديناراً وزوجاً نعل وثوبان أبيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهباً لامرأته راعيل أو زليخا أكرمني مثواه اجعلي مقامه عندنا كريماً أي حسناً والمعنى أحسنني تعهده ^ عسى أن ينفعنا ^ في ضياعنا وأموالنا نستظهر به في مصالحنا ^ أو نتخذه ولداً ^ تنبأه وكان عقيماً لما تفرس فيه من الرشيد ولذلك قيل أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنه شعيب التي قالت ^ يا أبت أستأجره ^ وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله تعالى عنهما ^ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ^ وكما مكنا محبته في قلب العزيز أو كما مكناه في منزله أو كما أنجينا وعطفنا عليه العزيز مكنا له ففيها ^ ولنعلمه من تأويل الأحاديث ^ عطف على مضمرة تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه أي كان القصد في إنجائه وتمكينه إلى أن يقيم العدل ويدبر أمور الناس ويعلم معاني كتب الله تعالى وأحكامه فينفذها أو تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشغل بتدبيرها قبل أن تحل كما فعل لسنه ^ والله غالب على أمره ^ لا يرد شيء ولا ينازعه فيما يشاء أو على أمر يوسف إن أراد به إخوته شيئاً وأراد الله غيره فلم يمكن إلا ما أَرَادَهُ ^ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ^ أن الأمر كله بيده أو لطائف صنعه وخفايا لطفه

^ ولما بلغ أشده ^ منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والأربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم ^ أتيناها حكماً ^ حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكماً بين الناس وعلماً يعني علم تأويل الأحاديث وكذلك تجري المحسنين تنبيه على أنه تعالى آتاه ذلك جزاء على إحسانه في عمله واتقانه في عنفوان أمره ^ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ^ طلبت منه وتمحلت أن يواقعها من راد يروود إذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد ^ وغلقت الأبواب ^ قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير أو للمباغة في الإيثاق ^ وقالت هيت لك ^ أي أقبل وبادر أو تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كآين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بالضم وفتح الهاء تشبيهاً له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وقرأ هشام كذلك إلا أنه يهمز وقد روي عنه

ضم التاء وهو لغة فيه وقرئ هيت كجبر و هئت كجئت من هاء يهيه إذا تهيأ وقرئ هيتت وعلى هذا فاللام من صلته ^ قال معاذ الله ^ أعود بالله معاذاً إنه إن الشأن ^ ربي أحسن مثوأي ^ سيدي قطفير أحسن تعهدي إذ قال لك في ^ أكرمي مثواه ^ فما جزاؤه أن أخونه في أهله وقيل الضمير لله تعالى

أي إنه خالقي أحسن منزلتي بأن عطف على قلبه فلا أعصيه ^ إنه لا يفلح الظالمون ^ المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فإن الزنا ظلم على الزاني المزني بأهله ^ ولقد همت به وهم بها ^ وقصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم لعيه ومنه الهمام وهو الذي إذا هم بالشيء أمضاه والمراد بهمه عليه الصلاة والسلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الإختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم أو مشاركة الهم كقولك قتلته لو لم أخف الله ^ لولا أن رأى برهان ربه ^ في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلظة وكثرة المغالبة ولا يجوز أن يجعل ^ وهم بها ^ جواب لولا فإنها في حكم أدوات الشرط فلا يتقدم عليها دوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل تمثل له يعقوب عاضاً على أنامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف أنت مكتوب في الأنبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك أي مثل ذلك التثيت ثنتاه أو المر مثل ذلك ^ لنصرف عنه السوء ^ خيانة السيد والفحشاء الزنا ^ إنه من عبادنا المخلصين ^ اللذين أخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن إذا كان في أوله الألف واللام أي الذين أخلصوا دينهم لله

وأسبقا الباب أي تسابقا غلي الباب فحذف الجار أو ضمن الفعل معنى الإبتدار وذلك أن يوسف فر منها ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج ^ وقدت قميصه من دبر ^ اجتذبت من ورائه فانقذ قميصه والقذ الشق طولاً والقط الشق عرضاً وأفيا سيدها وصادفا زوجها ^ لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم ^ إسهاما بأنها فرت منه تبرئة لساحتها عد زوجها وتغييره على يوسف وإغراءه به انتقاماً منه و ما نافية أو استفهامية بمعنى أي شيء جزاءه إلا السجن ^ قال هي راودتني عن نفسي ^ طالبتني بلمؤاتاة وإنما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن أو العذاب الأليم ولو لم تكذب عليه لما قاله ^ وشهد شاهد من أهلها ^ قيل ابن عم لها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم أربعة صغاراً ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريح وعيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وإنما ألقى الله الشهادة على لسان أهلها لتكون ألزم عليها ^ إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ^ لأنه يدل على أنها قدت قميصه من تقدمه بالدفع عن نفسها أو أنه أسرع خلفها فتعثر بذيله فانقذ جيبه وإن كان قميصه قد دبر فكذبت وهو من الصادقين لأنه يدل على أنه تعبت فاجتذبت ثوبه فقذته والشرطية محكية على إرادة القول أو على أن فعل الشهادة من القول وتسميتها لأنها أت مؤادها والجمع بين إن وكان على تأويل أن يعلم أنه كان ونحوه ونظيره قولك إن أحسنت إلى اليوم فقد أحسنت إليك من قبل فإن معناه أن تمنن علي بإحسانك أمنن عليك بإحساني لك السابق وقرئ ^ من قبل ^ و ومن دبر بالضم لأنهما قطعاً عن الإضافة كقبل وبعد وبالفتح كأنهما جعلاً علمين للجهتين فمنعا الصرف ويسكون العين

^ فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه ^ إن قولك ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً
إن السوء أو إن هذا الأمر ^ من كيدكن ^ من حيلتك والخطاب لها ولأمثالها أو
لسائر النساء ^ إن كيدكن عظيم ^ فإن كيد السناء اللف وأعلق بالقلب واشد تأثيراً
في النفس ولأنهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مارقة يوسف حذف منه
حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث ^ أعرض عن هذا ^ أكتمه ولا تذكره ^
واستغفري لذنبك ^ يا راعيل ^ إنك كنت من الخاطئين ^ من القوم المذنبين من
خطى إذا أذنب متعمداً والتذكير للتغليب ^ وقال نسوة ^ هي اسم لجمع امرأة
وتأنيته بهذا الإعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها ^ في المدينة
^ ظرف لقال أي أشعن الحاكية فيمصر أو صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب
والساقى والخباز والسجان وصاحب الدواب ^ امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ^
تطلب موقعة غلامها إياها و العزيز بلسان العرب الملك وأصل فتى فتى لقولهم
فتيان والفتوة شاذة ^ قد شغفها حبا ^ شق شغاف قلبها وهو حجابها حتى وصل إلى
فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرىء شغفها من شغف البعير إذا
هنأه بالقطران فأحرقه ^ إنا لنراها في ضلال مبين ^ في ضلال عن الرشيد وبعد عن
الصواب ^ فلما سمعت بمكرهن ^ باغتيابهن وإنما سماه مكرأ لأنهن أخفينه كما
يخفي الماكر مكره أو قلن ذلك لتريهن يوسف أو لأنها استكتمتهن سرها فأفشينه
عليها ^ أرسلت إليهن ^ تدعوهن قيل دعت أربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات
^ وأعدت لهن متكا ^ ما يتكن عليه من الوسائد ^ وأتت كل واحدة منهن سكيماً ^
حتى يتكنن والسكاكين

بأيدهن فإذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيدهن
فيقطعنها فيبكتن بالحجة أو بهاب يوسف مكرها إذا خرج وحده على أربعين امرأة في
أيديهن الخناجر وقيل متكا طعاماً أو مجلس طعام فإنهم كانوا يتكئون للطعام
والشراب ترفاً ولذلك نهى عنه جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشرينا الحلال ممن قللة
وقيل المتكا طعام يحز حزا كأن القاطع يتكئء عليه بالسكين وقرىءء متكا بحذف
الهمزة متكأء بإشباع الفتحة كمنتزح و متكا وهو الأترج أو ما يقطع من متك الشيء
إذا بتكه و متكا من تكئء يتكأ إذا اتكأ ^ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه ^
عظمنه وهين حسنه الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم ورأيت يوسف ليلة
المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلالؤ وجهه على الجدران وقيل أكبرن
بمعنى حضن من أكبرت المرأة إذا حاضت لأنها تدخل الكبر بالحوض والهاء ضمير
للمصدر أو ليوسف عليه الصلاة والسلام على حذف اللام أي حضن له من شدة
الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في
الخدور العوائق ^ وقطعن أيديهن ^ جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة ^ وقلن
حاش لله ^ تنزيهاً له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله وأصله
حاشا كما قرأ أبو عمرو في الدرج فحذفت ألف الأخيرة تخفيفاً وهو حرف يفيد
معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع الاستثناء موضع التنزيه واللام للبيان كما
في قولك سقيا لك وقرئ حاشا لله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتثوين
على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله
ضمير يوسف أي صار في ناحية لله مما يتوهم فيه ^ ما هذا بشراً ^ لأن الجمال
غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في إعمال ما عمل ليس لمشاركتها
في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى أي بعيد مشرى لئيم ^ إن
هذا إلا ملك كريم ^ فإن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة

من خواص الملائكة أو لأن جماله فوق البشر ولا يفوقه فيه إلا الملك قالت فذلكن لمتنني فيه أي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان به قبل أن تتصورنه حق تصورته ولو تصورته بما عاينت لعذرتني أو فهذا الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار إليه ^ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ^ فامتنع طلبا للعصمة أقرت لهن حين عرفت أنهن يعذرنها كي يعاونها على إلهائه عريكته ^ ولئن لم يفعل ما أمره ^ أي ما أمر به فحذف الجار أو أمري إياه بمعنى موجب أمري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين من الأذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لأن النون كتبت فيه بالألف ك نسفا على حكم الوقف وذلك في الخيفة لشيئها بالتنونين ^ قال رب السجن ^ وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر ^ أحب إلي مما يدعوني إليه ^ أي أثر عندي من مؤاناتها نظرا إلى العاقبة وإن كان هذا مما تشتهي النفس وذلك مما تكرهه وإسناد الدعوة إليهن جميعا لأنهن خوفه من مخالفتها وزين لها مطاوعتها أو دعونه إلى أنفسهن وقيل إنما ابتلي بالسجن لقوله هذا وإنما كان الأولى به أن يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر ^ وإلا تصرف عني ^ وإن لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك إلي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة

^ أصب إليهن ^ أمل إلى جانبهن أو إلى أنفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل إلى الهوى ومنه الصبا لأن النفوس تستطيبها وتميل إليها وقرئ أصب من الصباة وهي الشوق ^ وأكن من الجاهلين ^ من السفهاء بارتكاب ما يدعوني إليه فإن الحكيم لا يفعل القبيح أو من الذين لا يعملون بما يعلمون فإنهم والجهال سواء ^ فاستجاب له ربه ^ فأجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله 0 وإلا تصرف عني ^ فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وأثرها على اللذة المتضمنة للعصيان إنه هو السميع لدعاء الملثئين إليه العليم بأحوالهم وما يصلحهم ثم بدأ لهم من بعد ما رأوا آيات ثم ظهر للعزيز وأهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء أيديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمرة يفسره ليسبحنه حتى حين وذلك لأنها خدعت زوجها وحملته على سجنه سبع سنين وقرئ بالتاء على أن بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم أو العزيز ومن يليه وعنى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان أي أدخل يوسف السجن واتفق أنه أدخل حينئذ أحران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بأنهما يريدان أن يسماه قال أحدهما يعني الشرابي إني أراني أي المنام وهي حكاية حال ماضية أعصر خمرا أي عبا وسماه خمرا باعتبار ما يؤول إليه وقال الآخر أي الخباز إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه تنهش منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تأويل الرؤيا أو من العالمي وإنما قالا ذلك لأنهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم أو من المحسنين إلى أهل السجن فأحسن إلينا بتأويل ما رأينا إن كنت تعرفه قال لا يأتكما طعام ترزقانه بتأويله أي بتأويل ما قصصتما علي أو

بتأويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فإنه يشبه تفسير المشكل كأنه أراد أن يدعوهما إلى التوحيد ويرشدهما إلى الطريق القويم قبل أن يسعف إلى ما سألاه منه كما هو طريقة الأنبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والإرشاد فقدم ما يكون معجزة له من الأخيار بالغيب ليدلها على صدقه في الدعوة والتعبير قبل أن يأتكما ذلكما أي ذلك التأويل مما علمني ربي بالإلهام وهم بالآخرة هم كافرون

تعليل لما قبله أي علمني ذلك لأنني تركت ملة أولئك ^ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ^ أو كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة وإظهار أنه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع إليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل أن يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة ^ ما كان لنا ^ ما صح لنا معشر الأنبياء ^ أن نشرك بالله من شيء ^ أي شيء كان ذلك أي التوحيد ^ من فضل الله علينا ^ بالوحي ^ وعلى الناس ^ وعلى سائر الناس يبعثنا لإرشادهم وتثبيتهم عليه ^ ولكن أكثر الناس ^ المبعوث إليهم ^ لا يشكرون ^ هذا الفضل فيعرضون عنه ولا ينتبهون أو من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وإنزال الآيات ولكن أكثرهم لا ينظرون إليها ولا يستدلون بها فيلغوها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها ^ يا صاحبي السجن ^ أي يا ساكنيه أو يا صاحبي فيه فأضافهما إليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة أهل الدار أرباب متفرقون شتى متعددة متساوية الأقدام خير أم الله الواحد المتوحد بالألوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر إلا أسماء

سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان أي إلا الأشياء باعتبار أسام أطلقت عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكأنكم لا تعبدون إلا الأسماء المجردة والمعنى أنكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الألوهية عقل ولا نقل آلهة ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها إن الحكم ما الحكم في أمر العبادة إلا لله لأنه المستحق لها بالذات من حيث إنه الواجب لذاته الموجد لكل والمالك لأمره أمر على لسان أنبيائه ألا تعبدوا إلا إياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وأنتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة وإلزام الحجة بين لهم أولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على أن ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الإلهية فإن استحقاق العبادة إما بالذات وإما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن أكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن أما أحدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود إلى ما كان عليه وأما الآخر يريد به الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه فقلا كذبنا فقال قضي الأمر الذي تستفتيان أي قطع الأمر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول إليه أمركما ولذلك وحده فإنهما وإن استفتيا في أمرين لكنهما أرادا استبانة عاقبة ما نزل بهما ^ وقال للذي ظن أنه ناج منهما ^ الظان يوسف إن ذكر ذلك عن اجتهاد وإن ذكره عن وحي فهو الناجي إلا أن يؤول الظن باليقين ^ اذكرني عند ربك ^ اذكر حالي عند الملك كي يخلصني ^ فأنساه الشيطان ذكر ربه ^ فأنسى الشرابي أن يذكره لربه فأضاف إليه

المصدر لملاسته له أو على تقدير ذكر أخبار ربه أو أنسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام رحم الله أخي يوسف لو لم يقل ^ اذكرني عند ربك ^ لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وإن كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الأنبياء وهو القطع المصدر لملاسته له أو على تقدير ذكر أخبار أو أنسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ^ لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وإن كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الأنبياء فلبث

في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث إلى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقدت حبا وأخر يابسات وسبعاً آخر يابسات قد أدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبت عليها وإنما استغنى عن بيان حالها بم قص من حال البقرات وأجرى السمان على المميز دون المميز لأن التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجرداً عن الموصوف فإنه لبيان الجنس وقياسه عجم لأنه جمع عجفاً عجماء لكنه حمل على سمان لأنه نقيضه يا أيها الملاً أفتوني في رؤياي عبروها إن كنتم للرؤيا تعبرون إن كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية إلى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها تعبيراً واللام للبيان أو لتقوية العامل فإن الفعل لما أخر عن مفعول ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل أو لتضمن تعبرون معنى فعل يعدي باللام كأنه قيل إن كنتم تتدبون لعبارة الرؤيا قالوا أضغاث أحلام أي هذه أضغاث أحلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من أخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وإنما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل أو لتضمنه أشياء مختلفة وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين يريدون بالأحلام المنامات الباطلة خاصة أي ليس لا تأويل عندنا وإنما التأويل للمنامات الصادقة فهو كنه مقدمة للعدر في جهلهم بتأويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرايبي واذكر بعد أمة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة أي مدة طويلة وقرىء أمة بكسر الهمزة وهي النعمة أي بعدما أنعم عليه بالنجاة وأمه أي نسيان يقال أمه يأمه أمها إذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون أي إلى من عنده علمه أو إلى السجن

^ ^ يوسف أيها الصديق أي فأرسل إلى يوسف فجاءه فقال يا يوسف وإنما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لأنه جرب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات أي في رؤيا ذلك لعلني أرجع إلى الناس أعود إلى الملك ومن عنده أو إلى أهل البلد إذ قيل إن السجن لم يكن فيه لعلمهم يعلمون تأويلها أو فضلك ومكانك وإنما لم يبت الكلام فيهما لأنه لم يكن جازماً بالرجوع فربما اخترم دونه ولا يعلمهم قال تزرعون سبع سنين دأباً أي على الحال بمعنى دائبين أو المصدر بإضمار فعله أي تدأبون دأباً وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأباً بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون أمر أخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يأكله السوس وهو على الأول نصيحة خارجة عن العبارة إلا قليلاً مما تأكلون في تلك السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن أي يأكل أهلهن ما ادخرتم لأجلهن فأسند إليهن على المجاز تطبيقاً بين المعبر والمعبر به إلا قليلاً مما تحصنون تحرزون ليدور الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس بمطرون من الغيث أو يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون

الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره إذا أنجاه ويحتمل أن يكون المبني للفاعل منه أي يغيبهم الله ويغيث بعضهم بعضاً أو من أعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض أو بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد أن أول البقرات السمان والسنبلات الخضر

بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان يأكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي أو بأن انتهاء الجذب بالخصب أو بأن السنة الألهية على أن يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع إلى ربك فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إنما تآنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحتها ويعلم أنه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد أن يتوسل به إلى تقبيح أمره وفيه دليل على أنه ينبغي أن يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لأسرعت للإجابة وإنما قال فأسأله ما بال النسوة ولم يقل فأسأله أن يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وغنما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للأدب وقرئ النسوة بضم النون إن ربي بكيدهن عليم حين قلن لي أطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى أنه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شأنكن والخطب أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق

عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الآن ححص الحق ثبت واستقر من ححص البعير إذا ألقى مباركة ليناخ قال فححص في صم الصفا ثفانته وناء بسلمى نواة ثم صمما أو ظهر من حص شعره إذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ^ ^ ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد إليه الرسول وأخبره بكلامهن أي ذلك التثبت ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وأنا غائب عنه أو وهو غائب عني أو ظرف أي بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب المغلقة وأن الله لا يهدي كد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده أو لا يهدي الخائنين بكيدهم فأوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لأمانته ولذلك عقبه بقوله وما أبريء نفسي أي لا أنزهها تنبيها على أنه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل إظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس أنه لما قال ^ ^ ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك إن النفس لأمارة بالسوء من حيث إنها بالطبع مائلة إلى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في أثرها كل الأوقات إلا ما رحم ربي إلا وقت رحمة ربي أو إلا ما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف وأضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الإدغام إن ربي غفور رحيم يغفر هم النفس وبرحم من يشاء بالعصمة أو يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه وبرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي أ جعله خالصا لنفسي فلما كلمه أي فلما أتو به فكلمه وشاهد من الرشد والدهاء قال إنك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شيء روي أنه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم أني أسألك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال الملك ما هذا اللسان قال لسان أبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعهما فتعجب منه فقال أحب أن أسمع رؤياي منك فحكها

ونعت له بالبقرات والسنابل وأماكنها على ما رآها فأجلسه على السرير وفوض إليه أمره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها أفرائيم وميشا قال اجعلني على خزائن الأرض ولني أمرها والأرض أرض مصر إني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيه ولعله عليه السلام لما رأى أنه يستعمله في أمره لا محالة أثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية وإظهار أنه مستعد لها والتولي من يد الكافر إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق وسياسة الخلق إلا بالاستظهار به وعن مجاهد أن الملك أسلم على يده

^^ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض في أرض مصر يتبأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع أجر المحسنين بل نوفي أجورهم عاجلا وأجلا ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء إخوة يوسف روي أنه لما استوزره الملك أقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه إليه الناس فباعها أولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الأمر على الملك فقال الرأي رايبك فأعتقهم ورد عليهم أموالهم وكان قد أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد فأرسل يعقوب بنيه غير بنيامين إليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم إياه في سن الحداثة ونسيانهم إياه وتوهمهم أنه هلك وبعد حاله التي راوه عليها من حاله حين فارقه وقله تأملهم في حلاه من التهيّب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم أصلحهم بعدتهم وأوقر ركبهم بما جاؤوا لأجله والجهاز ما يعد من الأمتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة إلى أخرى وما تزف به المرأة إلى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال اثتوني بأخ لكم من أبيكم روي أنهم لما دخلوا عليه قال من أنتم وما أمركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله إنما نحن بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أحدنا إلى البرية فهلك قال فكم أنتم ها هنا قالوا عشرة قال فأين الحادي عشر قالوا عند أينا يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا أحد ها هنا فيشهد لنا قال فدعو بعضكم عندي رهينة واثتوني بأخيكم من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا فأصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوه حملا زائدا لأخ لهم من أبيهم فأعطاهم وشرط عليهم أن يأتوه به ليعلم صدقهم ألا ترون أني أوفي

الكيل أتمه وأنا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان أحسن إنزالهم وضيافتهم فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربوني ولا تدخلوا ديارى وهو إما نهي أو نفي معطوف على الجزاء قالوا سنزود عنه أباه سنجتهد في طلبه من أبيه وإنما لفاعلون ذلك لا تتوانى فيه وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على أنه جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رجالهم فإنه وكل بكل رجل واحدا يعني فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعلا وأدما وإنما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من أن يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها أو لكي يعرفوها إذا انقلبوا انصرفوا ورجعوا إلى أهلهم وفتحوا أوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا

أبانا نمنع منا الكيل حكم بمنعه هذا إن لم نذهب بنيامين فأرسل معنا أخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج إليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء على إسناده إلى الأخ أي يكتل لنفسه فينضم اكتياله إلى اكتيالنا وإنما له لحافظون من أن يناله مكروه قال هل أمنكم إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل وقد قلت في يوسف وإنما له لحافظون ^ فالله خير حافظا ^ فأتوكل عليه وأفوض أمري إليه وانتصاب حفظا على التمييز و حافظا على قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره

فارسا وقرئ خير حافظ و خير الحافظين ^ وهو أرحم الراحمين ^ فارجوا أن يرحمني بحفظه ولا يجمع على مصيبتين ^ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم ^ وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة إلى الراء نقلها في بيع وقيل ^ قالوا يا أبانا ما نبغي ^ ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك أكرمنا وأحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا أو لا نطلب وراء ذلك إحسانا أو لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من إحسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب أي شيء تطلب وراء هذا الإحسان أو من الدليل على صدقنا ^ هذه بضاعتنا ردت إلينا ^ استئناف موضح لقوله ^ ما نبغي ^ ^ ونمير أهلنا ^ معطوف على محذوف أي ردت إلينا فنستظهر بها ونمير أهلنا بالرجوع إلى الملك ^ ونحفظ أخانا ^ عن المخاوف في ذهابنا وإيابنا ^ ونزداد كيل بغير ^ وسق بغير باستصحاب أخينا هذا إذا كانت ما استفهامية فأما إذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل أن تكون الجمل معطوفة على ^ ما نبغي ^ أي لا نبغي فيما نقول ^ ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ^ ذلك كيل يسير ^ أي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فأرادوا أن يضاعفوه بالرجوع إلى الملك ويزدادوا إليه ما يكال لأخيهم ويجوز أن تكون الإشارة إلى كيل بغير أي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاضمه وقيل إنه من كلام يعقوب ومعناه إن حمل بغير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد ^ قال لن أرسله معكم ^ إذ رأيت منكم ما رأيت ^ حتى تؤتون موثقا من الله ^ حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله أي عهدا مؤكدا بذكر الله ^ لتأتني به ^ جواب القسم إذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتني به ^ إلا أن يحاط بكم ^ إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك أو إلا أن تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال والتقدير لتأتني به على كل حال إلا حال الإحاطة بكم أو من أعم العلل على أن قوله لتأتني به في تأويل النفي أي لا تمتنعون

من الإتيان به إلا للإحاطة بكم كقولهم أقسمت بالله إلا فعلت أي ما أطلب إلا فعلك ^ فلما أتوه موثقهم ^ عهدهم ^ قال الله على ما نقول ^ من طلب الموثق وإتيانه وكيل رقيب مطلع ^ وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة ^ لأنهم كانوا ذوي جمال وأبهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانونا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين حينئذ أو كان الداعي إليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في عودته اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ^ وما أغني عنكم من الله من شيء ^ مما قضى عليكم بما أشرت به إليكم فإن الحذر لا يمنع القدر ^ إن الحكم إلا لله ^ يصيبكم لا محالة إن قضى عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك ^ عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ^ جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لإفادة التسبب فإن فعل الأنبياء سبب لأن

يقتدي بهم ^ ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ^ أي من أبواب متفرقة في البلد
^ ما كان يغني عنهم ^ رأي يعقوب واتباعهم له ^ من الله من شيء ^ مما قضاه
عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسرقوا وأخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله
وتضاعف المصيبة على يعقوب ^ إلا حاجة في نفس يعقوب ^ استثناء منقطع أي
ولكن حاجة في نفسه يعني شففته عليهم وحرارته من أن يعانون قضائها أظهرها
ووصي بها ^ وإنه لذو علم لما علمناه ^ بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال ^
وما أغنى عنكم من الله من شيء ^ ولم يغتر بتدبيره ^ ولكن أكثر الناس لا
يعلمون ^ سر القدر وأنه لا يغني عنه الحذر ^ ولما دخلوا على يوسف أوى إليه
أخاه ^ ضم إليه بنيامين على الطعام أو في المنزل روي أنه أضافه فأجلسهم مثنى
فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لجلس معي فأجلسه معه
على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات
عنده وقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من
يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام إليه وعانقه و
قال إني أنا أخوك فلا تبتئس ^ فلا تحزن افتعال من البؤس ^ بما كانوا يعملون ^
في حقا فيما مضى ^ فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية ^ المشربة ^ في رحل
أخيه ^ قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال
بها وكانت من فضة وقيل من ذهب صاعا وقرئ و جعل على حذف جواب فلما
تقديره أمهلهم حتى انطلقوا ^ ثم أذن مؤذن ^ نادى مناد ^ أيتها العير إنكم
لسارقون ^ لعله لم يقله بأمر يوسف عليه الصلاة والسلام أو كان تعبئة السقاية
والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه إنكم لسارقون يوسف من أبيه أو أنكم
لسارقون والعيير القافلة وهو اسم الإبل التي عليها الأحمال لأنها تغير أي تتردد فقليل
لأصحابها كقوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير وأصله فعل
كسقف فعل به ما فعل بيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة ^ قالوا
وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون ^ أي شيء ضاع منكم والفقد غيبة الشيء عن الحس
بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من أفقدته إذا وجدته فقيدا ^ قالوا نفقد صواع
الملك ^ وقرئ صاع و صوع بالفتح والضم والعين والغين و صواع من الصياغة ^
ولمن جاء به حمل بعير ^ من الطعام جعل له ^ وأنا به زعيم ^ كفيل أؤديه إلى
من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمنان الجعل قبل تمام العمل
^ قالوا تالله ^ قسم فيه معنى التعجب التاء بد من الباء مختصة باسم الله تعالى
^ لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين ^ استشهدوا بعلمهم على
براءة أنفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومدخلتهم للملك مما يدل على
فرط أمانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا أو
طعاما لأحد ^ قالوا فما جزاؤه ^ فما جزاء السارق أو السرقة أو ال صواع على
حذف المضاف ^ إن كنتم كاذبين ^ في ادعاء البراءة ^ قالوا جزاؤه من وجد في
رحله فهو جزاؤه ^ أي جزاء سرقة أخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان
شرع يعقوب عليه الصلاة والسلام وقوله ^ فهو جزاؤه ^ تقرير للحكم وإلزام له أو
خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط أو جواب لها علي أنها شرطية والجملة كما
هي خبر جزاؤه على إقامة الظاهر فيها مقام الضمير كأنه قيل جزاؤه من وجد في
رحله فهو هو ^ كذلك نجزي الظالمين ^ بالسرقه ^ فبدأ بأوعيتهم ^ فبدأ المؤذن
وقيل يوسف لأنهم ردوا إلى مصر ^ قبل وعاء أخيه ^ بنيامين نفيا للتهمة ^ ثم
استخرجها ^ أي السقاية أو الصواع لأنه يذكر ويؤنث ^ من وعاء أخيه ^ وقرئ بضم

الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد ^ كدنا ليوسف ^ بأن علمناه إياه وأوحينا به إليه ^ ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ^ ملك مصر لأن دينه الضرب وتعريم ضعف ما أخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد ^ إلا أن يشاء الله ^ أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من أعم الأحوال ويجوز أن يكون منقطعا أي لكن أخذه بمشيئة الله تعالى وإذنه ^ نرفع درجات من نشاء ^ بالعلم كما رفعنا درجته ^ وفوق كل ذي علم عليم ^ أرفع درجة منه واحتج به من زعم أنه تعالى عالم بذاته إذ لو كان ذا علم لكان فوّه من هو أعلم منه والجواب أن المراد كل ذي علم من الخلق لأن الكلام فيهم ولأن العليم هو الله سبحانه وتعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولأنه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص ^ قالوا إن يسرق ^ بنيامين ^ فقد سرق أخ له من قبل ^ يعنون يوسف قيل ورثت عمته من أبيها منطقة إبراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتجنه فلما شب أراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم أظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت أحق به في حكمهم وقيل كان لأبي أنه صنم فسرقه وكسره وألقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق أو دجاجة فأعطاهما السائل وقيل دخل كنيسة وأخذ تمثيلا صغيرا من الذهب ^ فأسرهما يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ^ أكنها ولم يظهرها لهم والضمير للإجابة أو المقالة أو نسبة السرقة وقيل أنها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله ^ قال أنتم شر مكانا ^ فإنه بدل من أسرها والمعنى قال في نفسه أنتم شر مكانا أي منزلة في السرقة لسرقتكم أخاكم أو في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيتها باعتبار الكلمة أو الجملة وفيه نظر إذ المفسر بالجملة لا يكون إلا ضمير الشأن ^ والله أعلم بما تصفون ^ وهو يعلم أن الأمر ليس كما تصفون ^ قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيئا كبيرا ^ أي في السن أو القدرة ذكروا له حاله استعطافا له عليه ^ فخذ أحدا مكانه ^ بدله فإن أباه ثكلان على أخيه الهالك مستأنس به

^ إنا نراك من المحسنين ^ إلينا فأتمم إحسانك أو من المتعودين بالإحسان فلا تغير عاداتك قال معاذ الله أن نأخذ من وجدنا متاعنا عنده فإن أخذ ظلم على فتواكم فلو أخذنا أحدكم مكانه ^ إنا إذا لظالمون ^ في مذهبكم هذا وإن مراده إن اله أذن في أخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلون أخذت غيره كنت طالما ^ فلما استيأسوا منه ^ يتسوا من يوسف وإجابته إياهم زيادة السنين والتناء للمبالغة خلطوا انفرادوا واعتزلوا نجيا متناجين وإنما وحده لأنه مصدر أو بزنته كما قيل هم صديق وجمعه أنجية كندية وأندية ككبيرهم في السن وهو رويل أو في الرأي وهو شمعون وقيل يهودا أم تعلموا أن أياكم قد أخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وإنما جعل لفهم بالله موثقا منه لأنه يأذن منه وتأكيد من جهته ^ ومن قبل ^ ومن قبل هذا ^ ما فرطتم في يوسف ^ قصرتم في شأنه و ما مزيدة ويجوز أن تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بي العاطف والمعطوف بالظرف أو على اسم أن وخبره في يوسف أو من قبل أو الرفع بالإبتداء والخبر من قبل وفيه نظر لأن قبل إذا كان خبرا أو صلة لا يقطع عن الإضافة حتى لا ينقص وأن تكون موصولة أي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الجناية ومحلّه ما تقدم فلن أبرح الأرض فلن أفارق أرض مصر حتى يأذن لي أبي في الرجوع أو يحكم الله لي أو يقضي لي بالخروج منها أو بخلص أخي منهم أو بالمقابلة معهم لتخليصه وروي أنهم كلموا العزيز في إطلاقه فقال رويل أيها الملك والله لنتركنا أو لأصبحن صيحة تزعج منها الحوامل ووقفت شعور

جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف عليه السلام لابنه قم إلى جنبه فسمه وكان بنو يعقوب عليه السلام إذا غضب أحدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا إن في هذا البلد لبرز من برز يعقوب وهو خير الحاكمين لأن حكمه لا يكون إلا بالحق

ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق على ما شاهدناه من ظاهر الأمر وقرىء سرق أي نسب إلى السرقة وما شهدنا عليه إلا بما علمنا بان رأينا أن الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري أنه سرق الصواع في رحله أو وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين أعطيناك الموثق أنه سيسرق أو أنك تصاب به كما أصبت بيوسف وإسأل القرية أتى كنا فيها يعنون مصر أو قرية بقربها لحقهم المنادي فيها و ا لمعنى أرسل إلى أهلها وأسألهم عنا لقصة والغير التي أقبلنا فيها وأصحاب الغير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وإنما لصادقون تأكيد في محل القسم قال بل سولت أي فلما رجعوا إلى أبيهم وقالوا له ما قال لهم أخوهم قال ل سولت أي زينت وسهلت لكم أنفسكم أمرا أردتموه فقد رتموه وإلا فما أدري الملك أن السرق يؤخذ بسرقة فصبر جميل أي فأمرني صبر جميل أو فصبر جميل أجمل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين وأخيها الذي توقف بمصر إنه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرهما وتولى عنهم وأعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا أسفا على يوسف أي يا أسفا تعال فهذا أوانك والأسف اشد الحزن والحسرة والألف بدل من ياء المتكلم وإنما تأسف على يوسف دون أخويه والحادث رزؤهما لأن رزاه كان قاعدة المصيبات وكان غبضا آخذا بمجامع قلبه ولأنه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط أمة من الأمم إنا لله وإنما إليه راجعون عند المصيبة إلا أمة

محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى إلى يعقوب عليه الصلاة والسلام حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وقال يا أسفا ^ ^ وبيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرىء من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل أمثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فإنه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده إبراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وإنما عليك يا إبراهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله تعالى ^ وهو مكظوم ^ من كظم السقاء إذا شده على ملئه أو بمعنى مفعول كقوله ^ والكاظمين الغيظ ^ من كظم الغيظ إذا اجترعه وأصله كظم البعير جرتة إذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف أي لا تفتأ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما قوله فقلت يمين الله أبرح قاعدا لأنه لا يلتبس بالإثبات فإن القسم إذا لم يكن معه علامات الإثبات كان على النفي حتى تكون حرصا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرص الذي أذابه هم أو مرض وهو في الأصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرىء به وبضمين كجنب أو تكون من الهالكين من الميتين قال إنما اشكوي وحزني همي الذي لا أقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر إلى الله لا إلى أحد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي وأعلم من الله من صنعه

ورحمته فإنه لا يخيب داعيه ولا يدع المتجىء إليه أو من الله بنوع من الإلهام ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت حتى يخبر له إخوته سجدا يا بني اذهبوا

فتحسسوا من يوسف وأخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس تطلب الإحساس ولا تياسوا من روح الله ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرىء من روح الله أي من رحمته التي يحيا بها العباد إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون بالله وصفاته فإن العارف المؤمن لا يقنط من رحمته في شيء من الأحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز بعدما رجعوا إلى مصر رجعة ثانية مسنا وأهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة رديئة أو قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من أزجيته إذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر والحببة الخضراء وقيل الأقط وسويق المقل فأوف لنا الكيل فأتتم لنا الكيل وتصدق علينا برد أخينا أو بالمسامحة وقبول المزجاة أو بالزيادة على ما يساوبها واختلف في أن حرمة الصدقة تعم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو تختص بنبينا صلى الله عليه وسلم إن الله يجزي المتصدقين أحسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يتبغي به ثواب من الله تعالى قال لهم علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه أي هل علمتم قبحه فبتتم عنه وفعلهم بأخيه إفراده عن يوسف وإذلاله حتى لا يستطيع أن يكلمهم إلا بعجز وذلة إذ أنتم جاهلون قبحه فلذلك أقدمتم عليه أو عاقبته وإنما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاقبة وتثريا وقيل أعطوه كتاب

يعقوب في تخلص بنيامين وذكروا له ما هو في من الحزن على فقد يوسف وأخيه فقال لهم ذلك وإنما جلمهم لأن فعلهم كان فعل الجاهل أو لأنهم كانوا حينئذ صبيانا شياطين قالوا أئنك لأنت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بأن ودخول اللام عليه وقرأ ابن كثير على الإيجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه ببشاياه وقيل رفع التاج عن رأسه فأروا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال أنا يوسف وهذا أخي من أبي وأمي ذكره تعريفا لنفسه به وتفحيما لشأنه وإدخاله له في قوله قد من الله علينا أي بالسلامة والكرامة إنه من يثق أي يتق الله ويصبر على البليات أو على الطاعات وعن المعاصي فإن الله لا يضع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبية على أن المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد أشرك الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وإن كنا لخاطئين والحال أن شأننا أنا كنا مذبذبين بما فعلنا معك قال لا تشرب عليكم لا تأنيب عليكم تفعيل من الشرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للإزالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بال تشرب أو بالمقدر للجار الواقع خبرا لل لا تشرب والمعنى لا أثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الأيام أو بقبوله يغفر الله لكم لأنه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها وهو أرحم الراحمين فإنه يغفر الصغائر والكبائر ويفضل على التائب ومن كرم يوسف عليه الصلاة والسلام أنهم لما عرفوه أرسلوا إليه وقالوا إنك تدعونا بالبكرة والعشي إلى الطعام ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال درهما ما بلغ ولد شرفت بكم وعظمت فيعيونهم حيث علموا أنكم اخوتي وأني من حفدة إبراهيم عليه الصلاة والسلام اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه

وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه أي يأت بصيرا أي يرجع بصيرا أي ذا بصر واثنوني أنتم وأبي بأهلكم أجمعين بنسائكم وذرايكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها قال أبوهم لمن حضره إني لأجد ريح يوسف أوجده الله ريح ما عبق

بقميصه من ربحه حين أقبل به عليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا أن تفندون تنسبوني إلى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجز مفندة ن نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف بقديره لصدقتموني أو لقلت إنه قريب قالوا أي الحاضرون تالله لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالإفراط في محبة يوسف وإكثار ذكره والتوقع للقاءه فلما أن جاء البشير يهوذا روي أنه قال كما أحزنته بحمل قميصه المملوح بالدم إليه فأفرجه بحمل هذا عليه ألقاه على وجهه طرح البشير القميص على وجهه يعقوب عليه السلام أو يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف عليه الصلاة والسلام وإنزال الفرح وقيل إني أعلم كلام مبتدأ والمقول لا تياسوا من روح الله أو إني لأجد ريح يوسف ^ ^ قالوا يا أينا استغفره لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسأله المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم آخره إلى السحر أو إلى صلاة

الليل أو إلى ليلة الجمعة تحريا لوقت الإجابة أو إلى أن يستحل لهم من يوسف أو يعلم أنه عفا عنهم فإن عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي أنه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أدلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد موثيقهم بعدك على النبوة وهو إن صح فدليل على نبوتهم وأن ما صادر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي أنه وجه إليه رواحل وأموالا ليتجهز إليه بمن معه استقبله يوسف والملك بأهل مصر وكان أولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة سبعين رجلا سوى الذرية والهرمي أوى إليه أبويه ضم إليه أباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الأم تنزيل العم منزلة الأب في قوله تعالى وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أو لأن يعقوب عليه الصلاة والسلام تزوجها بعد أمه والربة تدعى أما وقال ادخلوا مصر إن شَاء الله آمين من القحط وأصناف المكارة والمشيمة متعلقة بالدخول المكيف باليمن والدخول الأول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع أبويه على العرش وخرروا له سجدا تحية وتكرمة له فإن السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لأجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله تعالى والواو لأبويه وإخوته والرفع مؤخر عن الخرور وإن قدم لفظا للإهتمام بتعظيمه لهما وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل التي رأيتها أيام الصبا وقد جعلها ربي حقا صدقا وقد أحسن بي إذا أخرجني من السجن ولم يذكر الحب لئلا يكون تثريا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لأنهم كانوا أصحاب المواشي وأهل البدو من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي أفسد بيننا وحرش من نزع الرأئض الدابة إذا نخسها وحملها على الجري إن ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له إذا ما من صعب إلا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها إنه هو العليم بوجود المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى وجه يقتضي الحكمة روي أن يوسف طاف بأبيه عليهما الصلاة

والسلام في خزائنه فلما أدخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلى على ثمان مراحل قال أمرني جبريل عليه السلام قال أو ما تسأله قال أنت أبسط مني عليه فاسأله فقال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو

ملك وعلمتني من تأويل الأحاديث الكتب أو الرؤيا ومن أيضا للبغيض لأنه لم يؤت كل التأويل فاطر السموات والأرض مبدعهما وانتصابه على أنه صفة المنادى أو منادى برأسه أنت وليي ناصرِي ومتولي أمري ^ في الدنيا والآخرة ^ أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما ^ توفي مسلما ^ اقبضني وألحقني بالصالحين من آبائي أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي أن يعقوب عليه السلام أقام معه أربعاً وعشرين سنة ثم توفي وأوصى أن يدفن بالشام إلى جنب أبيه فذهب به ودفنه ثمة ثم عاد وعاش بعده ثلاثاً وعشرين سنة ثم تافت نفسه إلى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيباً طاراً فتخاصم أهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا أن يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا شرعاً فيه ثم نقله موسى عليها الصلاة والسلام إلى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة أيوب عليها لصلاة والسلام ذلك إشارة إلى ما ذكر من نيا يوسف عليها لصلاة والسلام والخاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ ^ من أنباء الغيب نوحيه إليك ^ خبران له ^ وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ^ كالدليل عليهما والمعنى أن هذا النبأ غيب لم تعرفه غلا بالوحي لأنك لمتحضر إخوة يوسف حين عزموا على ما هم به من أن يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبأبيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك أن ما لقيت أحداً سمع ذلك فتعلمت منه وإنما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه

القصة كقوله ^ تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ^ وما أكثر الناس ولو حرصت على إيمانهم وبالغت في إظهار الآيات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الإنباء أو القرآن من أجر من جعل كما يفعله حملة الأخبار إن هو إلا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين عامة وكأين من آية وكم من آية والمعنى وكأي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والأرض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والأرض بالرفع على أنه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطئون الأرض وقرئ والأرض يمشون عليها أي يترددون فيها فيرون آثار الأمم الهالكة وما يؤمن أكثرهم بالله في إقرارهم بوجوده وخالقيته إلا وهم مشركون بعبادة غيره أو باتخاذ الأبحار أرباباً ونسبة التبني إليه تعالى أو لاقول بالنور والظلمة أو النظر إلى الأسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في أهل الكتاب أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم أو تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون بإتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة إلى التوحيد والإعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل

بقوله أدعو إلى الله وقيل هو حال الإياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء أن تأكيد للمستتر في ادعو ^ أو على بصيرة ^ ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما أنا من المشركين وأنزهه تنزيهاً من الشركاء وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً رد لقولهم لو شاء ربنا لأنزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء يوجي إليهم كما يوجي إليك ويميزون بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحى في كل القرآن ووافق حمزة والكسائي في سورة الأنبياء من أهل القرى لأن أهلها أعلم وأحلم من أهل البدو أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسول والآيات فيحذروا تكذيبك أو من المشغوفين بالدنيا المتهاكين عليها

فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال أو الساعة أو الحياة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي أفلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا أنها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذا سبيلي أي قل لهم أفلا تعقلون حتى إذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام أي لا يغررهم تمار أيامهم فإن من قبلهم أمهلوا حتى آيس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا أو عن إيمانهم لانهمكهم في الكفر مترفهيين متمادين فيه من غير وازع وظنوا أنهم قد كذبوا أي كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو كذبهم القوم بوعد الإيمان وقيل الضمير للمرسل أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو كذبهم القوم بوعد الإيمان وقيل الضمير للمرسل إليهم أي وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الأول للمرسل

إليهم والثاني للمرسل أي وظنوا أن الرسل قد كذبوا وأخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الأمر عليهم وما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الرسل ظنوا أنهم أخلفوا ما وعدهم الله من النصر إن صح فقد أراد بالظن ما يهجس في القلب عن طريق الوسوسة هذا وأن المراد به المبالغة في التراخي والإمهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد أي وظن الرسل أن القوم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له أثرا جاءهم نصرنا فننجي من نشاء النبي والمؤمنين وإنما لم يعينهم للدلالة على أنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم لا يشركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرىء فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين إذا نزل بهم وفيه بيان للمشيئين لقد كان في قصصهم في قصص الأنبياء وأمهم أو في قصة يوسف وإخوته عبرة لأولي الألباب لذوي العقول المبرأة من شوائب الإلف والركون إلى الحس ما كان حديثا يفترى ما كانا لقرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الإلهية وتفصيل كل شيء يحتاج إليه في

الدين إذ ما من أمر ديني إلا وله سند من القرآن بوسط أو بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما

سورة الرعد وقيل مكية إلا قوله ويقول الذين كفروا . الآية وهي ثلاث وأربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم الأمر قيل معناه أنا الله أعلم وأرى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة و تلك إشارة إلى آياتها أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة أو القرآن والذي أنزل إليك من ربك هو القرآن كله ومجمله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص أو إحدى الصفتين على الأخرى أو الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الأولى وتعريف الخبر وإن دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهم أعم من المنزل صريحا أو ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن أكثر الناس لا يؤمنون لإخلاقهم بالنظر والتأمل فيه

^ ^ والله الذي رفع السموات مبتدا وخبر ويجوز أن يكون الموصول صفة والخبر يدبر الأمر ^ ^ بغير عمد أساطين جمع عماد كإهاب وأهب أو عمود كأديم وأدم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة ل عمد أو استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فإن ارتفاعها على سائر الأجسام السماوية لها في حقيقة الجريمة واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وأن يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بإرادته وعلى هذا المنهاج سائر

ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر
ذللها لما أراد منها كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث
الكائنات وبقائها كل يجري لأجل مسمى لمدة معينة يتم فيها أدواره أو لغاية مضرورة
ينقطع دونها سيرة وهي إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت ^ ^ يدبر الأمر أمر
ملكوته من الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة وغير ذلك يفصل الآيات ينزلها وبينها
مفصلة أو يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها
وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا أن من قدر على خلق هذه الأشياء وتدبيرها قدر على
الإعادة والجزاء وهو الذي مد الأرض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الأقدام وينقلب
عليها

الحيوان وجعل فيها رواصي جبلا ثوابت من رسا الشيء إذا ثبت جمع راسية والثناء
للتأنيث على أنها صفة أجبل أو للمبالغة وأنهارا ضمها إلى الجبال وعلق بهما فعلا
واحدا من حيث إن الجبال أسباب لتولدها ^ ومن كل الثمرات ^ متعلق بقوله ^
جعل فيها زوجين اثنين ^ أي وجعل فيها من كل أنواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو
والحامض والأسود والأبيض والصغير والكبير ^ يغشي الليل النهار ^ يلبسه مكانه
فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر يغشي بالتشديد
^ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ^ فيها فإن تكونها وتخصصها بوجه دون وجه
دليل على وجود صانع حكيم دبر أمرها وهيا أسبابها ^ وفي الأرض قطع متجاورات ^
بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها تصلح للزرع دون
الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لأفعاله على وجه دون وجه لم تكن
كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الأرضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما
يعرض من الأسباب السماوية من حيث أنها متضامة متشاركة في النسب والأوضاع ^
وجنات من أعناب وزرع ونخيل ^ وبساتين فيها أنواع الشجار والزرع وتوحيد الزرع
لأنه مصدر في أصله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص ^ وزرع ونخيل ^
بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات أصلها واحد ^ وغير صنوان ^ متفرقات
مختلفات الأصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة بني تميم ك فنوان في جمع قنو
تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل في

التمر شكلا وقدرًا ورائحة وطعما وذلك أيضا مما يدل على الصانع الحكيم فإن
اختلافهما مع اتحاد الأصول والأسباب لا يكون إلا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر
وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء
ليطابق قوله يدبر الأمر ^ ^ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
بالتفكير وإن تعجب يا محمد من إنكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بأن يتعجب
بالتفكير وإن تعجب يا محمد من إنكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بأن يتعجب منه
فإن من قدر على إنشاء ما قص عليك كانت الإعادة أيسر شيء عليه والآيات
المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على إمكان الإعادة من حيث إنها
تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لأنواع تصرفاته أئذا كنا ترابا أننا لفي
خلق جديد بدل من قولهم أو مفعول له والعامل في إذا محذوف دل عليه أننا لفي
خلق جديد ^ أولئك الذين كفروا بربهم لأنهم كفروا بقدرته على البعث وأولئك
الأغلال في أعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم أو يغلون يوم القيامة وأولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسط الفصل لتخصيص الخلود
بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك لأنهم استعجلوا
ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلاث عقوبات أمثالهم

من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بهاو لم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح
الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لأنها مثل المعاقب عليه ومنه المثل للقصاص
وأمثلت الرجل من صاحبه إذا اقتصصته منه وقرىء المثلث بالتخفيف و المثلث بإتباع
الفاء العين و المثلث بالتخفيف بعد الإتياع و المثلث بفتح الثاء عليانها جمع مثلة
كركبة وركبات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم أنفسهم ومحلّه
النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقيد به دليل على جواز العفو قبل التوبة
فإن التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب
الكبائر أو

أول المغفرة بالستر والإمهال وإن ربك لشديد العقاب للكفار أو لمن شاء وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزة لما هنا أحد العيش ولولا وعيده وعقابه
لا تكل على أحد ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم
بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما أوتي موسى عليهما السلام وإنما أنت منذر
مرسل للإنذار كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما تصح به نبوتك من جنس
المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما
هو الغالب عليهم يهديهم إلى لاحق ويدعوهم إلى الصواب أو قادر على هدايتهم وهو
الله تعالى لكن لا يهدي إلا من يشاء هدايته بما ينزل عليك من الآيات ثم أردف
ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على أنه تعالى
قادر على إنزال ما اقترحوه وإنما لم ينزل لعلمه بأن اقترأخهم للعناد دون الاسترشاد
وأنه قادر على هدايتهم وإنما لم يهدهم لسبق قضائه بالكفر فقل الله يعلم ما تحمل
كل أنثى أي حملها أو ما تحمله على أي حال هو من الأحوال الحاضرة والمتربعة
وما تغيض الأرحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجنة والمدة والعدد وأقصى
مدة الحمل أربع سنين عندنا وخمس عند مالك وستين عند أبي حنيفة روي أن
الضحاك ولد لسنيتين وهرم ابن حيان لأربع سنين وأعلى عدده لا حد له وقيل نهاية
ما عرف به أربعة وإليه ذهب أبو حنيفة رضي الله عنه وقال الشافعي رحمه الله
أخبرني شيخ باليمن أن امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان
دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا ^

فإن جعلتهما لازمين تعين إما أن تكون مصدرية وإسنادهم إلى الأرحام على
المجاز فإنهما لله تعالى أو لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص
عنه كقوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر فإنه تعالى خص كل حادث بوقت وحال
معينين وهيا له أسبابا مسوفة إلي تقتضي ذلك وقرأ ابن كثير هاد ^ ^ ووال و وواق
^ ^ وما عند الله باق بالتنوين في الوصل فإذا وقف وقف بالياء في هذه الأحرف
الأربعة حيث وقعت لا غير والباقون يصلون ويقفون بغير ياء عالم الغيب الغائب عن
الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء
المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى
عنه سواء منكم من أسر القول ^ في نفسه ^ ومن جهر به لغيره ومن هو
مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارت بارز بالنهار يراه كل أحد من
سرب سروبا إذا برز وهو عطف على من أو مستخف على أن من في معنى الاثنين
كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كأنه قال سواء منكم اثنين مستخف بالليل
وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله

^ ^ له لمن أسر أو جهر أو استخفى أو سرب معقبات ملائكة في حفظه جمع معقبة من عقبه إذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا أو لأنهم يعقبون أقواله وأفعاله فيكتبونها أو اعتقب فأدغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة أو لأن المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقب جمع معقب أو معقبة على تعويض الياء من حذف إحدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه أو من الأعمال ما قدم وآخر ويحفظونه من أمر الله من بأسه متى أذنب بالاستمهال أو الاستغفار له أو يحفظونه من المضار أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الياء وقيل من أمر الله صفة ثانية ل معقبات وقيل المعقبات الحرس والجلالة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من الأحوال الجميلة بالأحوال القبيحة ^ وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ^ فلا راد له فالعامل في إذا ما دل عليه الجواب ^ وما لهم من دونه من وال ^ ممن يلي أمرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على أن خلاف مراد الله تعالى محال ^ هو الذي يريكم البرق خوفا ^ من أذاه وطمعا في الغيث وانتصابها على العلة بتقدير المضاف أي إرادة خوف وطمع أو التأويل بالإخافة والإطماع أو الحال من البرق أو المخاطبين على إضمار ذو أو إطلاق المصدر بمعنى المفعول أو الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشى السحاب الغيم

المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وإنما وصف به السحاب لأنه اسم جنس في معنى الجمع ^ ويسبح الرعد ^ ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله أو يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب ^ والملائكة من خيفته ^ من خوف الله تعالى وإجلاله وقيل الضمير ل الرعد ^ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ^ فيهلكه وهم يجالدون في الله حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به منه كمال العلم والقدرة والتفرد بالألوهية إعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو القتل والواو إما لعطف الجملة على الجملة أو للحال فإنه روي أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فأخذه عامر بالمجادلة ودار أربد من خلفه ليضربه بالسيف فنتبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أربد صاعقة فقتله ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت ^ وهو شديد ^

المحال الممالحة المكابدة لأعدائه من محل فلان بفلان إذا كايده وعرضه للهلاك ومنه تمحل إذا تكلف استعمال الحيلة ولعل أصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول أو الحيلة أعل على غير قياس وبعضه أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول إذا احتال ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله أشد و موساه أحد ^ له دعوة الحق ^ الدعاء الحق فإنه الذي يحق أن يعبد ويدعى للعبادته دون غيره أو له الدعوة المجابة فإن من دعاه أجابه ويؤيده ما بعده و الحق على الوجهين ما يناقض الباطل وإضافة ال دعوة إليه لما بينهما من الملاسة أو على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء إليه دعوة الحق والمراد بالجمتين

إن كانت الآية في إريد وعامر أن إهلاكهما من حيث لم يشعرا به مجال من الله إجابة لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم أو دلالة على أنه على الحق وإن كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم بإجابة دعاء رسول صلى الله عليه وسلم عليهم أو بيان ظلالهم وفساد رأيهم ^ والذين يدعون ^ أي الأصنام فحذف المفعول لدلالة 6 من دونه عليه ^ لا يستجيبون لهم بشيء ^ من الطلبات ^ إلا كباسط كفيه ^ إلا استجابة كاستجابة من بسط كفيه ^ إلى الماء ليبلغ فاه ^ يطلب منه أن يبلغه ^ وما هو ببالغه ^ لأنه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على إجابته والإتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة

جدوى دعائهم لها بمن أراد أن يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرىء تدعون بالتاء وباسط بالتنوين ^ وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ^ في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها يحتمل أن يكون السجود على حقيقته فإنه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقيلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وأن يراد به انقيادهم لإحداث ما أراده منهم شأؤوا أو كرها وانقياد ظلالهم لتصريفه إياها بالمد والتقليص وانتصاب ^ طوعا وكرها ^ بالحال أو العلة وقوله ^ بالغدو والآصال ^ ظرف ل يسجد والمراد بهما الدوام أو حال من الضلال وتخصيص الوقتين لأن الضلال إنما تعظم وتكثر فيهما والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة و الآصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده أنه قد قرىء و الإيصال وهو الدخول في الأصيل قل رب السموات والأرض خالقهما ومتولي أمرهما ^ قل الله ^ أجب عنهم بذلك إذ لا جواب لهم سواه ولأنه المبين الذي لا يمكن المراء فيه أو لقنهم الجواب به ^ قل أفأخذتم من دونه ^ ثم ألزمهم بذلك لأن اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل ^ أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ^ لا يقدرون على أن يجلبوا إليها نفعا أو يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون إنفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم أولياء رجاء أن يشفعوا لهم ^ قل هل يستوي الأعمى والبصير ^ المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل

عنكم والمعبود المطلع على أحوالكم ^ أم هل تستوي الظلمات والنور ^ الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالياء ^ أم جعلوا لله شركاء ^ بل أجعلوا والهمزة للإنكار وقوله ^ خلقوا كخلقة ^ صفة لشركاء داخله في حكم الإنكار ^ فتشابه الخلق عليهم ^ خلق الله وخلقهم والمعنى أنهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق ^ قل الله خالق كل شيء ^ أي لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عن سواه ليدل على قوله ^ وهو الواحد ^ المتوحد بالألوهية القهار الغالب على كل شيء ^ أنزل من السماء ماء ^ من السحاب أو من جانب السماء أو من السماء نفسها فإن المبادئ منها ^ فسالت أودية ^ أنهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتكبرها لأن المطر يأتي على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي علم الله تعالى أنه نافع غير ضار أو بمقدارها في الصغر والكبر ^ فاحتمل السيل زبدا ^ رفعه والزبد وضر الغليان رايبا غالبا ^ ومما

يوقدون عليه في النار ^ يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه
التيهاون بها إظهارا لكبريائه ^ ابتغاء حلية ^ أي طلب حلى ^ أو متاع ^ كالأواني
وآلات الحرب والحرث

والمقصود من ذلك بيان منافعها ^ زيد مثله ^ أي ومما يوقدون عليه زيد مثل زيد
الماء وهو خيشه و من للابتداء أو للتبعيض وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على
أن الضمير للناس وإضماره للعمل به ^ كذلك يضرب الله الحق والباطل ^ مثل
الحق والباطل فإنه مثل الحق في إفادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل
به الأودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المنافع ويمكن في الأرض بأن
يثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والقنى والآبار
وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلى واتخاذ الأمتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة
متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدتهما وبين ذلك بقوله ^ فأما الزيد
فيذهب جفاء ^ يجفأ به أي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال
وقرئ جفالا والمعنى واحد ^ وأما ما ينفع الناس ^ كالماء وخالصة الفلز ^ فيمكن
في الأرض ^ ينتفع به أهلها ^ كذلك يضرب الله الأمثال ^ لإيضاح المشتبهات ^
للذين استجابوا ^ للمؤمنين الذين استجابوا ^ لربهم الحسنى ^ الاستجابة الحسنى ^
والذين لم يستجيبوا له ^ وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على أنه جعل ضرب
المثل لثنان الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي
المثوية أو الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره ^ لو أن لهم ما في الأرض جميعا
ومثله معه لافتدوا به ^ وهو على الأول كلام مبتدأ لبيان مال غير المستجيبين ^
أولئك لهم سوء الحساب ^ وهو المناقشة فيه بأن يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه
شيء وماوهم مرجعهم ^ جهنم وبئس المهاد ^ المستقر والمخصوص بالذم محذوف
^ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق ^ فيستجيب ^ كمن هو أعمى ^ عمى
القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة لإنكار أن تقع شبهة في تشابههما بعدما ضرب
من المثل ^ إنما يتذكر أولوا الألباب ^ ذوو العقول المبرأة عن مشايعة الألف
ومعارضة الوهم ^ الذين يوفون بعهد الله ^ ما عقوده على أنفسهم من الاعتراف
بربوبيته حين قالوا

بلى أو عهد عهد الله تعالى عليهم في كتبه ^ ولا ينقضون الميثاق ^ ما وثقوه من
المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص ^ والذين يصلون
ما أمر الله به أن يوصل ^ من الرحم وموالاتة المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء عليهم
الصلاة والسلام ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ^ ويخشون ربهم ^
وعيده عموما ^ ويخافون سوء الحساب ^ خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن
يحاسبوا ^ والذين صبروا ^ على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ^ ابتغاء وجه ربهم
^ طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما ^ وأقاموا الصلاة ^ المفروضة ^ وأنفقوا
مما رزقناهم ^ بعضه الذي وجب عليهم إنفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية
لمن عرف به ^ ويدروون بالحسنة السيئة ^ ويدفعونها بها فيجازون الإساءة بالإحسان
أو يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها أولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي أن
يكون مال أهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات إن رفعت بالابتداء وإن جعلت
صفات لأولي الألباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من
عقبى الدار أو مبتدأ خبر يدخلونها والعدن الإقامة أي جنات يقيمون فيها وقيل هو
بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في
يدخلون وإنما ساغ للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى أنه يلحق بهم من

صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعوا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تلو بالشفاة أو أن الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم وفي التقييد بالصلاح دلالة على أن مجرد الأنساب لا تنفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين

سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق ب عليكم أو بمحذوف أي هذا بما صبرتم لا ب سلام فإن الخبر فاصل والباء للسببية أو للبدلية فنعم عقبى الدار وقرىء فنعم بفتح النون والأصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها إلى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الأولين من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه به من الإقرار والقبول ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض بالظلم وتهيج الفتن أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم أو سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار الله يسقط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيقه وفرحوا أي أهل مكة بالحياة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة أي في جنب الآخرة إلا متاع إلا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى أنهم أشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغترروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي إليه من أناب أقبل إلى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما أعظم عنادكم إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل إلى اهتدائهم و إن أنزلت كل آية ويهدي إليه من أناب بما جئت به بل بأدنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل من أو خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله

أنسا به واعتمادا عليه ورجاء منه أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته أو بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته أو بكلامه يعني القرآن الذي هو أقوى المعجزات ألا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن إليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن ما بالنصب كذلك مثل ذلك يعني إرسال قبلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها تقدمتها أمم أرسلوا إليهم فليس بدع إرسالك إليهم لتلو عليهم الذي أوحينا إليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم أنهم يكفرون بالبلغ الرحمة الذي أحاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما أنعم عليهم بإرسالك إليهم وإنزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدينية عليهم وقيل نزلت في مشركي أهل مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي أي الرحمن خالقي ومتولي أمري لا إله إلا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم وإليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو أن قرأنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن أو المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم أي ولو أن كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها أو

قطعت به الأرض تصدعت من خشية الله عند قراءته أو شققت فجعلت أنهارا وعيونا أو كلم به الموتى فتسمع فتقرؤه أو فتسمع وتجب عند قراءته لكان هذا القرآن لأنه الغاية في الإعجاز والنهاية في التذكير والإنذار أو لما آمنوا به كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية وقيل إن قريشا قالوا يا محمد إن سرك أن تتبعك فسير بقرانك

الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فتتخذ فيها بساتين وقطائع أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام أو ابعث لنا فتتخذ فيها بساتين وقطائع أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام أو ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطع الأرض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الأمر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو إضراب عما تضمنته لو من معنى النفي أي بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله أفلم بأس الذين آمنوا عن إيمانهم مع ما رأوا من أحوالهم وذهب أكثرهم إلى أن معناه أفلم يعلم لما روي أن علي وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين قرؤوا أفلم يتبين وهو تفسير وإنما استعمل اليأس بمعنى العلم لأنه مسبب عن العلم فإن الميتوس عنه لا يكون إلا معلوما ولذلك علقه بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فإن معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة بإهتدائهم وهو على الأول متعلق بمحذوف تقديره أفلم يأس الذين

آمنوا عن إيمانهم علما منهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا أو بآمنوا ^ ^ ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الأعمال فارعة ذاهبة تفرعهم وتقلقهم أو تحل قريبا من دارهم فيفرعون منها ويتطايروا إليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فإنهم لا يزالوا مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه عليه الصلاة والسلام كان لا زال يبعث السرايا عليهم فتغير حواليتهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز أن يكون تحل خطابا للرسول عليه الصلاة والسلام فإنه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت أو القيامة أو فتح مكة إن الله لا يخلف الميعاد لا متناع الكذب في كلامه ولقد استهزىء برسول من قبلك فأمليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والإملاء أن يترك ملاوة من الزمان في دعة وأمن ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أي عقابي إياهم أقم هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من أعماله مولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف أو عطف على كسبت إن جعلت ما مصدرية

أو لم يوحدوه وجعلوا لغيره ويكون فيه موضع الضمير للتنبيه على أنه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه على أن هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة أم تنبؤنه بل أتنبؤنه وقرىء تنبؤنه بالتخفيف بما لا يعلم في الأرض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم أو بصفات لهم يستحقونها لأجلها لا يعملها وهو العالم بكل شيء أم بظاهر من القول أم تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على أسلوب عجيب ينادي على نفسه بالإعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخلوا أباطيل ثم خالوها حقا أو كيدهم للإسلام يشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح أي وصدوا الناس عن الإيمان وقىء بالكسر وصد بالتونين ومن يضل الله يخذله فماله من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحياة الدنيا بالقتل والأسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الآخرة أشق لشدة ودوامه ومالهم من الله

من عذابه أو من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبر

محذوف عند سيويه أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره ^ تجري من تحتها الأنهار ^ على طريقة قولك صفة زيد أسمر أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار أو على زيادة المثل وهو على قول سيويه حال من العائد أو المحذوف أو من الصلة ^ أكلها دائم ^ لا ينقطع ثمرها وظلها أي وظلها وكذلك لا ينسخ في الدنيا بالشمس تلك أي الجنة الموصوفة ^ عقبى الذين اتقوا ^ مآلهم ومنهى أمرهم ^ وعقبى الكافرين النار ^ لا غير وفي ترتيب النظمين إطماع للمتقين وإقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب بفرحون بما أنزل إليك يعني المسلمين من أهل الكتاب كابن سلام وأصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة أو عامتهم فإنهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ^ ومن الأحزاب ^ يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما ^ من ينكر بعضه ^ وهو من يخالف شرائعهم أو ما يوافق ما حرفوه منها ^ قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ^ جواب المنكرين أي قل لهم إني أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله وأوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم إلى إنكاره وأما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس بدع مخلفة الشرائع والكتب الإلهية في جزئيات الأحكام وقرىء ^ ولا أشرك ^ بالرفع على الإستئناف ^ إليه أدعو ^ لا إلى غيره ^ وإليه مآب ^ وإليه مرجعي للجزاء لا إلى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الأنبياء وأما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالأعصار والأمم فلا معنى لإنكارهم المخالفة فيه وكذلك ومثل ذلك الإنزال المشتمل على أصول الديانات المجمع عليها

^ أنزلناه حكما ^ يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت أهواءهم التي يدعونك إليها كتقرير دينهم والصلاة إلى قبلتهم بعدما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك مالك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لأطماعهم وتهيج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد أرسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم أزوجا وذرية نساء وأولادا كما هي لك وما كان لرسول وما يصح له ولم يكن في وسعه أن يأتي بأية تقترح عليه وحكم يلتمس منه إلا بإذن الله فإنه الملىء بذلك لك أجل كتاب لك ل وقت وأمد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخة ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة مالا يتعلق به جزاء ويترك غيره ماثبا أو يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا و يثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتنشيد وعنده أم الكتاب أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ إذ ما من كائن إلا وهو مكتوب فيه وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك وكيفما دارت الحال أريناك بعض ما أوعدناهم أو توفيناك قلبه فإنما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل بإعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فإننا فاعلون له و هذا طلائعه أو لم يروا أنا نأتي الأرض أرض الكفرة ننقصها من أطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفو غريمه

بالإقتضاء والمعنى أنه حكم للأسلام بالإقبال وعلى الكفر بالإدبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل

في الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والإجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بأنبيائهم والمؤمنين به منهم فله المكر جميعا إذ لا يؤبه بمكر دون مكره فإنه القادر على ما هو المقصود منه غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبيين حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله تعالى بهم واللام تدل على أن المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الأضافة إلى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكافر على إرادة الجنس وقرئ الكافرون ^ ^ والذين كفروا و الكفر أي أهله وسيعلم من أعلمه إذا أخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلًا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فإنه أظهر من الأدلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز أو علم التوراة وهو ابن سلام وأضرابه أو علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى أي كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ إلا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاتب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر و علم الكتاب وعلى الأول مرتفع بالظرف فإنه معتمد على الموصول ويجوز أن يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثاني وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة من الموفين بعهد الله

سورة إبراهيم وهي آياتها اثنتان وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم آلر كتاب أي هو كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس بدعائك إياهم إلى ما تضمنه من الظلمات من أنواع الضلال إلى النور ^ إلى الهدى ^ بإذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج أو حال من فاعله أو مفعوله إلى صراط العزيز الحميد بدل من قوله إلى النور بتكرير العامل أو استئناف على أنه جواب لمن يسأله عنه وإضافة الصراط إلى الله تعالى إما لأنه مقصده أو المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبية على أنه لا يذل سالكه ولا يخيب سائله والله الذي له ما في السموات وما في الأرض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر أو الله خبر مبتدأ محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقي عطف بيان ل العزيز لأنه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات إلى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة وأصله النصب لأنه مصدر إلا أنه لم يشتق منه فعل لكنه رفع لإفادة الثبات

^ ^ الذين يستحيون الحياة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فإن المختار للشيء يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الإيمان وقرئ ويصدون من أصده وهو منقول من صد صدودا إذا تنكب وليس فصيحاً لأن في صده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة ويغونها عوجا ويغنون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه أو على أنه مبتدأ خبره أولئك في ضلال بعيد أي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعيد في الحقيقة للضال فوصف به فعلة للمبالغة أو للأمر الذي به الضلال فوصف به

لملابسته وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه إلا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليين لهم ما أمروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه إلى غيرهم فإنهم أولى الناس إليه بأن يدعوهم وأحق بأن يندبرهم ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإنذار عشيرته أولا ولو نزل على من بعث إلى أمم مختلفة كتب على ألسنتهم استقل ذلك نوع من الإعجاز لكن أدى إلى اختلاف الكلمة وإضاعة فضل الجهاد في تعلم الألفاظ ومعانيها والعلوم المنتشعة منها وما في أتعاب القرائح وكذا النفوس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وأن الله تعالى أنزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام أو كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك ليس بصحيح يردده قوله ليين لهم فإنه ضمير القوم والتوراة والإنجيل ونحوهما لم تنزل لتبين للعرب ^ ^ فيفضل الله من يشاء فيخذه عن الإيمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي إلا لحكمه ولقد أرسلنا موسى بآياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور بمعنى أي أخرج لأن في الإرسال معنى القول أو بأن أخرج فإن صيغ الأفعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح أن توصل بها أن الناصبة وذكرهم بأيام الله بوقائعه التي وقعت على الأمم الدارجة وأيام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر على نعمائه فإنه إذا سمع بما أنزل على من قبل من البلاء وأفيض عليهم من النعماء أعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وإنما عبر عنه بذلك تنبيها على أن الصبر والشكر عنوان المؤمن وإذا قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون أي اذكروا نعمته عليكم وقت إنجائه إياكم ويجوز أن ينتصب ب عليكم إن جعلت مستقرة غير

صلة للنعمة وذلك إذا أريد به العطية دون الأنعام ويجوز أن يكون بدلا من نعمة الله يدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم أحوال من آل فوعون أو من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ها هنا غير المراد به في سورة البقرة ^ ^ والأعراف لأنه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه بالتذبيح ها هنا وهو إما جنس العذاب أو ستعبادهم أو استعمالهم بالعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث إنه بإقدار الله إياهم وإمهالهم فيه بلاء ربكم عظيم ابتلاء من هو يجوز أن تكون الإشارة إلى الإنجاء والمراد بالبلاء النعمة إذ تأذن ربكم أيضا من كلام موسى صلى الله عليه وسلم و تأذن بمعنى أذن كتوعد وأوعد غير أنه أبلغ لما في الفعل من معنى التكليف والمبالغة لئن شكرتم يا بني إسرائيل ما أنعمت عليكم من الإنجاء وغيره بالإيمان والعمل الصالح لأزيدكم نعمة إلى نعمة ولئن كفرتم ما أنعمت عليكم إن عذابي لشديد فلعلي أعذبكم على الكفران عذابا شديدا و من عادة أكرم الأكرمين أن يصرح بالوعد ويعرض بالوعد والجملته مقول قول مقدر أو مفعول تأذن على أنه جار مجرى قال لأنه ضرب منه وقال موسى إن كفرتم ما أنعمت عليكم في الأرض جميعا من الثقلين فإن الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتكم بالكفر إلا أنفسكم حيث حرمتموها مزيد الأنعام وعرضتموها للعذاب الشديد ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى عليه الصلاة والسلام أو كلام مبتدأ من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جملة وقعت اعتراضا أو الذين من بعدهم

عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى أنهم لكثرتهم لا يعلم عددهم إلا الله ولذلك قال بان مسعود رضي الله تعالى عنه كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أو وضعوها عليها تعجبا منه أو استهزاء عليه كمن غلبه الضحك أو إسكاتا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرهم بإطباق الأفواه أو أشاروا بها إلى سنتهم وما نطقت به من قولهم إنا كفرنا تنبيها على أن لا جواب لهم سواء أو ردوها في أفواه الأنبياء بمنعوتهم من التكلم وعلى هذا يحتمل أن يكون تمثيلا وقيل الأيدي بمعنى الأيدي أيردوا أيادي الأنبياء التي هي مواضعهم وما أوحى إليهم من الحكم والشرائع في أفواههم لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها إلحيت جاءت منه وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به على زعمكم وإنا لفي شك مما تدعونا إليه من الإيمان وقرىء تدعونا بالأدغام مريب موقع في الريبة أو ذي ريبة وهي قلق النفس وأن لا تطمئن إلى الشيء قالت رسلهم أفي الله شك أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام في المشكوك فيه لا في الشك أي إنما ندعوكم إلى الله وهو لا يحتمل الشك أي إنما ندعوكم إلى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الأدلة وظهور دلالتها عليه وأشاروا إلى ذلك بقولهم فاطر السموات والأرض وهو صفة أو بدل و شك مرتفع بالظرف يدعوكم إلى الإيمان ببعثه إيانا و ليغفر لكم أو يدعوكم إلى المغفرة كقولك دعوته لينصرنى على إقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى فإن الإسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بي الخطابين ولعل المعنى فيه أن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الإيمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فتناول الخروج عن المظالم ويؤخذ إلى أجل مسمى إلى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر أعماركم قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله أن يبعث إلى البشر رسلا لبعث من جنس أفضل تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوى فأتونا بسطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية أو على صحة ادعائكم النبوة كأنهم لم يعتبروا ما جاءوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية أخرى تعنتا ولججا قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على أن النبوة عطائية وأن ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى وما كان لنا أن نأتيكم بسطان إلا بإذن الله أي ليس إلينا الإتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وإنما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عموما الأمر للإشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا ألا ترى قوله تعالى وما لنا ألا نتوكل على الله أي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم أن الأمور كلها بيده وقرأ أبو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ^ ^ ولنصبرن على ما أذيتمونا جواب قسم محذوف أكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن إيمانهم وقال الذين كفروا لرسولهم

لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا حلفوا على أن يكون أحد الأمرين إما إخراجهم للرسول أو عودهم إلى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لأنهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز أن يكون الخطاب لكل رسول ومن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فأوحى إليهم ربهم أي إلى رسلكم لنهلكن الظالمين على إضمار القول أو إجراء الإيحاء مجراه لأنه نوع منه ولنسكننكم الأرض من بعدهم أي أرضهم وديارهم كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها وقرئ ليهلكن ^ ^ وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى كقولك أقسم زيد ليخرجن ذلك إشارة إلى الموحى به وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة أو قيامي عليه لا علمه وقيل المقام مقحم وخاف وعيد أي وعيدي بالعذاب أو عذابي الموعد للكفار واستفتحوا سألوا من الله الفتح على أعدائهم أو القضاء بينهم وبين أعدائهم من الفتحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين فإن كلهم سألوه أن ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الأمر عطفا على ليهلكن ^ ^ وخاب كل جبار عتيد أي ففتح لهم فأفلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة إذا كان الاستفتاح من الكفرة أو من القبيلين كان أوقع من ورائه جهنم أي من بين يديه فإنه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث إليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقي فيها ما يلقي ويسقى من ماء ^ ^ وصديد عطف بيان ل ماء وهو ما يسيل من جلود أهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء أو حال من الضمير في يسقى ولا ^ يكاد يسيعه ^ ولا يقارب أن يسيعه فكيف يسيعه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ^ ويأتيه الموت من كل مكان ^ أي أسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وإبهام رجله ^ وما هو بميت ^ فيستريح ^ ومن ورائه ^ ومن بين يديه ^ عذاب غليظ ^ أي يستقبل في كل وقت عذابا أشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الأنفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في أهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي أرسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله فخب رجاءهم فلم يسقهم ووعد لهم أن يسقيهم في جهنم بدل سقيهم صديد أهل النار ^ مثل الذين كفروا برههم ^ مبتدأ خبره محذوف أي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة أو قوله ^ أعمالهم كرماد ^ وهو على الأول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل أعمالهم بدل من ال مثل والخبر كرماد ^ اشتدت به الريح ^ حملته وأسرعت الذهاب به وقرأ نافع الريح ^ في يوم عاصف ^ العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم وإغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها إليه أو أعمالهم للأصنام برماد طيرته الريح العاصف فلا يرون له أثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك إشارة إلى ضلالهم مع حسابهم أنهم محسنون ^ هو الضلال البعيد ^ فإنه الغاية في البعد عن طريق الحق ^ ألم تر ^ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم به أمته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين

أن الله خلق السموات والأرض بالحق والحكمة والوجه الذي يحق أن تخلق عليه
وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات ^ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ^
يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والأرض
استدلالا به عليه فإن من خلق أصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل
الصور وتغيير الطبائع قدر أن يبدهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال ^ وما
ذلك على الله بعزير ^ بمعتذر أو متعسر فإنه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون
مقدور ومن كان هذا شأنه كان حقيقا بأن يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من
عقابه يوم الجزاء ^ وبرزوا لله جميعا ^ أي يبرزون من قبورهم يوم القيامة لأمر
الله تعالى ومحاسبته أو لله على ظنهم فإنهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون
أنها تخفى على الله تعالى فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند أنفسهم
وإنما ذكر بلفظ لماضي لتحقيق وقوعه ^ فقال الضعفاء ^ الإتياع جمع ضعيف يريد
به ضعف الرأي وإنما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة في مليها
إلى الواو ^ للذين استكبروا ^ لرؤوسائهم الذين استتبعوهم واستغفوههم ^ إنا كنا
لكم تبعا ^ في تكذيب الرسل والإعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب
أو مصدر نعت به للمبالغة أو على إضمار مضاف ^ فهل أنتم مغنون عنا ^ دافعون
عنا ^ من عذاب الله من شيء ^ من الأولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية
للتبغيض واقعة موقع المفعول أي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز أن تكونا
للتبغيض أي بعض شيء هو بعض عذاب الله والأعراب ما سبق ويحتمل أن تكون
الأولى مفعولا والثانية مصدرا أي فهل أنتم مغنون بعض العذاب بعض الإغناء قالوا
أي الذين استكبروا جوابا عن معاقبة الأتباع واعتذار عما فعلوا بهم ^ لو هدانا الله
^ للإيمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فأضللناكم أي اخترنا لكم ما اخترناه
لأنفسنا أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم وأغنيانا عنكم كما
عرضناكم له لكن سد دوننا طريق الخلاص ^ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ^
مستويان

علينا الجزع والصبر ^ ما لنا من محيص ^ منجى ومهرب من العذاب من الحيص
وهو العدل على جهة الفرار وهو يحتمل أن يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب
ويجوز أن يكون قوله ^ سواء علينا ^ من كلام الفريقين ويؤيده ما روي أنهم يقولون
تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك
ثم يقولون ^ سواء علينا ^ وقال الشيطان لما قضي الأمر ^ أحكم وفرغ منه
ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار خطيبا في الأشقياء من الثقلين ^ إن الله
وعدكم وعد الحق ^ وعدا أنجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل
وهو أن لا بعث ولا حساب وإن كانا فالأصنام تشفع لكم فأخلفتكم جعل تبين خلف
وعده كالأخلاف منه ^ وما كان لي عليكم من سلطان ^ تسلط فألجئكم إلى الكفر
والمعاصي إلا أن دعوتهم إلا دعائي إياكم إليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان
ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز أن يكون الإستثناء منقطعا
فاستجبتهم لي أسرعتم إجابتي فلا تلومني بوسوستي فإن من صرح العدواة لا يلام
بأمثال ذلك ولوموا أنفسكم حيث أطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم
واحتجت المعتزلة بأمثال ذلك على استقلال العبد بأفعلاه وليس فيها ما يدل عليه إذ
يكفي لصحتها أن يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله
أصحابنا ما أنا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما أنتم بمصرخي بمغيثي وقرأ حمزة
بكسر الياء على الأصل في التفاء الساكنين وهو أصل مرفوض في مثله لما فيه من

اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع أن حركة ياء الإضافة الفتح فإذا لم تكسر وقبلها ألف فبالحري أن لا تكسر وقبلها ياء أو على لغة من يزيد ياء على ياء الإضافة إجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته وأعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة إني كفرت بما أشركتمون من قبل ^ ما إما مصدرية من متعلقة بأشركتموني أي كفرت اليوم بإشراككم إياي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا

بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم أو موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخرن لنا و0 من متعلقة ب كفرت أي كفرت بالذي أشركتموني وهو الله تعالى بطاعتكم إياي فيما دعوتكم إليه من عبادة الأصنام وغيرها من قبل إشراككم حين رددت أمره بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام وأشرك منقول من شركت زيدا للتعديّة إلى مفعول ثانٍ إن الظالمين لهم عذاب أليم ^ تنمة كلامه أو ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية أمثال ذلك لطف للسامعين وإيقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم ^ وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم ^ بإذن الله تعالى وأمره والمدخلون هم الملائكة وقرئ وأدخل على التكلم فيكون قوله ^ بإذن ربهم ^ متعلقا بقوله ^ تحيتهم فيها سلام ^ أي تحييم الملائكة فيها بالسلام بإذن ربهم ^ ألم تر كيف ضرب الله مثلا ^ كيف اعتمده ووضع ^ كلمة طيبة كشجرة طيبة ^ أي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ^ ضرب الله مثلا ^ ويجوز أن تكون كلمة بدلا من مثلا و شجرة صفتها أو خبر مبتدأ محذوف أي هي كشجرة وإن تكون أول مفعولي ضرب إجراء له مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء ^ أصلها ثابت ^ في الأرض ضارب بعروقه فيها وفروعها وأعلاها ^ في السماء ^ ويجوز أن يريد وفروعها أي أفنائها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الإضافة وقرئ ثابت أصلها والأول على أصله ولذلك قيل إنه أقوى ولعل الثاني

نؤتي أكلها تعطى ثمرها ^ كل حين ^ وقته الله تعالى لإثمارها ^ بإذن ربها ^ بإرادة خالقها وتكوينه ويضرب كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثّل شجرة خبيثة اجتثت استؤصلت وأخذت جثتها بالكلية ^ من فوق الأرض ^ لأن عروقه قريبة منه ^ ما لها من قرار ^ استقرار واختلاف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الإسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالشرك بالله تعالى والدعاء إلى لاكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما أعرب عن حق أو دعا إلى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما أيضا ما يعم ذلك ^ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ^ الذي بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم ^ الحياة الدنيا ^ فلا يزالون إذا فتنوا في دينهم كزكريا ويحي عليهما السلام وجرجيس وشمعون والذين فتنهم أصحاب الأخدود ^ وفي الآخرة ^ فلا يتلعثمون إذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم أهوال يوم القيامة وروي أنه صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فذلك قوله ^ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ^ ويضل الله الظالمين ^ الذين ظلموا أنفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون إلى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ^ ويفعل الله ما يشاء ^ من تثبيت بعض وإضلال

آخرين من غير اعتراض عليه ألم تر إلى الذين بذلوا نعمت الله كفرا أي شكر نعمته كفرا بأن وضعوه مكانه أو بذلوا نفس النعمة كفرا فإنهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين للكفر بدلها كأهل مكة خلقهم الله تعالى وأسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم أبواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وأسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا أدلاء فبقوا مسلوبى النعمة وموصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله تعالى عنهما هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين ^ وأحلوا قومهم ^ الذين شايعوه في الكفر ^ دار البوار ^ دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها أو من القوم أي داخلين فيها مقاسين لحرها أو مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار أي وبئس المقر جهنم وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس عن يعقوب يفتح الباء وليس الضلال ولا الإضلال غرضهم في اتخاذ الأنداد لكن كان نتيجة جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم أو بعبادة الأوثان فإنها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الأمر إيذان بأن المهتد عليه كالمطلوب لإفضائه إلى المهتد به وأن الأمرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فإن مصيركم إلى النار وأن المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من أمر مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالإضافة تنويها لهم وتنبها على أنهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه أي قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم فيكون إيذانا بأنهم لفرط مطاوعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم بحيث لا ينفك فعلهم عن أمره وأنه كالسبب الموجب له ويجوز أن يقدر بلام الأمر ليصح تعلق القول بهما وإنما حسن ذلك ها هنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا أقيموا وأنفقوا مقامين مقامها وهو ضعيف لأنه لا بد من مخالفة ما بين الشرك وجوابه ولأن أمر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة إذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر أي إنفاق سر وعلانية أو على الحال أي ذوي سر وعلانية أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية والأحب إعلان الواجب وإخفاء المتطوع به من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره أو يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالفة فيشفع لك خليل أو من قبل أن يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالفة وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله تعالى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق السموات والأرض مبتدأ وخبره وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لأخرج و من الثمرات بيان له وحال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز أن يراد به المصدر فينتصب بالعلة أو المصدر لأن أخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره بمشيئته على حيث توجهتم وسخر لكم الأنهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الأشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وإنارتها وإصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه أي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيئا فإن الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى ولعل المراد ب ما سألتموه ما كان حقيقيا بأن يسأل لاحتياج الناس إليه سئل أو لم يسأل وما يحتمل أن تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى

المفعول وقرئ من كل بالتنوين أي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم إليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز أن تكون ما نافية في موقع الحال أي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها لا تحصوها ولا تطبقوا عد أنواعها فضلا عن أفرادها فإنها غير متناهية وفيه دليل على أن المفرد يفيد الاستغراق بالإضافة إن الإنسان لظلم يظلم النعمة بإغفال شكرها أو بظلم نفسه بأن يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد مكة آمنا ذا أمن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا أن المسؤول في الأول وإزالة الخوف عنه وتصويره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبي وبنى بعدني وإياهم أن نعبد الأصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبي وهما على لغة نجد وأما أهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على أن عصمة الأنبياء بتوفيق الله وحفظه إياهم وهو بظاهره لا يتناول أحفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة أن أولاد إسماعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجا به وإنما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فذلك سألت منك العصمة واستعدت بك من إضلالهن وإسناد الإضلال إليهن باعتبار السببية كقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا ^ فمن تعني ^ على ديني ^ فإنه مني ^ أي بعضي لا ينفك عني في أمر الدين ^ ومن عصاني فإنك غفور رحيم ^ تقدر أن تغفر له وترحمه ابتداء أو بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على أن كل ذنب فله أن يغفره حتى الشرك إلا أن الوعيد فرق بينه وبين غيره ^ ربنا إني أسكنت من ذريتي ^ أي بعض ذريتي أو ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم إسماعيل ومن ولد منه فإن إسكانه متضمن لإسكانهم ^ بواد غير ذي زرع ^ يعني وادي مكة فإنها حجرية لا تنبت ^ عند بيتك المحرم ^ الذي حرمت التعرض له و التهاون به أو لم يزل معظما ممنعا يهابه الجابرة أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا أي أعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء أول ما قدم فعله قال ذلك باعتبار ما كان أو ما

سيؤول إليه روي أن هاجر كانت لسارة رضي الله عنها فوهبتها لإبراهيم عليه السلام فولدت منه إسماعيل عليه السلام فغارت عليها فناشدته أن يخرجهما من عندها فأخرجهما إلى أرض مكة فأظهر الله عين زمزم ثم إن جرهم رأوا ثم طورا فقالوا لا طير إلا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا أشركنا في مائك نشركك في ألباننا ففعلت ^ ربنا ليقموا الصلاة ^ اللام لام كي وهي متعلقة ب أسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتق إلا لإقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للإشعار بأنها المقصودة بالذات من إسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الأمر والمراد هو الدعاء لهم بإقامة الصلاة كأنه طلب منهم الإقامة وسأل من الله تعالى أن يوفقهم لها ^ فاجعل أفئدة من الناس ^ أي أفئدة من أفئدة الناس و من للتبويض ولذلك قيل لو قال أفئدة الناس لاردحت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى أو للابتداء كقولك القلب مني سقيم أي أفئدة ناس وقرأ هشام أفئدة يخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ أفدة وهو يحتمل أن يكون مقلوب أفئدة كآدر في أدور وأن يكون اسم فاعل من أفدت الرحلة إذا عجلت أي جماعة يعجلون نحوهم وأفدة بطرح الهمزة للتخفي وإن كان الوجه فيه إخراجهما بين بين ويجوز أن يكون من أفد تهوي إليهم تسرع إليهم شوقا وودادا وقرئ تهوى على البناء للمفعول من أهوى إليه غيره و تهوى من

هو يهوي إذا أحب وتعديته بإلى لتضمنه معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع
سكناهم واديا لا نبات فيه لعلمهم يشكرون تلك النعمة
فأجاب الله عز وجل دعوته فجعله حرما آمنا يجيء إليه ثمرات كل شيء حتى توجد
فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا إنك تعلم ما نخفي وما
نعلم تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى إنك أعلم بأحوالنا ومصالحنا وأرحم بنا منا
بأنفسنا فلا حاجة لنا إلى الطلب لكنا ندعوك إظهارا لعبوديتك وافتقارا إلى رحمتك
واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع إليك
والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجأ إلى الله تعالى وما يخفى
على الله من شيء في الأرض ولا في السماء لأنه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبه
إلى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر أي وهب لي
وأنا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة وإظهارا لما فيها من
آلئه إسماعيل وإسحاق روي أنه ولد له إسماعيل لتسع وتسعين سنة وإسحاق لمائة
واثنتي عشرة سنة إن ربي لسميع الدعاء أي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي
إذا اعتد به وهو من أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل أضيف إلى مفعوله أو فاعله
على إسناد السماع إلى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه إشعار بأنه دعا ربه وسأل
منه الولد فأجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من أجل النعم
وأجلاها رب اجعلني مقيم الصلاة معدلا لها مواظبا عليها من ذريتي عطف على
المنصوب في اجعلني والتبويض لعلمه بإعلام الله أو استقراء عاداته في الأمم
الماضية أن يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي أو وتقبل عبادتي
ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولأبوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل
أراد بهما آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على
الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق أو يقوم إليه أهله فحذف المضاف أو أسند
إليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبته على ما هو عليه من أنه تعالى مطلع على
أحوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بأنه معاقبهم على قليله وكثيره لا
محالة أو لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واعتاررا بإمهاله وقيل إنه تسلية للمظلوم
وتهديد للظالم إنما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن أبي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه
الأبصار أي تشخص فيه أبصارهم فلا تقر في أماكنها من هول ما ترى مهطعين أي
مسرعين إلى الداعي أو مقبلين بأبصارهم لا يطوفون هيبة وخوفا وأصل الكلمة هو
الإقبال على الشيء مقنعي رؤوسهم رافعيها لا يريد إليهم طرفهم بل تثبت عيونهم
شاحصة لا تطرف أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم وأفتدتهم هواء خلاء
أي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للأحمق وللجان قلبه هواء أي
لا رأي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية
عن الحق وأندر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني يوم القيامة أو يوم الموت
فإنه أول أيام عذابهم وهو مفعول ثان ل أنذر ^ ^ فيقول الذين ظلموا بالشرك
والتكذيب ربنا أخرنا إلى أجل قريب آخر العذاب عنا أو ردنا إلى الدنيا ومهلنا إلى
حد من الزمان قريب أو آخر آجالنا وأبقنا مقدار ما نؤمن بك ونحبك ونحب دعوتك
نحب دعوتك وتتبع الرسل جواب للأمر ونظيره لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق
وأكن من الصالحين ^ ^ أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال على إرادة
القول و ما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية
والمعنى أقسمتم أنكم

باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلمهم أقسموا بطرا وغرورا أو دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا وقيل أقسموا أنهم لا ينتقلون إلى دار أخرى وأنهم إذا ماتوا لا يزالون على تلك الحالة إلى حالة أخرى كقوله وأقسموا بالله جهدا إيمانهم لا يبعث الله من يموت ^ ^ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وتماد وأصل سكن أن يعدي بفي كقر وغني وأقام وقد يستعمل بمعنى التبوؤ فيجري مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدونه في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من أخبارهم وضررنا لكم الأمثال من أحوالهم أي بينا لكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب أو صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالأمثال المضروبة وقد مكروا مكروهم المستفرغ فيه جهدهم لإبطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكروهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه أو عنده ما يمكروهم به جزاء لمكروهم وإبطالا له وإن كان مكروهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى لإزالة الجبال وقيل إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على أن الجبال مثل لأمر النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى أنهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله تعالى وشرائعه وقرأ الكسائي لتزول ^ ^

بالفتح والرفع على أنها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكروهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام وقرئوا إن مكروهم ^ ^ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله إنا لننصر رسلنا ^ ^ كتب الله لأغلبنا أنا ورسلي وأصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني إيذانا بأنه لا يخلف الوعد أصلا كقوله إن الله لا يخلف الميعاد وإذا لم يخلف وعده أحدا فكيف يخلف رسله إن الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لأولياءه يوم تبدل الأرض غير الأرض بدل من يوم يأتيهم أو ظرف للانتقام أو مقدر بذكر أو لا يخلف وعده ولا يجوز أن ينتصب بمخلف لأن ما قبل أن لا يعمل فيما بعده والسماوات عطف على الأرض وتقديره والسماوات غير السماوات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم دنائير وعليه قوله بدلنا جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما إذا أذبتة وغيرت شكلها وعليه قوله يبذل الله سيئاتهم حسنات ولآية تحتملها فعن علي رضي الله تعالى عنه تبدل أرضا من فضة وسماوات من ذهب وعن ابن مسعود وأنس رضي الله تعالى عنهما يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي

تلك الأرض وإنما تغير صفاتها وبذل عليه ما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال تبدل الأرض غير الأرض فتبسط وتمد مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا واعلم أنه لا يلزم على الوجه الأول أن يكون الحاصل بالتبديل أرضا وسما على الحقيقة ولا يبعد على الثاني أن يجعل الله الأرض جهنم والسماوات الجنة على ما أشعر به قوله تعالى كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وقوله إن كتاب الفجار لفي سجين ^ ^ وبرزوا من أجدانهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على أن الأمر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فإن الأمر إذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والأعمال كقوله وإذا النفوس زوجت أو قرنوا مع الشياطين أو مع ما اكتسبوا من العقائد الزائفة والملكات الباطلة أو قرنت أيديهم

وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال وهو يحتمل أن يكون تمثيلاً لمؤاخذتهم على ما اقترفته أيديهم وأرجلهم في الأصفاد متعلق بـ مقرنين أو حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل

^ ^ وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد ويعظم ساق وأصله الشد سراويلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الأبهل فيطبخ فتها به الإبل الجري فيحرق الجرب بحدته وهو أسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة تطلي به جلود أهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه وتتن ريحه مع إسراع النار في جلودهم على أن التفاوت بين القطرانيين كالتفاوت بين النارين ويحتمل أن يكون تمثيلاً لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيئات الوحشية فيجلب إليها أنواعاً من الغموم والآلام وعن يعقوب قطران والقطر النحاس أو الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية أو حال من الضمير في مقرنين ^ ^ وتغشى وجوههم النار وتتغشاها لأنهم لم يتوجهوا بها إلى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لأجله كما تطلع على أفئدتهم لأنها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله تعالى أفمن بتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم ^ ^ ليجزي الله كل نفس أي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت أو كل نفس من مجرمة أو مطيعة لأنه بين أن المجرمين يعاقبون لإجرامهم علم أن المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك أن علق اللام بـ برزوا ^ ^ إن الله سريع الحساب لأنه لا يشغله حساب عن حساب هذا إشارة إلى القرآن أو السورة أو ما فيه العظة والتذكير أو ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله ^ ^ بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على

محذوف أي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز أن تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به أنزل أو تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به إذا علمه واستعد له وليعلموا إنما هو إله واحد بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه أو المبهمة على ما يدل عليه وليذكر أولو الألباب فيرتدعوا عما يرددهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم أنه سبحانه وتعالى ذكر هذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية والحكمة في إنزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله تعالى من الفائزين بهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام وعدد من يعيدها

سورة الحجر وهي تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم آله تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الإشارة إلى آيات السورة و الكتاب هو السورة وكذا القرآن وتذكيره للتفخيم أي آيات الجامع لكونه كتاباً كاملاً وقرآناً يبين الرشد من الغي بيانا غريباً ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر أو حلول الموت أو يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه أن يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في أخبار الله تعالى كالماضي في تحققه أجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الأم ر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الإيذان بأنهم لو كانوا يودون لو كانوا يودون الإسلام مرة فبالحري أن يسارعوا عليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم أهوال القيامة فإن

حانت منهم إفاقة في بعض الأوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن درهم دعهم يأكلونا ويتمتعوا بدنياهم ^ ويلهم الأمل ^ ويشغلهم تواقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال عن الإستعداد للمعاد ^ فسوف يعلمون ^ سوء صنيعهم إذا عابنوا جزاءه والغرض إقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من أرعوائهم وإيدانهم بأنهم من أهل الخذلان وإن نصحهم يعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه إلزام للحجة وتحذير عن أيثار التعم وما يؤدي إليه طول الأمل ^ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ^ أجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والأصل أن لا يدخلها الواو كقوله ^ إلا لها منذرون ^ ولكن لما شبهت صورتها الحال أدخلت تأكيدا للصوقها بالموصوف ^ ما تسبق من أمه أجلها وما يستأخرون ^ أي وما يستأخرون عنه وتذكير ضمير أمه فيه للحمل على المعنى ^ وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر ^ نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم ألا ترى إلى ما نادوه له وهو قولهم إن لمجنون ونظير ذلك قول فرعون ^ إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ^ والمعنى إنك لتقول قول المجانين حين تدعي أن الله تعالى نزل عليك الذكر أي القرآن ^ لو ما تأتينا ^ ركب لو مع ما كما ركبت مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك وبعضدوك على الدعوة كقوله تعالى ^ لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا ^ أو للعقاب على تكذيبنا لك كما أتت الأمم المكذبة قبل ^ إن كنت من الصادقين ^ في دعواك ما ينزل الملائكة بالياء ونصب الملائكة على أن الضمير لله تعالى وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون وأبو بكر بالتاء والبنا للمفعول ورفع الملائكة وقرء تنزل بمعنى تنزل ^ إلا بالحق ^ إلا تنزيلا ملتبسا بالحق أي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمه في أن تأتيكم بصور تشهدونها فإنه لا يزيدكم إلا لبسا ولا في معالجتكم بالعقوبة فإن منكم و من ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالإيمان وقيل الحق الوحي أو العذاب و ما كانوا إذا منظرين ^ إذا جواب لهم و جزاء لشرط مقدر أي و لو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين إنا نحن نزلنا الذكر رد لإنكارهم واستهزائهم ولذلك أكده من وجزه وقرره بقوله وإنا له الحافظون أي من التحريف والزيادة والنقص بأن جعلناه معجزا مبينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان أو نفي تطرق الخلل إليه في الدوام بضمن الحفظ له كما نفي أن يطعن فيه بأن المنزل له وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين في فرقهم جمع شيعا وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه إذا تبعه واصله الشيع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام وما للحال لا يدخل إلا مضارعا بمعنى الحال أو ماضيا قريبا منه وهذا على كحاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك إدخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للإستهزاء وفيه دليل على أن الله تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل ل الذكر فإن الضمير الآخر في قوله لا يؤمنون به له وهو خال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به أو بيان للجملة المتضمنه له وهذا الإحتجاج ضعيف إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع عليه ولا يتعين أن تكون الجملة حالا من الضمير لجواز أن تكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الأول يقويه وقد خلت سنة الأولين أي

سنة الله فيهم بأن خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم أو يهلك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لأهل مكة

ولو فتحنا عليهم أي على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون إليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون أو تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق إنما سكرت أبصارنا سدت عن الإبصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف أو حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت ^ ^ بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة على البت بأن ما يروونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل إليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر مختلفة الهيئات و الخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزينها بالأشكال والهيئات البهية للناظرين الاعتبارين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس إلى أهلها ويتصرف في أمرها ويطلع على أحوالها إلا من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاس سرا شبه به خطفهم البسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالإستدلال من أوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدر فيه تكونها قبل المولد لجواز أن يكون لها

أسباب أخر وقيل الإستثناء منقطع أي ولكن من استرق السمع فأتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقدي طلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والأرض مددناها بسطناها وألقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وأثبتنا فيها في الأرض أو فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته أو مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون أو ما يوزن ويقدر أو له وزن أبواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون لها من المطاعم والملابس وقرى معايش بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش أو على محل لكم ويريد به العيال والخدم والممالك وسائر ما يظنون أنهم يرزقونهم ظنا كاذبا فإن الله يرزقهم وإياهم وفذلكة الآية الإستدلال يجعل الأرض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الجزاء في الوضع محدثة فيها أنواع النبات والحيوان المختلفة خلقه وطبيعة مع جواز أن لا تكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الألوهية والإمتنان على العباد بم أنعم عليهم في ذلك ليوحدوه يعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال

وإن من شيء إلا عندنا خزائنه أي وما من شيء إلا نحن قادرين على إيجاده وتكوينه أضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لا قداره أو شبه مقدوراته بالأشياء المخزونة التي لا يحوج إخراجها إلى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة إلا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فإن تخصيص بعضها بالإيجاد في بعض الأوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وأرسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من إنشاء سحب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم أو ملقحات للشجر ونظيره الطوائج بمعنى المطيحات في قوله ومختبئ مما تطيح الطوائج وقرى وأرسلنا الرياح على تأويل الجنس فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه فجعلناه لكم سقيما وما أنتم له بخازنين قادرين متمكنين

من خواجه نفي عنهم ما أثبتته لنفسه أو حافظين في الغدران والعيون والآباء وذلك أيضا يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهواء في بعض الأوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فإن طبيعة الماء تقتضي الغور فوقه دون حد لا بد له منسب مخصص إنا لنحن نحيا بإيجاد الحياة في بعض الجسام القابلة لها ونميت بإزالتها وقد أول الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير لدلالة على الحصر ونخن الوارثون الباقون إذا مات الخلائق كلها

^ ^ ولقد لمتنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين من استقدم ولادة وموتنا ومن استأخر أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة أو تأخر لا يخفى علينا شيء من أحوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الإحتجاج على كمال قدرته فإن ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الأول فازدحموا عليه فنزلت وقيل إن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر إليها وتأخر بعض ليطبها فنزلت وإن ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على أنه القادر والتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة ب إن لتحقيق الوعد والتنبيه على أن ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الأشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله إنه حكيم باهر الحكمة متقن في أفعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من طين يابس يصلصل أي يصوت إذا نقر وقيل هو من صلصل إذا أتنن تضعيف صل من حمأ طين تغير واسود من طول مجاورة

المساء وهو صفة صلصال أي كائن 6 من حمأ ^ مسنون مصور من سنه الوجه أو منصوب ليبس ويتصور الجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كأنه أفرغ الحكماً فصور منها تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه أو متنن من سنتن الحجر على الحجر إذا حككته به فإن ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى السنين والجآن أبا الجن وقيل إبليس ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الإنسان لأن تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الإنسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة في الأجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجوهر المجردة فضلا عن الأجساد المؤلفة التي الغالب فيها لا جزء الناري فإنها أقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الأرضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقتكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها إمكان الحشر وهو قبول للجمع والإحياء وإذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ^ فإذا سويته عدلت خلقته وهياته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف أعضائه فحيي وأصل النفخ إجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق ألا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه

القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين إلى أعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا وإضافة الروح إلى نفسه لما مر في النساء ^ فقعدوا له فأسقطوا له ساجدين أرم من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم أجمعون أكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل أكد بالكل للإحاطة وبأجمعين للدلالة على أنهم سجدوا

مجتمعين دفعة وفيه نظر إذ لو كان المر كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا إلا إبليس إن جعل منقطعا اتصل به قوله أبي أن يكون مع الساجدين أي ولكن إبليس أبي وأن جعل متصلا كان استثناء على أنه جواب سائل قال هلا سجد قال إبليس مالك ألا تكون أي غرض لك في أن لا تكون مع الساجدين لآدم قال لم أكن لأسجد اللام لتأكيد النفي أي لا يصح مني وينافي حالي أن أسجد لبشر جسماني كثيف وأنا ملك روحاني خلقته من صلصال من حما مسنون وهو أخس العناصر وخلقنتني من نار وهي أشرفها استنقص آدم عليه السلام باعتبار النوع الأصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الأعراف ^ قال فأخرج منها من السماء أو الجنة أو زمر الملائكة فإنك رجيم مطرود من الخير والكرامة فإن من يطرد يرحم بالحجر أو شيطان يرحم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته ^ وإن عليك اللعنة ^ هذا الطرد والإبعاد ^ إلى يوم الدين ^ فإنه منتهى أمد اللعن فإنه يناسب أيام التكليف ومه زمان الجزاء وما في قوله ^ فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على ^ الظالمين معنى آخر ينسى عنده هذه وقيل إنما حد اللعن به لأنه أبعد غاية يضربها الناس أو لأنه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل ^ قال رب فانظرني ^ فأخزني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه ^ فأخرج منها فإنك رجيم ^ إلى يوم يبعثون ^ أراد أن يجد فسحة في الإغواء أو نجاه من الموات إذ لا موت بعد وقت البعث فأجابه إلى الأول دون الثاني ^ قال فإنك من المنظرين ^ إلى يوم الوقت المعلوم ^ المسمى فيه أجلك عند الله أو انقراض الناس كلهم وهو النفخة الأولى عند الجمهور ويجوز أن يكون المراد بالأيام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه أولا بيوم الجزاء لما عرفته وثانيا بيوم البعث إذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك أن لا يموت فعلة يموت أول اليوم وبعث مع الخلائق في تضاعيفه وهذه الخاطبة وإن لم تكن بواسطة لم تدل على من صب إبليس لأن خطاب الله له على سبيل الإهانة والإذلال ^ قال رب بما أغويتني ^ الباء للقسم وما مصدرية وجوابه ^ لأزينن لهم في الأرض ^

والمعنى أقسم ياغوائك إياي لأزينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله ^ أخلد إلى الأرض ^ وفي انعقاد القسم بأفعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة أولو الإغواء بالنسبة إلى لغى أو التسبب له بأمره إياه بالسجود لآدم عليه السلام أو بالإضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن إمهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على إغواء بني آدم بأن الله تعالى علم منه وممن تبعه أنهم يموتون على الكفر ويصيرون إلى النار أمهل أولم يمهل وأن في إمهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الأبواب ^ ولأغوينهم أجمعين ^ ولأحملنهم أجمعين على الغواية ^ إلا عبادك منهم المخلصين ^ الذين أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب ففعلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بالكسر فيكل القرآن أي الذين أخلصوا نفوسهم لله تعالى ^ قال هذا صراط علي ^ حق علي أن أراعيه مستقيم لا انحرف عنه والإشارة

إلى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من إغوائه أو الإخلاص على معنى أنه طرق علي يؤدي إلى الوصول إلي من غير اعوجاج وقرئ على من علو الشرف إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاويين تصديق لإبليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولأن المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالف الشيطان عنهم أو تكذيب له فيما أوهم أن له سلطانا على من ليس بمخلص من

عباده فإن منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعاً وعلى الأول يدفع قول من شرط أن يكون المستثنى أقل من الباقي لإفضائه إلى تناقض الاستثناءين وإن جهنم لموعدهم لموعد الغاوين أو المتبعين أجمعين تأكيد للضمير أو حال والعامل فيها الموعد إن جعلته مصدراً على تقدير مضاف ومعنى الإضافة إن جعلته اسم مكان فإنه لا يعمل لها سبعة أبواب يدخلون منها لكثرتهم أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون إلى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوي والغضبية أو لأن أهلها سبع فرق لكل باب منهم من الأتباع جزء مقسوم أفرز له فأعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ أبو بكر جزء بالثقل وقرئ جزء على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم إجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه أو من المستكن في الظرف لا في مقسوم لأن الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ^ إن المتقين ^ من اتباعه في الكفر والفواحش فإن غيرها مكفرة ^ في جنات وعيون ^ لكل واحد جنة وعين أو لكل عدة منهما كقوله ^ ولمن خاف مقام ربه جنتان ^ ثم قوله ^ ومن دونهما جنتان ^ وقوله ^ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ^ الآية وقرأ نافع وحفص وأبو عمرو وهشام وعيون بضم العين حيث وقع الباقيون بكسر العين ادخلوها على إرادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على أنه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين أو مسلماً عليكم آمين من الآفة والزوال ونزعنا في الدنيا بما ألف بين قلوبهم أو في الجنة بتطيب نفوسهم ^ ما في صدورهم من غل ^ من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله تعالى عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم أو من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب إخواناً حال من الضمير في جنات أو فاعل ادخلوها أو الضمير في آمين أو الضمير المضاف إليه والعامل فيها معنى الإضافة وكذا قوله ^ على سرر متقابلين ^ ويجوز أن يكون صفتين لإخواناً أو حال من ضميره لأنه بمعنى متصافين وأن يكون متقابلين حالاً من

^ لا يمسهم فيها نصب ^ استئناف أو حال بعد حال من الضمير في متقابلين ^ وما هم منها بمخرجين ^ فإن تمام النعمة بالخلود ^ نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ^ فذلك ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على أنه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيد وفي عطف ^ ونبئهم عن ضيف إبراهيم ^ على نبي عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به إذا دخلوا عليه فقالوا سلاماً أي نسلم عليك سلاماً أو سلمنا سلاماً قال إنا منكم وجلون خائفون وذلك لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت ولأنهم امتنعوا من الأكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره قالوا لا تؤجل وقرئ لا تأجل و لا تؤجل من أوجله ولا تواجل من واجلة بمعنى أوجله إنا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فإن المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك بفتح النون والتخفيف من البشر بسلام هو إسحاق عليه السلام لقوله وبشرناه بإسحاق ^ عليم ^ إذا بلغ ^ ^ قال أبشروني على أن مسني الكبير تعجب من أن يولد له مع مس الكبير إياه أو إنكار لأن يبشر به في مصل هذه الحالة وكذا وقوله فبم ستبشرون أي فبأي

أعجوبة تبشرون أو فيأي شيء تبشرون فإن البشارة بمم لا يتصور وقوعه عادة بشرة بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على إدغام نون الجمع في نون الوقاية وكسرها وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثليين ودلالة بإيقاء نون الوقاية وكسرها على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة أو باليقين الذي لا ليس فيه أو بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وأمره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فإنه تعالى قادر على أن يخلق بشرا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكن استعجاب إبراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى وكمال علمه وقدرته كما قل تعالى إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون وقرأ أبو عمرو و الكسائي يقنط بالكسر و قرىء بالضم وما ضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم أيها المرسلون أي فما شأنكم الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة ولعله علم أن كمال المقصود ليس البشارة لأنهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج إلى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم عليهما السلام أو لأنهم بشروه في تضاعيف الحال لإزالة الوجمل ولو كانت المقصود لابتدؤوا بها قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين يعني قوم لوط إلا آل لوط إن كان استثناء من قوم كان منقطعا إذ ال قوم مقيد بالإجراء وإن كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والإرسال شاملين للمجرمين و آل لوط المؤمنين به وكان المعنى إنا أرسلنا إلى قوم أكرم كلهم إلا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط منهم وبدل عليه قوله إنا لمنجوههم أجمعين أي مما يعذب به القوم وهو استئناف إذا اتصل الاستثناء ومتصل بال لوط جار مجرى خبر لكن إذا انقطع وعلى هذا جاز أن يكون قوله إلا امرأته استثناء من آل لوط أو من ضميرهم وعلى الأول لا يكون إلا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم إلا أن يجعل إنا لمنجوههم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوههم مخففا قدرنا إنها لمن الغابرين الباقيين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ أبو بكر عن عاصم قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وإنما علق والتعليق من خواص أفعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز أني كون قدرنا أجري مجرى قلنا لأن التقدير بمعنى اقضاء قول وأصله جعل الشيء على مقدار غيره وإسنادهم إياه إلى أنفسهم وهو فعل الله سبحانه وتعالى لمالهم من القرب والإختصاص به فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة أن تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون أي ماجئناك بما تنكرنا لأجله بل بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه ^ وأتيناك بالحق ^ باليقين من عذابهم ^ وإنا لصادقون ^ فيما أخبرناك به ^ فأسر بأهلك ^ فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الهمزة من أسرى وهما بمعنى وقرىء فسر من السير ^ بقطع من الليل ^ في طائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب وانظري فيا لنجوم كم علينا من قطع ليل بهيم ^ واتبع أدبارهم ^ وكن على أثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ^ ولا يلتفت منكم أحد ^ لينظر ما وراءه فيرى من الهول مالا يطيقه أو فيصيه ما أصابهم أو لا ينصرف أحدكم ولا يتخلف أمرؤ لغرض فيصيه العذاب وقيل نهوا عن الإلتفات ليوطئوا نفوسهم على المهاجرة ^ وامضوا حيث تؤمرون ^ إلى حيث أمركم الله بالمضي إليه وهو الشام أو مصر فعدي وامضوا إلى حيث وتؤمرون إلى ضمير المحذوف على الإتساع

^ وقضينا إليه ^ أي وأوحينا إليه مقضيا ولذلك عدي بالي ^ ذلك الأمر ^ مبهم
يفسره ^ أن دابر هؤلاء مقطوع ^ ومحلّه النصب على البذل منه وفي ذلك تفخيم
للأمر وتعظيم له وقرىء بالكسر عللاإستئناف والمعنى أنهم يستأصلون عن آخرهم
حتى لا يبقى منهم أحد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء أو من
الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى ف ^ إن دابر هؤلاء ^ في معنى
مدبري هؤلاء ^ وجاء أهل المدينة ^ سدوم يستبشرون بأضياف لوط طمعا فيهم ^
قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون ^ بفضيحة ضيفي فإن من أسيء إلى ضيفه فقد
أسيء عليه ^ واتقوا الله ^ في ركوب الفاحشة ^ ولا تخزون ^ ولا تذلونني بسببهم
من الخزي وهو الهوان أو لا تخلونني فيهم من الخزية وهو الحياء قالوا أولم ننهك
عن العالمين على أن تجير منهم أحدا أو تمنع بينا وبينهم فإنهم كانوا يتعرضون لكل
أحد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه أو عن ضيافة الناس وإنزالهم ^ قال هؤلاء
بناتي ^ يعني نساء القوم فإن نبي كل أمه بمنزلته أيهم وفيه وجوه ذكرت في
سورة هود ^ إن كنتم فاعلين ^ قضاء الوطر أو ما أقول لكم لعمر ك قسم بحياة
المخاطب والمخاطب في هذا القسم هو النبي عليه الصلاة والسلام وقيل لوط عليه
السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمر ك قسمي وهو للغة في العمر يختص به
القسم لإيثار الأخف فيه لأنه كثير الدور على ألسنتهم ^ إنهم لفي ^
سكرتهم لفي غوايتهم أو شدة غلمتهم التي أزالمت عقولهم وتمييزهم بين خطئهم
والصواب الذي يشار به إليهم يعمهون يتحiron فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير
لقريش والجملة اعتراض ^ فأخذتهم الصيحة ^ يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة
جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس ^ فجعلنا عاليها ^
عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة بهم ^ وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ^ من
طين متحجر أو طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في
سورة هود إن في ذلك لآيات للمتوشمين للمتفكرين المتفرسين الذين يتشبتون في
نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وإنها وإن المدينة أو القرى لسبيل مقيم
ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ^ إن في ذلك لآية للمؤمنين ^ بالله ورسله ^ وإن
كان أصحاب الأيكة لظالمين ^ هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله إليهم
فكذبه فاهلكوا بالظلة و الأيكة الشجرة المتكاثفة ^ فانتقمنا منهم ^ بالإهلاك وإنهما
يعني سدوم والأيكة وقيل الأيكة ومدين فإنه كان مبعوثا إليهما فكان ذكر إحداهما
منبها على الأخرى ^ لبإمام مبين ^ لطريق واضح والإمام اسم ما يؤتم به فسمي
به الطريق ومطمر البناء واللوح لأنهما مما يؤتم به ^ ولقد كذب أصحاب الحجر
المرسلين ^ يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكأنما كذب الجميع
وبجوز أن يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين و الحجر واد بين
المدينة والشام يسكنونه ^ وأتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين ^ يعني آيات الكتاب
المنزل على نبيهم أو معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها أو ما نصب لهم من
الأدلة

^ وكانوا ينتحون من الجبال بيوتا آمنين ^ من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب
الأعداء لوثاقتها أو من العذاب لفرط غفلتهم أو حسبانهم أن الجبال تحميهم منه ^
فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ^ من بناء البيوت الوثيقة
واستكثار الأموال والعدد وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق إلا خلقا
ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة إهلاك
أمثال هؤلاء وإزاحة فسادهم من الأرض ^ وإن الساعة لآتية ^ فينتقم الله لك فيها

ممن كذبك ^ فاصفح الصفح الجميل ^ ولا تعجل بانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف ^ إن ربك هو الخلاق ^ الذي خلقك وخلقهم ويده أمرك وأمرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بأن تكل ذلك إليه ليحكم بينكم أو هو الذي خلقكم وعلم الأصلاح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح وفي مصحف عثمان وأبي رضي الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير و الخلاق يختص بالكثير

^ ولقد آتيناك سبعا ^ سبعة آيات وهي الفاتحة وقيل سبعة سور وهي الطوال وسابعتها الأنفال و التوبة فإنهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس أو الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وه الأسباع ^ من المثاني ^ بيان للسبع والمثاني من التثنية أو الثناء فإن كل ذلك مثنى تكرر قراءته أو ألفاظه أو قصصه ومواعظة أو مثنى عليه بالبلاغة والإعجاز أو مثنى على الله بما هو أهله من صفاته العظمى وأسمائه الحسنى ويجوز أن يراد ب المثاني القرآن أو كتب الله كلها فتكون من للتبويض ^ والقرآن العظيم ^ إن أريد بالسبع الآيات أو السور فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص وإن أريد به الأسباع فمن عطف أحد الوصفين على الآخر ^ لا تمدن عينيك ^ لا تطمح ببصرك طموح راغب ^ إلى ما متعنا به أزواجا منهم ^ أصنافا من الكفار فإنه مستحقر بالإضافة إلى ما أوتيته فإنه كمال مطلوب بالذات مفض إلى دوام اللذات وفي حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي أنه عليه الصلاة والسلام وافى بأذرع سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البر والطيب والجواهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقويتنا بها وأنفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد أعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا

^ تحزن عليهم ^ أنهم لم يؤمنوا وقيل إنهم المتمتعون به ^ واخض جناحك للمؤمنين ^ وتواضع لهم وارفق بهم ^ وقل إني أنا النذير المبين ^ أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم إن لم تؤمنوا ^ كما أنزلنا على المقتسمين ^ مثل العذاب الذي أنزلناه عليهم فهو وصف لمفعول النذير أقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فأهلكهم الله تعالى يوم بدر أو الرهط الذين اقتسموا على أن يبيتوا صالحا عليه الصلاة والسلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه ^ ولقد آتيناك ^ فإنه بمعنى أنزلنا إليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عشرين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما أو قسموه إلى شعر وسحر وكهانة وأساطير الأولين أو أهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على أن القرآن ما يقرؤون من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله ^ لا تمدن عينيك ^ الخ اعتراضا ممدا لها ^ الذين جعلوا القرآن عشرين ^ أجزاء جمع عضة وأصلها عضة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء وقيل فعل من عضته إذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضة والمستعضة وقيل أسحارا وعن عكرمة العضة السحر وإنما جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين أو مبتدأ خبره فوربك لنسألنهم أجمعين ^ عما كانوا يعلمون من التقسيم أو النسبة إلى السحر فنجازيهم عليه وقيل هو عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا أو فافرق به بين الحق والباطل وأصله الإبانة

والتمييز وما مصدرية أو موصولة والراجع محذوف أي بما تؤمر به من الشرائع وأعرض عن المشركين ولا تلتفت إلى ما يقولون

إنا كفييناك المستهزيين بقمعهم وإهلاكهم قيل كانوا خمسة من أشرف قريش الوليد بن المغيرة و العاص بن وائل وعدي بنى قيس والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب يبالغون في إيذائه النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أكفيكم فأوماً إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لأخذه فأصاب عرقا فيعقبه فقطعه فمات وأوماً إلى أخص العاص فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات وأشار إلى أنف عدي بن قيس فامتخط قيجا فمات وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة وبضرب وجهه بالشوك حتى مات وإلى عيني الأسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله إليها آخر فسوف يعلمون عاقبة أمرهم في الدارين ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والإستهزاء بك فسمح بحمد ربك فافزع إلى الله تعالى فيما نابك بلا تسييح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك أو فنزهه عما يقولون حامدا له على أن هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وأبعد ربك حتى يأتيك اليقين أي الموت فإنه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزيين بمحمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم

سورة النحل غير ثلاث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما أو عدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة أو إهلاك الله تعالى إياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكديبا ويقولون إن صح ما تقوله فالأصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى أن الأمر الموعود به بمنزلة الآتي التحقق من حيث إنه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فإنه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم منه سبحانه تعالى عما يشركون تبرأ وجل عن أن يكون له شريك فيدفع ما أراد بهم وقرأ حمزة و الكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بإلياء على تلوين الخطاب أو على أن الخطاب للمؤمنين أو لهم ولغيرهم لما روى أنه لما نزلت أتى أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه

ينزل الملائكة بالروح بالوحي أو القرآن فإنه يحيى به القلوب الميتة بالجهل أو يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك إشارة إلى الطريق الذي به علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق موعدهم به ودنوه وإزاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل من أنزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تنزل وقرأ أبو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من أمره بأمره أو من أجله على من يشاء من عباده أن يتخذه رسولا أن أنذروا بأن أنذروا أي اعلموا من نذرت بكذا إذا علمته أنه لا إله إلا أنا فاتقون أن الشان لا إله إلا أنا فاتقون أو خوفوا أهل الكفر والمعاصي بأنه لا إله إلا أنا وقوله فاتقون رجوع إلى مخاطبتهم بما هو المقصود و أن مفسرة لأن الروح بمعنى الوحي الدال على القول أو مصدرية في موضع الحر بدلا من الروح أو النصب بنزع الخافض أو مخففة من الثقيلة والآية تدل على أن نزول الوحي بواسطة الملائكة وأن حاصله

التنبه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والأمر بالتقوى الذي هو أقصى كمال القوة العملية وأن النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث إنها تدل على أنه تعالى هو الموجد لأصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك في فيلزم التمانع خلق السموات والأرض بالحق أوجدهما على مقدار وشكل وأوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منهما أو مما يفتقر في وجوده

أو بقائه إليهما ومما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على أنه تعالى ليس من قبيل الأجرام خلق الإنسان من نطفة جماد لا حس بها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع الشكل فإذا هو خصيم منطبق مجادل مبين للحجة أو خصيم مكافح لخالقه قائل من يحي العظام وهي رميم روي أن أبي بن خلف أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد أتري الله يحي هذا بعد ما قد رم فنزلت والأنعام الإبل والبقرة والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم أو بالعطف على الإنسان وخلقها لكم بيان ما خلقت لأجله وما بعده تفصيل له فيها دواء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وإنما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والألبان وتقديم الطرف للمحافظة على رؤوس الآي أو لأن الأكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش وأما الأكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي أو التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها إلى مراحلها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغدوة إلى المراعي فإن الألفية تتزين بها في الوقتين ويجل أهلها في أعين الناظرين إليها وتقديم الراحة لأن الجمال فيها أظهر فإنها تقبل ملاي البطون حافلة الضروع ثم تاوي إلى الحظائر حاضرة لأهلها وقرئ حينا ^ على أن ^ تريحون ^ وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل أثقالكم أحمالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه أي إن لم تكن الأنعام

ولم تخلق فضلا أن تحملوها على ظهوركم إليه إلا بشق الأنفس إلا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الأمر عليه وأصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب إن ربكم لرؤوف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الأمر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الأنعام ^ لتركبوها وزينة ^ أي لتركبوها وتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لأن الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولأن المقصود من خلقها الركوب وأما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل أن يكون علة لتركبوها أو مصدرا في موضع الحال من أحد الضميرين أي متزينين أو متزيننا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه إذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا أن لا يقصد منه غيره أصلا ويدل على أن الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على أن الحمر الأهلية حرمت عام خبير ^ ويخلق ما لا تعلمون ^ لما فصل الحيوانات التي يحتاج إليها غالبا احتياجا ضروريا أو غير ضروري أجمل غيرها ويجوز أن يكون إخبارا بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به وأن يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر ^ وعلى الله قصد السبيل ^ بيان مستقبل الطريق الموصل إلى الحق أو إقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا أو عليه قصد السبيل يصل إليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك أضاف إليه ال قصد وقال ومنها جائز حائد عن القصد أو عن

الله وتغيير الأسلوب لأنه ليس بحق على الله تعالى أن يبين طرق الضلالة أو لأن المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل إلى القصد والجائر إنما جاء بالعرض وقرئ و منكم جائر أي عن القصد ^ ولو شاء ^ الله ^ لهداكم أجمعين ^ أي ولو شاء هدايتكم أجمعين لهداكم إلى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء ^ هو الذي أنزل من السماء ^ من السحاب أو من جانب السماء ^ ماء لكم منه شراب ^ ما تشربونه ولكم صلة أنزل أو خبر شراب و من تبعية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لأن مياه العيون والآبار منه لقوله ^ فسلكه ينابيع ^ وقوله ^ فأسكناه في الأرض ^ ^ ومنه شجر ^ ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الأرض شجر قال يعلفها اللحم إذا عز الشجر والخيل في إطعامها اللحم ضرر ^ فيه تسيمون ^ ترعون من سامت الماشية وأسامها صاحبها وأصله السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي علامات ^ ينبت لكم به الزرع ^ وقرأ أبو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والأعناب من كل الثمرات وبعض كلها إذا لم ينبت في الأرض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لأنه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الأغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالأجناس الثلاثة وترتيبها ^ إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ^ على وجود الصانع وحكمته فإن من تأمل أن الحبة تقع في الأرض وتصل إليها نداوة تنفذ فيها فينشق أعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق أسفلها فيخرج منه عروقتها ثم ينمو ويخرج منه الأوراق والأزهار والأكمام والثمار ويشتمل كل منها على أجسام مختلفة الأشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية إلى الكل علم أن ذلك ليس إلا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الأضداد والأنداد ولعل فصل الآية به

^ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ^ بأن هيأها لمنافعكم ^ مسخرات بأمره ^ حال من الجميع أي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها كيف شاء أو لما خلقن له بإيجاده وتقديره أو لحكمه وفيه إيذان بالجواب عما عسى أن يقال إن المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب وأوضاعها فإن ذلك إن سلم فلا ريب في أنها أيضا ممكنة المذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل أو مصدر ميمي جمع لاختلاف الأنواع وقرأ حفص ^ والنجوم مسخرات ^ على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر ^ الشمس والقمر ^ أيضا ^ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ^ جمع الآية وذكر العقل لأنها تدل أنواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة إلى استيفاء فكر كأحوال النبات وما درأ لكم في الأرض عطف على الليل أي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات ^ مختلفا ألوانه ^ أصنافه فإنها تتخالف باللون غالبا ^ إن في ذلك لآية لقوم يذكرون ^ إن اختلافها في الطبائع والهيئات والمناظر ليس إلا بصنع صانع حكيم ^ وهو الذي سخر البحر ^ جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص ^ لتأكلوا منه لحما طريا ^ هو السمك ووصفه بالطراوة لأنه أرطب اللحوم يسرع إليه الفساد فيسارع إلى أكله ولإظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على أن من حلف أن لا يأكل لحما حنت بأكل السمك وأجيب عنه بأن مبنى الإيمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الإطلاق ألا ترى أن الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنت الخالق على أن لا يركب

دابة بركوبه ^ وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ^ كاللؤلؤ والمرجان أي تلبسها نساؤكم فأسند إليهم لأنهن من جملتهم ولأنهن يتزين بها لأجلهم ^ وترى الفلك ^ السفن ^ مواخر فيه ^ جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ^ ولتبتغوا من فضله ^ من سعة رزقه بركوبها للتجارة ^ ولعلكم تشكرون ^ أي تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لأنه أقوى في باب الأنعام من حيث أنه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش ^ وألقى في الأرض رواسي ^ جبالا رواسي ^ أن تميد بكم ^ كراهة أن تميل بكم وتضطرب وذلك لأن الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها أن تتحرك بالإستدارة كالأفلاك أو أن تتحرك بأدنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالأوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهورها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال وأنها را جعل فيها أنهارا لأن ألقى فيه معناه ^ سبلا لعلكم تهتدون ^ لمقاصدكم أو إلى معرفة الله سبحانه وتعالى وعلامات معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك ^ وبالنجم هم يهتدون ^ بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس وبدل عليه قراءة وبالنجم بضمين وضممة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدات وبنات نعش والجدى ولعل الضمير لقريش لأنهم كانوا كثيري الأسفار مشهورين بالإهتداء في مسائرهم بالنجوم وإخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم وإحكام الضمير

للتخصيص كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء يهتدون فا الإعتبار بذلك والشكر عليه ألزم لهم أوجب عليهم ^ أفمن يخلق كمن لا يخلق ^ إنكار بعد إقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكيمته والتفرد بخلق ما عدد من مدعائه لأن يساويه ويستحق مشاركته مالا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على إيجاد شيء ما وكان حق الكلام أفمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على أنهم بالإشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله سبحانه وتعالى مغلبا فيه أولو العلم شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله سبحانه وتعالى مغلبا فيه أولو العلم منهم أو الأصنام وأجروها مجرى أولي العلم لأنهم سيموها آلهة ومن حق الإله أن يعلم أو للمشاكلة بينه وبين من يخلق أو لمبالغة وكأن قيل إن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده ^ أفلا تذكرون ^ فتعرفوا فساد ذلك فإنه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بأدنى تذكرو والتفات وإن تعدو نعمة اله لا تحسوها لا تضبطوا عددها فضلا أن يطبقوا القيام بشكرها أتبع ذلك تعداد النعم وإلزام الحجة على تفردده باستحقاق العبادة تنبيها على أن وراء ما عدد نعمنا لا نحصر وأن حق عبادته تعالى غير مقدور ^ إن الله لغفور ^ حيث يتجاوز عن تقصير في أداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم وأعمالكم وهو وعيد ونزيف للشرك باعتبار العلم بعد تزيفه باعتبار القدرة والذين تعدون ممن دون الله أي والآلهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ أبو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالياء ^ لا يخلقون شيئا ^ لما نفى المشاركة بين من

يخل قومون لا يخلق بين أنهم لا يخلقون شيئا لينتج أنهم لا يشاركونه ثم أكد ذلك بأن اثبت لهم صفات تنافي الألوهية فقال ^ وهم يخلقون ^ لأنهم ذوات ممكنة

مفترقة الوجود إلى التخليق والإله ينبغي أن يكون واجب الوجود أموات هم أموات لا تعتربهم الحياة أو أموات حالا أو مالا ^ غير أحياء ^ بالذات ليتناول كل معبود والإله ينبغي أن يكون حيا بالذات لا يعتربه الممات ^ وما يشعرون أيان يعثون ^ ولا يعلمون وقت بعثهم أو بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والإله ينبغي أن يكون عالما بالغيوب مقدارا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على أن البعث من توابع التكليف ^ إلهكم إله واحد ^ تكرير للمدعي بعد إقامة الحجج ^ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ^ بيان لما اقتضى إصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم إيمانهم بالآخرة فإن المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وإنكار قلوبهم مالا يعرف إلا بالبرهان اتباعا للأسلاف وركونا إلى المألوف فإنه ينافي النظر والإستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والألتفات إلى قوله والأول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين ^ لا جرم ^ حقا أنا لله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع ب جرم لأنه مصدر أو فعل ^ إنه لا يحب المستكبرين ^ فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده أو اتباع الرسول

وإذا قليل هم ماذا أنزل ربكم القائل بعضهم على التهكم أو الوافدون عليهم أو المسلمون ^ قالوا أساطير الأولين ^ أي ما تدعون نزوله أو المنزل أساطير الأولين وإنما سموه منزلا على التهكم أو على الفرض أي على تقدير أنه منزل فهو أساطير الأولين لا تحقيق فيه والقائلون قيل هم المقتسمون ^ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ^ أي قالوا ذلك إضلالا للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة فإن إضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ^ ومن أوزار الذين يضلونهم ^ وبعض أوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب ^ بغير علم ^ حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وفائدتها الدلالة على أن جهلهم لا يعذرهم إذ كان عليهم أن يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل ألساء ما يرون بئس شيئا يزرونه فعلهم ^ وقد مكر الذين من قبلهم ^ أي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام ^ فأتى الله بنيانهم من القواعد ^ فأتاها أمره من جهة العمدة التي بنوا عليها بأن ضعفت ^ فخر عليهم السقف من فوقهم ^ وصار سبب هلاكهم ^ وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ^ لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليرصد أمر السماء فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ^ ثم يوم القيامة يخزيهم ^ يذلهم أو يعذبهم بالنار كقوله تعالى ^ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ^ ويقول أين شركائي ^ أضاف إلى نفسه استهزاء أو حكاية

لإضافتهم زيادة في توبيخهم ^ الذين كنتم تشاقون فيهم ^ تعادون المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقوني فإن مشاققة المؤمنين كمشاققة الله عز وجل وقال الذين أوتوا العلم أي الأنبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم إلى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم أو الملائكة ^ إن الخزي اليوم والسوء ^ الذلة والعذاب ^ على الكافرين ^ وفائدة إظهار الشماتة بهم وزيادة الإهانة وحكايته لأن يكون لطفًا ووعظًا لمن سمعه ^ الذين تتوفاهم الملائكة ^ وقرأ حمزة بالياء وقرئ بإذغام في التاء وموضع الموصول يحتمل الأوجه الثلاثة ^ ظالمي أنفسهم ^ بأن عرضوها للعذاب المخلد ^ فآلقوا السلم ^ فسالموا وأخبتوا حين عاينوا الموت ^ ما كنا ^ قائلين ما كنا ^ نعمل من سوء ^ كفر وعدوا ويجوز أن يكون تفسير ل السلم على أن المراد به القول الدال على الاستسلام بلى أي فتجيبهم الملائكة بلى ^ إن الله عليم

بما كنتم تعملون ^ فهو يجازيكم عليه وقيل قوله ^ فألقوا السلم ^ إلى آخر الآية استئناف ورجوع إلى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا أول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا تعمل من سوء بآنا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا ويحتمل أن يكون الراد عليهم هو الله تعالى أو أولو العلم ^ فادخلوا أبواب جهنم ^ كل صنف بابها المعد له وقيل أبواب جهنم أصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المنكرين جهنم

وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا أي أنزل خيرا وفي نصبه دليل على أنهم لم يتلعثوا في الجواب وأطبقوه على السؤال معترفين بالإنزال على خلاف الكفرة روي أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخير النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا وإذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافأة في الدنيا ولدن الآخرة خير أي ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز أن يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا ل خيرا على أنه منتصب ب قالوا ^ ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون من أنواع المشتبهات وفي تقديم الطرف تنبيه على أن الإنسان لا يجد جميع ما يريد إلا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الأول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة إياهم بالجنة أو طيبين بقبض أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية إلى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم

بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فإنها معدة لكم على أعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لأن المر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم وقرأ حمزة والكسائي بالياء أو يأتي أمر ربك القيامة أو العذاب المستأصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل اللذين من قبلهم فأصابهم ما أصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية إليه فأصابهم سيئات ما عملوا أي جزاء سيئات أعمالهم على حذف المضاف أو تسمية الجزاء باسمها وحق بهم ما كانوا به يستهزئون وأحاط بهم جزاؤه ولا يستعلم إلا في الشر وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبائنا ولا حرمنا من دونه من شيء إنما قالوا ذلك استهزاء أو منعا للبعثة والتكليف متمسكين بأن ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيها أو إنكارا لقبح ما أنكر عليهم من الشركى وتحريم البحائر ونحوها محتجين بأنها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشأن خلافه ملجئا إليه لا اعتذارا إذ لم يعتقدوا قبح أعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن

الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فأشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل إلا البلاغ المبين إلا الإبلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر فيهدى من شاء الله هداه لكنه يؤدي إليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه إنما يجب وقوعه لا مطلقا بل بأسباب قدرها له ث مبين أن البعثة أمر جرت به السنة الإلهية في المم كلها سببا لهدى من أراد اهتدائه وزيادة لضلال من أراد ضلاله كالغذاء الصالح فإنه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله تعالى ولقد بعثنا في

كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يأمر بعبادة الله تعالى واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للإيمان بإرشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة إذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على أن تحقق الضلال وثباته بفعل اله تعالى وإرادته من حيث أنه قسم من هدى الله وقد صرح به في الآية الأخرى فسيروا في الأرض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلمكم تعتبرون إن تحرض يا محمد على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدي على البناء للمفعول وهو أبلغ ومالهم بالله من ناصرين ^ لا يبعث الله من يموت ^ عطف على ^ وقال الذين أشركوا ^ إيذانا بأنهم كما أنكروا التوحيد أنكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله عليهم أبلغ فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فإن يبعث موعد من الله عليه إنجازه لا متناع الخلف فيوعده أو لأن البعث مقتضى حكمته حقا صفة أخرى للوعد ولكن أكثر الناس لا يعلمون لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهم امتناعه ثم إنه تعالى بين الأمرين فقال لبيّن لهم أي يبعثهم لبيّن لهم ^ الذي يختلفون فيه ^ وهو الحق ^ وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين فيما يزعمون وهو إشارة إلى السبب الداعي إلى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وهو بيان إمكانية وتقريره أن تكوين الله بمحض قدرته ومشئته لا توقف له على سبق المواد والمدد وإلا لزم التسلسل فكما أمكن له تكوين الأشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال أمكن له تكوينها إعادة بعده ونصب ابن عامر و الكسائي ها هنا وفي يس فيكون عطفا على نقول أو جوابا للأمر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم إلى الحبشة ثم إلى المدينة وبعضهم إلى المدينة أو المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وأبو جندل وسهيل رضي الله تعالى عنهم وقوله وفي الله أي في حقه ولوجهه لنبوتهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة أو تبوئة حسنة ولجر

الآخرة أكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كان إذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة أفضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار أي لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقهم أو للمهاجرين أي لو علموا ذلك لزدوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كاذي الكفار ومفارقة الوطن ومحلّه النصب أو الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين إلى الله مفوضين إليه الأمر كله وما أرسلنا من قبلك إلا رجلا نوحى إليهم رد لقول قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا أي جرت السنة الإلهية بأن لا يبعث للدعوة العامة إلا بشرا يوحى إليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الأنعام فإن شككتم فيه فاسألوا أهل الذكر أهل الكتاب أو علماء الأخبار ليعلموكم إن كنتم لا تعلمون وفي الآية دليل على أنه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة وقوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا إلى الملائكة أو إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل لم يبعثوا إلى الأنبياء إلا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي أنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل صلوات الله عليه وعلى صورته

التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة إلى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر أي أرسلناهم بالبينات والزبر أي المعجزات والكتب كأنه جواب قائل قال بم أرسلوا ويجوز أن يتعلق بما أرسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا أي وما أرسلنا إلا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت إلا زيدا بالسوط أو صفة لهم أي رجالا ملتبسين بالبينات أو يوحي على المفعولية أو الحال من القائم مقام فاعله على أن

قوله فاسألوا اعتراض أو بلا تعلمون على أن الشرط للتبكيك والإلزام وأنزلنا إليك الذكر أي القرآن وإنما سمي ذكرا مما أمروا به ونهوا عنه أو مما تشابه عليهم والتبيين أعم من أن ينص بالمقصود أو يرشد إلى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلمهم يتفكرون وإرادة أن يتأملوا فيه فينتبهوا للحقائق فأمن الذين مكروا السيئات أي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الأنبياء أو الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد أصحابه عن الإيمان أن يخسف الله بهم الأرض كما خسف بقارون أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط أو يأخذهم في قلبهم أي متقلبين في مسيرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين ^ ^ أو يأخذهم على خوف على مخافة بأن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون أو على أن ينقصهم شيئا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفته إذا تنقصته روي أن عمر رضي الله تعالى عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا أبو كبير

يصف ناقته تخوف الرجل منها بامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن ^ ^ فقال عمر عليكم بدبوانكم لا تصلوا قالوا وما دبواننا قال شعر الجاهلية فإن قيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فإن ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعالجكم بالعقوبة أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء استفهام إنكار أي قد رأوا أمثال هذه الصنائع فما بهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها يتفيؤ ظلالة أي أو لم ينظروا إلى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائي ترو بالتاء عن اليمين والشمال عن إيمانها وعن شمائلها أي عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الإنسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع شمائلها باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلالة وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلالة والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع أو الاختيار يقال سجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب إلى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ أو واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد والأجرام في أنفسها أيضا داخرة أي صاغرة من قادة لأفعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لأن من جملتها من يعقل أو لأن الدخور من أوصاف العقلاء وقيل المراد ب اليمين والشمال يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لأن الكواكب

تظهر منه أخذة في الأرتفاع وشماله هو الجانب الغربي المقابل له من الأرض فإن الظلال في أول النهار تبتدىء من المشرق واقعة على الربع الغربي من الأرض وعند الزوال تبتدىء من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الأرض ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض أي ينقاد أنقيادا يعم الأنقياد لإرادته وتأثيره طبعيا والإنقياد لتكليفه وأمره طوعا ليصح إسناده إلى عامة أهل السموات والأرض وقوله من دابة

بيان لهما لأن الديب هو الحركة الجسمانية سواء كانت في أرض أو سماء والملائكة عطف على الميين به عطف جبريل على الملائكة للعظيم أو عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من نقال إن الملائكة أرواح مجردة أو بيان لما في الأرض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له إجلالا وتعظيما أو المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان أولى من إطلاق من تغليبا للعقلاء وهم يستكبرون ^ عن عبادته ^ يخافون ربهم من فوقهم يخافونه أن يرسل عذابا من فوقهم أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير ف لا يستكبرون أو بيان له وتقرير لأن من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ذكر العدد مع أن المعدود يدل عليه دلالة على أن مساق النهي إليه أو إيماء بأن الأثنية تنافي الألوهية كما ذكر الواحد في قوله إنما هو إله واحد للدلالة على أن المقصود إثبات الواحدانية دون الإلهية أو للتنبية على أن الوحدة من لوازم الإلهية فإياي فارهبون نقل من الغيبة إلى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود فكأنه قال فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والأرض خلقا وملكا وله الدين أي الطاعة وأصبا لا زما لما تقرر من أنه الإله وحده والحقيقي بأن يرهب منه وقيل وأصبا من الوصب أي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء أي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر أغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله أي وأي شيء اتصل بكم من نعمة فهو مناله وما شرطية أو موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الإخبار دون الحصول فإن استقرار النعمة

بهم يكون سببا للإخبار بأنها من الله لا لحصولها منه ثم إذا مسكم الضر فغليه تجارون فما تتضرعون إلا إليه والجوار رفع الصوت في الدعاء والإستغاثة ثم إذا ككشف الضر عنكم إذا فريق منكم وهم كفاركم بربهم يشركون بعبادة غيره هذا إذا كان الخطاب عاما فإن كان خاصيا بالمشركين كان من للبيان كأنه قال إذا فريق وهم أنتم ويجوز أن تكون من للتبويض على أن يعتبر بعضهم كقوله تعالى فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد ^ ^ ليكفروا بما أتيناهم من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة أو إنكار كونها من الله تعالى فتمتعوا أمر تهديد فسوف تعلمون أغلظ وعيده وقرىء فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفًا على ليكفروا وعلى هذا جاز أن تكون اللام لام الأمر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون أي لألهتهم التي لا علم لها لأنها جماد فيكون الضمير لما أو التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل أنها تنفعهم وتشفع لهم على أن العائد إلى ما محذوف أو لجهلهم على أن ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزروع والأنعام تالله لتسالن عما كنتم تفترون من أنها آلهة حقيقة بالتقريب عليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولن الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له منقولهم أو تعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالإبتداء والنصب بالعطف على البنات على أن الجعل بمعنى الإختيار وهو وإن أفضى إلى أن يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف

^ ^ وإذا بشر أحدهم بالأنثى أخبر بولادتها ظل وجهه صار أو دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الإغتمام والتشوير وهو كظيم مملوء غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا أي مسكه محدثا نفسه متفكرا في أن يتركه على هون ذلك أم يدسه في التراب أي يفه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما إلا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة إلى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الإناث ووأدهن خشية الإملاق ولله المثل الأعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المنفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الأرض وإنما أضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كاد جعل يهلك في حجره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وقيل لو أهلك الآباء بكفرهم لم يكن الأبناء ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى سماه لأعمارهم أو لعذابهم كي يتوالدوا فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا أو عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس وإضافة الظلم إليهم أن يكونوا كلهم ظالمين حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لجواز أن يضاف إليهم ما شاع فيهم وصدر عن أكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون أي ما يكرهونه لأنفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسول وأراذل الأموال وتصف ألسنتهم الكذب مع ذلك وهو أن لهم الحسنى أي عند الله كقوله ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للألسنة لا جرم أن لهم النار رد لكلامهم وإثبات لضده وأنهم مفرطون مقدمون إلى النار من أفرطته في طلب الماء إذا قدمته وقرأ

نافع بكسر الراء على أنه من الإفراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات ^ تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم ^ فأصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين ^ فهو وليهم اليوم ^ أي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها أو فهو وليهم حين كان يزين لهم أو يوم القيامة على أنه حكاية حال ماضية أو آتية ويجوز أن يكون الضمير لقريش أي زين الشيطان للكفرة المتقدمين أعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وإن يقدر مضاف أي فهو ولي أمثالهم والولي القرين أو الناصر فيكون نفا للناصر لهم عل أبلغ الوجوه ^ ولهم عذاب أليم ^ في القيامة ^ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم ^ للناس ^ الذي اختلفوا فيه ^ من التوحيد والقدر وأحوال المعاد وأحكام الأفعال ^ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ^ معطوفان على محل لتبين فإنهما فعلا المنزل بخلاف التبيين ^ والله أنزل من السماء ما فأحيا به الأرض بعد موتها ^ أنبت فيها أنواع النبات بعد يبسها ^ إن في ذلك لآية لقوم يسمعون ^ سماع تدبر وإنصاف ^ وإن لكم في الأنعام لعبرة ^ دلالة يعبر بها من الجهل إلى العلم ^ نسقيكم مما في بطونه ^ استئناف لبيان العبرة وإنما ذكر الضمير ووحده ها هنا للفظ وأنته في سورة المؤمنين للمعنى فإن الأنعام اسم جمع ولذلك عده سبويه في المفردات المبنية على أفعال كأخلاق وأكياس ومن قال إنه جمع نعم جعل الضمير للبعض فإن اللبن لبعضها دون جميعها أو لواحدة أو له على المعنى فإن المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفي

المؤمنين ^ ^ من بين فرث ودم لبنا فإنه يخلق من بعض أجزاء الدم المتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الأشياء المأكولة

المنهضمة بعض الإنهضام في الكرش وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن البهيمة إذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان أسفل فرثا وأوسطه لبنا وإعلاه دما ولعله أن صح فالمراد أن أوسطه يكون مادة اللبن وإعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لأنهما لا يتكونان في الكرش هو يبقى ثقله وهو الفرث ثم يسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث أخلاطا أربعة معه مائة فتميز القوة المميزة تلك المائة بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها إلى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقي على الأعضاء بحسبها فيجري إلى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم إن كان الحيوان أنثى زاد أخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد أولا إلى الرحم لأجل الجنين فإذا انفصل انصب ذلك الزائد أو بعضه إلى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغدنية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى في إحداث الخلاط والألبان وإعداد مقارها ومجاريها والأسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر إلى الإقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته و من الأولى تبغيضية لأن اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لأن بين الفرث والدم المحل الذي يتبدأ منه الإسقاء وهي متعلقة ب سقيكم أو حال من لبنا قدم عليه لتكثيره وللتنبية على أنه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث أو مضى عما يصحبه من الأجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرىء سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والأعناب متعلق بمحذوف أي ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أي من عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا استئناف لبيان الإسقاء أو ب تتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا أو خبر لمحذوف صفته تتخذون أي ومن

ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الأولين لأنه للمضاف المحذوف الذي هو العصير أو لأن ال ثمرات بمعنى الثمر وال سكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والديبس والخل والآية إن كانت ساقية على تحريم الخمر فدالة على كراهتها وإلا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل ال السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت أعراض الكرام سكرًا ^ ^ أي تنقلت بأعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من أثمانه ^ وأوحى ربك إلى النحل ^ ألهمها وقذف في قلوبها وقرئ ^ إلى النحل ^ بفتحيتين ^ أن اتخذني ^ بأن اتخذني ويجوز أن تكون أن مفسرة لأن في الإيحاء معنى معنى القول وتأنيت الضمير على المعنى فإن النحل مذكر ^ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ^ ذكر بحرف التبعيض لأنها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم أو سقف ولا في كل مكان منها وإنما سمي ما تبنيه لتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الإنسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها أحذق المهندسين إلا بالآت وأنظار دقيقة ولعل ذكره لتنبية على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء وقرأ ابن عامر وأبو بكر يعرشون بضم الراء ^ ثم كلي من كل الثمرات ^ من كل ثمرة تشتتهينها مرها وحلوها فاسلكي ما أكلت ^ سبل ربك ^ في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا أو

فاسلكي الطرق التي ألهمك في عمل العسل أو فاسلكي راجعة إلى بيوتك ^ سبل ربك ^ لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذلا جمع ذلول وهي حال من السبل أي مذلة

ذللها الله تعالى وسهلها لك أو من الضمير في اسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به ^ يخرج من بطونها ^ كأنه عدل به عن خطاب النحل إلى خطاب الناس لأنه محل الإنعام عليهم والمقصود من خلق النحل وإلهامه لأجلهم شراب يعني العسل لأنه مما يشرب واحتج به من زعم أن النحل تأكل الأزهار والأوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم أنها تلتقط بأفواها أجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الأوراق والأزهار وتضعها في بيوتها ادخارا فإذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالأفواه ^ مختلف ألوانه ^ ابيض وأصفر وأحمر وأسود بحسب اختلاف سن النحل والفصل ^ فيه شفاء للناس ^ إما بنفسه كما في الأمراض البلغمية أو مع غيره كما في سائر الأمراض إذ قلما يكون معجون إلا والعسل جزء منه مع أن التنكير فيه مشعر بالتبويض ويجوز أن يكون للتعظيم وعن قتادة أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أخي يشتكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرأ فكأنما أنشط من عقال وقيل الضمير للقرآن أو لما بين الله من أحوال النحل ^ إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ^ فإن من تدبير اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والأفعال العجيبة حق التدبير علم قطعاً أنه لا يد له من خالق قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه ^ والله خلقكم ثم يتوفاكم ^ بأجال مختلفة ^ ومنكم من يرد ^ يعاد ^ إلى أرذل ^

العمر أخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ليصير إلى حالة شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وسوء الفهم ^ إن الله عليم ^ بمقادير أعماركم قدير يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفاني وفيه تنبيه على أن تفاوت آجال الناس ليس إلا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل أمزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ ^ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ^ فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم ممالئك حالهم على خلاف ذلك ^ فما الذين فضلوا برادي رزقهم ^ بمعطي رزقهم ^ على ما ملكت أيماهم ^ على ممالئكم فإنما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في أيديهم فهو فيه سواء فالموالي والممالئك سواء في أن عليهم رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية أو مقررة لها ويجوز أن تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيماهم فيستووا في الرزق على أنه رد وإنكار على المشركين فإنهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الألوهية ولا يرضون أن يشاركونهم عبيدهم فيما أنعم الله عليهم فيساورهم فيه ^ أفبنعمة الله يجحدون ^ حيث يتخذون له شركاء فإنه يقتضى أن يضاف إليهم بعض ما أنعم الله عليهم ويجحدوا أنه من عند الله أو حيث أنكروا أمثال هذه الحجج بعدما أنعم الله عليهم بإيضاحهم والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ أبو بكر تجحدون بالياء لقوله خلقكم و ^ فضل بعضكم ^ ^ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ^ أي من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون أولادكم

مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم ^ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ^ وأولاد أولاد أو بنات فإن الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت أتم خدمة وقيل هم الأختان على البنات وقيل الرئائب ويجوز أن يراد بها البنون أنفسهم والعطف لتغاير الوصفين ^ ورزقكم من الطيبات ^ من اللذائذ أو الحلالات و من

للتبعض فإن المرزوق في الدنيا أنموذج منها ^ أقبالباطل يؤمنون ^ وهو أن الأصنام تنفعهم أو أن من الطيبات ما يحرم كالبخائر والسوائب ^ وبنعمة الله هم يكفرون ^ حيث أضافوا نعمه إلى الأصنام أو حرموا ما أحل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل إما للاهتمام أو لإيهام التخصيص مبالغة أو للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا من مطر ونبات و رزقا إن جعلته مصدرا فشيئا منصوب به وإلا فبدل منه ^ ولا يستطيعون ^ أن يملكوه أو لا استطاعة لهم أصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في ^ لا يملك ^ لأن ما مفرد في معنى الألهة ويجوز أن يعود إلى الكفار أي ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد ^ فلا تضربوا لله الأمثال ^ فلا تجعلوا له مثلا تشركون به أو تقيسونه عليه فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال ^ إن الله يعلم ^ فساد ما تعولون عليه من القياس على أن عبادة عبيد الملك أدخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون ^ وأنتم لا تعلمون ^ ذلك ولو علمتموه لما جراتم عليه فهو عليم للنهي أو أنه يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال فإنه يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ^ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون ^ مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الأصنام التي هي أعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الإطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر فإنه أيضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على أن المملوك لا يملك والأظهر أن من نكرة موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لأنه للجنسين فإن المعنى هل يستوي الأحرار والعبيد ^ الحمد لله ^ كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لأنه مولى النعم كلها ^ بل أكثرهم لا يعلمون ^ فيضيفون نعمة إلى غيره ويعبدونه لأجلها ^ وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم ^ ولد أخرس لا يفهم ولا يفهم ^ لا يقدر على شيء ^ من الصنائع والتدابير لنقصان عقله ^ وهو كل على مولاه ^ عيال وثقل على من يلي أمره ^ أينما يوجهه ^ حيثما يرسله مولاه في أمر وقرئ يوجه على البناء للمفعول و يوجه بمعنى يتوجه كقوله أينما أوجه ألق سعدا وتوجه بلفظ الماضي ^ لا يأت بخير ^ ينجح وكفاية مهم ^ هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ^ ومن هو فهم منطبق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل ^ وهو على صراط مستقيم ^ وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه إلى مطلب إلا ويبلغه بأقرب سعي وإنما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لأنهما كمال ما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللأصنام لإبطال المشاركة بينه وبينها أو للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والأرض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بأن لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فإن علمه غائب عن أهل السموات والأرض ^ وما أمر الساعة ^ وما أمر قيام الساعة في سرعته وسهولته

^ إلا كلمح البصر ^ إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها ^ أو هو أقرب
^ أو أمرها أقرب منه بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة بل الآن الذي تتدئ
فيه فإنه تعالى يحيي الخلائق ودفعة وما يوجد دفعة كان في أن و أو للتخير أو
بمعنى بل وقيل معناه أن قيام الساعة وإن تراخى فهو عند الله كالشيء الذي
تقولون فيه هو كلمح البصر أو هو أقرب مبالغة في استقرايه ^ إن الله على كل
شيء قدير ^ فيقدر أن يحيي الخلائق دفعة كما قدر أن أحياهم متدرجا ثم دل على
قدرته فقال ^ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ^ وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على
أنه لغة أو إتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في أهراق
^ لا تعلمون شيئا ^ جهالا مستصحين جهل الجمادية ^ وجعل لكم السمع والأبصار
والأفئدة ^ أداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الأشياء فتدركونها ثم تنتبهون
بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرار الإحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية
وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها ^ لعلمكم تشكرون ^ كي تعرفوا ما
أنعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه ^ ألم يروا إلى الطير ^ قرأ ابن عامر وحمزة
ويعقوب بالتاء على أنه خطاب للعامة مسخرات مذلات للطيران بما خلق لها من
الأجنحة والأسباب المؤاتية له ^ في جو السماء ^ في الهواء المتباعد من الأرض ^
ما يمسكهن ^ فيه ^ إلا الله ^ فإن ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها
ولا دعامة تحتها تمسكها ^ إن في ذلك لآيات ^ تسخير الطير للطيران بأن خلقها
خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها في الهواء
على خلاف طبيعتها ^ لقوم يؤمنون ^ لأنهم هم المنتفعون بها ^ والله جعل لكم من
بيوتكم سكنا ^ موضعا تسكنون فيه وقت إقامتكم كاليوت المتخذة من الحجر والمدر
فعل بمعنى مفعول ^ وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا ^ هي
القباب المتخذة من الأدم ويجوز أن يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فإنها
من حيث إنها نباتة على جلودها يصدق عليها أنها من جلودها تستخفونها تجدونها
خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها ^ يوم طعنكم ^ وقت ترحالكم ^ ويوم إقامتكم ^
ووضعها أو ضربها وقت الحضر أو النزول وقرأ الحجازيان والبصريان ^ يوم طعنكم
^ بالفتح وهو لغة فيه ^ ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها ^ الصوف للضائنة والوبر
للإبل والشعر للمعز وإضافتها إلى ضمير الأنعام لأنها من جملتها أثنا ما يلبس
ويفرش ومتاعا ما يتجر به ^ إلى حين ^ إلى مدة من الزمان فإنها لصلابتها تبقى
مدة مديدة أو إلى حين مماتكم أو إلى أن تقضوا منه أوطاركم ^ والله جعل لكم
مما خلق ^ من الشجر والجبل والأبنية وغيرها ظلالات تقون بها حر الشمس ^ وجعل
لكم من الجبال أكنانا ^ مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع
كن ^ وجعل لكم سرايل ^ ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها ^ تقيكم الحر
^ خصه بالذكر اكتفاء بأحد الضدين أو لأن وقاية الحر كانت أهم عندهم ^ وسرايل
تقيكم بأسكم ^ يعني الدروع والجواشن والسرايل يعم كل ما يلبس كذلك كإتمام
هذه النعم التي تقدمت ^ يتم نعمته عليكم لعلمكم تسلمون ^ أي تنظرون في نعمه
فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة أي تشكرون فتسلمون من
العذاب أو تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح يلبس
الدروع ^ فإن تولوا ^ أعرضوا ولم يقبلوا منك ^ فإنما عليك البلاغ المبين ^ فلا
يضرك فإنما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من إقامة السبب مقام المسبب يعرفون
نعمت الله أي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون
بها وبأنها من الله تعالى ^ ثم ينكرونها ^ بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم إنها

بشفاعة آلهتنا أو بسبب كذا أو بإعراضهم عن أداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

عرفوها بالمعجزات ثم أنكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الإنكار بعد المعرفة ^ وأكثرهم الكافرون ^ الجاحدون عنادا وذكر الأكثر إما لأن بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل أو التفريط في النظر أو لم تقم عليه الحجة لأنه لم يبلغ حد التكليف وإما لأنه يقام مقام الكل كما في قوله ^ بل أكثرهم لا يعلمون ^ ويوم نبعث من كل أمة شهيد وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالإيمان والكفر ^ ثم لا يؤذن للذين كفروا ^ في الاعتذار إذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع إلى الدنيا و ثم لزيادة ما يحق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الإقنات الكلي على ما يمنون به من شهادة الأنبياء صلى الله عليه وسلم ^ ولا هم يستعتبون ^ ولا هم يسترضون من العتبي وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر أو خوفهم أو يحق بهم ما يحق وكذا قوله ^ وإذا رأى الذين ظلموا العذاب ^ عذاب جهنم ^ فلا يخفف عنهم ^ أي العذاب ^ ولا هم ينظرون ^ يمهلون ^ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم ^ أو ثانهم التي ادعوها شركاء أو الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك نعبدهم أو نطيعهم وهو اعتراف بأنهم كانوا مخطئين في ذلك أو التماس لأن يشطر عذابهم ^ فآلقوا إليهم القول إنكم لكاذبون ^ أي أجابوهم بالتكذيب في أنهم شركاء الله أو أنهم ما عبدونهم حقيقة وإنما عبدوا أهواءهم كقوله تعالى ^ كلا سيكفرون بعبادتهم ^ ولا يمتنع إنطاق الله الأصنام به حينئذ أو في أنهم حملوهم على الكفر وألزموهم إياه كقوله ^ وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ^

وألقوا وألقى الذين ظلموا ^ إلى الله يومئذ السلم ^ الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا ^ وصل عنهم ^ وضاع عنهم وبطل ^ ما كانوا يفترون ^ من أن آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم ^ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ^ بالمنع عن الإسلام والحمل على الكفر زدناهم آية لصددهم ^ فوق العذاب ^ المستحق بكفرهم ^ بما كانوا يفسدون ^ بكونهم مفسدين بصددهم ^ ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم ^ يعني نبيهم فإن نبي كل أمة بعث منهم ^ وجئنا بك ^ يا محمد ^ شهيدا على هؤلاء ^ على أمتك ^ ونزلنا عليك الكتاب ^ استئناف أو حال بإضمار قد تبيانا بيانا بليغا ^ لكل شيء ^ من أمور الدين على المحروم من تفريطه ^ وبشرى للمسلمين ^ خاصة ^ إن الله يأمر بالعدل ^ بالتوسط في الأمور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقًا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والإحسان إحسان الطاعات وهو إما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل أو بحسب الكيفية كما قال صلى الله عليه وسلم الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ^ وإيتاء ذي القربى ^ وإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة ^ وينهى عن الفحشاء ^ عن الإفراط في متابعة القوة الشهوية كالزنى فإنه أقبح أحوال الإنسان وأشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في إثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فإنها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الإنسان شر إلا وهو مندرج في هذه الأقسام صادر بتوسط إحدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي أجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب إسلام عثمان بن مظعون رضي الله

تعالى عنه ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل إيرادها عقب قوله ^ ونزلنا عليك الكتاب ^ للتنبيه عليه يعظكم بالأمر والنهي والميز بين الخير والشر ^ لعلكم تذكرون ^ تتعظون ^ وأوفوا بعهد الله ^ يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ^ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ^ وقيل كل أمر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله ^ إذا عاهدتم ^ وقيل النذور وقيل الإيمان بالله ^ ولا تنقضوا الأيمان ^ أي إيمان البيعة أو مطلق الأيمان ^ بعد توكيدها ^ بعد توثيقها بذكر الله تعالى ومنه أكد بقلب الواو همزة ^ وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ^ شاهداً بتلك البيعة فإن الكفيل مراد لحال المكفول به رقيب عليه ^ إن الله يعلم ما تفعلون ^ من نقض الأيمان والعهود ^ ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها ^ ما غزته مصدر بمعنى المفعول ^ من بعد قوة ^ متعلق ب نقضت أي نقضت غزلها من بعد إيرام وإحكام أنكاثا طاقات نكت فتلها جمع نكت وانتصابه على الحال من غزلها أو المفعول الثاني لنقضت فإنه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه وقيل هي ربطة بنت سعد بن تيم القرشية فإنها كانت خرقاء تفعل ذلك ^ تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ^ حال من الضمير في ^ ولا تكونوا ^ أو في الجار الواقع موقع الخبر أي لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذي أيمانكم مفسدة ودخلاً بينكم وأصل الدخول ما يدخل الشيء ولم يكن منه ^ أن تكون أمة هي أربى من أمة ^ لأن تكون جماعة أزيد عدداً وأوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا

يقوم لكثرتكم وقتلهم أو لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فإنهم كانوا إذا رأوا شوكة في أعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم ^ إنما يبلوكم الله به ^ الضمير لأن تكون أمة لأنه بمعنى المصدر أي يختبركم بكونهم أربى لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله أم تغتروا بكثرة قریش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للرياء وقيل للأمر بالوفاء ^ وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ^ إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب ^ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ^ متفقة على الإسلام ^ ولكن يضل من يشاء ^ بالخذلان ^ ويهدي من يشاء ^ بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال تبيكيت ومجازاة ^ ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم ^ تصریح بالنهي عنه بعد التضمنين تأكيداً ومبالغة في قبح المنهي ^ فتزل قدم ^ أي عن محجة الإسلام ^ بعد ثبوتها ^ عليها والمراد أقدامهم وإنما وحد ونكر للدلالة على أن زلل قدم واحدة عظيم فكيف بأقدام كثيرة ^ وتذوقوا السوء ^ العذاب في الدنيا ^ بما صدقتم عن سبيل الله ^ بصدكم عن الوفاء أو صدكم غيركم عنه فإن من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ^ ولكم عذاب عظيم ^ في الآخرة ^ ولا تشتروا بعهد الله ^ ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم ^ ثمناً قليلاً ^ عرضاً يسيراً وهو ما كانت قریش يعدون لضعفاء المسلمين وبشترطون لهم على الارتداد إن ما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة ^ هو خير لكم ^ مما يعدونكم ^ إن كنتم تعلمون ^ وما عند الله ^ من خزائن رحمته باق لا ينفذ وهو تعليل للحكم السابق ودليل على أن نعيم أهل الجنة باق وليجزن الذين صبروا أجرهم على الفاقة وأذى الكفار أو على مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون ^ بأحسن ما كانوا يعملون ^ بما يرجع فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات أو بجزء أحسن من أعمالهم ^ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى ^ بينه بالنوعين دفعا للتخصيص ^ وهو مؤمن ^ إذ

لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب وإنما المتوقع عليها تخفيف العذاب ^
فلنحيينه حياة طيبة ^ في الدنيا يعيش عيشا طيبا فإنه إن كان موسرا فظاهر وإن
كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم في الآخرة
بخلاف الكافر فإنه إن كان معسرا فظاهر وإن كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف
الفوات أن يتها ببعيشه وقيل في الآخرة ^ ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون
^ من الطاعة ^ فإذا قرأت القرآن ^ إذا أدت قراءته كقوله تعالى ^ إذا قمتم إلى
الصلاة ^ فاستعد بالله من الشيطان الرجيم ^ فاسأل الله أن يعيدك من وساوسه
لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على أنه للاستحباب وفيه دليل على أن المصلي
يستعيد في كل ركعة لأن الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه
لذكر العمل الصالح والوعد عليه إيدان بأن الاستعادة عند القراءة من هذا القبيل
وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالسميع
العليم من الشيطان الرجيم فقال قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأني
جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ^ إنه ليس له سلطان ^ تسلط وولاية ^ على
الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ^ على أولياء الله تعالى المؤمنين به والمتوكلين
عليه فإنهم لا يطيعون أوامره ولا يقبلون وساوسه إلا فيما يحتقرون على ندور وغفلة
ولذلك أمروا بالاستعادة فذكر السلطنة بعد الأمر بالاستعادة لئلا يتوهم منه أن له
سلطانا ^ إنما سلطانه على الذين يتولونه ^ يحيونه ويطيعونه ^ والذين هم به ^
بالله أو بسبب الشيطان مشركون ^ وإذا بدلنا آية مكان آية ^ بالنسخ فجعلنا الآية
الناسخة مكان المنسوخة لفظا أو

حكما ^ والله أعلم بما ينزل ^ من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير
مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا أي الكفرة ^ إنما أنت مفتر ^ متقول على
الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وجواب إذا ^ والله أعلم بما ينزل ^
اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز أن يكون حالا ^
بل أكثرهم لا يعلمون ^ حكمة الأحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب ^ قل نزل
روح القدس ^ يعني جبريل صلى الله عليه وسلم وإضافة الروح إلى القدس وهو
الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير ^ روح القدس ^ بالتخفيف وفي ينزل و
نزله تنبيه على أن إنزاله مدرجا على حسب المصالح بما يقتضي التبديل ^ من ربك
بالحق ^ ملتبسا بالحكمة ^ ليثبت الذين آمنوا ^ ليثبت الله الذين آمنوا على الإيمان
بأنه كلامه وأنهم إذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت
عقائدهم واطمأنت قلوبهم ^ وهدى وبشرى للمسلمين ^ المنقادين لحكمه وهما
معطوفان على محل ليثبت أي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول أضرار ذلك
لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ^ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ^ يعنون
جبرا الرومي غلام حبيب بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة
ويقرآن التوراة والإنجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما
يقرآنه وقيل عائشا غلام حبيب بن عبد العزى قد أسلم وكان صاحب كتب وقيل
سلمان الفارسي ^ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ^ لغة الرجل الذي يميلون
قولهم عن الاستقامة إليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح
الياء والحاء لسان أعجمي غير بين وهذا وهذا القرآن ^ لسان عربي مبين ^ ذو بيان
وفصاحة والجملتان مستأنفتان لإبطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين أحدهما أن ما
سمعه منه كلام أعجمي لا يفهمه هو ولا أنتم والقرآن عربي تفهمونه بأدنى

تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب أنه تعلم من المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لأن ذلك أعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع أن العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها إلا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه في بعض أوقات مروره عليه كلمات أعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القرآن بأمثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم عن الذين لا يؤمنون بآيات الله ^ لا يصدقون أنها من عند الله ^ لا يهديهم الله ^ إلى الحق أو إلى سبيل النجاة وقيل إلى الجنة ^ ولهم عذاب أليم ^ في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما أمارط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الأمر عليهم فقال ^ إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ^ لأنهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه وأولئك إشارة إلى الذين كفروا أو إلى قريش ^ هم الكاذبون ^ أي الكاذبون على الحقيقة أو الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات أعظم الكذب أو الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة أو الكاذبون في قولهم ^ إنما أنت مفتر ^ إنما يعلمه بشر ^ من كفر بالله من بعد إيمانه ^ بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض أو من أولئك أو من الكاذبون أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله ^ فعليهم غضب ^ ويجوز أن ينتصب بالذم وإن تكون من شرطية محذوفة الجواب دل عليه قوله ^ إلا من أكره ^ على الافتراء أو كلمة الكفر استثناء متصل لأن الكفر لغة يعم القول والعقد كالإيمان ^ وقلبه مطمئن بالإيمان ^ لم تتغير عقيدته وفيه دليل على أن الإيمان هو التصديق بالقلب ^ ولكن من شرح بالكفر صدرا ^ اعتقده وطاب به نفسا ^ فعليهم غضب ^ من الله ولهم عذاب عظيم ^ إذ لا أعظم من جرمه روي أن قريشا أكرهوا عمرا وأبويه يا سرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين وجيء بحربة في قبلها وقالوا إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما أول قتيلين في الإسلام وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا مكرها فقبل يا رسول الله إن عمارا كفر فقال كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول ما لك أن عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وإن كان الأفضل أن يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعه ابواه لما روي أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما تقول في فقال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما تقول في قال أنا اصم فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك إشارة إلى الكفر بعد الإيمان أو الوعيد ^ بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ^ بسبب أنهم أثروها عليها ^ وأن الله لا يهدي القوم الكافرين ^ أي الكافرين في علمه إلى ما يوجب ثبات الإيمان ولا يعصمهم من الزيغ ^ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ^ فأبت عن أدراك الحق والتأمل فيه ^ وأولئك هم الغافلون ^ الكاملون في الغفلة إذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب ^ لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون ^ إذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها فيما أفضى بهم إلى العذاب المخلد ^ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ^ أي عذبوا كعمار رضي الله

تعالى عنه بالولاية والنصر و ثم لتباعد حال هؤلاء عن حال أولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح

أي من بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي أكره مولاة جبرا حتى ارتد ثم أسلم وهاجر ^ ثم جاهدوا وصبروا ^ على الجهاد وما أصابهم من المشاق ^ إن ربك من بعدها ^ من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم منعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد ^ يوم تأتي كل نفس ^ منصوب ب رحيم أو باذكر ^ تجادل عن نفسها ^ تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهتمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي ^ وتوفى كل نفس ما عملت ^ جزاء ما عملت ^ وهم لا يظلمون ^ لا ينقصون أجورهم ^ وضرب الله مثلا قرية ^ أي جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا فأنزل الله بهم نقمته أو لمكة ^ كانت أمانة مطمئنة ^ لا يزعج أهلها خوف ^ يأتيها رزقها ^ اقواتها رغدا واسعا ^ من كل مكان ^ من نواحيها ^ فكفرت بأنعم الله ^ بنعمه جمع نعة على ترك الاعتداد بالتاء كدرج وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس ^ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ^ استعار المذوق لإدراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف وواقع الاذاقة عليه بالنظر إلى المستعار له كقول كثير غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا علقت لضحكته رقاب المال فإنه استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقي عليه واطاف إليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا إلى المستعار له وقد ينظر إلى المستعار كقوله ينا زعني ردائي عبد عمر رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجز منه بشطر استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجز نظرا إلى المستعار ^ بما كانوا يصنعون ^ بصنيعهم ^ ولقد جاءهم رسول منهم ^ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لأهل مكة عاد إلى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم ^ فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ^ أي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما أصابهم من الجذب الشديد أو وقعة بدر

^ فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ^ أمرهم بأكل ما أحل الله لهم وشكر ما أنعم عليهم بعدما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة وأشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون تطيعون أو إن صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته ^ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ^ لما أمرهم بتناول ما أحل لهم عدد عليهم محرّماته ليعلم أن ما عداها حل لهم ثم أكد ذلك بالنهاي عن التحريم والتحليل بأهوائهم فقال ^ ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ^ كما قالوما ^ ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ^ الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بإنما حصر المحرمات في الاجناس الأربعة إلا ما ضم إليه دليل كالسباع والحمر الأهلية وانتصاب الكذب ب ^ لا تقولوا ^ و ^ هذا حلال وهذا حرام ^ بدل منه أو متعلق بتصف على إرادة القول أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام أو مفعول ^ لا تقولوا ^ و الكذب منتصب ب تصف وما مصدرية أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب أي لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كأن حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتكم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عدد من تصحيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ

الكذب بالجر بدلا من ما و الكذب جمع كذوب أو كذاب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الذم أو بمعنى الكلم الكواذب ^ لتفتروا على الله الكذب ^ تعليل لا يتضمن الغرض ^ إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ^ لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفي عنهم الفلاح وبينه بقوله ^ متاع قليل ^ أي ما يفترون لأجله أو ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ^ ولهم عذاب أليم ^ في الآخرة ^ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ^ من قبل ^ متعلق ب قصصنا أو ب حرمنا ^ وما ظلمناهم ^ بالتحريم ^ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ^ حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وأنه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ^ ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ^ بسببها أو ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ^ ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها ^ من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الإنابة ^ إن إبراهيم كان أمة ^ لكمالها واستجماعه فضائل لا تكاد توجد إلا مفرقة في أشخاص كثيرة كقوله ليس من الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وأبطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما أحله أو لأنه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من أمه إذا قصده أو اقتدى به فإن الناس كانوا يؤمنونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله ^ إني جاعلك للناس إماما ^ قانتا لله ^ مطيعا له قائما بأوامره حنيفا مائلا عن الباطل ^ ولم يك من المشركين ^ كما زعموا فإن قريشا كانوا يزعمون أنهم على ملة إبراهيم ^ شاكرا لأنعمه ^ ذكر بلفظ القلة للتنبيه على أنه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباها للنبوة ^ وهداه إلى صراط مستقيم ^ في الدعوة إلى الله ^ وأتيناه في الدنيا حسنة ^ بأن حبه إلى الناس حتى أن أرباب الملل يتولونه ويشنون عليه ورزقه أولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة ^ وإنه في الآخرة لمن الصالحين ^ لمن أهل الجنة كما سأل به بقوله ^ وألحقني بالصالحين ^ ثم أوحينا إليك ^ يا محمد و ثم إما لتعظيمه والتنبيه على أن أجل ما أوتي إبراهيم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ملته أو لتراخي أيامه ^ أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا ^ في التوحيد والدعوة إليه بالرفق وإيراد الدلائل مرة بعد أخرى والمجادلة مع كل أحد على حسب فهمه ^ وما كان من المشركين ^ بل كان قدوة الموحدين ^ إنما جعل السبت ^ تعظيم السبت أو التخلي فيه للعبادة ^ على الذين اختلفوا فيه ^ أي على نبيهم وهم اليهود أمرهم موسى صلى الله عليه وسلم أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فأبوا وقالوا نريد يوم السبت لأنه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والأرض فألزمهم الله السبت وشدد الأمر عليهم وقيل معناه إنما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فأحلوا الصيد فيه تارة وحرّموه أخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بأنعم الله ^ وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ^ بالمجازاة على الاختلاف أو بمجازاة كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت إليهم ^ إلى سبيل ربك ^ إلى الإسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيج للشبهة ^ والموعظة الحسنة ^ الخطابات المقنعة والعبر النافعة فالأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم

^ بالتي هي أحسن ^ بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر والمقدمات التي هي أشهر فإن ذلك أنفع في تسكين ليهيم وتبيين شغبهم ^ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ^ أي إنما عليك البلاغ والدعوة وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا إليك بل الله أعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم ^ وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ^ لما أمره بالدعوة وبين له طرقها أشار إليه وإلى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فإن الدعوة لا تنفك عنه من حيث إنها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقبح في دين الأسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل إنه صلى الله عليه وسلم لما رأى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن أظفرتني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على أن للمقتص أن يماثل الجاني وليس له أن يجاوزه وحث على العفو تعريضاً بقوله ^ وإن عاقبتهم ^ وتصريحاً على الوجه الأكيد بقوله ^ ولئن صبرتم لهو ^ أي الصبر ^ خير للصابرين ^ من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالأمر به لرسوله لأنه أولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال ^ واصبر وما صبرك إلا بالله ^ إلا بتوفيقه وتشيته ^ ولا تحزن عليهم ^ على الكافرين أو على المؤمنين وما فعل بهم ^ ولا تك في ضيق مما يمكرون ^ في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول والقليل ويجوز أن يكون الضيق تخفيف ضيق

^ إن الله مع الذين اتقوا ^ والمعاصي ^ والذين هم محسنون ^ في أعمالهم بالولاية والفضل أو مع الذين اتقوا الله بتعظيم أمره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه في دار الدنيا وإن مات في يوم تلاها أو ليلة كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية

سورة الإسراء وقيل إلا قوله تعالى ^ وإن كادوا ليفتنونك ^ إلى آخر ثمان آيات وهي مائة وإحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم ^ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ^ سبحان اسم بمعنى التسيح الذي هو التنزيه يستعمل علماً له فيقطع عن الإضافة ويمنع عن الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك إظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد و أسرى وسرى بمعنى و ليلاً نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الإسراء ولذلك قرئ من الليل أي بعضه كقوله ^ ومن الليل فتهد به ^ من المسجد الحرام ^ بعينه لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق أو من الحرم وسماه المسجد الحرام لأنه كله مسجد أو لأنه محيط به أو ليطابق المبدأ المنتهى لما روي أنه صلى الله عليه وسلم كان نائماً في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي الأنبياء صلى الله عليه وسلم فصليت بهم ثم خرج إلى المسجد الحرام وأخبر به قريشاً فتعجبوا منه استحالة وارثه ناس ممن آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال إن كان قال لقد صدق فقالوا أتصدقه على ذلك قال إني لأصدقه على أبعده من ذلك فسمي الصديق واستتعت طائفة سافروا إلى بيت المقدس فجلى له فطفق ينظر إليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن غيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورك

فخرجوا يشتدون إلى الثنية فصادفوا العير كما أخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا إلا
سحر مبین وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في أنه كان في
المنام أو في اليقظة بروحه أو بجسده والأكثر على أنه أسري بجسده إلى بيت
المقدس ثم عرج به إلى السموات حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ولذلك تعجب
قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص
الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيفا وستين مرة ثم إن طرفها
الأسفل يصل موضع طرفها الأعلى في أقل من ثانية وقد برهن في الكلام أن
الأجسام متساوية في قبول الأعراض وأن الله قادر على كل الممكنات فيقدر أن
يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم أو فيما يحمله
والتعجب من لوازم المعجزات ^ إلى المسجد الأقصى ^ بيت المقدس لأنه لم يكن
حينئذ وراءه مسجد ^ الذي باركنا حوله ^ ببركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي
ومتعبد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من لدن موسى عليه الصلاة والسلام ومحفوظ
بالانهار والاشجار ^ لنريه من آياتنا ^ كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر
ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام له ووقوفه على
مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة إلى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ
ليريه بالياء ^ انه هو السميع ^ لأقوال محمد صلى الله عليه وسلم البصير بأفعاله
فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هداً لبني إسرائيل إلا
تتخذوا على أن لا تتخذوا كقولك كتبت إليك أن افعل كذا وقرأ أبو عمرو بالياء على
أن لا يتخذوا ^ من دوني وكيلاً ^ ربا تكون إليه أموركم غيري
^ ذرية من حملنا مع نوح ^ نصب على الاختصاص أو النداء أن قرئ أن لا تتخذوا
بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلاً أو على انه أحد مفعولي
^ لا تتخذوا ^ و ^ من دوني ^ حال من وكيلاً فيكون كقوله ^ ولا بأمركم أن
تتخذوا الملائكة والنبیین ارباباً ^ وقرئ بالرفع على انه خير مبتدأ محذوف أو بدل من
واو تتخذوا و ذرية بكسر الذال وفيه تذكير بأنعام الله تعالى عليهم في انجاء آبائهم
من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام في السفينة إنه إن نوحاً عليه السلام ^ كان
عبداً شكوراً ^ يحمده الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بأن انجاءه ومن معه
كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة
والسلام ^ وقضينا إلى بني إسرائيل ^ واوحينا إليهم وحياً مقصياً مبتوتاً ^ في الكتاب
^ في التوراة ^ لتفسدن في الأرض ^ جواب قسم محذوف أو قضينا على اجراء
القضاء الميتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل
شيعاء وقيل ارمياء وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام ^
ولتعلن علواً كبيراً ^ ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى أو لتظلمن الناس ^ فإذا جاء
وعد اولاهما ^ وعد عقاب اولاهما ^ بعثنا عليكم عبداً لنا ^ يختنصر عامل لهراسف
على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من أهل نينوى ^ أولي بأس
شديد ^ ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا فترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء
المهمله وهما أخوان ^ خلال الديار ^ وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا
صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على
ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع ^ وكان وعدا مفعولاً ^ وكان وعد عقابهم لا بد
أن يفعل ^ ثم رددنا لكم الكرة ^ أي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم
وذلك بأن القى الله في قلوب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده
كشتاسف بن لهراسف

شفقة عليهم فرد اسراهم إلى الشام وملك دانيا عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بختنصر أو بأن سبط الله داود عليه الصلاة والسلام على جالوت فقتله ^ وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ^ مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب إلى العدو إن احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها ^ وإن أسأتم فلها ^ فإن وباله عليها وإنما ذكرها باللازم ازدواجاً ^ فإذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا ومجوهكم أي بعثناهم وليسوءوا وجوهكم أي يجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره أولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة أبو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد أو للبعث أو لله ويعقضه قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوان بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة و لنسوان بفتح اللام على الاوجه الأربعة على انه جواب إذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه أول مرة وليتبروما ليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه أو مدة علوهم تتبيرا ذلك بأن سبط الله عليهم الفرس مرة أخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطائف اسمه جودرز وقيل حردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قافل أن لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا إنه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم

منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهداً بإذن الله تعالى قبل أن لا ابقى احدا منهم فهداً عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الآخرة وإن عدتم نوبة أخرى عدنا مرة ثالثة إلى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقيين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً محبسا لا يقدرّون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم للحالة أو الطريقة التي هي أقوم الحالات أو الطلاق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على أن لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب أعدائهم أو على يبشر بإضمار يخبر ويدع الإنسان بالشر ويدعو الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله أو يدعوه بما حسبه خيرا وهو شر دعائه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الإنسان عجولا يسارع إلى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه الصلاة والسلام فإنه لما انتهى الروح إلى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه السلام دفع اسيرا إلى سودة بنت زمعة فحرمته لانينه فأخرت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال عليه السلام اللهم إنما أنا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز أن يريد بالانسان الكافر والدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن

الحارث اللهم انصر خير الحزين اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضرب عنقه صبيرا يوم بدر وجعلنا الليل والنهار آيتين تذلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بإمكان غيره فمحونا آية الليل أي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة أو مبصرة للناس من ابصره فبصر أو مبصرا أهله كقولهم اجبن الرجل إذا كان أهله جنباء وقيل الايتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار

آيتين أو جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين ومحو آية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور أو نقص نورها شيئا فشيئا إلى المحاق وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به إلى استبانة أعمالكم ولتعلموا باختلافهما أو بحركاتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون إليه في أمر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل إنسان الزمان طائر عمله وما قدر له كأنه طير إليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطار وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله أو نفسه المنتقشة بأثار اعماله فإن الأعمال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بأنه مفعول أو حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب و يخرج من خرج يخرج وقرئ و يخرج أي الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب أو يلقاه صفة و منشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على إرادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أي كفى نفسك والباء مزيدة و حسيبا تمييز وعلى صلته لانه أما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضرب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لأنه يكفي المدعي ما أهمله وتذكيره على أن الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال أو على تأويل النفس بالشخص من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وزر ولا تزر وزر ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس أخرى بل إنما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا بين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على أن لا وجوب قبل الشرع وإذا أردنا أن نهلك قرية وإذا تعلقنا بإهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق أو دنا وقته المقدر كقولهم إذا أراد المريض أن يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيا منتعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه إليهم وبدل على ذلك ما قبله وما بعده فإن الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ فإنه لا يفهم منه إلا الأمر بالقراءة على أن الأمر مجاز من الحمل عليه أو التسبب له بأن صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم إلى الفسوق ويحتمل أن لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وأمرته فأمر إذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مأمورة أي كثيرة النتاج وهو أيضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب امرنا ورواية امرنا عن أبي عمرو ويحتمل أن يكون منقولا من أمر بالضم امارة أي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لأن غيرهم يتبعهم ولانهم أسرع إلى الحماسة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابقة بحلولة أو بظهور معاصيهم أو بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكتناها بإهلاك أهلها وتهريب ديارهم وكم اهلكتنا وكثيرا اهلكتنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاز وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وقديم الخير لتقدم متعلقه من كان يريد العجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لأنه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واجد جميع ما يهواه وليعلم أن الأمر بالمشيئة والهم

فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ ما يشاء والضمير فيه لله تعالى حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون

مخصوصا بمن أراد الله تعالى به ذلك وقيل الآية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم إلا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلها مذبذوبا مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما أمر به والانتها عن ما نهى عنه لا التقرب بما يخترعون بأرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايماننا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فإنه العمدة فأولئك الجامعون للشروط الثلاثة كان سعيهم مشكورا من الله تعالى أي مقبولا عنده مثابا عليه فإن شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتتوين بدل من المضاف إليه نمد بالعطاء مرة بعد أخرى ونجعل أنفه مدادا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا ^ من عطاء ربك من معطاه متعلق ب نمد ^ وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف ب فضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا أي التفاوت في الآخرة اكبر لأن التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودرجاتها لا تجعل مع الله إليها آخر الخطاب لرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته أو لكل أحد فتقعد فتصير من قولهم شخذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة أو فتعجز من قولهم قعد عن الشيء إذا عجز عنه مذبذوبا مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه أن الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك أمر أمرا مقطوعا به أن لا تعبدوا بأن لا تعبدوا إلا إياه لأن

غاية التعظيم لا تحقق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الأنعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز أن تكون أن مفسرة و لا ناهية وبالوالدين إحسانا ويأن تحسنوا أو واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز أن تتعلق الباء بالاحسان لأن صلته لا تتقدم عليه إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ^ إما لا هي أن الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل على قراءة حمزة والكسائي من ألف يبلغان الرجوع إلى الوالدين وكعطف على أحدهما فاعلا أو لبدلا ولذلك لم يجر أن يكون تأكيدا للالف ومعنى عندك أن يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما أف فلا تتضرر مما يستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل هو اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر أنواع الايذاء قياسا بطريق الأولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقيير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل أبيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيها بعد الأمر بالاحسان بهما ولا تنهرهما ^

ولا تزجرهما عما لا يعجبك بإغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذل لهما وتواضع فيهما وجعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ربح قد كشفت وقرّة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا أو للقرّة زماما وأمره بخفضه مبالغة أو أراد جناحه كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وضافته إلى الذل للبيان والمبالغة

كما اضيفت حاتم إلى الجود والمعنى واخض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد

والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما إلى من كان افقر خلق الله تعالى إليهما بالامس وقل رب ارحمهما وادع الله تعالى أن يرحمهما برحمته الباقية ولا تكف برحمتك الغانية وإن كانا كافرين لان من الرحمة أن يديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتها علي وتربيتها وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبوي بلغا من الكبر أني لأي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يجبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وتريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر إليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكأنه تهديد على أن يضمرا لهما كراهة واستثقالا إن تكونوا صالحين قاصدين لللاح فإنه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فطر منهم عند حرج الصدر من اذية أو تقصر وفيه تشديد عظيم ويجوز أن يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنائته لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبرعليهم وقال أبو حنيفة حقه إذا كانوا محارم فقراء أن ينفق عليهم وقيل المراد بذى القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم والمسكين وابن السبيل ولا تذر تذييرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف قال أو في الوضوء سرف قال نعم وإن كنت على نهر جار إن المبذرين كانوا أخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فإن التضييع والاتلاف شر أو اصدقاءهم واتباعهم لأنهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي

أنهم كانوا ينحرون الإبل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر به فينبغي أن لا يطاع وإما تعرضن عنهم وإن أعرضت عن ذي القربى والمسكن وابن السبيل حياء من الرد ويجوز أن يراد بالاعراض عنهم أن لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك فتعطيه أو منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه أن يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لأنه مسبب عنه ويجوز أن يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا أي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الأمر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله تعالى ورزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما أمرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما أو منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر إذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس أتاه صبي فقل إن أمي تستكسيك درعا فقال صلى الله عليه وسلم من ساعة إلى ساعة فعد إلينا فذهب إلى أمه فقالت قل له إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه

وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروه للصلاة فلم يخرج فأنزل الله ذلك ثم سلاه بقوله إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة البالغة فليس ما يرهقك من الاضافة إلا لمصلحتك انه كان بعباده خيرا بصيرا يعلم سرهم

وعلمهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز أن يراد أن البسط والقبض من أمر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر فأما العباد فعليهم أن يقتصدوا أو انه تعالى يبسط تارة ويقبض أخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وإن يكون تمهيدا لقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمير لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم أن قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع وال خطأ الاثم يقال خطئ خطأ كآثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من أخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطأ بالمد والكسر وهو أما لغة فيه أو مصدر خطأ بالمد والكسر وهو وإن لم يسمع لكنه جاء تخاطبا في قوله تخاطأه القاص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ خطأ بالفتح والمد وخطا يحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا عن أن تباشروه إنه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائده وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه هو الغصب على الابضاع المؤدي إلى قطع الأنساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إيمان وزنا بعد احسان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي أمره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه أو بالقصاص على القاتل فإن قوله تعالى مظلوما بدل على أن القتل عمدا عدوان فإن الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف أي القاتل في القتل بأن يقتل من لا يستحق قتله فإن العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك أو الولي بالمثلة أو قتل غير لا يستحق قتله فإن العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك أو الولي بالمثلة أو قتل غير القاتل ويؤيد الأول قراءة أبي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب أحدهما إنه كان منصورا علة النهي على الاستئناف والضمير أما للمقتول فإنه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب وأما لوليه فإن الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له أمر الولاية بمعونته وأما للذي يقتله الولي اسرافا بإيجاب القصاص أو التعزيز والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا أن تتصرفوا فيه إلا بالتي هي احسن إلا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ أشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء وأوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه أو ما عاهدتموه وغيره إن العهد كان مسئولا مطلوبا يطلب من المعاهد أن لا يضيعه وفيه به أو مسئولا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه لم نكثت أو يسأل العهد تبيكتا للناكث كما يقال للموءودة بأي ذنب قتلت فيكون تخيلا ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان

مسؤولا

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَلَا تَبْخَسُوا فِيهِ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ بِالْمِيزَانِ السُّوْيِ وَهُوَ رُومِي عَرَبٍ وَلَا يَقْدَحُ ذَلِكَ فِي عَرَبِيَّةِ الْقُرْآنِ لِأَنَّ الْعَجْمِي إِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ الْعَرَبُ وَأَجْرَتَهُ مَجْرَى كَلَامِهِمْ فِي الْأَعْرَابِ وَالتَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ وَنَحْوَهَا صَارَ عَرَبِيًّا وَقُرَأَ حَمْزَةً وَالكَسَائِي وَحَفْصٌ بِكَسْرِ الْقَافِ هُنَا فِي الشُّعْرَاءِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا وَأَحْسَنُ عَاقِبَةٌ تَفْعِيلٌ مِنْ أَلٍ إِذَا رَجَعَ وَلَا تَقِفْ وَلَا تَتَّبِعْ وَقُرِئَ وَلَا تَقِفْ مِنْ قَافٍ أَثَرُهُ إِذَا قَفَاهُ وَمِنْهُ الْقَافَةُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ مَا لَمْ يَتَّعَلَقْ بِهِ عِلْمُكَ تَقْلِيدًا أَوْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَاحْتِجَ بِهِ مِنْ مَنَعَ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَجَوَابُهُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْعِلْمِ هُوَ الْإِعْتِقَادُ الرَّاجِحُ الْمُسْتَفَادُ مِنْ سِنْدٍ سِوَاهُ كَانَ قِطْعًا أَوْ ظَنًّا وَاسْتِعْمَالُهُ بِهَذَا الْمَعْنَى شَائِعٌ وَقِيلَ أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِالْعَقَائِدِ وَقِيلَ بِالرَّمِيِّ وَشَهَادَةِ الزُّورِ وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول الكمية ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقو الحواصن أن قفينا ^ ^ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك أي كل هذه الاعضاء فأجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وإن أولاء وإن غلب في العقلاء لكنه من حيث إنه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد أولئك الأيام ^ ^

كان عنه مسئولا في ثلاثها ضمير كل أي كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز أن يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف أو لصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند إلى عنه كقوله تعالى غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لأن الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على أن العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفؤاد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الأرض مرحا أي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وإن كان المصدر أكد من صريح النعت إنك لن تحرق الأرض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأنك ولن تبلغ الجبال طولا بتناولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بأن الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك إشارة إلى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى لا تجعل مع الله إلها آخر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إنها المكتوبة في الواح موسى عليه السلام كان سيئه يعني المنهي عنه فإن المذكورات مأمورات ومناه وقرأ الحجازيان والبصريان سيئه على أنها خبر كان والاسم ضمير كل و ذلك إشارة إلى ما نهى عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئه أو صفة لها محمولة على المعنى فإنه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز أن ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان أو في الظرف على انه صفة سيئه والمراد به المبعوض المقابل للمرضى لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على أن الحوادث كلها واقعة بإرادته تعالى ذلك إشارة إلى الأحكام المتقدمة مما أوحى إليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله إلها آخر كرهه للتنبه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه فإن من لا قصد له بطل عمله ومن قصد يفعله أو تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه أولا ما هو عائدته الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبي فقال تعالى فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى أفصفاكم ربكم بالبنين خطاب لم نقالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بأفضل الأولاد هم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه وهذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم إنكم لتقولون قولا عظيما بإضافة الأولاد إليه وهي خاصة بعض الأجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم يجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز أن يراد بهذا القرآن ابطال إضافة البنات إليه على تقدير ولقد صرفنا هذا القول

في هذا المعنى أو اوقفنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي القرآن ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم إلا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة إليه قل لو كان معه آلهة كما تقولون أيها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء فيه وفيما بعده علي أن الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب

في الثانية على أن الأولى مما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقاتلتهم إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا إلى م نهو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو بالتقرب إليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ^ ^ سبحانه ينزه تنزيها وتعالى عما يقولون علواً تعالى كبيراً متباعدة غاية البعد عما يقولون فإنه في أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من أدنى مراتبه فإنه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبيح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الإمكان توابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بإمكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم أيها المشركون لخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ

والدلالة لاسناده إلى ما يتصور منه اللفظ وإلى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز إطلاق اللفظ على معنیه وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وأبو بكر يسبح بالياء إنه كان حليماً حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً بينهم عن فهم ما تقرؤه عليهم مستورا ذا ستر كقوله تعالى وعده ماتياً وقولهم سيل مفعم أو مستورا عن الحس أو بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفي عنهم أن يفهموا ما أنزل عليهم من الآيات بعدما نفي عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في النفس والافاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله

^ ^ وجعلنا على قلوبهم أكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه ويجوز أن يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أي منعناهم أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكره ما يمنع عن فهم المعنى وارك اللفظ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحداً غير مشفوع به ألهمهم مصدر وقع موقع الحال وأصله يحد وحده بمعنى واحداً وحده ولوا على أديارهم نفورا هرباً من استماع التوحيد ونفرة أو تولية ويجوز أن يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن أعلم بما يستمعون به بسببه ولأجله من الهزء بك وبالقرآن إذ يستمعون إليك ظرف ل أعلم وكذا وإذ هم نجوى أي نحن أعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون إليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به و نجوى مصدر وحيتمل أن يكون جمع نجى إذ يقول الظالمون أن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً مقدر باذكر أو بدل من إذ هم نجوى على وضع الظالمون موضع الضمير للدلالة على أن تناجيهم بقولهم هذا من باب الظلم والمسجور هو الذي سحر فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة أي إلا رجلاً يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم أنظر كيف ضربوا لك الأمثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا إلى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتهير في أمره لا يدري ما يصنع أو إلى الرشاد وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا حطاما إنا لمبعوثون خلقا جديداً على الإنكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي وبيوسة الرميم من المباحدة والمنافاة و العامل في إذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها و خلقا مصدر أو حال ^ ^ قل جواباً لهم كونوا حجارة أو حديداً ^ ^ أو خلقا مما يكبر في صدوركم أي مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه أبعد شيء منها فإن قدرته تعالى لا تقصر

عن احيائكم لاشترك الأجسام في قبول الاعراض فكيف إذا كنتم عظاما مرفوثة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل الشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعده منه من الحياة فسينغضون إليك رؤوسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا فإن كل ما هو آت قريب وانصابه على الخير أو الظرف أي يكون في زمان قريب و أن يكون اسم عسى أو خبره والاسم مضمرة يوم يدعوكم فتستجيون أي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهم وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء وتظنون إن ليثم إلا قليلا وتستنصرون مدة ليثكم في القبور كالذي مر على قرية أو مدة حياتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين إن الشيطان ينزع بينهم يهيج بينهم المرء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي إلى العناد وازدياد الفساد إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم تفسير ل التي هي احسن وما بينهما اعتراض أي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحا بأنهم من أهل النار فإنه يهيجهم على الشر مع أن ختام أمرهم غيب لا يعلمه إلا الله وما ارسلناك عليه وكيفا ^ ^

موكولا إليك أمرهم تقسرهم على الإيمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالاحتمال منهم وروي أن المشركين افرطوا في ايدائهم فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رضي الله تعالى عنه رجل منهم فهم به فأمره الله بالعفو وربك اعلم بمن في السماوات والأرض بأحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش أن يكون يتيم أبي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الأموال والاتباع حتى داود عليه الصلاة والسلام فإن شرفه بما اوحى إليه من الكتاب لا بما اوتيته من الملك قيل هو إشارة إلى تفضيل رسول اله صلى الله عليه وسلم وقوله وآتينا داود زبوراً تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الأنبياء وأمه خير الأمم المدلول عليه بما كتب في الزبور من أن الأرض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ها هنا وتعريفه في قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور لأنه في الأصل فعول للمفعول كالحلوب أو المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس أو الفضل أو لأن المراد وآتينا داود بعض الزبور أو بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم قدل ادعوا الذين زعمتم أنها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون ^ فلا يستطيعون ^ كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم إلى غيركم أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة هؤلاء الالهة يبتغون إلى الله القرابة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون أي من هو اقرب منهم إلى الله الوسيلة فكيف بغير الأقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة إن عذاب ربك كان محذورا حقيقا بأن يحذره كل أحد حتى الرسل والملائكة

^ ^ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة بالموت والاستئصال أو معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا أن نرسل بالآيات ما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحها قريش إلا أن كذب بها الأولون إلا تكذيب الأولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وشمود

وأنها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا أن لا نستأصلهم لأن منهم من يؤمن أو يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الأمم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وايتنا ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار أو بصائر أو جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها أو فظلموا أنفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات أي بالآيات المقترحة إلا تخويفا من نزول العذاب المستأصل فإن لم يخافوا نزل أو بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن إلا تخويفا بعذاب الآخرة فإن أمر من بعثت إليهم مؤخر إلى يوم القيامة والباء مزيدة أو في موقع الحال والمفعول محذوف وإذ قلنا لك واذكر إذ اوحينا إليك أن ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته أو احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهي بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية أو عام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه أن الآية مكية إلا أن يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر لقوله تعالى إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه قال لكأني انظر إلى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخرها منه وقيل رأى قوما من بني أمية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هذا حظهم من الدنيا يعطونه بإسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله إلا فتنة للناس ما حدث في أيامهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا أن محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا أن من قدر أن يحمي وبر السمندل من أن تأكله النار واحشاء النعام من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تتلعتها قدر أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة أو وصفها بأنها في أصل الجحيم فإنه ابعد مكان من الرحمة أو بأنها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشیطان وأبي جهل والحكم بن أبي العاصي وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بأنواع التخويف فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا إلا عتوا متجاوز الحد وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أسجد لمن خلقت طينا لمن خلقت من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز أن يكون حالا من الراجع إلى الموصول أي خلقت وهو طين أو منه أي أسجد له وأ له طين وفيه على الوجوه الثلاثة إيماء بعلة الإنكار قال رأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول أول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامرني بالسجود له لم كرمته علي لئن اخترتني إلى يوم القيامة كلام مبتدأ واللام موطنة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته إلا قليلا أي لاستأصلنهم بالاغواء إلا قليلا لا اقدر أن اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم أن ذلك يتسهل له أما استنباطا من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير أو تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سلوت له نفسه فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاؤك جزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز أن يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر بإضمار فعله أو بما في جزاؤكم من

معنى تجازون أو حال موطئة لقوله موفورا ^ ^ واستفزز واستخفف من استطعت منهم أن تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك إلى الفساد وأجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز أن يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزه من اماكنهم

واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك ^ ^ وشاركهم في الأموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوثل بالولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائفة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتأخير التوبة لطول الأمل وما يعدهم الشيطان إلا غرورا اعتراض لبيان مواعيده الباطلة والغرور تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب إن عبادي يعين المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله إلا عبادك منهم المخلصين يخصهم ليس لك عليهم سلطان أي على اغوائهم قرده وكفى بربك وكيفا يتوكلون عليه في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الريح وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيمًا حيث هيا لكم ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما تعسر من اسبابه وإذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه فلا

تدعون لكشفه إلا إياه أو ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم إلا الله فلما نجاكم من الغرق إلى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا ^ ^ وكان الإنسان كفورا كالتعليل للاعراض أفأمنتهم الهمة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتهم فأمنتهم فحملكم ذلك على الاعراض فإن من قدر أن يهلككم في البحر بالغرق قادر أن يهلككم في البر بالخسف وغيره أن يخسف بكم جانب البر أن يقلبه وانتم عليه أو يقلبه بسببكم فبكم حال أو صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالنون فيه وفي الأربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك أو يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب أي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيفا يحفظكم من ذلك فإنه لا راد لفضله أم أمنتهم أن يعيدكم فيه ^ في البحر ^ تارة أخرى بخلق دواع تلجئكم إلى أن ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء إلا قصفته أي كسرتة فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على إسناده إلى ضمير الريح ^ بما كفرتم ^ بسبب اشراككم أو كفرانكم نعمة الانجاء ^ ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ^ مطالبًا يتبعنا بانتصار أو صرف ^ ولقد كررنا بني آدم ^ بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي إلى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الأرض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية إلى ما يعود عليهم بالمنافع إلى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو أن كل حيوان يتناول طعامه بفيه إلا الانسان فإنه يرفعه إليه بيده ^

وحملناهم في البر والبحر ^ على الدواب والسفن من حملته حملا إذا جعلت له ما يركبه أو حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الأرض ولم يغرضهم الماء ^ ورزقناهم من الطيبات ^ المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم ^ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ^ بالغلبة والاستيلاء أو بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة عليهم الصلاة والسلام أو الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض أفراده والمسألة موضع نظر وقد أول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعو نصب بإضمار اذكر أو ظرف لما دل عليه ^ ولا يظلمون ^ وقرئ يدعو و يدعي و يدعو على قلب الألف واوا لي لغة من يقول افعو في افعى أو على أن الواو علامة الجمع كما في قوله ^ وأسروا النجوى الذين ظلموا ^ أو ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلّة المبالاة بها فإنها ليست إلا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعي ^ كل أناس بإمامهم ^ بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب أعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا أي تنقطع علقة الأنساب وتبقى نسبة الأعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وفعالهم وقيل بأمهاتهم جمع أم كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام واطهار شرف الحسن والحسين رضي الله عنهما وان لا يفتضح أولاد الزنا ^ فمن أوتي ^ من المدعوبين ^ كتابه بيمينه ^ أي كتاب عمله ^ فأولئك يقرءون كتابهم ^ ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ^ ولا يظلمون فتिला ^ ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بإيتاء الكتاب باليمين يدل على أن من اوتي كتابه بشماله إذا اطلع ما فيه غشيمهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم من أن قوله ^ ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ^ أيضا مشعر بذلك فإن الأعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة ^ واضل سبيلا ^ منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالأجهل والابله ولذلك لم يمله أبو عمرو ويعقوب فإن أفعال التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم المتوسطة كما في أعمالكم بخلاف النعت فإن الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث إنها تصير ياء في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي وأبو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما وإن كادوا ليفتنوك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربنا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فإن قالت العرب لم قلت ذلك فقل إن الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى أن الشان قاربوا بمبالغتهم أن يوقعوك في الفتنة بالاستئزال ^ عن الذي اوحينا إليك ^ من الأحكام ^ لتفتري علينا غيره ^ غير ما اوحينا إليك ^ وإذا لاتخذوك خليلا ^ ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتنانك وليا لهم بريئا من ولايتي ^ ولولا أن ثبتناك ^ ولولا تثبيتنا اياك ^ لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ^ لقاربت أن تميل إلى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون إليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت أن تقرب من الركون فضلا عن أن تركن إليهم وهو صريح ف يانه صلى الله عليه وسلم ما هم بإجابتهم مع قوة الدواعي

إليها ودليل على أن العصمة بتوفيق الله وحفظه ^ إذا لأذقناك ^ أي لو قاربت لأذقناك ^ ضعف الحياة وضعف الممات ^ أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لأن خطأ الخطير أخطر وكان أصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقامت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يشاف موصوفها وقيل الضعف من أسماء العذاب وقيل المراد ب ^ ضعف الحياة ^ عذاب الآخرة وضعف

الممات عذاب القبر ^ ثم لا تجد لك علينا نصيرا ^ يدفع العذاب عنك ^ وإن كادوا ^ وإن كاد أهل مكة ليستفزونك ليزعجوك بمعاداتهم ^ من الأرض ^ أرض مكة ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك ^ إلا قليلا ^ وقد كان كذلك فإنهم اهلكوا بدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي بالمدينة فقالوا الشام مقام الأنبياء فإن كنت نيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوق ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنوا قريظة واجلى بنو قريظة واجلى بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا ب إذا على انه معطوف على جملة قوله وإن كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فإن إذا لا تعمل إذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلفك وهو لغة فيه قال الشاعر عفت الديار خلفهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا ^ سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ^ نصب على المصدر أي سن الله ذلك سنة وهو أن يهلك كل أمة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله وازافتها إلى الرسل لأنها من اجلهم ويدل عليه ^ ولا تجد لسنتنا تحويلا ^ أي تغييرا ^ أقم الصلاة لدلوك الشمس ^ لزوالها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها وأصل التركيب للانتقال ومنه ذلك فإن ذلك لا تستقر يده وكذا كل ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من المدلك لان الناظر إليها يدلك عينيه ليدفع

شعاعها واللام للتأقيت مثلها في ثلاث خلون ^ إلى غسق الليل ^ إلى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الاخيرة ^ وقرآن الفجر ^ وصلاة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز أن يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلاة الفجر دل الأمر بإقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ^ إن قرآن الفجر كان مشهودا ^ تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار أو شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضيء والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه أو كثير من المصلين أو من حقه أن يشهده الجم الغفير والاية جامعة للصلوات الخمس أن فسر الدلوك بالزوال ووصلوات الليل وحدها أن فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب وقوله ^ لدلوك الشمس إلى غسق الليل ^ فاترك الهجود للصلاة والضمير لل قرآن ^ نافلة لك ^ فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة أو فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك ^ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ^ مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مكان يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بأن

الناس يحمده لقيامه فيه وما ذاك إلا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف بإضمار فعله أي فيقيمك مقاما أو بتضمنين يبعثك معناه أو الحال بمعنى أن يبعثك ذا مقام ^

وقل رب ادخني ^ أي في القبر ^ مدخل صدق ^ ادخالا مرضيا واخرجني أي منه عند البعث ^ مخرج صدق ^ اخرجنا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها أمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلبسه م مكان أو أمر واخراجه منه وقرئ مدخل و مخرج بالفتح على معنى ادخني فأدخل دخولا واخرجني فأخرج خروجاً ^ واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ^ حجة تنصرتني على من خالفني أو ملكا ينصر الإسلام على الكفر فاستجاب له بقوله ^ فإن حزب الله هم الغالبون ^ ليظهره على الدين كله ^ ^ ليستخلفنهم في الأرض ^ ^ وقل جاء الحق ^ الإسلام ^ وزهق الباطل ^ وذهب وهلك الشرك من زهق روحه إذا خرج ^ إن الباطل كان زهوقا ^ مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما ينكت بمخصرته في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره ^ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ^ ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى و من للبيان فإن كله كذلك وقيل انه للتبويض والمعنى أن منه ما يشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان نزل بالتخفيف ^ ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ^ لتكذيبهم وكفرهم به ^ وإذا انعمنا على الإنسان ^ بالصحة والسعة أعرض عن ذكر الله ^ ونأى بجانبه ^ لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بأمره ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء على القلب أو علي انه بمعنى نهض ^ وإذا مسه الشر ^ من مرض أو فقر ^ كان يؤوسا ^ شديد اليأس من روح الله ^ قل كل يعمل على شاكلته ^ قل واحواله التابعة لمزاج بدنه ^ فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ^ أسد طريقا وابين منها وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ^ ويسئلونك عن الروح ^ الذي يحيا به بدن الإنسان ويدبره ^ قل الروح من أمر ربي ^ من الابداعات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كأعضاء جسده أو وجد بأمره وحدث بتكوينه على أن السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثر الله بعلمه لما روي أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن اجاب عنها أو سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فيين لهم القصتين وابهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة ويقال الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن أمر ربي معناه من وحيه ^ وما اوتيتم من العلم إلا قليلا ^ تستفيدونه بتوسط حواسكم فإن اكتساب العقل للمعارف النظرية إنما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل أكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من أحواله المعروفة لذاته وهو إشارة إلى أن الروح مما لا يمكن معرفة ذاته إلا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن

وانتم فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ^ ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ^ وساعة تقول هذا فنزلت ولو أن ما في الأرض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية أن يعلم من الخير والحق ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة إلى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة إليه كثيرا ^ ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا إليك ^ اللام الأولى موطئة للقسم و لنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى أن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور ^ ثم لا تجد لك به علينا وكيفا ^ من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا ^ إلا رحمة من ربك ^ فإنها أن نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز أن يكون استثناء منقطعا بمعنى ولك رحمة ربك تركته غير مذهب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله ^ إن فضله كان عليك كبيرا ^ كإرساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه ^ قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ^ في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى ^ لا يأتون بمثله ^ وفيهم العرب العرباء وارباب البيان وأهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جوب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ولو كان بعضه لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجهم عن كونه معجزا ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز أن تكون الآية تقريرا لقوله ^ ثم لا تجد لك به علينا وكيفا ^ ولقد صرفنا ^ كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان ^ للناس في هذا القرآن من كل مثل ^ من كل معنى كالمثل في غرابته ووقوعه موقعها في الانفس ^ فأبى أكثر الناس إلا كفورا ^ إلا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت إلا زيدا لأنه متأول بالنفي ^ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ^ تعنتا واقتراحا بعد ما لزمهم الحجة بيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات إليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والأرض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعل من نبع الماء كيعبوب من عب الماء إذا زخر ^ أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ^ أو يكون لك بستان يشتمل على ذلك ^ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ^ يعنون قوله تعالى أو تسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن إلا في الروم وابن عامر إلا في هذه السورة وأبو بكر ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو أما مخفف من المفتوح كسدره وسدر أو فعل بمعنى مفعول كالطحن ^ أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ^ كفيلا بما تدعيه أي شاهدا على صحته ضامنا لدركه أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالاتها عليها كما حذف الخبر في قوله فإني وقيار بها لغريب ^ أو يكون لك بيت من زخرف ^ من ذهب وقد قرئ به واصله الزنية ^ أو ترقى في السماء ^ في معارجها ^ ولن نؤمن لريقك ^ وحده ^ حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ^ وكان فيه تصديقك ^ قل سبحان ربي ^ تعجبا من اقتراحاتهم أو تنزيها لله من أن يأتي أو يتحكم عليه أو يشاركه أحد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي أي قال الرسول ^ هل كنت إلا بشرا ^ كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن أمر الآيات إليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله حتى يخيروها علي هذا هو الجواب المجمل وأما التفصيل فقد ذكر في آيات آخر

كقوله ^ ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ^ ولو فتحنا عليهم بابا ^ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ^ أي وما منعهم الإيمان بعد نزول الوحي وظهور الحق ^ إلا أن قالوا ابعث الله بشرا رسولا ^ إلا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم / شبهة تمنعهم عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن إلا إنكارهم أن يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم ^ لو كان في الأرض ملائكة يمشون ^ ما يمشي بنو آدم مطمئين ساكنين فيها ^ لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ^ لتمكنهم من الاجتماع

به والتلقي منه واما الأنس فعامتهم عماء من ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكيا يحتمل أن يكون حالا من رسول وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق ^ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ^ على أني رسول الله السكم باظهاره المعجزة على وفق دعواي أو على أني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتهم وشهدا نصب على الحال أو التمييز ^ انه كان بعباده خيرا بصيرا ^ يعلم أحوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازتهم عليها وفيه تسلية للرسول ص وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتج ومن يضلل فلن تجد لهم والياء من دونه يهدونه ^ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم ^ يسبحون عليها أو يمشون بها روي انه قتل لرسول الله ص كيف يمشون على وجوههم قال أن الذي امشاهم على اقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ^ عميا وبكما وصما ^ لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في ديناهم لم يستبصروا بالآيات والعبير وتصاموا عن استماع الحق وأبو أن ينطقوا بالصدق ويجوز أن يحشروا بعد الحساب من الموقف إلى النار مؤفي القوى والحواس ^ ماواهم جهنم كلما خبت ^ سكن لهيها بان أكلت جلودهم ولحومهم ^ زبناهم سعيرا ^ توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود متلهبة مستعرة كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الإعادة والإفناء واليه أشار بقوله ^ ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا ^ لان الإشارة إلى ما تقدم من عذابهم

^ أو لم يروا ^ أو لم يعلموا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم فأنهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الإعادة اصعب عليه من الإبداء ^ وجعل لهم اجلا لا ريب فيه ^ هو الموت أو القيامة ^ فأبى الظالمون ^ مع وضوح الحق إلا كفروا إلا جحودا ^ قل لو ائتم تملكون خزائن رحمة ربي ^ خزائن رزقه وسائر نعمه وائتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة علنا لاختصاص ^ إذا لامسكم خشية الانفاق ^ لبخلم مخافة النفاق بالانفاق إذ لا أحد إلا ويختار النفع لنفسه ولو اثر غيره بشيء فإنما يؤثره لعوض يفوقه فهو إذن بخيل بالاضافة إلى جود الله تعالى وكرمه هذا وإن البخلاء اغلب فيهم ^ وكان الإنسان قتورا ^ بخيلا لان بناء أمره على الحاجة والصنة بما يحتاج إليه وملاحظة العوض فيما يبذله ^ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ^ هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر وتثق الطور على بني إسرائيل وقيل الطوفان والسنون وقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان أن يهديا سال النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرفوا ولا تنزوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء إلي ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت

فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الأحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لأنها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة أو الشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام ^ فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم ^ فقلنا له سلمهم من فرعون ليرسلهم معك أو سلمهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة قريش و إذ متعلق بقلنا أو اسأل على هذه القراءة أو فاسأل يا محمد بني إسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون إذ جاءهم أو عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك أو للتسلي نفسك أو لتعلم انه تعالى لو أتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم أو ليزادد يقينك لان تظاهر الأدلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان إذ نصبا بآيتنا أو بإضمار يخبروك على انه جواب الأمر أو بإضمار اذكر على الاستئناف ^ فقال له فرعون إني لاطنك يا موسى مسحورا ^ سحرت فتخبط عقلك ^ قال لقد علمت ^ يا فرعون وقرأ الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ^ ما أنزل هؤلاء ^ يعني الآيات ^ إلا رب السماوات والأرض بصائر ^ بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال ^ واني لاطنك يا فرعون مثبورا ^ مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما تبرك عن هذا أي ما صرفك أو هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فإن ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وإن أخالك يا فرعون لمثبورا على أن المخففة واللام هي الفارقة فأراد فرعون ^ أن يستفزههم ^ أن يستخف موسى وقومه وينفيهم ^ من الأرض ^ أرض مصر أو الأرض مطلقا بالقتل والاستئصال ^ فأغرقناه ومن معه جميعا ^ فعكسنا عليه مكره فاستفزناه وقومه بالاغراق ^ وقلنا من بعده ^ من بعد فرعون أو اغرقه ^ لبني إسرائيل اسكنوا الأرض ^ التي أراد أن يستفركم منها ^ فإذا جاء وعد الآخرة ^ الكرة أو الحياة أو الساعة أو الدار الآخرة يعني قيام القيامة ^ جننا بكم لفيفا ^ مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى ^ وبالحق انزلناه وبالحق نزل ^ أي وما انزلنا القرآن إلا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل على الرسول إلا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء إلا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول إلا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله أراد به نفي اعتراء البطلان له أول الأمر وآخره ^ وما ارسلناك إلا مبشرا ^ للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي بالعقاب فلا عليك إلا التبشير والانذار ^ وقرآنا فرقناه ^ نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله وبما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فإنه نزل في تضاعيف عشرين سنة ^ لتقرأه على الناس على مكث ^ على مثل وتؤدة فإنه ايسر للحفظ وأعن في الفهم وقرس بالفتح وهو لغة فيه ^ ونزلناه تنزيلا ^ على حسب الحوادث قل بمنوا به أولا تؤمنوا فإن ايمانكم بالقرآن لا يزيد كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا وقوله إن الذين اتوتوا العلم من قبله تعليل له أي أن لم تؤمنوا به فقد أمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل أو رأوا نعتك وصفة ما انزل إليك في تلك الكتب ويجوز أن يكون تعليلا ل قل على سبيل التسلية كأنه قيل تسل بإيمان العلماء عن إيمان الجهلة ولا تكثرث بإيمانهم وإعراضهم ^ إذا يتلى عليهم ^ القرآن ^ يخرون للأذقان سجدا ^ يسقطون على وجوههم تعظيما لأمر الله

أو شكرا لانجاز وعده في تلك الكتب ببعثه محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ^ ويقولون سبحان ربنا ^ عن خلف الموعد ^ إن كان وعد ربنا لمفعولا ^ انه كان وعده كائنا لا محالة ^ وبخرون للاذقان يكون ^ كرهه لاختلاف الحال والسبب فإن الأول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذن لانه أول ما يلقي الأرض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخورور به ويزيدهم سماع القرآن خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله

^ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ^ نزلت حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر أو قالت اليهود أنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثره الله في التوراة والمراد على الأول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود المطلق وعلى الثاني انههم سيان في حسن الإطلاق والافضاء إلى المقصود وهو اجود لقوله ^ أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنی ^ والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى إلى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه وأو للتخيير والتنوين في أيا عوض عن المضاف إليه و ما صلة لتأكيد ما في أيا من الإبهام والضمير في فله للمسمى لأن التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام أ [ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الأسماء الحسنی للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنی لدلالاتها على صفات الجلال والاکرام ^ ولا تجهر بصلاتك ^ بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فإن ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ^ ولا تخافت بها ^ حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنین ^ وابتغ بين ذلك ^ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فإن الاقتصاد في جميع الأمور محبوب روي أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا قيل معناه لا

تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا ^ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ^ في الألوهية ولم يكن له وفي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه أن يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الإطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة أو منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله ^ وكبره تكبيرا ^ وفيه تنبيه على أن العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي أن يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه صلى الله عليه وسلم كان إذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة الكهف وقيل إلا قوله ^ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ^ الآية وهي مائة واحدى عشرة يسم الله الرحمن الرحيم ^ الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ^ يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي إلى ما فيه كمال العباد والداعي إلى ما به ينتظم صلاح المعاش

والمعاد ^ ولم يجعل له عوجا ^ شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى أو انحراف من الدعوة إلى جانب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط أو قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما أو على الحال من الضمير في له أو من الكتاب على أن الواو ^ ولم يجعل ^ للحال دون العطف إذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير قيما ^ لينذر بأسا شديدا ^ أي لينذر الذين كفروا عذبا شديدا فحذف المفعول الأول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق إليه ^ من لدنه ^ صادرا من عنده وقرأ أبو بكر بإسكان الدال كإسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ^ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا حسنا ^ هو الجنة ما كثر في فيه في الاجر أبدا بلا انقطاع

^ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ^ خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ^ ما لهم به من علم ^ أي بالولد أو باتخاذ أو بالقول والمعنى انهم يقولوه عن جهل مفرط وتوهم كاذب أو تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فإنهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر أو بالله إذ لو علموه لما جوزا نسبة الاتخاذ إليه ^ ولا لأبائهم ^ الذين تقولوه بمعنى التبني ^ كبرت كلمة ^ عظمت مقالتهن هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وإيهام احتياجه تعالى إلى ولد يعينه ويخلفه إلى غير ذلك من الزبغ و كلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل على المقصود ^ تخرج من افواههم ^ صفة لها تفيد استعظام اجرائهم على

اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبرها هنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ^ إن يقولون إلا كذبا ^ ^ فلعلك باخع نفسك ^ قاتلها ^ على آثارهم ^ إذا وليوا عن الإيمان لما يداخله من الوجد على توليهم بمن فارقت اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسك وجدا عليهم وقرئ ^ باخع نفسك ^ على الاضافة ^ إن لم يؤمنوا بهذا الحديث ^ بهذا القرآن أسفا للتأسف عليهم أو متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ أن بالفتح على لأن فلا يجوز أعمال باخع إلا إذا جعل حكاية حال ماضية

^ إنا جعلنا ما على الأرض ^ من الحيوان والنبات والمعادن ^ زينة لها ^ ولأهلها لنبولهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به أيامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ^ وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جززا ^ ترهيد فيه والجزر الأرض التي قطع نباتها مأخوذ من الجزز وهو القطع والمعنى إنا لنعيد ما علينا من الزينة ترابا مستويا بالأرض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ^ أم حسبت ^ بل احسبت ^ أن أصحاب الكهف والرقيم ^ في ابقاء حياتهم مدة مديدة ^ كانوا من آياتنا عجا ^ وقصتهم بالاضافة إلى خلق ما على الأرض من الاجناس والانواع الفاتنة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة

واحدة ثم ردها إليها ليس بعجيب مع أنه من آيات الله كالنزر الحقير و الكهف الغار الواسع في الجبل و الرقيم اسم الجبل أو الوادي الذين فيه كهفهم أو اسم قرينتهم

أو كليهم قال أمية بن أبي الصلت وليس بها إلا الرقيم جاورا وصيدهمو والقوم في الكهف هجد أو لوح رصاصي أو حجري رقت فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لأهلهم فأخذتهم السماء فأووا إلى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال أحدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال أحدهم استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقينه مثل عملهم فأعطيته ثم اجرهم فغضب أحدهم وترك اجره فوضعت في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال إنه لي عندك حقا وذكره لي حتى عرفته فدفعتها إليه جميعا اللهم أن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان في فضل وصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون فك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك فأنت وسلمت الي نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف الله فقلت لها خفته في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركها واعطيتها ملتمسها اللهم أن كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان هرمان وكانت

لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع إلى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ابرح حتى امسيت فأتيت أهلي وأخذت محلي فحلبت فيه ومضيت إليهما فوجدتهما نائمين فشق علي أن اوقظهما فوقعت جاليا ومحلي على يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم أن كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير ^ إذ اوى الفتية إلى الكهف ^ يعني فتية من اشرف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا إلى الكهف ^ فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة ^ توجب لنا المعرفة والرزق والامن من العدو ^ وهى لنا من امرنا ^ من الأمر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصيرا بسببه راشدين مهتدين أو اجعل ارنا كله رشدا كقولك رأيت منك اسدا وأل التهيئة احداث هيئة الشيء ^ فضرنا على آذانهم ^ أي ضرنا عليهم حجابا يمنع السماع بمعنى انماهم انامة لا تنبهم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امراته في

الكهف سنين ^ ظرفان لضرنا عددا أي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فإن مدة لبثهم كبعث يوم عنده ^ ثم بعثناهم ^ ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا ^ أي الحزين ^ المختلفين منهم أو من غيرهم في مدة لبثهم ^ أحصى لما لبثوا امدا ^ ضبط امد الزمان لبثهم وما في أي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ و أحصى خبره وهو فعل ماض و أمدا مفعول له و ^ لما لبثوا ^ حال منه أو مفعول له وقيل إنه المفعول واللام مزيدة وما موصولة و أمدا تمييز وقيل أحصى اسم تفضل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو أحصى للمال وافلس من ابن المذلق و امدا نصب بفعل دل عليه أحصى كقوله واضرب منا بالسيوف القوانسا

نحن نقص عليك نبأهم بالحق ^ بالصدق ^ إنهم فتية ^ شبان جمع فتى كصبي وصيبة ^ آمنوا بربهم وزدناهم هدى ^ بالثبوت ^ وربطنا على قلوبهم ^ وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجرأة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار ^ إذ قاموا ^ بين يديه فقالوا ربنا رب لاسماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا اذا شططا والله لقد قلنا قولنا اذا شطط أي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيان اتخذوا من آلهة خبره وهو إخبار في

معنى انكار ^ لولا يأتون ^ هلا يأتون عليهم على عبادتهم ^ بسُلطان بين ^ ببرهان ظاهر فإن الدين لا يؤخذ إلا به وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز ^ فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ^ بنسبة الشريك إليه وإذ اعتزلتموههم خطاب بعضهم لبعض ^ وما يعبدون إلا الله ^ عطف على الضمير المنصوب أي وإذا اعتزلتم القوم ومعبوديهم إلا الله فإنهم كانوا يعبدون الله ويبعدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز أن تكون ما مصدرية على تقدير وإذ اعتزلتموههم وعبادتهم إلا عبادة الله وأن تكون نافية على أنه إخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترضين بين إذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم ^ فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم ^ يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم ^ من رحمته ^ في الدارين ^ ويهيئ لكم من أمركم مرفقا ^ ما ترتفقون به أي تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شادا كالمرجع والمحيض فإن قياسه الفتح

^ وترى الشمس ^ لو رأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ^ إذا طلعت تزاور عن كهفهم ^ تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم يؤذيه لان الكهف كان جنوبيا أو لان الله تعالى زورها عنهم واصله تتزاور فأدغمت التاء في الزاي وق أ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزاور كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين وإذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة منه أي وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لأن باب الكهف في مقابلة بنات نعش واقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس إذا كان مدارها مداره تطلق مائلة عنه مقابلة لجانبه الأبيض وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبيي ثيابهم ذلك من آيات الله أي شأنهم واياؤهم إلى كهف شأنه كذلك أو اخبارك بالتوفيق فهو المهتد الذي اصاب الفلاح والمراد به أما الثناء عليهم أو التنبيه على أن امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده

^ ^ وتحسبهم أيقاظا لانفتح عيونهم أو لكثير تقلبهم وهم رقود نيام وتقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الأرض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى و وتقلبهم ع على المصدر منصوبا بعفل يدل عليه تحسبهم أي وترى تقلبهم وكلبهم هو مروا به فتبعهم فطرده فأنطقه الله فقال أنا احب احباء الله فناموا وأنا احرسكم أو كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ و كالبهم أي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعلم اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت إليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا لهربت منهم و فرارا يحتمل المصدر لأنه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملا صدرك بما ألبسهم الله من الهيئة أو لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية رضي الله عنه انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشفت لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم

لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لمئيت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالثقل وكذلك بعثاهم وكما أمناهم آية بعثاهم آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا

بينهم ليسأل بعضهم بعضا فتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى ويستبصروا به أمر البعث ويشركوا ما أنعم الله به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك احوالوا العلم إلى الله تعالى قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز أن يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدة وانتبهوا ظهيرة ووطنوا انهم في يومهم أو اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا إلى طول اظفارهم واشعارهم قالا هذا ثم لما علموا أن الأمر ملتبس لا طريق لهم إلى علمه اخذوا فيما بهمهم وقالوا فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة وقرأ أبو بكر وأبو عمرو وحمزة وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالثقل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على أن التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر أيها أي أهلها ازكى طعاما احل واطيب أو أكثر وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن أو في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرون بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور انهم أن يظهرأ عليكم أي يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم والضمير للأهل المقدر في أيها ^ ^ يرموكم يقتلوكم بالرجم أو يعيدوكم في ملتهم أو يصيروكم إليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فأمنوا ولن تفلحوا اذا أبدا إن دخلتم في ملتهم

^ ^ وكذلك اعثرنا عليهم وكما امناهم وبعثاهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم أن وعد الله بالبعث أو الموعد الذي هو البعث حق لأن نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وأن القيامة لا ريب في امكانها فإن من توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنني حافظا أبدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلنا إليها قد أن يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا إياها إلى أن يحشر ابدانهم فيردها عليها إذ يتنازعون ظرف ل اعثرنا أي اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم أمرهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا أو أمر الفتية حين أماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون لتتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى فقلا ابنوا عليهم نبينا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لتتخذن

عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض أما من الله ردا على الخائضين في أمرهم من أولئك المتنازعين في زمانهم أو من المتنازعين فيهم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو من المتنازعين للرد إلى الله بعد ما تذكرأ أمرهم وتناقلوا في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكي أن المبعوث لما دخل السوق واخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزا فذهبوا به إلى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم إن آباءنا اخبرونا أن فتية فرا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك أهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا إلى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبني عليم مسجدا

وقيل لما انتهوا إلى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفرعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا سيقولون أي الخائضون في قصتهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين ثلاثة رابعهم كلهم أي هم ثلاثة رجال يربعهم كلهم بانضمامه إليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة

سادسهم كلهم قاله النصارى أو العاقب منهم وكاننسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به أو ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن إذا ظنونا ما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة وثمانهم كلهم إنما قاله المسلمون بإخبار الرسول لهم عن جبريل عليهما الصلاة والسلام وإيماء الله تعالى إليه بأنه اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل واتبع الأولين قوله رجما بالغيب وبأن اثبت العلم بهم لطافة بعد ما حصر اقوال الطوائف في الثلاثة المذكورة فإن عدم ايراج رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع أن الأصل ينفيه ثم رد الأولين بأن اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبأن ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالاً م المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على

أن اتصافه بها أمر ثابت وعن علي رضي الله عنه هم سبعة وثمانهم كلهم واسماؤهم يملحا ومكشينا ومثليينا هؤلاء أصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش احصاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الأقوال الثلاثة لأهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم إلا مرأء ظاهرا فلا تجادل في شأن الفتية إلا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسأل احدا عن قصتهم سؤال مسترشد وإنما اوحى إليك لمندوحة من غيره مع أنه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسؤول وتزييف ما عنده فإنه مخل بمكارم الأخلاق ولا تقولن لشيء أني فاعل ذلك غدا إلا أن شاء الله نهى تأديب من الله تعالى لنبية حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسأله فقال أتوني غدا أخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بشعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبه قريش والاستثناء من النهي أي ولا تقولن أجل شيء تعزم عليه أني فاعله فيما يستقبل إلا ب أن يشاء الله أي إلا ملتبسا بمشيئته قائلا إن شاء الله أو إلا وقت أن يشاء الله أن تقوله بمعنى أن يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لأن استثناء اقتران المشيئة بالفعل

غير سديد استثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي اذكر ربك مشيئة ربك وقل أن شاء الله كما روي انه لما نزل قال صلى الله عليه وسلم إن شاء الله إذا نسيت إذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لأنه لو صح ذلك لم يتقرر اقرارا ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الآية والخبر أن الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسيح والاستغفار إذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه أو اذكر ربك وعقابه إذا

تركت بعض ما امرك به ليعثك على التدارك أو اذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى أن يهدين ربي يدلني لأقرب من هذا رشدا لأقرب رشدا واطهر دلالة على أني نبي من نبا أصحاب الكهف وقد هداه لأعظم من ذلك كقصص الأنبياء

المتباعدة عنه أيامهم والاختبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلية إلى قيام الساعة أو لأقرب رشداً وأدنى خيراً من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه أحياء مضروباً على أذانهم وهو بيان لما أجمل قبل وقيل إنه حكاية كلام أهل الكتاب فإنهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلاثمائة وقال بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلاثمائة سنين بالإضافة على وضع الجمع موضع الواحد وبحسنه

ها هنا أن علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وإن الأصل في العدد اضافته إلى الجمع ومن لم يصف أبدل السنين من ثلاثمائة قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض له ما غاب فيهما وخفي من احوال أهلها فلا خلق يخفى عليه علماً أبصر به وأسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين إذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دون لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود إلى الله ومحلها الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سبويه وكان أصله ابصر أي صار ذا بصر ثم نقل إلى صيغة الأمر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياق الصيغة له أو لزيادة الباء كما في قوله تعالى وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل أحد والباء مزيدة أن كانت الهمزة للتعدي ومعدية أن كانت للصيرورة ما لهم الضمير أهل السماوات والأرض من دون من ولي من يتولى أمورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه أحدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلاً وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهى كل أحد عن الاشرار ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة أصحاب الكهف من حيث إنها من المغيبات بالإضافة إلى رسول الله على أنه وحي معجز أمره أن يداوم درسه ويلزم أصحابه فقال واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك من القرآن ولا تسمع لقولهم أنت بقرآن غير هذا أو بدله ^ ^ لا مبدل لكلماته لا أحد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتجداً ملتجأً عليه إن هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم أو في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه أن غدوة علم في الأكثر فتكون اللام فيه على تأويل التنكير يريدون وجهه رضا الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبأ وقرئ ولا تعد عينيك ^ ^ ولا تعد من أعداء وعداء والمراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يزدري بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثائه زبهم طموحاً إلى طراوة زي الاغنياء تريد زينة الحياة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من أغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا كأمية بن خلف في دعائك إلى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على أن الداعي له إلى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه أن الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وأنه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال إلى الله تعالى قالوا إنه مثل اجبته إذا وجدته كذلك أو نسبته إليه أو من اغفل ابله إذا تركها بغير سمة أي لم نسمة بذكرنا كقولب الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان واحتجوا على أن المراد ليس ظاهر ما ذكر أولاً بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ أغفلنا بإسناد الفعل إلى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا إياه بالمؤاخذه وكان أمره فرطاً أي تقدماً على الحق نبذاً له وراء ظهره يقال فرس فرط أي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز أن يكون

الحق خبر مبتدأ محذوف و من ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لا ابالي بإيمان من آمن ولا كفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فإنه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته إنا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجر التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وإن يستغيثوا من العطش يغاثوا بما كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه إذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء أو حال من المهل أو الضمير في الكاف بئس الشراب المهل وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا وألا فلا ارتفاق لأهل النار إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع اجر من أحسن عملا خبر إن الأولى وهي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من أحسن عملا منهم أو مستغنى عنه بعموم من أحسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد أو واقع موقعه الظاهر فإن من أحسن عملا لا يحسن اطلاقه على الحقيقة إلا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار وما بينهما اعتراض وعلى الأول استئناف لبيان الاجر أو خبر ثان يحلون فيها من أساور من ذهب من الأولى للابتداء والثانية للبيان صفة ل أساور وتنكيره لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة أو أسوار في جمع سوار ولبسسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الألوان وأكثرها راوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على أن فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ

واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن رجلين حال رجلين مقدرين أو موجودين هما أخوان من بني إسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابئهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل أمرهما إلى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما أخوان من بني مخزوم كافر وهو الأسود بن عبد الأشد ومؤمن وهو أبو سلمة عبد الله زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلنا لآحدهما جنتين بستانين من اعناب من كروم والجملة بتمامها بيان للتمثيل أو صفة للرجلين وحفناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم إذا اطاقوا به وحففته بهم إذا جعلتهم حافين حوله فتزیده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيت به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمراها وافراد الضمير لأفراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى أكله ولم تظلم منه ولم تنقص من أكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فإن اثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فإنه الأصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر أنواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله إذا كثره وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وأبو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك في قوله وأحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار إذا رجع أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا حشما وأعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان

المراد ما هو جنته وما متع به من الدنيا تنبيها على أن لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون أو لاتصال كل واحدة من جنتيه بالآخرى أو لان الدخول يكون في واحدة واحدة ^ وهو ظالم لنفسه ^ صار لها بعجه وكفره ^ قال ما اظن أن تبيد ^ أن تفنى هذه لاجنة أبدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلهته ^ وما اظن الساعة قائمة ^ كائنة ^ ولئن رددت إلى ربي ^ بالبعث كما زعمت ^ لأجدن خيرا منها ^ من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما أي من الجنين من قلبا مرجعا وعاقبة لأنها فانية وتلك باقية وانما اقسام على ذلك لاعتقاده انه تعالى إنما اولاه لاستئجاله واستحقاقه إياه لذاته وهو معه اينما تلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكثرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك أو مادة اصلك ^ ثم من نطفة ^ فإنها مادتك القريبة ^ ثم سواك رجلا ^ ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغاً مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لأن منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الإنكار على خلقه إياه من التراب فإن من قدر على بدء خلقه منه قدر أن يعيده منه ^ لكننا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ^ اصله لكن أنا فحذفت الهمزة بنقل الحركة أو دون فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالألف في الوصل لتعويضها من الهمزة أو لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن أنا على الأصل

وهو ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر أنا أو ضمير الله و الله بدله وربى خبره والجملة خبر أنا والاستدراك من اكفرت كأنه قال أنت كافر بالله لكني مؤمن به وقد قرئ لكن هو الله ربي ولكن أنا لا اله إلا هو ربي ^ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ^ وهلا قلت عند دخولها ^ ما شاء الله ^ الأمر ما شاء أو ما شاء كائن على أن ما موصولة أو أي شيء شاء الله كان على إنها شرطية والجواب محذوف اقرارا بأنها وما فيها بمشيئة الله أن شاء ابقاها وان شاء ايدأها ^ لا قوة إلا بالله ^ وقلت لا قوة إلا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير أمرها بمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره ^ إن ترن أنا اقل منك مالا وولدا ^ يحتمل أن يكون فضلا وأن يكون تأكيدا للمفعول الأول وقرئ أقل بالرفع على أنه خبر أنا والجملة مفعول ثاني ل ترن وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد ^ فعسى ربي أن يؤتينا خيرا من جنتك ^ في الدنيا أو في الآخرة لايماني وهو جواب الشرط ^ ويرسل عليها ^ على جنتك لكفرك ^ حسبانا من السماء ^ مرامي جمع حسبانة وهي الصواعد وقيل هو مصدر بمعنى الحساب المراد به التقدير بتخريبها أو عذاب حساب الأعمال السيئة ^ فتصبح صعيدا زلقا ^ أرضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها واشجارها ^ أو يصبح ماؤها غورا ^ أي غائرا في الأرض مصدر وصف به كالزرق ^ فلن تستطيع له طلبا ^ للماء الغائر ترددا في رده ^ واحيط بثمره ^ واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو فإنه إذا احاط به غلبه وإذا غلبه اهلكه ونظيره أتى عليه إذا اهلكه من أتى

عليهم العدو إذا جاءهم مستعليا عليهم ^ فأصبح يقلب كفيه ^ ظهرها لبطن تلهفا وتحسرا ^ على ما انفق فيها ^ في عمارتها وهو متعلق ب يقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل فأصبح يندم أو حال أي متحسرا على ما انفق فيها ^ وهي خاوية ^ ساقطة ^ على عروشها ^ بأن سقطت عروشها على الأرض وسقطت

الكروم فوقها عليها يقول عطف على يقلب أو حال من ضميره ^ يا ليتني لم اشرك
بربي احدا ^ كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم انه أتى من قبل شركة فتمنى لو لم
يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل أن يكون توبة من الشرك وندما على ما
سبق منه ^ ولم تكن له فئة ^ وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه يقدر
نصره بدفع الاهلاك أو رد المهلك أو الاتيان بمثله ^ من دون الله ^ فإنه القادر على
ذلك وحده ^ وما كان منتصرا ^ وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك
في ذلك المقام وتلك الحال ^ الولاية لله الحق ^ النصر له وحده لا يقدر عليها
غير تقديرا لقوله ^ ولم تكن له فئة ينصرونه ^ أو نصر فيها اوليائه المؤمنين على
الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وبعضه قوله ^ هو خير ثوابا وخير
عقبا ^ أي لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي بالكسر ومعناه السلطان والملك أي هناك
السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه أو لا يعبد غيره كقوله تعالى فإذا ركبوا الفلك
دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على أن قوله ^ يا ليتني لم اشرك ^ كان
عن اضطرار

وجزع مما دهاه وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة وقرأ أبو عمرو والكسائي الحق بالرفع
صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون
وقرئ عقبي وكلها بمعنى العاقبة ^ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا ^ واذكر لهم ما
يشبه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها الغربية كماء هي كماء ويجوز
أن يكون مفعولا ثانيا ل اضرب على انه بمعنى صير ^ أنزلناه من السماء فاختلط
به نبات الأرض ^ فالتفت بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه أو نجع في
النبات حتى روى ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الأرض لكنه لما كان كل
من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته ^ فأصبح هشيمًا ^
مهشوما مكسورا تذوره الرياح تفرقه وقرئ تدره من أذرى والمشبه به ليس الماء
ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر
وارفا ثم هشيمًا تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن ^ وكان الله على كل شيء ^
من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا ^ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ^ يتزين بها
الإنسان في دنياه وتفنئ عنه عما قريب ^ والباقيات الصالحات ^ واعمال الخيرات
التي تبقى له ثمرتها ابد الابد ويندرج فيها ما

فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد
لله ولا اله إلا الله والله اكبر والكلام الطيب ^ خير عند ربك ^ من المال والبنين
ثوابا عائذة ^ وخير املا ^ لأن صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يؤمل بها في
الدنيا ويم نسير الجبال واذكر يوم نقلها ونسيرها في الجو أو نذهب في الجو أو
نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على ^ عند ربك ^ أي الباقيات الصالحات
خير عند الله ويوم القيامة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء
للمفعول وقرئ تسير من سارت ^ وترى الأرض بارزة ^ بادية برزت من تحت
الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ وترى على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم
إلى الموقف ومجيئه ماضيا بعد

نسير وترى لتحقق الحشر أو للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا
ما وعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال بإذمار قد فلم تغادر فلم نترك ^ منهم
أحدا ^ يقال غادره واغدره إذا تركه ومنه العدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السير
وقرئ بالياء ^ وعرضوا على ربك ^ شبه حالهم بحال الجند المعروضين على
السلطان لا يعرفهم بل ليأمر فيهم صفا مصطفىين لا يحجب أحد أحدا ^ لقد جئتمونا

^ على اضمار القول على وجه يكون حالا أو عاملا في يوم نسير ^ كما خلقناكم أول مرة ^ عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ^ ولقد جئتمونا فرادى ^ أو أحياء كخلقكم الأولى لقوله بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الأنبياء كذبوكم به ويل للخروج من قصة إلى أخرى ^ ووضع الكتاب ^ صحائف الأعمال في الإيمان والشمائل أو في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب ^ فترى المجرمين مشفقين ^ خائفين ^ مما فيه ^ من الذنوب ^ ويقولون يا ويلتنا ^ ينادون هلكتهم التي هلکوها من بين الهلكات ^ مال هذا الكتاب ^

تعجبا من شأنه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها إلا عددها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل أو يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كرهه في مواضع لكونه مقدمة للأمور المقصود بيانها في تلك المحال وها هنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعه قرر ذلك بأنه من سنن إبليس أو لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بأنها عرضة الزوال والأعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن كان من الجن حال باضمار قد أو استئناف للتعليل كأنه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن أمر ربه فخرج عن أمره بترك السجود والفاء للسبب وفيه دليل على أن الملك لا يعصى البتة وإنما عصى إبليس لانه كان جنيا في أصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة أفتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته اولاده أو اتباعه وسماهم ذرية مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله تعالى إبليس وذريته وما أشهدتهم خلقا لسماوات والأرض ولا خلق أنفسهم نفى احضار إبليس وذريته خلق السماوات والأرض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفى الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا أي اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فإن استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشترار فيه يستلزم الاشترار فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو

أما اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت إلى قوهم طمعا في نصرتهم للدين فإنه لا ينبغي لي أن اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين على الأصل و عضدا بالتخفيف و عضدا بالاتباع و عضدا كخدم جمع عاضد من عضده إذا قواه ويوم يقول أي الله تعالى للكافرين وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم أنهم شركائي وشفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واطافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل إبليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار والتهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار أو عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا و موبقا اسم مكان أو مصدر من وبق يوبق وبقا إذا هلك وقيل البين الوصل أي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ورأى المجرمون النار فظنوا فأيقنوا أنهم

مواقعها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا أو مكانا ينصرفون إليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون إليه وكان الإنسان أكثر شيء يتأتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس أن يؤمنوا من الإيمان إذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقرآن المبين ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار من الذنوب إلا أن تأتيهم سنة الأولين إلا طلب أو انتظار أو تقدير أن تأتيهم سنة الأولين وهي الاستئصال فحذف المضاف واقم المضاف إليه مقامه أو يأتيهم العذاب ^ عذاب الآخرة ^ قبلنا عيانا وقرأ الكوفيون قبلنا بضمين وهو لغة فيه أو جمع قبيل بمعنى أنواع وقرئ بفتحين وهو أيضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلنا وقبلنا وقلبا وانتصابه على الحال من الضمير أو العذاب ^ ^ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة أصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قوهم للرسول ما انتم إلا بشر مثلنا ^ ^ ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتي يعني القرآن وما اندروا وانذارهم أو والذي انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزأ بالسكون وهو ما يستهزأ به على التقديرين ومن اظلم ممن ذكر آيات ربه بالقرآن فأعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يده من الكفر والمعاصي ولم يتفكر في عاقبتها إنا جعلنا على قلوبهم أكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي آذانهم وقرا يمنهم أن يستمعوه حق استماعه وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا تحقيقا ولا تقليدا لأنهم لا يفقهون ولا يسمعون وإذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله ما لي ادعوهم فإن حرصه صلى الله عليه وسلم على إسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهدا على ذلك بإمهال قريش مع إفراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر أو يوم القيامة لن يجدوا من دونه موثلا منجأ ولا ملجأ يقال وأل إذا نجاو وأل إليه إذا لجأ إليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود اضرابهم وتلك مبتدأ خبره أهلكتهم أو مفعول مضمير مفسر به و القرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في أحدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالكذب والمرء وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لإهلاكهم وقتا لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فيعتبروا بهم ولا يغتروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ أبو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام أي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض وإذ قال موسى مقدر بأذكر لفتاه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام فإنه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبد لا ابرح أي لا أزال أسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث إنها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز أن يكون أصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على أن حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقم المضاف إليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح هو بمعنى لا ازول عما أنا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر و مجمع البحرين ملتقى بحري فارس ولروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر عليهما الصلاة والسلام فإن موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على

الشذوذ من يفعل كالمشر والمطلع أو امضي حقبا أو اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع أما بلوغالمجمع أو مضي الحقب أو حتى ابلغ إلا أن امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي أن موسى عليه الصلاة والسلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فأعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فأوحى الله إليه بل اعلم منك عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في أيام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنى الأكبر وبقي إلى أيام موسى وقيل أن موسى عليه السلام سأل ربه أي عبادك احب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك اقضى قال الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك اعلم قال الذي يتبغى علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى

فقال أن كان في عبادك اعلم نمي فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال أين طلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكنل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه إذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما أي مجمع البحرين و بينهما ظرف اضيف إليه على التساع أو بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى عليه الصلاة والسلام أن يطلبه ويتعرف حاله ويوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر روي أن موسى عليه السلام ورقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى أو الخضر وقيل توشأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد أمره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر جال منه أو من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا ^ مجمع البحرين ^ قال لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد إلى الظهر القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال رأيت إذ اوبنا رأيت ما دهاني إذ اوبنا إلى الصخرة يعني الصخرة التي

رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فإني نسيت الحوت فقدته أو نسيت ذكره بما رأيت منه وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره أي وما أنساني ذكره إلا الشيطان فإنه أن أذكره بدل من الضمير وقرىء أن أذكره وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وإن كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة امثالها عند موسى وألفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجاب شراشره إلى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وإنما نسيه إلى الشيطان هضما لنفسه أو لأن عدم احتمال القوة للجانيين واشتغالها بإحداهما عن الآخر يعد من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجا سبيلا عجا وهو كونه كالسرب أو اتخاذا عجا والمفعول الثاني هو الطرف وقيل هو مصدر فعله المضممر أي قال في آخر كلامه أو موسى في جوابه عجا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى أي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجا قال ذلك أي أمر الحوت ما كنا نبع نطلب لأنه امارة المطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا في الطريق الذي جاء فيه قصصا يقصان قصصا أن يتبعان آثارهما ابتاعا أو مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجهور على انه الخضر عليه السام واسمه بلي بن

ملكان وقيل اليسع وقيل اليأس آتيناها رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا وهو علم الغيوب ^ ^ قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمن على شرط أن تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحيتين وهما لغتان كالبلخ والبخر وه مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز أن يكون رشدا علة لا تبعد أو مصدر إضمار فعله ولا ينافي نبوته ولكنه صاحب شريعة أن يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا ي أبواب الدين فإن الرسول ينبغي أن يكون اعلم ممن أرسل إليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك في غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن أن يكون تابعا له وسأل منه أن يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله عليه قال إنك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا أي وكيف تصبر وأنت نبي على ما أتولى من أمور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تميزا أو مصدر لأن لم تحط به بمعنى لم تخبره

^ ^ قال ستجدني أن شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص أو على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة أما لليمن وخلفه ناسيا لا يقدر في عصمته أو لعلمه بصعوبة الأمر فإن مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف وفيه دليل على أن أفعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى إذا ركبا في السفينة خرقتها أخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بأن قلع لوحين من الواحها قال أخرقتنا لتغرق أهلها فأخرقتها بسبب لدخول الماء فيها المفضي إلى غرق أهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق أهلها على إسناده إلى الأهل لقد جئت شيئا إمرا أتيت امرا عظيما من أمر الأمر إذا عظم قال ألم اقل انك لن تستطيع صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيت أو بشيء نسيت يعني وصيته بأن لا يعترض عليه أو بنسياني إياها وهو اعتذار بالنسيان أخرجه في معرض النهي عن المؤاخظة مع قيام المانع لها وقيل أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة وقيل انه من معارضض الكلام والمراد شيء آخر نسبه ولا ترهقني من أمري عسرا ولا تغشني عسرا من أمري بالمضايقة والمؤاخظة على المنسي فإن ذلك يعسر على متابعتك و عسرا مفعول ثاني لترهق فإنه يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه وقرئ عسرا بضمين فانطلقا أي بعد ما خرجا من السفينة حتى إذا لقيا غلاما فقتله قيل قتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير ترو واستكشاف حال ولذلك قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس أي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ورويس عن يعقوب زكية والأول أبلغ وقال أبو عمرو الزكية التي لم تذنّب قط والزكية التي أذنبت ثم غفرت ولعله اختار الأول لذلك فإنها كانت صغيرة ولم تبلغ الحلم أو أنه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها أو قتلت نفسا فتقاد بها نيه به على أن القتل إنما يباح حدا أو قصاصا وكلا الأمرين منتف ولعل تغيير النظم بأن جعل خرقتها جزاء واعتراض موسى

عليه الصلاة والسلام مستأنفا في الأولى في الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لأن القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكا جديرا بأن يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا أي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وروش وابن عامر ويعقوب وأبو بكر نكرا بضمين قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على

رفض الوصية ووسما بقله الثبات والصبر لما تكرر منه الاشتمزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير أو مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة ^ قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني ^ وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني أي فلا تجعلني صاحبك ^ قد بلغت من لدني عذرا ^ قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى استحيا فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع ^ من لدني ^ بتحريك النون والاكْتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني نم نصر الحبيبين قدى وأبو بكر لدني بتحريك النون واسكان الضاد من عضد ^ فانطلقا حتى إذا اتيا أهل قرية ^ قرية إنطاكية وقيل ابلة البصرة وقيل باج وان أرمينية ^ استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ^ وقرئ يضيفوهما من إضافة يقال ضافه إذا نزل به ضيفا وأضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض إذا مال ^ فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض ^ يداني أن يسقط فاستعيرت الإرادة للمشاركة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر أبي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال إن دهرًا يلم شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضه إذا كسرتة ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه أو افعل من النقض وقبرئ ^ أن ينقض ^ و أن ينقاض بالصاد المهملة من انقضت السن إذا انشقت طولًا فأقامه بعمارته أو بعمود عمدته به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه

وبناه ^ قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا ^ تحريضا علي أخذ الجعل لينتعشا به أو تعريضا بأنه فضول لما في لو من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الأخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت أي لاخذت واطهر ابن كثير يعقوب وخفص الدال وادغمه الباقيون قال هذا فرا بيني وبينك الاشارة إلى الفراق الموعود بقوله ^ فلا تصاحبني ^ أو إلى الاعتراض الثالث أو الوقت أي هذا الاعتراض سبب فراقنا أو هذا الوقت وقته وإضافة الفراق إلى اليبين وإضافة المصدر إلى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الأصل ^ سأنبتك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ^ بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر ^ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ^ لمحاويج وهو دليل على أن المسكين يطلق على من يملك شيئا إذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك أو لزمانتهم فإنها كانت لعشرة أخوة خمسة زمني وخمسة يعملون في البحر ^ فأردت أن اعيبها ^ أن اجعلها ذات عيب ^ وكان وراءهم ملك ^ قدامهم أو خلفهم وكان

رجوعهم عليه واسمه دلندي بن كركر وقيل منوار بن جلندي الازدي ^ يأخذ كل سفينة غصبا ^ من اصحابها وكان حق النظم أن يتأخر قوله ^ فأردت أن اعيبها ^ عن قوله ^ وكان وراءهم ملك ^ لان إرادة التعيب مسببة عن خوف الغصب وانما قدم للعناية أو لأن السبب لما كان مجموع الأمرين خوف الغصب ومسكنه الملاك رتبته على اقوى الجزأين واعاها وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتيميم وقرئ كل

سفينة صالحة والمعنى عليها ^ واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما ^ أن يغضبهما ^ طغيانا وكفرا ^ لنعمتهما بعقوبه فليحقهما شرا أو يقرن بايمانهما طغيانه وكفره يجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يديهما بعلته فيرتدا بإضلاله أو بممالاته على طغيانه وكفره حياله وانما خشي ذلك لأن الله تعالى اعلمه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن نجدة الحروري كتب الهى كيف قتله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب إليه إن كنت علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل وقرئ فخاف ربك أي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل ^ فأردنا أن يبدلها ربهما خيرا منه ^ أن يرزقهما ولدا خيرا منه زكاة طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة ^ واقرب رحما ^ رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت له نبيا هدى الله به أمة من الأمم وقرأ نافع وأبو عمرو ويبدلها بالتشديد وابن عامر ويعقوب وعاصم رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة ^ واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة ^ قيل اسمهما اصر وصريم واسم المقتول جيسور ^ وكان تحته كنز لهما ^ من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله تعالى ^ والذين يكنزون الذهب والفضة ^ لمن لا يؤدي زكاتها وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا اله إلا الله محمد رسول الله وكان أبوهما صالحا تنبيه على أن سعيه ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح ^ فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ^ أي الحلم وكمال الرأي ^ ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ^ مرحومين من ربك ويجوز أن يكون علة أو مصدرا لأراد فإن إرادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا إلى نفسه لانه المباشر للتعب وثانيا إلى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام ويجاد الله بدله وثالثا إلى الله وحده لأنه لا مدخل له في بلوغ الغلامين أو لان الأول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج أو لاختلاف حال العارف في الالتفات إلي الوسائط ^ وما فعلته ^ وما فعلت ما رأيته ^ عن أمري ^ عن رأي وانما فعلته بأمر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه إذا تعارض ضرران يجب تحمل إهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير أن الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا أي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة أن لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر إلى انكار ما لم يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الأدب في المقابل وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه

ويستلونك عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين أو لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في أيامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان أي صغيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاته كما يقال الكباش للشجاع كأنه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا أو مشركو مكة ^ قل سأتلوا عليكم منه ذكرا ^ خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين

وقيل لله ^ إنا مكنا له في الأرض ^ أي مكنا له أمره من التصرف فيها كيف شاء
فحذف المفعول ^ وأتيناها من كل شيء ^ اراده وتوجه إليه سببا وصلة توصله إليه
من العلم والقدرة والآلة

^ فاتبع سببا ^ أي فأراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله إليه وقرأ الكوفيون وابن
عامر بقطع الألف مخففة التاء ^ حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين
حمئة ^ ذات حمأ من حمئت البئر إذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي وأبو بكر حامية أي حارة ولا تنافي بينهما لجواز أن تكون العين جامعة
للموصفين أو حمية على أن ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل
المحيط فراها كذلك إذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال ^ وجدها
تغرب ^ ولم يقل كانت تغرب وقيل إن ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال
حمئة فبعث معاوية إلى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين
كذلك نجده في التوراة ^ ووجد عندها ^ عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود
الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين أن يعذبهم أو يدعوهم
إلى الإيمان كما حكى بقوله ^ قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب ^ أي بالقتل على
كفرهم ^ وإما أن تتخذ فيهم حسنا ^ بالإرشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره الله بين
القتل والأسر وسماه إحسانا في مقابلة القتل ويؤيده الأول وقوله ^ قال أما من
ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا ^ أي فاختار الدعوة وقال أما
من دعوته فظلم نفسه بالإصرار على كفره أو استمر على ظلمه الذي هو الشرك
فنعذبه أنا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد
مثله ^ وأما من آمن وعمل صالحا ^ وهو ما يقتضيه الإيمان فله في الدارين جزاء
الحسنى فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا
على الحال أي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها أو على المصدر لفعله المقدر حالا أي
يجزي بها جزاء أو التمييز وقرئ منصوبا غير منون على أن تنوينه حذف لالتقاء
الساكنين ومنونا مرفوعا على أنه المبتدأ و الحسنى بدله ويجوز أن يكون أما وما
للتقسيم دون التخيير أي ليكن شأنك معهم أما التعذيب وأما الإحسان فالأول لمن
أصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله إياه أن كان نبيا فبوحى وان كان
غيره فبالهام أو على لسان نبي ^ وسنقول له من أمرنا ^ بما نأمر به يسرا سهلا
ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضميتين ^ ثم اتبع سببا ^ ثم اتبع طريقا
يوصله إلى المشرق ^ حتى إذا بلغ مطلع الشمس ^ يعني الموضع الذي تطلع
الشمس عليه أولا من معمورة الأرض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف أي مكان
مطلع الشمس فإنه مصدر ^ وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا
^ من اللباس أو البناء فإن أرضهم لا تمسك الابنية أو أنهم اتخذوا الأسراب بدل
الابنية كذلك أي أمر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك أو
أمره فيهم كأمره في أهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز أن يكون صفة مصدر
محذوف لوجد أو نجعل أو صفة قوم أي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب
عليهم الشمس في الكفر والحكم ^ وقد احطنا بما لديه ^ من الجنود الآلات والعدد
والاسباب خيرا علما تعلق بظواهره وخفائاه والمراد أن كثرة ذلك بلغت مبلغا لا
يحيط به إلا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سبا يعني طريقا ثالثا معرضا بين المشرق
والمغرب أخذا من الجنوب إلى الشمال

^ حتى إذا بلغ بين السدين ^ بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا أرمينية
واذربيجان وقيل جبلان منفان في أواخر الشمال في منقطع أرض الترك من ورائهما

بأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب ^ بين
السدنين ^ بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لخوا خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله
الناس لانه في الأصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ها هنا
مفعول به وهو من الظروف المتصرفه ^ وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون
قولا ^ لغراية لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي ^ لا يفقهون ^ أي لا
يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلغتهم فيه ^ قالوا يا ذا القرنين ^ أي قال
مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ^ إن يأجوج ومأجوج ^
قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجبل وهما اسمان
اعجميان دليل منع الصرف وقيل عريان من أج الظليم إذا أسرع واصلها الهمز
كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث ^ مفسدون في ^

الأرض أي في أرضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون أيام الربيع
فلا يتركون اخضر إلا اكلوه ولا يابسوا إلا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس ^ فهل
نجعل لك خرجا ^ نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد
كالنول والنوال وقيل الخراج على الأرض والذمة والخرج المصدر ^ على أن تجعل
بيننا وبينهم سدا ^ يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدنين غير حمزة
والكسائي ^ قال ما مكني فيه ربي خير ^ ما جعلني فيه مكينا من المال والملك
خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة بي إليه وقرأ ابن كثير مكنتي على الأصل
^ فأعينوني بقوة ^ أي بقوة فعلة أو بما أتقوى به من الآلات ^ اجعل بينكم وبينهم
ردما ^ حاجزا حصينا وهو أكبر من السد من قولهم ثوب مردم إذا كان رقاعا فوق
رقاع ^ أتوني زبر الحديد ^ قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج
والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة أبي بكر ردما
أتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة
حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل
^ حتى إذا ساوى بين الصدفين ^ بين جانبي الجبلين بتنزيدها وقرأ ابن كثير وابن
عامر والبصريان بضم الصدفين أبو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم
الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عنالآخر ومنه
التصادف للتقابل ^ قال انفخوا ^ أي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد ^ حتى
إذا جعله ^ جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء ^ قال أتوني افرغ عليه قطرا ^
أي أتوني قطرا أي نحاسا مذابا أفرغ عليه قطرا فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وبه
تمسك البصريون على أن أعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد
اولى إذ لو كان قطرا مفعول افرغ حذرا

من الالباس وقرأ حمزة وأبو بكر قال أتوني موصولة الألف ^ فما استطاعوا ^ بحذف
التاء حذرا من تلاقي متقارين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده
وقرئ بقلب السين صاداً ^ أن يظهره ^ أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه ^ وما
استطاعوا له نقبا ^ لثخنه وصلابته وقيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من
الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى ساوى
اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليه
فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها
ببعض بكلايب من حديد ونحاس مذاب في تجاوبها ^ قال هذا ^ هذا السد أو
الاقدار على تسويته ^ رحمة من ربي ^ على عياده ^ فإذا جاء وعد ربي ^ وقت
وعده بخروج يأجوج ومأجوج أو بقيام الساعة بأن شارف يوم القيامة ^ جعله دكا ^

مذكوكا مبسوطا مسوى بالأرض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام
وقرأ الكوفيون دكاء بالمد أي أرضا مستوية ^ وكان وعد ربي حقا ^ كأننا لا محالة
وهذا آخر حكاية قول ذي القرنين ^ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ^ وجعلنا
بعض بأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين في
البلاد أو يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون أنسهم وجنهم حيارى
ويؤيده قوله ^ ونفخ في الصور ^ لقيام الساعة ^ فجمعناهم جمعا ^ للحساب
والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا وابرزناها واطهرناها لهم ^ الذين كانت
اعينهم في غطاء عن ذكرى ^ عن آياتي التي ينظر إليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم ^
وكانوا لا يستطيعون سمعا ^ استماعا لذكرى وكلامي لإفراط صممهم عن الحق فإن
الاصم قد يستطيع السمع إذا صح به وهؤلاء كأنهم اصمت مسامعهم بالكلية ^
أفحسب الذين كفروا ^ أفضنوا والاستفهام للانكار ^ أن يتخذوا عبادي ^ اتخاذهم
الملائكة والمسيح ^ من دوني اولياء ^ معبودين نافعهم أو لا أعذبهم به فحذف
المفعول

الثاني كما يحذف الخبر للقرينة أو سد أن يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ ^ أفحسب
الذين كفروا ^ أي إفكا فيهم في النجاة وان بما في حيزها مرتفع بأنه فاعل حسب
فإن النعت إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل أو خبر له ^ إنا اعتدنا
جهنم للكافرين نزلا ^ ما يقام للنزول وفيه تهكم وتنبيه على أن لهم وراءها من
العذاب ما تستحقرونه ^ قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالا ^ نصب على التمييز
وجمع لأنه من أسماء الفاعلين أو لتنوع أعمالهم الذي ضل سعيهم في الحياة الدنيا
ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فإنهم خسروا دينهم وأخراهم ومحلل الرفع
على الخبر المحذوف فإنه جواب السؤال أو الجر على البديل أو النصب على الذم
وهم يحسنون صنعا بعجبهم واعتقادهم أنهم على الحق ^ أولئك الذين كفروا بآيات
ربهم ^ بالقرآن أو بدلائله المنصوبة على التوحيد

والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه أو لقاء عذابه ^ فحبطت أعمالهم ^ بكفرهم
فلا يثابون عليها ^ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ^ فنزدرى بهم ولا نجعل لهم
مقدارا واعتبارا أو لا نضع لهم ميزانا يوزن به أعمالهم لانحباطها ذلك أي الأمر ذلك
وقوله ^ جزاؤهم جهنم ^ جملة مبينة له ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره
والعائد محذوف أي جزاؤهم به أو جزاؤهم بدله و جهنم خبره أو جزاؤهم خبره و
جهنم عطف بيان للخبر ^ بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ^ أي بسبب ذلك ^
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ^ فيما سبق من
حكم الله ووعدده و الفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم
والنخل ^ خالدين فيها ^ حال مقدره ^ لا يبغون عنها جولا ^ تحولا إذ لا يجدون
أطيب منها حتى تنازعهم إليه أنفسهم ويجوز أن يراد به تأكيد الخلود ^ قل لو كان
البحر مدادا ^ ما يكتب به وهو اسم ما يمد الشيء كالحبر للدواة

والسليط للسراج ^ لكلمات ربي ^ لكلمات علمه وحكمته ^ لنفد البحر ^ لنفد جنس
البحر بأمره لأن كل جسم متناه ^ قبل أن تنفد كلمات ربي ^ فإنها غير متناهية لا
تنفد كعلمه وقرأ حمزة والكسائي بالياء ^ ولو جئنا بمثله ^ بمثل البحر الموجود مددا
زيادة ومعونة لأن مجموع المتناهين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من
الأجسام لا يكون إلا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الأبعاد والمتناهي ينفذ قبل
أن ينفذ غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفذ بالياء و مددا بكسر الميم جمع مدة وهي
ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها أن اليهود قالوا في كتابكم ^ ومن يؤت

الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ^ وتقرؤون ^ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ^ ^ قل
إنما أنا بشر مثلكم ^ لا ادعي الاحاطة على كلماتي ^ يوحي الي إنما الحكم اله
واحد ^ وانما تميزت عنكم بذلك ^ فمن كان يرجو لقاء ربه ^ يؤمل حسن لقائه أو
يخاف سوء لقائه ^ فليعمل عملا صالحا ^ يرتضيه الله ^ ولا يشرك بعبادة ربه احدا
^ بأن يرأيه أو يطلب منه اجرا روي أن جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم إنني لأعمل العمل لله فإذا اطلع عليه سرني فقال إن الله لا يقبل ما
شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه

صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والاية
جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرأها عند مضجعه كان له نورا في مضجعه يتلأأ إلى مكة
حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فإن كان مضجعه بمكة كان له نورا
يتلأأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى
يستيقظ وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا
من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الأرض إلى السماء

سورة مريم وهي ثمان أو تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص أمال
أبو عمرو الهاء لأن ألفات أسماء التهجي ياءات وابن عامر وحمزة الياء والكسائي
وأبو بكر كليهما ونافع بين بين ونافع وابن كثير وعاصم يظهران دال الهجاء عند
الذال والباقون يدغمونها ذكر رحمت ربك خبر ما قبله إن أول السورة أو بالقرآن
فإنه مشتمل عليه أو خبر محذوف أي هذا المتلو ^ ذكر رحمة ربك ^ أو مبتدأ حذف
خبره أي فيما يتلى عليك ذكرها وقرىء ^ ذكر رحمة ^ على الماضي و ذكر على
الأمر عبده مفعول الرحمة أو المذكر على أن الرحمة فاعله على الإتساع كقولك
ذكرني جود زيد زكريا بدل منه أو عطف بيان له إذ نادي ربه نداء خفيا لأن الإخفاء
والجهر عند الله سيات والإخفاء أشد إخباتا وأكثر إخلاصا أو لئلا يلام على طلب الولد
في إبان الكبر أو لئلا يطلع عليه مواليه الذين

خافهم أو لأن ضعف الهرم أخفى صوته واختلف في سنه حيثئذ فليل ستون وقيل
سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون وقيل تسع وتسعون قال رب إنني
وهن العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لأنه دعامة البدن
وأصل بنائه ولأنه أصلب ما فيه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن وتوحيد لأن المراد به
الجنس وقرىء و هن و وهن بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلاث واشتعل
الرأس شيئا يشبه الشيب في بياضه وإنارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر
باشتعالها ثم أخرجه مخرج الإستعارة وأسند الإشتعال إلى الرأس الذي هو مكان
الشيب مبالغة وجعله مميزا أيضا للمقصود واكتفى باللام على الإضافة للدلالة على
أن علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد ولم أكن بدعائك رب شقيا بل كلما
دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الإستجابة وتنبيه على أن المدعو
له وإن لم يكن معتادا فإجابته معتادة وأنه تعالى عوده بالإجابة وأطمعه فيها ومن
حق الكريم أن لا يخيب من أطمعه وإنني خفت الموالي يعني بني عمه وكانوا أشرار
بني إسرائيل فخاف أن لا يحسنوا خلافته على أمته ويبدلوا عليهم دينهم من ورائي
بعد موتي وعن ابن كثير

بالمد والقصر بفتح الياء وهو يتعلق بمحذوف أو بمعنى الموالي أي خفت فعل
الموالي من ورائي أو الذين يلون الأمر من ورائي وقرىء خفت الموالي من ورائي
أي قلوا وعجزوا عن إقامة الدين بعدي أو خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا كان

الظرف متعلقا ب خفت ^ ^ وكانت امرأتي عاقرا لا تلد فهب لي من لِدَنكِ فَإِنْ
مثله لا يِرْجَى إِلا مِنْ فَضْلِكُ وَكَمالِ قَدْرَتِكُ فَإِنِّي وَامْرَأَتِي لَا نَصْلِحُ لِلوَلادَةِ وَليَا مِنْ
صِلْبِي يِرْثُ نِي وَيِرْثُ مِنْ آلِ يَعْقوبَ صَفْتانِ لَهُ وَجَزَمَهُمَا أَبُو عَمْرُو وَالْكِسائِي عَلَى
أَنَّهُما جَوابُ الدَّعاءِ وَالْمَرادِ وِراثةُ الشَّرْعِ وَالْعِلْمِ فَإِنَّ الْأَنْبياءَ لَا يورِثُونَ المَالَ وَقيلَ
يِرْثُني الْحَبوْرَةُ فَإِنه كانَ حَبرا وَيِرْثُ مِنْ آلِ يَعْقوبَ المَلِكُ وَهو يَعْقوبُ بِنِ إِسْحاقَ
عَلَيْهِما الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ وَقيلَ يَعْقوبُ كانَ أَخا زَكْرِيّا أَوْ عَمْرانَ بِنِ مائِتانَ مِنْ نَسْلِ
سَليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَرىءَ يِرْثُني وَارِثُ آلِ يَعْقوبَ عَلَى الحَِالِ مِنْ أَحَدِ الضَّميرِينِ
وَأُو يِرْثُ بِالتَّصْغِيرِ لِصِغَرِهِ وَوارِثُ مِنْ آلِ يَعْقوبَ عَلَى أَنه فاعِلٌ يِرْثُني وَهَذَا يَسمَى
التَّجْريدَ فِي عِلْمِ البَيانِ لَأَنه جَرَدَ عَنِ المَذكُورِ أَولا مَعَ أَنه المَرادُ وَاجعَله رَبُّ رَضِيا
تَرْضاهُ قولا وَعَملا

^ ^ يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد بإجابة دعائه وإنما
توالي تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم أحد بيحيى قبله وهو
شاهد بأن التسمية بالأسماء الغربية تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله تعالى
هل تعلم له سميا لأن المتماثلين يتشاركان في الاسم والأظهر أنه أعجمي وإن كان
عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي به لأنه حيي به رحم أمه أو لأن
دين الله حيي بدعوته قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت
من الكبر عتيا جساوة وقحولا في المفاصل وأصله عتو وكعود فاستثقلوا توالي
الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الأولى ياء ثم قلبت الثانية وأدغمت
وقرأ حمزة والكسائي وحفص عتيا ^ ^

بالكسر وإنما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بأن المؤثر فيه كمال
قدرته وأن الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال أي الله تعالى أو الملك المبلغ
للبشارة تصديقا له كذلك الأمر كذلك ويجوز أن تكون الكاف منصوبة ب قال في
قال ربك وذلك إشارة إلى مبهم يفسرهُ هو علي هين ويؤيد الأول قراءة من قرأ
وهو علي هين أي الأمر كما قلت أو كما وعدت وهو علي ذلك يهون علي أو كما
وعدت وهو علي ذلك يهون علي أو كما وعدت وهو علي هين لا احتاج فيما أريد أن
أفعله إلى الأسباب ومفعول قال الثاني محذوف وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا
بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل علي أن المعدوم ليس بشيء وقرأ حمزة
والكسائي وقد خلقناك قال ربك اجعل لي آية علامة أعلم بها وقوع ما بشرتني به
قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم
وإنما ذكر الليالي هنا والأيام في آل عمران للدلالة على أنه استمر عليه المنع من
كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة أيام ولياليهن فخرج علي قومه من المحراب
من المصلى أو من الغرفة فأوحى إليهم فاقوما إليهم لقوله إلا رمزا وقيل كتب لهم
على الأرض أن سبحوا صلوا أو نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله كان
مأمورا بأن يسبح ويأمر قومه بأن يوافقوه و أن تحتل أن تكون مصدرة وأن تكون
مفسرة

^ ^ يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التوراة بقوة بجد واستظهار بالتوفيق
وآتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التوراة وقيل النبوة أحكم الله عقله في صباه
واستنبأه وحنانا من لِدنا ورحمة منا عليه وتعطفنا في قلبه علي أبويه وغيرهما عطف
علي الحكم وزكاة وطهارة من الذنوب أو صدقة أي تصدق الله به علي أبويه أو
مكنه ووقفه للتصديق علي الناس وكان تقيا مطيعا متجنبيا عن المعاصي وبرا بوالديه
وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا أو عاصي ربه وسلام عليه ^ من الله ^ يوم

ولد من أن يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار القيامة واذكر في الكتاب ^ في القرآن ^ مريم يعني قصتها إذ انتبذت اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لأن الأحيان مشتملة على ما فيها أو بدل الكل لأن المراد ب مريم قصتها وبالطرف الأمر الواقع فيه وهما واحد أو ظرف لمضاف مقدر وقيل إذ بمعنى أن المصدرية كقولك أكرمتك إذ لم تكرمني فتكون بدلا لا محالة من أهلها مكانا شرقيا شرقيا بيت المقدس أو شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف أو مفعول لأن انتبذت متضمن معنى أتت فاتخذت من دونهم حجابا سترا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض متحجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت وتعود إليه إذا طهرت فبينما هي في مغتسلها أتاها جبريل عليه السلام متمثلا بصورة شاب أمرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه ولعله لتهييج

شهوته بها فتتحدث نطفتها إلى رحمها قالت إني أعوذ بالرحمن منك من غاية عفافها إن كنت تقيا تتقي الله وتحتفل بالاستعانة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فإني عائذة منك أو فتتعط بتعويذي أو فلا تتعرض لي ويجوز أن يكون للمبالغة أي إن كنت تقيا متورعا فإني أتعوذ منك فكيف إذا لم تكن كذلك قال إنما أنا رسول ربك الذي استعذت به لأهب لك غلاما أي لأكون سببا في هبته في بالنفخ في الدرع ويجوز أن يكون حكاية لقول الله تعالى ويؤيده قراءة أبي عمرو والأكثر عن نافع ويعقوب بالياء زكيا طاهرا من الذنوب أو ناميا على الخير أي مترقيا من سن إلى سن على الخير والصلاح قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسنني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال فإن هذه الكنايات إنما تطلق فيه أما الزنا وإنما يقال فيه خبت بها وفجر ونحو ذلك وبعضه عطف قوله ولم أك بغيا عليه وهو فعول من البغي فليت واوه ياء وأدغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء أو فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لأنه للمبالغة أو للنسب كطالق قال كذلك قال ربك هو عل ي هين ولنجعله أي ونفعل ذلك لنجعله آية أو لنبين به

قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على ليهب على طريقة الالتفات آية للناس علامة لهم وبرهاننا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون بإرشاده و وكان أمرا مقضيا أي تعلق به قضاء الله في الأزل أو قدر وسطر في اللوح أو كان أمرا حقيقيا بأن يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة فحملته بأن الفتح في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكان مدة حملها سبعة أشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعيش مولود وضع لثمانية ولم يعيش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار فأجاءها المخاض فألجأها المخاض وهو في الأصل منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال كآتي في أعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة إذا تحرك الولد في بطنها للخروج إلى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء

والتعريف إما للجنس أو للعهد إذ لم يكن ثم غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى ألهمها ذلك ليربها من آياته ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة

لومهم وقرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وأبو بكر مت من مات يموت وكنت نسيا ما من شأنه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه أو مصدر سمي به وقرئ به وبالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه لقلته منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر بالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع فناداها لمن تحتها عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها أسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على أن في يادي ضمير أحدهما وقيل الضمير في تحتها النخلة ألا تحزني أي لا تحزني أو بأن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روي مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى عليه الصلاة والسلام وهزي إليك بجذع النخلة وأمليه إليك والباء مزيدة للتأكيد أو افعلي الهز والإمالة به أو هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع تساقط عليك تتساقط فأدغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى أسقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء

للجذع رطبا جنيا ^ ^ تمييز أو مفعول روي أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فإن مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على أن من قدر أن يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر أن يحبلها من غير فعل وأنه ليس بيدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الأمرين فقال ^ فكلي واشربي ^ أي من الرطب وماء السري أو من الرطب وعصيره ^ وقرئ عينا ^ وطيبني نفسك وارفضي عنها ما أحزنتك وقرئ وقرئ بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره أو من القرغان دمة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسختها للمكروه ^ فأما ترين من البشر أحدا ^ فإن تري أدما وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتأخ بين الهمزة وحرف اللين ^ فقولي إني نذرت للرحمن صوما ^ صمتا وقد قرئ به أو صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم ^ فلن أكلم اليوم إنسيا ^ بعد أن أخبرتم بنذري وإنما أكلم الملائكة وأناجي ربي وقيل أخبرتهم بنذرها بالإشارة وأمرها بذلك لكرهه المجادلة و الإكتفاء بكلام عيسى عليه الصلاة والسلام فإنه قاطع في قطع الطاعن

^ فأتت به ^ أي مع ولدها قومها راجعة إليهم بعد ما طهرت من النفاس تحمله حاملة إياه قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا أي بديعا منكرا من فرى الجلد يا أخت هرون يعنون هرون النبي عليه الصلاة والسلام وكانت من أعقاب من كان معه في طبقة الأخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما ألف سنة وقيل هو رجل طالح أو صالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما أو لما رأوا قبل من صلاحها أو شتموها به ما كان أبوك أمرا سوء وما كانت أمك بغيا تقرير لأن ما جاءت به فري وتنبه على أن الفواحش من أولاد الصالحين أفحش فأشارت إليه إلى عيسى عليه الصلاة والسلام أي كلموه ليجيكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صيا ولم نعهد صيا في المهد كلمه عاقل و كان زائدة والظرف صلة من و صيا حال من المستكن فيه أو تامة أو دائمة كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما أو بمعنى صار قال إني عبد الله أنطقه الله تعالى به أولا لأنه أول المقامات وللد على من يزعم ربوبيته أتاني الكتاب الإنجيل وجعلني نبيا ^ ^

^ ^ وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي إما باعتبار ما سبق في قضائه أو بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل أكمل الله عقله واستنبأه طفلا أينما كنت حيث كنت وأوصاني وأمرني ^ بالصلاة والزكاة ^ زكاة المال إن ملكته أو تطهير النفس عن الرذائل ^ ما دمت حيا ^ وبراً بوالدي ^ وباراً بها عطف على مباركا وقرىء بالكسر على أنه مصدر وصف به أو منصوب بفعل دل عليه أوصاني أي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفاً على الصلاة ^ ولم يجعلني جباراً شقياً ^ عند الله من فرط تكبره

^ والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ^ كما هو على يحيى والتعريف للعهد والأظهر أنه للجنس والتعريض باللعن على أعدائه فإنه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بأن ضده عليهم كقوله تعالى ^ والسلام على من أتبع الهدى ^ فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى وذلك عيسى ابن مريم أي الذي تقدم نعته هو عيسى ابن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الأبلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفاً بأضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم ^ قول الحق ^ خبر محذوف أي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والإضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتمام القصة وقيل صفة عيسى أبدل أو خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على أنه مصدر مؤكد وقرىء قال الحق وهو بمعنى القول ^ الذي فيه يمترون ^ في أمره يشكون أو يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرىء بالتاء على الخطاب ^ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ^ تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى عما بهتوه ^ إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ^ تكبى لهم فإن من إذا أراد شيئاً أوجده

ب كن كان منزلها عن شبه الخلق إلى الحاجة في إتخاذ الولد بإحبال الإنث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب ^ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ^ سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان وأن بالفتح على ولأن وقيل إنه معطوف على الصلاة ^ فاختلف الأحزاب من بينهم ^ اليهود والنصارى أو فرق النصارى نسطورية قالوا إنه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه ^ فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ^ من شهود يوم عظيم هولاء وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيامة أو من وقت الشهود أو من مكانه فيه أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو أن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألستهم وأرأبهم وأرجلهم بالكفر والفسق أو من وقت الشهادة أو من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وأمه وأسمع بهم وأبصر تعجب معناه أن استماعهم وإبصارهم ^ يوم يأتوننا ^ أي يوم القيامة جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عمياً في الدنيا أو التهديد بما سيسمعون

ويبصرون يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الأول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب ^ لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ^ أوقع الظالمون موقع الضمير إشعاراً بأنهم ظلموا أنفسهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل بأنه ضلال بين ^ وأنذرهم يوم الحسرة ^ يوم يتحسر الناس المسيء على إساءته والمحسن على قلة إحسانه ^ إذ قضى الأمر ^ فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار وإذ بدل من اليوم أو ظرف ل لحسرة ^ وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ^ حال متعلقة بقوله ^ في ضلال مبين ^ وما بينهما اعتراض أو ب أنذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين

فتكون حالا متضمنة للتعليل ^ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها ^ لا يبقى لأحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك أو تتوفى الأرض ومن عليها بالإفناء والإهلاك توفي الوارث لإرثه ^ وإلينا يرجعون ^ يردون للجزاء ^ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا ^ ملازما للصدق أو كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله نبيا استنبأه الله ^ إذ قال ^ بدل من إبراهيم وما بينهما اعتراض أو متعلق ب كان أو

ب ^ صديقا نبيا ^ ^ لأبيه يا أبت ^ التاء معوضة من ياء الإضافة ولذلك لا يقال يا أبتى ويقال يا أبتا وإنما تذكر للاستعفاف ولذلك كررها ^ لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ^ فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ^ ولا يغني عنك شيئا ^ في جلب نفع أو دفع ضرر دعاه إلى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه أبلغ احتجاج وأرشقه برفق وحسن أدب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه إلى عبادة ما يستخف به العقل الصريح وبأبى الركون إليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام وهو الخالق الرازق المحي المميت المعاقب المثيب ونبه على أن العاقل ينبغي أن يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميذا سميحا بصيرا مقتدرا على النفع والضرر ولكن كان ممكنا لاستتكف العقل القويم عن عبادته وإن كان أشرف الخلق كالملائكة والنبين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف إذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه إلى أن يتبعه ليهديه إلى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الإلهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا أبتى إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا ولم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون أعرف بالطريق ثم ثبته عما كان عليه بأنه مع خلوة عن النفع مستلزم للضرر فإنه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث إنه الأمر به فقال ^ يا أبت لا تعبد الشيطان ^ ولما استهجن ذلك بين وجه الضر فيه بأن الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم بقوله ^ إن الشيطان كان للرحمن عصيا ^ ومعلوم أن المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بأن تسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجر إليه فقال ^ يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ^ قرينا في

اللعن والعذاب تليه وبليك أو ثابتا في موالاته فإنه أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب إما للمجاملة أو لخفاء العاقبة ولعل اقتضاره على عصيان الشيطان من بين جنائياته لارتقاء همته في الربانية أو لأنه ملاكها أو لأنه من حيث إنه نتيجة معاداته لأدم وذريته منه عليها ^ قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ^ قابل استعطافه ولطفه في الإرشاد بالفضاظة وغلظه العناد فناده باسمه ولم يقابل يا أبتى بيا بني وأخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدده بالهمزة لإنكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كأنها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال ^ لئن لم تنته ^ عن مقلتك فيها أو الرغبة عنها لأرجمنك بلساني يعني الشتم والذم أو بالحجارة حتى تموت أو تبعد مني واهجرني عطف على ما دل عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عني ^ قال سلام عليك ^ توديع ومشاركة ومقابلة للسيرة بالحسنة أي لا أصيبك بمكروه ولا أقول لك بعد ما يؤذيك ولكن ^ ساستغفر لك ربي ^ لعله يوفقك للتوبة والإيمان فإن حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة ^ إنه كان بي حفيا ^ بليغا في البر والإلطاف ^

وأعترلكم وما تدعون من دون الله ^ بالمهاجرة بديني وأدعوا ربي وأعبده وحده عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء ألهتكم وفي تصدير الكلام ب عسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على أن الإجابة والإثابة تفضل غير واجبتين وأن ملاك الأمر خاتمه وهو غيب

فلما اعتزلتهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة إلى الشام وهبنا له إسحق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة قيل أنه لما قصد الشام أتى أولا حران وتزوج بسارة وولدت له إسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصها بالذكر لأنهما شجرتا الأنبياء أو لأنه أراد أن يذكر إسماعيل بفضله على الانفراد ^ وكلا جعلنا نبيا ^ وكلا منهما أو منهم ^ ووهبنا لهم من رحمتنا ^ النبوة والأموال والأولاد ^ وجعلنا لهم لسان صدق عليا ^ يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته ^ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ^ والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم وإضافته إلى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الأعصار وتحول الدول وتبدل الملل ^ وإذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا ^ موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء أو أسلم وجهه لله وأخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على أن الله أخلصه ^ وكان رسولا نبيا ^ أرسله الله إلى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع أنه أخص وأعلى ^ ونادينا من جانب الطور الأيمن ^ من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين

موسى أو من جانبه الميمون من اليمين بأن تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من أحد الضميرين وقيل مرتفعا من النحوة وهو الارتفاع لما روي أنه فوق السموات حتى سمع صرير القلم ^ ووهبنا له من رحمتنا ^ من أجل رحمتنا أخاه معاضده أخيه وموازرته إجابة لدعوته ^ واجعل لي وزيرا من أهلي ^ فإنه كان أسن من موسى وهو مفعول أو بدل على تقدير أن تكون من للتبويض هارون عطف بيان له نبيا حال منه ^ واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد ^ ذكره بذلك لأنه المشهور به والموصوف بأشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك أنه وعد الصبر على الذبح

فقال ^ ستجدني إن شاء الله من الصابرين ^ فوفي ^ وكان رسولا نبيا ^ يدل على أن الرسول لا يلزم أن يكون صاحب شريعة فإن أولاد إبراهيم كانوا على شريعته وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة اشتغالا بالأهم وهو أن يقبل الرجل على نفسه ومن هو أقرب الناس إليه بالتكميل قال الله تعالى ^ وأنذر عشيرتك الأقربين ^ وأمر اهلك بالصلوة قو أنفسكم وأهليكم نارا وقيل أهله أمته فإن الأنبياء آباء الأمم ^ وكان عند ربه مرضيا ^ لاستقامة أقواله وأفعاله ^ واذكر في الكتاب إدريس ^ وهو سبط شيث وجد أبي نوح عليهم السلام واسمه أخنوخ واشتقاق إدريس من المدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد أن يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه إذ روي أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب ^ إنه كان صديقا نبيا ^ ورفعناه مكانا علينا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة أو الرابعة أولئك إشارة إلى المذكورين في السورة من زكريا إلى إدريس عليهم السلام ^ الذين أنعم الله عليهم ^ بأنواع النعم الدينية والديوية ^ من النبيين ^ بيان للموصول ^ من ذرية آدم ^ بدل منه بإعادة الجار ويجوز أن تكون من فيه للتبويض لأن المنعم عليهم أعم من الأنبياء وأخص من الذرية ^ وممن حملنا مع نوح ^ أي ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا إدريس فإن إبراهيم كان من ذرية سام بن نوح ^ ومن ذرية إبراهيم

^ الباقون وإسرائيل عطف على إبراهيم أي ومن ذرية إسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة من هديناهم إلى الحق واجتنبنا للنبوة والكرامة إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر ل أولئك إن جعلت الموصول صفته واستئناف إن جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله وإخبارهم له مع ما لهم من علو الطبقة

في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى وعن النبي عليه الصلاة والسلام اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكو فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرىء يتلى بالياء لأن التأنيث غير حقيقي وقرأ حمزة والكسائي بكيا بكسر الباء فحذف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون أضاعوا الصلوة تركوها أو أخروها عن وقتها ^ واتبعوا الشهوات ^ كشرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب والإنهالك في المعاصي وعن علي رضي الله تعالى عنه في قوله ^ واتبعوا الشهوات ^ من بنى الشديد وركب المنظور وليس المشهور ^ فسوف يلغون غيا ^ شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما أو جزاء غي كقوله تعالى ^ يلق أثاما ^ أو غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم يستعذب منه أوديتها ^ إلا من تاب وآمن وعمل صالحا ^ يدل على أن الآي في الكفرة ^ فأولئك يدخلون الجنة ^ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من أدخل ^ ولا يظلمون شيئا ^ ولا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ويجوز أن ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم ^ جنات عدن ^ بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها أو منصوب على المدح و قرىء بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وعدن لأنه المضاف إليه في العلم أو

علم للعدن بمعنى الإقامة كبرة ولذلك صح وصف ما أضيف إليه بقوله ^ التي وعد الرحمن عباده بالغيب ^ أي وعدها إياهم وهي غائبة عنهم أو وهم غائبون عنها أو وعدهم بإيمانهم بالغيب إنه إن الله ^ كان وعده ^ الذي هو الجنة مأثيا يأتيها أهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من أتى إليه إحسانا أي مفعولا منجزا ^ لا يسمعون فيها لغوا ^ فضول كلام ^ إلا سلاما ^ ولكن يسمعون قولا يسمعون فيه من العيب والنقيصة أو تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع أو على أن معنى التسليم إن كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواء كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب أو على أن معناه الدعاء بالسلامة وأهلها أغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وإنما فائدته الإكرام ^ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ^ على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغبة وقيل المراد دوام الرزق ودورره تلك التي نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيا عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والورثة أقوى لفظ يستعمل في التملك والاستحقاق من حيث إنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد ولا إسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد

وما تنزل إلا بأمر ربك حكاية قول جبريل عليه الصلاة والسلام حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا أن يوحى إليه فيه فأبطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لأنه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى أنزل

والمعنى وما ننزل وقتا عب وقت إلا بأمر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما
يتنزل بالياء والضمير للوحي ^ له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ^ وهو ما
نحن فيه من الأماكن والأحيين لا تنتقل من مكان إلى مكان ولا تنزل في زمان دون
زمان إلا بأمره ومشيتته ^ وما كان ربك نسيا ^ تاركا لك أي ما كان عدم النزول
إلا لعدم الأمر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه إياك كما زعمت الكفرة
وإنما كان لحكمة رآها فيه وقيل أول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة
والمعنى وما ننزل الجنة إلا بأمر الله ولطفه وهو مالك الأمور كلها السالفة والمتربة
والحاضرة فما وجدناه وما نجد من لطفه وفضله وقوله ^ وما كان ربك نسيا ^
تقرير من الله لقولهم أي وما كان ربك نسيا لأعمال العاملين وما وعد لهم من
الثواب عليها وقوله رب السموات والأرض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو
خبر محذوف أو بدل من ربك ^ فاعبده واصطبر لعبادته ^ خطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم مرتب عليه أي لما عرفت ربك لأنه لا ينبغي له أن ينسأك أو أعمال
العمال فأقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بإبطاء الوحي وهزء الكفر وإنما
عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك
للمحارب اصطبر لقرنك ^ هل تعلم له سميا ^ مثلا يستحق أن يسمى إلهاً أو أحداً
سمي الله فإن المشركين وإن سمو الصنم إلهاً لم يسموه الله قط وذلك لظهور
أحديته تعالى وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس

والمكابرة وهو تقرير للأمر أي إذا صح أن لا أحد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم
يكن بد من التسليم لأمره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها ^ ويقول
الإنسان ^ المراد به الجنس بأسره فإن المقول مقول فيما بينهم وإن لم يقله كلهم
كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم أو بعضهم المعهود وهم الكفرة أو أبي
بن خلف فإنه أخذ عظاماً بالية ففتها وقال يزعم محمد أننا نبعث بعدما نموت ^ أنذا
ما مت لسوف أخرج حياً ^ من الأرض أو من حال الموت وتقديم الظرف وإيلاؤه
حرف الإنكار لأن المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه
أخرج لا به فإن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ها هنا مخرجة للتوكيد مجردة
عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف
الاستقبال وروي عن ابن ذكوان إذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر ^ أولاً
يذكر الإنسان ^ عطف على يقول وتوسيط همزة الإنكار بينه وبين العاطف مع أن
الأصل أن يتقدمها للدلالة على أن المنكر بالذات هو المعطوف وأن المعطوف عليه
إنما نشأ منه فإنه لو تذكر وتأمل ^ إنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ^ بل كان
عدم صرفاً لم يقل ذلك فإن أعجب من جمع المواد بعد التفريق وإيجاد مثل ما كان
فيها من الأعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر
الذي يراد به التفكير وقرئ يتذكر على الأصل ^ فوربك لنحشرنهم ^ أقسم باسمه
تعالى مضافاً إلى نبيه تحقيقاً للأمر وتفخيماً لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والشياطين عطف أو مفعول معه لما روي أن الكفرة يحشرون مع قرنائهم من
الشياطين الذين أغوهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وإن كان مخصوصاً بهم
سأغ نسبته إلى الجنس بأسره فإنهم إذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين
فقد حشروا جميعاً معهم ^ ثم لنحضرنهم حول جهنم ^ ليرى السعداء ما نجاهم الله
منه فيزدادوا غبطة وسروراً وينال الأشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظاً من
رجوع السعداء عنهم إلى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثياً على ركبهم لما دهمهم
من هول الموقف جاثون لقوله تعالى ^ وترى كل أمة جاثية ^ على المعتاد في

مواقف التناول وإن كان المراد بالإنسان الكفرة فلعلمهم يساقون جثاة من الموقف إلى شاطئ جهنم إهانة بهم أو لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم ثم لنزعهن من كل شعبة من كل أمة شاعت دينا ^ أيهم أشد على الرحمن عتيا ^ من كان أعصى وأعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الأشد تنبيه على أنه تعالى

يعفو كثيرا من أهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد أنه يميز طوائفهم أعتاهم فأعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب أو يدخل كلا طبقتها التي تليق به أيهم مبني على الضم عند سيوبه لأن حقه أن يبني كسائر الموصولات لكنه أعرب حملا على كل وبعض للزوم الإضافة وإذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد إلى حقه منصوب المحل بنزعهن ولذلك قرئء منصوبا ومرفوع عند غيره إما بالإبتداء على أنه استفهامي وخبره أشد والجملة محكية وتقدير الكلام لنزعهن من كل شعبة الذين يقال فيهم أيهم أشد أو معلق عنها لنزعهن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم أو مستأنفة والفعل واقع على ^ من كل شعبة ^ على زيادة من أو على معنى لنزعهن بعض كل شعبة وإما بشيعة لأنها بمعنى تشيع وعلى للبيان أو متعلق بالفعل وكذا الباء في قوله ^ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ^ أي لنحن أعلم بالذين هم أولى بالصلي أو صليهم أولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز أن يراد بهم وبأشدهم عتيا رؤساء

الشيع فإن عذابهم مضاعف لضلالهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص صليا بكسر الصاد ^ وإن منكم ^ وما منكم التفات إلى الإنسان ويؤيده أنه قرئء وإن منهم ^ إلا واردة ^ إلا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر رضي الله عنه أنه عليه السلام سئل عنه فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد رودتموها وهي خامدة وأما قوله تعالى ^ أولئك عنها مبعدون ^ فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فإنه ممدود عليها ^ كان على ربك حتما مقضيا ^ كان ورودهم وادبا واجبا لله على نفسه وقضى به بأن وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل أقسم عليه ^ ثم نجى الذين اتقوا ^ فيساقون إلى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب نجى بالتخفيف وقرئء ثم بفتح الراء أي هناك و ^ ونذر الظالمين فيها جثيا ^ منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على أن المراد بالورود الجثو حوالها وأن المؤمنين يفارقون الفجرة إلى الجنة بعد تجائبهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم

^ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ^ مرتلات الألفاظ مبيبات المعاني بنفسها أو ببيان الرسول الله صلى الله عليه وسلم أو واضحات الإعجاز ^ قال الذين كفروا للذين آمنوا ^ لأجلهم أو معهم ^ أي الفريقين ^ المؤمنين والكافرين ^ خير مقاما ^ موضع قيام أو مكانا وقرأ ابن كثير بالضم أي موضع إقامة ومنزل ^ وأحسن نديا ^ مجلسا ومجتما والمعنى أنهم لما سمعوا حفوظ الدنيا والإستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك أيضا مع التهديد نقضا بقوله ^ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورثيا ^ و كم مفعول أهلكنا و ^ من قرن ^ بيانه وإنما سمي أهل كل عصر قرنا أي مقدا من قرن الدابة وهو مقدها لأنه يتقدم من بعده وهم أحسن صفة لكم وأثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث والرثي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرأ نافع وابن عامر ربا على قلب الهمزة وإدغامها أو على أنه من الري الذي هو النعمة وقرأ أبو بكر

ربيا على القلب وقرىء ربا بحذف الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فإنه محاسن مجموعة ثم بين أن تمتيعهم استدراج وليس باكرام وإنما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الآخرة بقوله ^ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ^ فيمده وبمهله بطول العمر والتمتع به وإنما أخرجه على لفظ الأمر إيذانا إمهاله مما ينبغي أن فعله استدراجا وقطعا

لمعاذيره كقوله تعالى ^ إنما نملې لهم ليزدادوا إنما ^ وكقوله أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ^ حتى إذا رأوا ما يوعدون ^ غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا أي قالوا أي الفريقين حتى إذا رأوا ما يوعدون ^ إما العذاب وإما الساعة ^ تفصيل للموعود فإنه إما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلًا وأسرًا وإما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال ^ فسيعلمون من هو شر مكانا ^ من الفريقين بأن عاينوا الأمر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالًا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى ^ وأضعف جندا ^ أي فئة وأنصارا قابل به أحسن ندبا من حيث إن حسن النادي باجتماع وجوه القوم وأعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ^ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ^ عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين أن إمهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله أراد أن يبين أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لأن الله عز وجل أراد به ما هو خير له وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لأنه في معنى الخبر كأنه قيل من كان في الضلالة يزيد الله الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية ^ والباقيات الصالحات ^ الطاعات التي تبقى عائدتها أبد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ^ خير عند ربك ثوابا ^ عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما أشار إليه بقوله ^ وخير مردا ^ والخير ها هنا إما لمجرد الزيادة أو على طريقة قولهم الصيف أحر من الشتاء أي أبلغ في حره منه في برده

^ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا ^ نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فإذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فأعطيك ولما كانت الرؤية أقوى سند الإخبار استعمل رأيت بمعنى الإخبار والفاء أصلها في التعقيب والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقب حديث أولئك وقرأ حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كآسد في آسد أو لغة فيه كالعرب والعرب ^ أطلع الغيب ^ أفد بلغ من عظمة شأنه إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالا وولدا وتألّى عليه ^ أم اتخذ عند الرحمن عهدا ^ أو اتخذ من عالم الغيب عهدا بذلك فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فإن وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبه على أنه مخطئ فيما تصوره لنفسه ^ سنكتب ما يقول ^ سنظهر له أننا كتبنا قوله على طريقة قوله إذا ما انتسبنا لم تلدني لئمة أي تبين

أنني لم تلدني لئمة أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فإن نفس الكتابة لا تتأخر عن القول لقوله تعالى ^ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ^ ^ ونمد له من العذاب مدا ^ ونطول له من العذاب ما يستأهله أو يزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافتراءه واستهزائه على الله جلت عظمته ولذلك أكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ونثره بموته ^ ما يقول ^ يعني المال والولد

وبأئينا يوم القيامة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا أن يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه ^ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ^ ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة إلى الله وشفعاء عنده كلا ردع وإنكار لتعززهم بها ^ سيكفرون بعبادتهم ^ ستجدد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله تعالى ^ إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ^ أو سينكر الكفرة لسوء العاقبة أنهم عبدوها لقوله تعالى ^ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ^ ويكونون عليهم ضدا ^ يؤيد الأول إذا فسر الضد بـ ضد العز أي ويكونون عليهم ذلا أو بضدهم على معنى أنها تكون معونة في عذابهم بأن توقد بها نيرانهم أو جعل الواو للكفرة أي يكونون كافرين بهم بعد أن كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فإنهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على من سواهم وقرىء ~ كلا بالتنوين على قلب الألف نونا في الوقف قلب ألف الإطلاق في قوله

أقلى اللوم عاذل والعتابن أو على معنى كل هذا الرأي كلا وكلا على إضمار فعل يفسره ما بعده أي سيجحدون ^ كلا سيكفرون بعبادتهم ^ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين ^ بأن سلطانهم عليهم أو قيضنا لهم قرناء ^ تؤزهم أزا ^ تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة ^ فلا تعجل عليهم ^ بأن يهلكوا حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الأرض من فسادهم ^ إنما نعد لهم ^ أيام آجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فإنه لم يبق له إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة ^ يوم نحشر المتقين ^ نجمعهم ^ إلى الرحمن ^ إلى ربهم الذي غمرهم برحمته ولا ختبار هذا الإسم في هذه السورة شأن ولعله لأن مساق هذا الكلام فيها لتعداد نعمه الجسماء وشرح حال الشاكرين له ا والكافرين بها وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاة على الملوك منتظرين لكرامتهم وإنعامهم ^ ونسوق المجرمين ^ كما تساق البهائم ^ إلى جهنم وردا ^ عطاشا فإن من يرد الماء لا يرد إلا لعطش أو كالدواب التي ترد الماء ^ لا يملكون الشفاعة ^ الضمير لها للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم ^ إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا ^ إلا من تحلى بما يستعد به ويستأهل أن شفع للعصاة من الإيمان والعمل الصالح على ما وعد الله تعالى أو إلا من اتخذ من الله إذنا فيها كقوله تعالى ^ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ^ من قولهم عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به ومحل الرفع على البدل من الضمير أو النصب على تقدير مضاف أي إلا شفاعة من اتخذ أو على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون

الشفاعة فيهم إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به أن يشفع له بالإسلام ^ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ^ الضمير يحتمل الوجهين لأن هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز أن ينسب إليهم لقد جئتم شيئا إذا على الإلتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى والإد بالفتح والكسر العظيم المنكر الإداة الشدة وأدني الأمر وأدني أثقلني وعظم علي تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد أخرى وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وأبو بكر ويعقوب ينفطرن والأول أبلغ لأن التفعل مطاوع فعل والإنفعال مطاوع فعل ولأن أصل التفعل التكلف وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا تهد هذا أو مهدودة أو لأنها تهد أي تكسر وهو تقرير لكونه أدا والمعنى أن هول هذه الكلمة وعظمتها بحيث لو

تصورت بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الأجرام والعظام وتفتت من شدتها أو أن فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها أن دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة ل تكاد أو ل هذا على حذف اللام وإفشاء الفعل إليه والجر بإضمار اللام أو بالإبدال من الهاء في منه والرفع على أنه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك أن دعوا أو فاعل هذا أي هدها دعاء

الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمي المتعدي إلى مفعولين وإنما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولدا أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى إلى فلان إذا انتسب إليه وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لأنه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للإشعار بأن كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فر يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولي أصولها وفروعها فكيف يمكن أن يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله إن كل من في السموات والأرض أي ما منهم إلا أتى الرحمن عبدا إلا وهو مملوك له يأوي إليه بالعبودية والإنقياد وقرىء آت الرحمن على الأصل لقد أحصاهم حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوز علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا عد أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم فإن كل شيء عنده بمقدار وكلهم آتية القيامة فردا منفردا عن الإتيان والأنصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لأسبابها وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله عبدا يقول لجبريل أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبه في حبه أهل السماء ثم توضع له المحبة في الأرض والسين إما لأن السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك إذا دجا الإسلام أو لأن الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤوس الأشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل

^ ^ فإنما يسرناه بلسانك بأن أنزلناه بلغتك والباء بمعنى على أو على أصله لتضمن يسرناه معنى أنزلناه بلغتك لتبشر به المتقين الصائرين إلى التقوى وتندبر به قوما لدا أشداء الخصومة أخذين في كل لديد أي شق من المرء لفرط لجاجهم فبشر به وأنذر وكم أهلكنا قبلهم من قرن تخويف للكفرة وتجسير للرسول صلى الله عليه وسلم على إنذارهم هل تحس منهم من أحد هل تشعر بأحد منهم وتراه أو تسمع لهم ركزا وقرئ تسمع من أسمعت والركز الصوت الخفي وأصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض والركاز المال المدفون عن رسول الله من قرأ سورة مريم أعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله

سورة طه مكية وهي مائة وأربع وثلاثون آية بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الأصل وفخم الطاء وحده أبو عمرو وورش لاستعلائه وأمالها الباقون وهما من أسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عك فإن صح فلعل أصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله إن السفاهة طاها في خلائكم لا قدس الله أخلاق الملاعين ضعيف لجواز أن يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على أنه أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يطا الأرض بقدميه فإنه كان يقوم في تهجده على إحدى رجله وأن

أصله طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت في يطاء ألفا كقوله لا هناك المرتع ثم بنى عليه الأمر وضم إليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل أن يكون أصل طه طأها والألف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الأرض لكن يرد ذلك كتابتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل أو اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه إن جعلته مبتدأ على أنه مؤول بالسورة أو القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجوابه إن جعلته مقسما به ومنادى له إن جعلته نداء واستئناف إن كانت جملة فعلية أو اسمية بإضمار مبتدأ أو طائفة من الحروف محكية والمعنى ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش إذ ما عليك إلا أن تبلغ أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه أشقى من راض المهر وسيد القوم أشقاهم ولعله عدل إليه للإشعار بأنه أنزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فإنهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا إنك لتشقى بترك ديننا وإن القرآن أنزل عليك لتشقى به

^ ^ إلا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز أن يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسین ولا مفعولا له ل أنزلنا فإن الفعل الواحد لا يتعدى إلى علتين وقيل هو مصدر في موقع الحال من الكاف أو القرآن أو مفعول له على أن لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن أي ما أنزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه إلا تذكرة لمن يخشى لمن في قلبه خشية ورقة تتأثر بالإنذار أو لمن علم الله منه أنه يخشى بالتخويف منه فإنه المنتفع به تنزيلا نصب بإضمار فعله أو ب يخشى أو على المدح أو البذل من تذكرة إن جعل حالا وإن جعل مفعولا له لفظا أو معنى فلا لأن الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الأرض والسموات العلى مع ما بعده إلى قوله ^ له الأسماء الحسنى ^ تفخيم لشان المنزل بفرط تعظيم المنزل بذكر أفعاله وصفاته على الترتيب

الذي هو عند العقل فبدأ بخلق الأرض والسموات التي هي أصول العالم وقدم الأرض لأنها أقرب على الحس وأظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيت العلى ثم أشار إلى وجه إحداث الكائنات وتديير أمرها بأن قصد العرش فأجرى منه الأحكام والتقارير وأنزل منه الأسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وإرادته ولما كانت القدرة تابعة للإرادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك بإحاطة علمه تعالى بجليات الأمور وخفياتها على سواء فقال ^ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ^ أي وإن تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم أنه غني عن جهرك فإنه سبحانه يعلم السر وأخفى منه وهو ضمير النفس وفيه على أن شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لإعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجوار ثم إنه لما ظهر بذلك أنه المستجمع لصفات الألوهية بين أنه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال ^ الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ^ ومن في ^ ممن خلق الأرض ^ صلة ل تنزيلا أو صفة له والانتقال من التكلم إلى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين إسناد إنزاله إلى ضمير الواحد العظيم الشأن ونسبته إلى المختص بصفات الجلال والإكرام والتنبيه على أنه واجب الإيمان به والانقياد له من حيث أنه كلام من هذا شأنه ويجوز أن يكون أنزلناه حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون ^ على العرش استوى ^ خبر محذوف وكذا إن رفع الرحمن على المدح دون الابتداء

ويجوز أن يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترايبية من الأرض وهي آخر طبقاتها و الحسنى تأنيث الأحسن وفضل أسماء الله تعالى على سائر الأسماء في الحسن لدالتها على معان هي أشرف المعاني وأفضلها

^ وهل أتاك حديث موسى ^ قفي تمهيد نبوته صلى الله عليه وسلم بقصة موسى ليأتم به في تحمل أعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فإن هذه السورة من أوائل ما نزل ^ إذ رأى نارا ^ ظرف لل حديث لأنه حدث أو مفعول لا ذكر قيل إنه استأذن شعبيا عليهما الصلاة والسلام في الخروج إلى أمه وخرج بأهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته إذ رأى من جانب الطور نارا ^ فقال لأهله امكثوا ^ أقيموا مكانكم وقرأ حمزة لأهله امكثوا ها هنا وفي القصص بضم الهاء في الوصل والباقون بكسرهما ^ إني آنست نارا ^ أبصرتها إبصارا لا شبهة فيه وقيل الإيناس إبصار ما يؤنس به ^ لعلني آتيكم منها بقبس ^ بشعلة من النار وقيل جمرة ^ أو أجد على النار هدى ^ هاديا يدلني على الطريق أو يهديني أبواب الدين فإن أفكار الأبرار مائلة إليها في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بني الأمر فيهما على الرجاء بخلاف الإيناس فإنه كان محققا ولذلك حققه لهم ليوطنوا أنفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في ^ على النار ^ أن أهلها مشرفون عليها أو مستعلون المكان القريب منها كما قال سيويوه في مررت بزيد إنه لصوق بمكان يقرب منه ^ فلما أتاها ^ أي النار وجد نارا بيضاء تنقد في شجرة خضراء ^ نودي يا موسى ^ ^ إني أنا ربك ^ فتحه ابن كثير وأبو عمرو أي بأني وكسره الباكون بإضمار القول أو إجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل إنه لما نودي قال من المتكلم

قال إني أنا الله فوسوس إليه إبليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بأني أسمعه من جميع الجهات وجميع الأعضاء وهو إشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحسن المشترك فانتفش به من غير اختصاص بعضو وجهة ^ فاخلع نعليك ^ أمره بذلك لأن الحفوة تواضع وأدب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فإنهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الأهل والمال ^ إنك بالواد المقدس ^ تليل للأمر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثي من الطي مصدر ل نودي أو المقدس أي نودي نداءين أو قدس مرتين

^ وإنا اخترتك ^ اصطفتك للنبوة وقرأ حمزة وإنا اخترناك ^ فاستمع لما يوحى ^ للذي يوحى إليك أو للوحي واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين ^ إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ^ بدل مما يوحى دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهي العلم والأمر بالعبادة التي هي كمال العمل ^ وأقم الصلاة لذكرك ^ خصها بالذكر وأفردها بالأمر للعلة التي أناط بها إقامتها وهو تذكرك المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكرك لأنني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لأن أذكرك بالثناء أو لذكرك خاصة لا ترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتي لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها إذا ذكرها إن الله تعالى يقول أقم الصلاة لذكرك ^ إن الساعة آتية ^ كائنة لا محالة ^ أكاد أخفيها ^ أريد إخفاء وقتها أو أقرب أن أخفيها فلا أقول إنها آتية ولولا ما في الأخبار بإتيانها من اللطف وقطع الأعذار لما أخبرت

به أو أكاد أظهرها من أخفاه إذا سلب خفاه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه إذا أظهره ^ لتجزى كل نفس بما تسعى ^ متعلق ب آية أو ب أخفيها على المعنى الأخير ^ فلا يصدنك عنها ^ عن تصديق الساعة أو عن الصلاة ^ من لا يؤمن بها ^ نهى

الكافر أن يصد موسى عليه الصلاة والسلام عنها والمراد نهيه أن ينصد عنها كقولهم لا أرينك ها هنا تنبيهها على أن فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وأنه ينبغي أن يكون راسخا في دينه فإن صد الكافر إنما يكون بسبب ضعفه فيه ^ واتبع هواه ^ ميل نفسه إلى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها فتردى فتهلك بالانصداد بصدده ^ وما تلك ^ استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب بيمينك حال من معنى الإشارة وقيل صلة تلك ^ يا موسى ^ تكرير لزيادة الاستثناس والتنبيه ^ قال هي عصاي ^ وقرئ عصي علي لغة هذيل ^ أتوكأ عليها ^ أعتمد عليها إذا أعيت أو وقفت على رأس القطيع وأهش بها على غنمي وأخبط الورق بها على رؤوس غنمي وقرئ أهش وكلاهما من هش الخبز يهش إذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم أي أنحي عليها زاجرا لها ولي فيها مآرب أخرى حاجات آخر مثل أن كان إذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته وعرض الزندين على شعبيتها وألقى عليها الكساء واستظل به وإذا قصر الرشاء وصله بها وإذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكأنه صلى الله عليه وسلم فهم أن المقصود من السؤال أن يذكر حقيقتها وما يري من منافعها حتى إذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص أخرى خارقة للعادة مثل أن تشتعل شعبتاه بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه إذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر إذا اشتهى ثمرة فركزها على أن ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة أحدثها الله فيها لأجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى أنها من جنس العصي تنفع منافع أمثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه

^ ^ قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قيل لما ألقاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا إلى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية أخرى باعتبار الاسم الذي يعم الحاليين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كأنها جان ^ ^ قال خذها ولا تخف فإنه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها سنعيدها سيرتها الأولى هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض أو على أن أعاد منقول من عادته بمعنى عاد إليه أو على الظرف أي سنعيدها في طريقها أو على تقدير فعلها أي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الأولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى أدخل يده في فمها وأخذ بلحبيها واضمم يدك إلى جناحك إلى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لأنه يجنحهما عند الطيران تخرج بيضاء كأنها مشعة من غير سوء من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوأة عن العورة لأن الطباع تعافه وتنفر عنه آية أخرى معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج بيضاء أو من ضميرها أو مفعول بإضمار خذ أو دونك لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمير أو بما دل عليه آية أو القصة التي دللنا بها أو فعلنا ذلك لنريك و الكبرى صفة آياتنا أو مفعول نريك و

من آياتنا حال منها اذهب إلى فرعون بهاتين الآيتين وادعه إلى العبادة إنه طغى
عصى وتكبر

قال ربي اشرح لي صدري وبسر لي أمري لما أمره الله بخطب عظيم وأمر
جسيم سأله أن يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل أعبائه والصبر على مشاقه والتلقي
لما ينزل عليه ويسهل الأمر له بأحداث الأسباب ورفع الموانع وفائدة لي إبهام
المشروح والميسر أولا ثم رفعه بذكر الصدر والأمر تأكيدا ومبالغة واحلل عقدة من
لساني يفقهوا قولي فإنما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة
أدخلها فاه وذلك أن فرعون حمله يوما فأخذ بلحيته وبتفها فغضب وأمر بقتله فقالت
آسية إنه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فأحضرا بين يديه فأخذ الجمرة ووضعها
في فيه ولعل تبيض يده كان لذلك وقيل احترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم
تبرأ ثم لما دعاه قال إلى أي رب تدعوني قال به تمسك بقوله قد أوتيت سؤالك يا
موسى ومن لم يقل احتج بقوله هو أفصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وأجاب
عن الأول بأنه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الإفهام ولذلك نكرها
وجعل يفقهوا جواب الأمر ومن لسانى يحتمل أن يكون صفة عقدة وأن يكون صلة
احلل

واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي يعينني على ما كلفتني به واشتقاق
الوزير إما من الوزر لأنه يحمل الثقل عن أميره أو من الوزر وهو الملجأ لأن الأمير
يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره ومنه الموازرة وقيل أصله أوزير من الأزر بمعنى
القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر
ومفعولا اجعل وزيرا و هارون قدم ثانيهما للعناية به و لي صلة أو حال أو لي وزيرا
و هرون عطف بيان للوزير أو وزير وزيرا من أهلي و لي تبين كقوله ولم يكن له
كفوا أحد و أخي على الوجوه بدل من هرون أو مبتدأ خبره اشدد به أزري وأشركه
في أمري على لفظ الأمر وقراهما ابن عامر بلفظ الخبر على أنهما جواب الأمر كي
نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فإن التعاون يهيج الرغبات ويؤدي إلى تكاثر الخير وتزايد
إنك كنت بنا بصيرا عالما بأحوالنا وأن التعاون مما يصلحنا وأن هرون نعم
المعين لي فيما أمرتني قال قد أوتيت سؤالك يا موسى أي مسؤولك فعل بمعنى
مفعول كالخبز والأكل بمعنى المخبوز والمأكول ولقد مننا عليك مرة أخرى أي أنعمنا
عليك في وقت آخر إذ أوحينا إلى أمك بإلهام أو في منام أو على لسان نبي في
وقتها أو ملك لا على وجه النبوة كما أوحى إلى مريم ما يوحى ما لا يعلم إلا
بالوحي أو مما ينبغي أن يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به أن اقدفيه
في التابوت بأن اقدفيه أو أي اقدفيه لأن الوحي بمعنى القول فاقدفيه في اليم
والقذف يقال للإلقاء وللموضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي
كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا ^ ^ فليلقه اليم بالساحل لما كان إلقاء البحر
إياه إلى الساحل أمرا واجب الحصول لتعلق الإرادة به وجعل البحر كأنه ذو تمييز
مطيع أمره بذلك وأخرج الجواب مخرج الأمر والأولى أن تجعل الضمائر كلها لموسى
مراعاة للنظم فالمقذوف في البحر والملقى إلى الساحل وإن كان التابوت
بالذات فموسى بالعرض يأخذه عدو لي وعدو له جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة
أو لأن الأول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل إنها جعلت في التابوت قطنا
ووضعت فيه ثم قبرته وألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر فدفعه
إليه فاداه إلى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته
آسية بنت مزاحم فأمر به فأخرج ففتح فإذا هو صبي أصبح الناس وجها فأحبه حبا

شديدا كما قال سبحانه وتعالى وألقيت عليك محبة مني أي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك أحبك فرعون ويجوز أن يتعلق مني ب ألقى أي أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب وظاهر اللفظ أن اليم ألقاه بساحله وهو شاطئه لأن الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد أن يؤول الساحل بجانب فوهة نهره ولتصنع على عيني لتربي ويحسن إليك وأنا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك أو على الجملة السابقة بإضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ و ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر ولتصنع بالنصب وفتح التاء أي وليكن عملك على عين مني لئلا تخالف به عن أمري إذ تمشي أختك ظرف ل ألقى أو لتصنع أو بدل من إذ أوحينا على أن المراد بها وقت متسع فتقول هل أدلكم على من يكلفه وذلك لأن كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت أخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل أدلكم فجاءت بأمه فقبل ثديها فرجعناك إلى أمك وفاء بقولنا إنا رادوه إليك ^ ^ كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن هي بفراقك أو أنت على فراقها وفقد إشفاقها و وقتلت نفسا نفس القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والأمن منه بالهجرة إلى

^ ^ وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء أو أنواعا من الإبتلاء على أنه جمع فتن أو فتنة على ترك الإعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجرة وبدرة فخلصناك مرة بعد أخرى وهو إجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الآلاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد وأجر نفسه إلى غير ذلك أوله ولما سبق ذكره فلبثت سنين في أهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لأوفى الأجلين ومدين على ثمان مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لأن أكلمك وأستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر أو على مقدار من السن يوحى فيه إلى الأنبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية لتنبه على ذلك واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه اذهب أنت وأخوك بآياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرىء تنيا بكسر التاء في ذكرى لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكرى والدعاء إلي اذهبها إلى فرعون إنه طغى أمر به أولا موسى عليه الصلاة والسلام وحده وههنا إياه وأخاه فلا تكرير قيل أوحى إلى هرون أن يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله فقولا له قولا لنا مثل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فإنه

دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا أن تحمله الحماسة على أن يسطو عليكما أو احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول إلا بالموت لعله يتذكر أو يخشى متعلق ب اذهبها أو قولا أي باشرا الأمر على رجائكما وطمعكما أنه يثمر ولا يخيب سعيكما فإن الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في إرسالهما والمبالغة عليهما في الإجتهد مع علمه بأنه لا يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة وإظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الأول أي إن لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا أقل من أن يتوهمه فيخشى قولا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أن يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى تمام الدعوة وإظهار المعجزة من فرط إذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرىء يفرط من أفرطته إذا حملته على العجلة أي نخاف أن يحمله حامل من استكبار أو خوف على الملك أو شيطان إنسي أو جني على المعالجة بالعقاب و يفرط من الإفراط

في الأذية ^ أو أن يطغى ^ أو أن يزداد طغيانا فيتخطى إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته وقساوته وإطلاقه من حسن الأدب ^ قال لا تخافا إنني معكما ^ بالحفظ والنصر ^ أسمع وأرى ^ ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فأحدث في كل ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز أن لا يقدر شيء على معنى إنني حافظكما سامعا ومبصرا والحافظ إذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ ^ فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ^ أطلقهم ^ ولا تعذبهم ^ بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فإنهم كانوا في أيدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في

العمل ويقتلون ذكور أولادهم في عام دون عام وتعقيب الإتيان بذلك دليل على أن تخلص المؤمنين من الكفرة أهم من دعوتهم إلى الإيمان ويجوز أن يكون للتدرج في الدعوة ^ قد جئناك بآية من ربك ^ جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وإنما وحد الآية وكان معه آيتان لأن المراد إثبات الدعوى ببرهانها لا الإشارة إلى وحدة الحجة وتعددتها وكذلك قوله ^ قد جئكم ببينة ^ فأت باية ^ قال أولو جئتك بشيء مبين ^ والسلام على من اتبع الهدى ^ وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين أو السلامة في الدارين لهم ^ إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ^ أن عذاب المنزلين على المكذبين للرسول ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لأن التهديد في أول الأمر أهم وأنجح وبالواقع أليق ^ قال فمن ربكما يا موسى ^ أن بعد ما أتياه وقال له ما أمرا به ولعله حذف لدلالة الحال عليه فإن المطيع إذا أمر بشيء فعله لا محالة وإنما خاطب الإثنين وخص موسى عليه الصلاة والسلام بالنداء لأنه الأصل وهرون وزيره وتابعه أو لأنه عرف أن له رتبة ولأخيه فصاحة فأراد أن يفحمه ويدل عليه قوله ^ أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ^

^ قال ربنا الذي أعطى كل شيء ^ من الأنواع خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له أو أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثاني لأنه المقصود بيانه وقيل أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا وقرىء خلقه صفة للمضاف إليه أو المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا أي أعطى كل مخلوق ما يصلحه ^ ثم هدى ^ ثم عرفه كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل به إلى بقاءه وكماله اختيارا أو طبعاً وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره وإعرابه عن الموجودات بأسرها على مراتبها ودلالته على أن الغني القادر بالذات المنعم على الإطلاق هو الله تعالى وأن جميع ما عدها مفتقر إليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وأفعاله ولذلك بهت الذي كفر وأفحم عن المدخل عليه فلم ير إلا صرف الكلام عنه ^ قال فما بال القرون الأولى ^ فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة ^ قال علمها عند ربي ^ أي هو غيب لا يعلمه إلا هو وإنما أنا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به ^ في كتاب ^ مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز أن يكون تمثيلاً لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتابة ويؤيده ^ لا يضل ربي ولا ينسى ^ والضلال أن تخطيء الشيء في مكانه فلم تهتد إليه والنسيان أن تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز أن يكون سؤاله دخلا على إحاطة قدرة الله تعالى

بالأشياء كلها وتخصيصه أبعاضها بالصور والخواص المختلفة بأن ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الأشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد أطرافهم كيف أحاط علمه بهم وبأجزائهم وأحوالهم فيكون معنى الجواب أن علمه تعالى محيط

بذلك كله وأنه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى ^ الذي جعل لكم الأرض مهذا ^ مرفوع صفة ل ربي أو خبر لمحدوف أو منصوب على المدح وقرأ الكوفيون هنا وفي الزخرف مهذا أي كالمهد تتمدونها وهو مصدر رسمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش أو جمع مهد ولم يختلفوا في الذي في النبأ ^ وسلك لكم فيها سبلا ^ وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها ^ وأنزل من السماء ماء ^ مطرا ^ فأخرجنا به ^ عدل به عن لفظ الغيبة إلى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وإيدانا بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله ^ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ^ أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق الآيات أزواجا أصنافا سميت بذلك لأزدواجها واقتران بعضها ببعض ^ من نبات ^ بيان أو صفة لأزواجا وكذلك شتى ويحتمل أن يكون صفة ل نبات

فإنه من حيث أنه مصدر في الأصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمرض ومرضى أي متفرقات في الصور والأغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال ^ كلوا وارعوا أنعامكم ^ وهو حال من ضمير فأخرجنا على إرادة القول أي أخرجنا أصناف النبات قائلين ^ كلوا وارعوا ^ والمعنى معديهما لانتفاعكم بالأكل والعلف أذنين فيه ^ إن في ذلك لآيات لأولي النهى ^ لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية ^ منها خلقناكم ^ فإن التراب أصل خلقه أول آبائكم وأول مواد أبدانكم ^ وفيها نعيدكم ^ بالموت وتفكيك الأجزاء ^ ومنها نخرجكم تارة أخرى ^ بتأليف أجزاءكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة ورد الأرواح إليها ^ ولقد أربنا آياتنا ^ بصرناه إياها أو عرفناه صحتها كلها تأكيد لشمول الأنواع أو لشمول الأفراد علنان المراد بآياتنا آيات معهودة وهي الآيات التسع المختصة بموسى أو أنه عليه السلام أراه آياته وعدد عليه ما أوتي غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده وأبى الإيمان والطاعة لعتوه ^ قال أجتنا لتخرجنا من أرضنا ^ أرض مصر ^ بسحرك يا موسى ^ هذا تعلل وتحير ودليل على أنه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فإن الساحر لا يقدر أن يخرج ملكا مثله من أرضه ^ فلنأتينك بسحر مثله ^ مثله سحرك ^ فاجعل بيننا وبينك موعدا ^ وعدا لقوله ^ لا نخلفه نحن ولا أنت ^ فإن الإخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب ^ مكانا سوى ^ بفعل دل عليه المصدر لا به لأنه موصوف أو بأنه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف إليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله

^ قال موعدكم يوم الزينة ^ من حيث المعنى فإن يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم أو بإضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الأول أو وعدكم وعد يزم الزينة وقرء يوم بالنصب وهو ظاهر في أن المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته إلينا وإليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء أو يوم النيروز أو يوم عيد كان لهم في كل عام وإنما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في الأقطار ^ وأن يحشر الناس ضحى ^ عطف على ال يوم أو الزينة وقرء على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على أن فيه ضمير ال يوم أو ضمير فرعون على أن الخطاب لقومه ^ فتولى فرعون فجمع كيده ^ ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم ^ ثم أتى ^ الموعد ^ قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا ^ بأن

تدعوا آياته سحرا ^ فيسحتكم بعذاب ^ فيهلككم ويستأصلكم وبه قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز ^ وقد خاب من افتري ^ كما خاب فرعون فإنه افتري واحتال ليقى الملك عليه فلم ينفعه ^ فتنازعوا أمرهم بينهم ^ أي تنازعت السحرة في أمر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة ^ وأسروا النجوى ^ بأن موسى إن غلبنا اتبعناه أو تنازعوا واختلّفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفروعون وقومه وقوله

^ قالوا إن هذان لساحران ^ تفسير ل أسروا النجوى كأنهم تشاوروا في تليفه حذرا أن يغلبا فيتبعهما الناس و هذان اسم إن على لغة بلحرث بن كعب فإنهم جعلوا الألف للتثنية وأعرّبوا المثني تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف و ^ هذان لساحران ^ خبرها وقيل إن بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما إن اللام لا تدخل خبر المبتدأ وقيل أصله إنه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه أن المؤكد بلام لا يليق به الحذف وقرأ أبو عمرو أن هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص أن هذان على أنها هي المخففة و اللام هي الفارقة أو النافية واللام بمعنى إلا ^ يريدان أن يخرجاكم من أرضكم ^ بالإستيلاء عليها ^ بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلي ^ بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب بإظهار مذهبها وإعلاء دينها لقوله ^ إني أخاف أن يبدل دينكم ^ وقيل أرادوا أهل طريقتكم وهم بنو إسرائيل فإنهم كانوا أرباب علم فيما بينهم لقول موسى ^ أرسل معنا بني إسرائيل ^ وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم وأشرفهم من حيث إنهم قدوة لغيرهم

^ فأجمعوا كيدكم ^ فأزعموه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرأ أبو عمرو فأجمعوا ويعضده قوله ^ فجمع كيده ^ والضمير في قالوا إن كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ^ ثم اتوا صفا ^ مصطفىين لأنه أهيّب في صدور الرائيين قيل كانوا سبعين ألفا مع كل واحد منهم جبل وعصا وأقبلوا عليه إقبالة واحدة ^ وقد أفلح اليوم من استعلى ^ فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض ^ قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى ^ أي بعد ما أتوا مراعاة للأدب و أن بما بعده منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبرية محذوف أي اختر إلقاءك أولا أو إلقاءنا أبو الأمر إلقاءك أو إلقاءنا ^ قال بل ألقوا ^ مقابلة أدب بأدب وعدم مبالاة بسحرهم وإسعافا إلى ما أو هموا من الميل إلى البدء بذكر الأول في شقهم وتغيير النظم إلى وجه أبلغ ولأن يبرزوا ما معهم ويستنفذوا أقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه ^ فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ^ أي فألخوا فإذا حبالهم وعصيهم وهي للمفاجأة والتحقيق أنها أيضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف إليها لكنها خصت بأن يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فألخوا ففاجأ موسى عليه الصلاة والسلام وقت تخيل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بأنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل إليها أنها تتحرك وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان وروح تخيل بالتاء على إسناده إلى ضمير الحبال والعصي وإبدال أنها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل بالياء على إسناده إلى الله تعالى وتخيّل بمعنى تخيل ^ فأوجس في نفسه خيفة موسى ^ فأضمر فيها خوفا من مفاجاته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية أو من أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه ^ قلنا لا تخف ^ ما توهمت ^ إنك أنت الأعلى ^ تعليل للنهي وتقرير لغيبته مؤكدا

بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل ^ وألق ما في يمينك ^ أبهمة ولم يقل عصاك تحقيرا لها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويذة التي في يدك أو تعظيما لها أي لا تحتفل بكثرة هذه الأجرام وعظمتها فإن في يمينك ما هو أعظم منها أثرا فألقه ^ تلقف ما صنعوا ^ تبتلعه بقدرة الله تعالى وأصله تتلقف فحذفت إحدى التاءين وتاء المضارعة تحتل التأنيث والخطاب على إسناد الفعل إلى المسبب وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال أو الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على أنه من لقفته بمعنى تلقفته ^ إنما صنعوا ^ إن الذي زوروا وافتعلوا ^ كيد ساحر ^ وقرئ بالنصب على أن ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر أو بتسمية الساحر سحرا على المبالغة أو بإضافة الكيد إلى السحر للبيان كقولهم علم فقه وإنما وحد الساحر لأن المراد به الجنس المطلق ولذلك قال لايفلح الساحر أي هذا الجنس وتتكير الأول لتتكير المضاف كقول العجاج يوم ترى النفوس ما أعدت في سعي دنيا طالما قد مدت كأنه قيل إنما صنعوا كيد سحري ^ حيث أتى ^ حيث كان وأين أقبل

^ فألقى السحرة سجدا ^ أي فألقى فتلقفت فتحقق عند السحرة أنه ليس بسحر وإنما هو آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته فألقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا وإعتابا وتعظيما لما رأوا ^ قالوا آمنا برب هارون وموسى ^ قدم هارون لكبر سنه أو لروى الآية أو لأن فرعون ربه موسى في صغره فلو اقتصر على موسى أو قدم ذكره لربما توهم أن المراد فرعون وذكر هارون على الاستتباع روي أنهم رأوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها ^ قال أمنتُم له ^ أي لموسى واللام لتضمن الفعل معنى الاتباع وقرأ قبيل وحفص ^ أمنتُم له ^ على الخبر والباقون على الاستفهام ^ قبل أن أذن لكم ^ في الإيمان له ^ إنه لكبيركم لعظيمنتكم في فنكم وأعلمكم به أو لأستاذكم ^ الذي علمكم السحر ^ وأنتم تواطمت على ما فعلتم ^ فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ^ اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كأن القطع ابتداء من مخالفة العضو العضو وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال أي لأقطعنها مختلفات وقرئ لأقطعن ولأصلين بالتخفيف بالأصليينكم في جذوع النخل ^ شبه تمكن المصلوب بالجذع يتمكن المظروف بالظرف وهو أول من صلب ^ ولتعلمن أينا ^ يريد نفسه وموسى لقوله ^ أمنتُم له ^ واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله أراد به توضع موسى والهزة به فإنه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي آمنوا به ^ أشد عذابا وأبقى ^ وأدوم عقابا ^ قالوا لن نؤثرك ^ لن نختارك ^ على ما جاءنا ^ موسى به ويجوز أن يكون الضمير فيه لما ^ من البيئات ^ المعجزات الواضحات الذي فطرنا عطف على ما جاءنا أو قسم ^ فاقض ما أنت قاض ^ ما أنت قاضيه أي صانعه أو حاكم به ^ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ^ إنما تصنع ما تهواه أو تحكم ما تراه في هذه الدنيا ^ والآخرة خير وأبقى ^ فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ ^ تقضي هذه الحياة الدنيا ^ كقولك صيم يوم الجمعة ^ إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا ^ من الكفر والمعاصي ^ وما أكرهتنا عليه من السحر ^ من معارضة المعجزة روي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما فوجدوه تحرسه

العصا فقالوا ما هذا بسحر فإن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه ^ والله خير وأبقى ^ جزاء أو خير ثوابا وأبقى عقابا إنه إن الأمر ^ من يأت ربه مجرما ^ بأن يموت على كفره وعصيانه ^ فإن له جهنم لا يموت فيها ^ فيستريح

^ ولا يحيا ^ حياة مهناة ^ ومن يأتيه مؤمنا قد عمل الصالحات ^ في الدنيا ^ فأولئك لهم الدرجات العلى ^ المنازل الرفيعة ^ جنات عدن ^ بدل من الدرجات ^ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ^ حال والعامل فيها معنى الإشارة أو الإستقرار ^ وذلك جزاء من تزكى ^ تطهر من أدناس الكفر والمعاصي والآيات الثلاث يحتمل أن تكون من كلام السحرة وأن تكون ابتداء كلام من الله تعالى ^ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي ^ أي من مصر ^ فاضرب لهم طريقا ^ فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما أو فاتخذ من ضرب اللبن إذا عمله ^ في البحر يبسا ^ يبسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتي جف لبنها وقرىء يبسا وهو إما مخفف منه أو وصف على فعل كصعب أو جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كأن فتود رحلي حين ضمت حوالب غرزا ومعني جياعا

أو لتعدده معنى فإنه جعل لكل سبط منهم طريقا ^ لا تخاف دركا ^ حال من المأمور أي أمنا من أن يدرككم العدو أوصفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تخفف على أنه جواب الأمر 0 ولا تخشى استئناف أي وأنت لا تخشى أو عطف عليه والألف فيه للإطلاق كقوله و وتظنون بالله الظنونا أو حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق فأتبعهم فرعون جنوده وذلك أن موسى عليه السلام خرج بهم أول الليل فأخبر فرعون بذلك فقص أثرهم والمعنى فأتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فأتبعهم بمعنى فأتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدي وقيل الباء مزيدة والمعنى فأتبعهم جنوده وذاهم خلفهم فغشيتهم من اليم ما غشيتهم الضمير لجنوده أوله ولهم وفيه مبالغة ووجازة أي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى أو ما غشاهم أو فرعون لأنه الذي ورطهم للهلاك وأضل فرعون قومه وما هدى أي أضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به في قوله وما أهديتكم إلا سبيل الرشاد أو أضلهم في البحر وما نجا يا بني إسرائيل خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك فرعون على إضمار قلنا أو للذين منهم في عهد النبي عليه الصلاة والسلام بما فعل بأبائهم قد أنجيناكم من عدوكم ^ فرعون وقومه ^ وواعدناكم جانب الطور الأيمن بمناجاة موسى وإنزال

التوراة وإنما عد المواعدة إليهم وهي لموسى أوله وللسبعين المختارين للملابسة ونزلنا عليكم المن والسلوى يعني في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم لذائذه أو حلالاته وقرأ حمزة والكسائي أنجيتكم وواعدتكم وما رزقتكم عليالتاء وقرىء وواعدتكم وواعدناكم والأيمن بالجر على الجوار مثل حجر ضب حرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالإخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبي فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين إذا وجب أداءه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل و يحلل بالضم من حل يحل إذا نزل وإني لغفار لمن تاب عن الشرك وأمن بما يجب الإيمان به وعمل صالحا صم اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور وما أعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارها من حيث إنها نقيصة فينفسها انضم إليها إغفال القوم وإيهام التعظم عليهم فلذلك أجاب موسى عن الأمرين وقدم جواب الإنكار لأنه أهم قال موسى هم أولاء على أثري أي ماتقدمتهم إلا تخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم إلا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت إليك رب لترضى فإن المسارعة إلى إمتثال أمرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك قال فإننا قد فتنا قومك من بعدك أبتليناهم

بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هارون وكانوا ستمائة ألف مانجا من عبادة وقرىء وأضلهم أي أشدهم ضللا لأنه كان ضالا مضلا وإن صح أنهم أقاموا على الذين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بأيامها أربعين وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل وإن هذا الخطاب كان له عند مقدمه إذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك إخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فإن أصل وقوع الشيء أن يكون في علمه ومقتضى مشيئته و السامري منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من أهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى إلى قومه بعد ما استوفى الأربعين وأخذ التوراة غضبان عليهم أسفا حزينا بما فعلوا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا بأن يعطيكم التوراة فيها هدى ونور أفتال عليكم العهد أي الزمان يعني زمان مفارقتهم لهم أم أردتم أن يحل عليكم يجب عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل في الغباوة فأخلفتكم موعدي وعدكم إياي بالثبات على الإيمان بالله والقيام على ما أمرتكم به وقيل هو من أخلفت وعده إذا وجدت الخلف فيه أي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الأربعين وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا بأن ملكنا أمرنا إذ لو خلينا وأمرنا ولم يسول لنا السامري لما أخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلاثتها في الأصل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم حملنا أحمالا من حلى القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة أن يعلموا به وقيل هي ما ألقاه البحر على الساحل بعد إغراقهم فأخذوه ولعلمهم سموها أوزارا لأنها آثام فإن الغنائم لم تكن تحل بعد أو لأنهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي فقتلها أي في النار فكذلك ألقى السامري أي ما كان معه منها روي أنهم لما حسبوا أن العدة قد كملت قال لهم السامري إنما أخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلى القوم وهو حرام عليكم فالرأي أن نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف فأخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلى المذابة له خوار صوت العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به أول ما رآه هذا إلهكم وإله موسى فنسي أي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور أو فنسي السامري أن ترك ما كان عليه من إظهار الإيمان أفلا يرون أفلا يعلمون ألا يرجع إليهم قولا أنه لا يرجع إليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لأن أن الناصبة لا تقع بعد أفعال اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على إنفاعهم وإضرارهم ولقد قال لهم هارون من قبل من قبل رجوع موسى عليه الصلاة والسلام أو قول السامري كأنه أول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم يا

قوم إنما فتنتم به بالعجل وإن ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني وأطيعوا أمري في الثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع إلينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الأول قال يا هارون أي قال له موسى حين رجع ما منعك إذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل ألا تتبعن أن تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به أو أن تأتي عقبي وتلحقني ولا مزيدة كما في قوله ما منعك أن لا تسجد ^ ^ أفصيت أمري بالصلاة في الدين والمحاماة عليه قال يا ابن

أم خص الأم استعطافا وترقيقا وقيل لأنه كان أخاه من الأم والجمهور على أنهما كانا من أب وأم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي أي بشعر رأسي قبض عليهما يجره إليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه الصلاة والسلام حديدا خشنا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رأيهم يعبدون العجل إنني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل لو قاتلت أو فارقت بعضهم بعض ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في قومي وأصلح فإن الإصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة لهم أن ترجع إليهم فتتدارك الأمر برأيك قال فما خطبك يا سامري أي ثم أقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك أي ما طلبك له وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشيء إذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب أي علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفتنوا له وهو أن الرسول الذي جاءك روحاني لا يمس أثره شيئا إلا أحياه أو رأيت ما لم تروه وهو أن جبريل عليه الصلاة والسلام جاءك على فرس الحياة وقيل إنما عرفه لأن أمه ألقته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل يغذوه حتى

استقل فقبضت قبضة من أثر الرسول من تربة موطئة والقبضة المرة من القبض فأطلق على المقبوض كضرب الأمير وقرئ بالصاد والأول للأخذ بجميع الكف والثاني للأخذ بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل عليه الصلاة والسلام ولعله لم يسمه لأنه لم عرف أنه جبريل أو أراد أن ينبه على الوقت وهو حين أرسل إليه ليذهب به إلى الطور فنبذتها في الحلي المذاب أوفي جوف العجل حتى حيي وكذلك سولت لي نفسي زينته وحسنته لي قال فاذهب فإن لك في الحياة عقوبة على ما فعلت أن تقول لا مساس خوفا من أن يمسك أحد فتأخذك الحمى ومن مسك فتتحامى الناس ويتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحش النافر وقرئء لامساس كفجار وهو علم للمسة وإن لك موعدا ^ في الآخرة ^ لن تخلفه لن يخلفك الله وينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام أي لن تخلف الواعد إياه وسيأتيك لا محالة فحذف المفعول الأول لأن المقصود هو الموعد ويجوز أن يكون من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفا وقرئء بالنون على حكاية قول الله وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا ظللت على عبادته مقيما فحذف اللام الأولى تخفيفا وقرئء بكسر الظاء على نقل حركة اللام إليها لنحرقه أي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقه أو بالمبرد على أنه مبالغة في حرق إذ برد بالمبرد وبعضه قراءة لنحرقه ^ ^ ثم لننسفنه ثم لنذرينه رمادا أو مبرودا وقرئء بضم السين في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء والمقصود من ذلك زيادة عقوبته وإظهار غباوة المفتنين به لمن له أدنى نظر إنما إلهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا إله إلا هو إذ لا أحد يماثله أو يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شيء علما وسع علمه كل ما يصح أن يعلم

لا العجل الذي يصاغ ويحرق وإن كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئء وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لأنه وإن انتصب على التمييز في المشهورة لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف إلى المفعولين صار مفعولا كذلك مثل ذلك الإقتصاص يعني اقتصاص عليه الصلاة والسلام نقص عليك من أنباء ما قد سبق من أخبار الأمور الماضية والأمم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبئها وتذكيرا للمستبصرين من أمتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه الأفاضيل والأخبار حقيقا بالتفكير والإعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من أعرض عنه عن الذكر الذي هو القرآن

الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله فإنه يحمل يوم القيامة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره أو إثما عظيما خالدين فيه في الوزر أو في حمله والجمع فيه والتوحيد في أعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم يوم القيامة حملا أي بنس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف أي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى أحزن والضمير الذي فيه للوزر أشكل أمر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ في الصور وقرأ أبو ب عمرو بالنون على إسناد النفخ إلى الأمر به تعظيما له أو للنافخ وقرئء بالياء المفتوحة على أن فيه ضمير الله أو ضمير إسرافيل وإن لم يجر ذكره لأنه المشهور بذلك وقرئء في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئء ويحشر المجرمون زرقا زرق العيون وصفوا بذلك لأن

الزرقه أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب لأن الروم كانوا أعدى أعدائهم وهم زرق العين ولذلك قالوا صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين أو عميا فإن حدقة الأعمى تزراق يتخافتون بينهم يخفضون أصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت وإخفاؤه إن ما لبثتم إلا عشرا أي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها أو لاستطالتهم مدة الآخرة أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا أنهم استحقوها على إضاعتها في قضاء الأوطار واتباع الشهوات أو في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة إلى آخر الآيات نحن أعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم إذ يقول أمثلهم طريقة أعدلهم رأيا أو عملا إن لبثتم إلا يوما استرجاح لقول من يكون أشد تقالا منهم وبسئلونك عن الجبال عن مأل أمرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف فقل لهم ينسفها ربي نسقا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها فيذرها فيذر مقارها أو الأرض وإضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله تعالى ما ترك عليها من دابة [^] [^] قاعا خاليا صفصفا مستويا كان أجزاءها على صف واحد لا ترى فيها عوجا ولا أمتا اعوجاجا ولا نتوا إن تأملت فيها بالقياس الهندسي وثلاثتها أحوال مترتبة فالأولان باعتبار الإحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص بالمعاني والأمم وهو النتوء اليسير وقيل لا ترى استثناء مبين للحالين يومئذ أي يوم إنسقت على إضافة اليوم إلى وقت النسف ويجوز أن يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة يبتعون الداعي داعي الله إلى المحشر قيل هو إسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل أوب إلى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الأصوات للرحمن خفضت لمهابتة فلا تسمع إلا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت أخفاف الإبل وقد فسر الهمس بخفق أقدامهم ونقلها إلى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن الاستثناء من الشفاعة أي إلا شفاعة من أذن له أو من أعم المفاعيل أي إلا من أذن في أن يشفع له فإن الشفاعة تنفعه ف من على الأول مرفوع على البدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية و أذن يحتمل أن يكون من الاذن ومن الأذن ورضي له قولاً أي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة أو رضي لأجله قول الشافع في شأنه أو قوله لأجله وفي شأنه يعلم ما بين أيديهم ما تقدمهم من الأحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لأحد الموصولين أو لمجموعهما فإنهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له

خضوع العناة وهم الأسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز أن يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام

بدل الإضافة ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لأجله عنت وجوههم ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن إذ الإيمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضمًا ولا كسرا منه بنقصان أو جزاء ظلم وهضم لأنه غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص أي مثل ذلك الإنزال أو مثل إنزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد أنزلناه قرآنا عربيا كله على هذه التوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه آيات الوعيد لعلمهم يتقون المعاصي فتصير التقوى لهم ملكة أو يحدث لهم ذكرا عظة وإعتبارا حين يسمعونها فتثبطهم عنها ولهذه النكتة أسند التقوى إليهم والإحداث إلى القرآن فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا تماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ أمره ونهيه الحقيق بأن يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته يستحقه لذاته أو الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه نهى عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل عليه السلام ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الإنزال على سبيل الاستطراد وقيل نهى عن تبليغ ما كان مجملا قبل أن يأتي بيانه وقل رب زدني علما أي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فإن ما أوحى إليك تناله لا محالة ولقد عهدنا إلى آدم ولقد أمرناه يقال تقدم الملك إليه وأوعز إليه وعزم عليه وعهد

إليه إذا أمره واللام جواب قسم محذوف وإنما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على أن أساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان من قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه أو ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم رأي وثباتا على الأمر إذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزل الشيطان ولم يستطع تغييره ولعل ذلك كان في بدء أمره قبل أن يجرب أن يجرب الأمور ويدوق شربها وأربها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما مفعولاه وإن كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما أو متعلق بنجد وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم مقدر أي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك أنه نسي ولم يكن من أولي العزيمة والثبات فسجدوا إلا إبليس قد سبق القول فيه أبي جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لأن المعنى أظهر الإباء عن المطاوعة فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكون سببا لإخراجكما

والمراد نهيهما عن أن يكون بحيث يتسبب الشيطان إلى إخراجهما من الجنة فتشقى وأفرده بإسناد الشقاء إليه بعد إشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث إنه قيم عليها ومحافظة على الفواصل أو لأن المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى ^ وأنك لا تظما فيها ولا تضحي فإنه بيان وتذكير لما له في الجنة من أسباب الكفاية وأقطاب الكفاف التي هي الشيع والري والكسوة والسكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل أغراض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها

ليطرق سمعه بأصناف الشقوة المحذر عنها والعاطف وإن ناب عن أن لكنه ناب من حيث إنه عامل لا من حيث إنه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على أن امتناع دخول إن عليه وقرأ نافع وأبو بكر وإنك لا تظما بكسر الهمزة والباقون بفتحها فوسوس إليه الشيطان فانتهى إليه وسوسته قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد الشجرة التي من أكل منها خلد ولم يمت أصلا فأضافها إلى الخلد أي الخلود لأنها سببه بزعمه ومملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فأكلا منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة أخذا يلزقان الورق على سواتهما للتستر وهو ورق التين وعصى آدم ربه بآكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد بآكل الشجرة أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوى من غوى الفصيل إذا أتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لأولاده عنها

ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من أجيى إلى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها وأصل معنى الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى إلى الثبات على التوبة والثبت بأسباب العصمة قال اهبطا منها جميعا الخطاب لآدم وجواء أو له ولإبليس ولما كانا أصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو لأمر المعاش كما عليه الناس من التجاذب التحارب أو لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الأول قوله فإما يأتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن أعرض عن ذكري عن الهدى الذاك لي والداعي إلى عبادتي فإن له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فإن له معيشة ضنكا لأنه جواب الشرط يوم القيامة أعمى البصر أو القلب ويؤيد الأول قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا وقد أمالهما حمزة والكسائي لأن الألف منقلبة من الياء وفرق أبو عمرو بأن الأول رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير قال كذلك أي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال أتت آياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور إليها وكذلك ومثل تركك إياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب

وكذلك نجزي من أسرف بالإنهماك في الشهوات والإعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذب بها وخالفها ولعذاب الآخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار أي وللنار بعد ذلك أشد وأبقى من ضنك العيش أو منه ومن العمى ولعله إذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله أو مما فعله من ترك الآيات والكفر بها أفلم يهد لهم مسند إلى الله تعالى أبو الرسول أو ما دل عليه كم أهلكتنا قبلهم من القرون أي إهلاكتنا إياهم أو الجملة بمضمونها والفعل على الأولين معلق يجري مجرى أعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون آثار هلاكهم إن في ذلك لآيات لأولى النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمرود لزاما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به أو اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاما لخصم وأجل مسمى عطف على كلمة أي ولولا

العدة بتأخير العذاب وأجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة أو يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن في كان أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين له فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك وصل وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه أو نزهة عن الشرك وسائر ما يضيفون إليه من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بأنه المولى للنعم كلها قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لأنهما في آخر النهار أو العصر وحده ومن أثناء الليل ومن ساعاته جمع أنا بالكسر والقصر أو أثناء بالفتح والمد فسيح يعني المغرب والعشاء وإنما قدم زمان الليل لاختصاصه بمزيد الفضل فإن القلب فيه أجمع والنفوس أميل إلى الاستراحة فكانت العبادة فيه أحمز ولذلك قال سبحانه وتعالى إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلاً ^ ^ وأطراف النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب إرادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الإلباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين أو أمر بصلاة الظهر فإنه نهاية النصف الأول من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه

باعتبار النصفين أو لأن النهار جنس أو بالتطوع في أجزاء النهار لعلك ترضى متعلق ب سح أي سح في هذه الأوقات طمعا أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائي وأبو بكر بالبناء للمفعول أي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك أي نظر عينيك إلى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا أن يكون لك مثله أزواجا منهم وأصنافا من الكفرة ويجوز أن يكون حالا من الضمير في به والمفعول منهم أي الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم أو ناسا منهم زهرة الحياة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا أو به على تضمينه معنى أعطينا أو بالبدل من محل به ^ أو من ^ أزواجا بتقدير مضاف ودونه أو بالذم وهي الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهو لغة كالجهرة في الجهرة أو جمع زاهر وصف لهم بأنهم زاهر والدنيا لتنعيمهم وبهاء زهيم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لفتنتهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه أو لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في الآخرة أو ما رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وأبقى فإنه لا ينقطع وأمر أهلك بالصلاة أمره بأن يأمر أهل بيته أو التابعين له من أمته بالصلاة بعد ما أمر بها ليتعاونوا على الإستعانة بها على خصائصهم ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة واصطبر عليها وداوم عليها لا نسالك رزقا أي أن ترزق نفسك ولا أهلك نحن نرزقك وإياهم ففرغ بالك لأمر الآخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي التقوى روي أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أصاب أهله ضر

أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه بآية تدل على صدقة في إهداء النبوة أو بآية مقترحة إنكارا لما جاء به من الآيات أو للاعتداد به تعنتا وعنادا فألزمهم بإتيانه بالقرآن الذي هو أم المعجزات وأعظمها وأبقاها لأن حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم أو العمل على وجه خارق للعادة ولا شك أن العلم أصل العمل وأعلى منه قدرا وأبقى أثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم أيضا على وجه أبين من وجوه إعجازه المختصة بهذا الباب فقال أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى من التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية فإن اشتمالها على زبدة ما فيها من العقائد والأحكام الكلية مع أن الآتي بها أمي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها إعجاز بين وفيه إشعار بأنه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث أنه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة إلى ما يشهد على

صحتها وقرئ الصحف بالتخفيف وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم أو لم تأتهم بالتاء والياقون بالياء ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد عليه الصلاة والسلام أو البينة والتذكير لأنها في معنى البرهان أو المراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزي بدخول النار يوم القيامة وقد قرئ بالبناء للمفعول فيهما قل كل أي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم

^^ فتربصوا وقرئ فتمتعوا فيستعلمون من أصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ السواء أي الوسط الجيد والسوأي والسوء أي الشر والسوي هو تصغيره ومن اهتدى من الضلالة و من في الموضوعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز أن تكون الثانية موصولة بخلاف الأولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على أن العلم بمعنى المعرفة أو على أصحاب أو على الصراط على أن المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ طه أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين

سورة الأنبياء مكية وآيها مائة واثنان عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم بالإضافة إلى ما مضى أو ما عند الله لقوله تعالى إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أو لأن كل ما هو آت قريب وإنما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة ل اقترب أو تأكيد للإضافة وأصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة أي في غفلة عن الحساب معرضون عن التفكير فيه وهما خبران للضمير ويجوز أن يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ^^ ما يأتيهم من ذكر ينبههم من سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة ل ذكر ^^

أو صلة ل يأتيهم ^^ محدث تنزيله ليكرر على أسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئـء بالرفع حملا على المحل إلا استمعوه وهم يلعبون يستهزئون به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكير في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم أي استمعوه جامعين بين الإستهزاء والتلهي والذهول عن التفكير فيه ويجوز أن يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على أنها خبر آخر للضمير بدل من واو وأسروا للإيماء بأنهم ظالمون فيما أسروا به أو فاعل له والواو لعلامة الجمع أو مبتدأ والجملة المتقدمة خبره وأصله وهؤلاء أسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم أو منصوب على الذم ^^ هل هذا إلا بشر مثلكم أفأتأتون السحر وأنتم تبصرون ^^ بأمره في موضع النصب بدلا من النجوى أو مفعولا لقول مقدر كأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لا عتقادهم أن الرسول لا يكون إلا ملكا واستلزموا منه أن ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فأنكروا حضوره وإنما أسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم أمره ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء والأرض جهرا كان أو سرا فضلا عما أسروا به فهو

أكد من قوله قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ولذلك أختير ها هنا وليطابق قوله وأسروا النجوى في المبالغة وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالإخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم ^^ وهو السميع العليم ^^ فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون ^^ بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر ^^

إضراب لهم عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم إلى أنه كلام افتراه ثم إلى أنه قول شاعر والظاهر أن بل الأولى لتمام حكاية والإبتداء بأخرى أو للإضراب عن تحاورهم في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وما ظهر عليه من الآيات إلى تقاولهم في أمر القرآن والثانية والثالثة لإضرابهم عن كونه أباطيل خيلت إليه وخلطت عليه إلى كونه مفتريات أختلقها من تلقاء نفسه ثم إلى أنه كلام شعري يخيل إلى السامع معاني لاحقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز أن يكون الكل من الله تنزيلا لأقوالهم في درج الفساد لأن كونه شعرا أبعد من كونه مفترى لأنه مشتمل على مغيبات كثيرة طبقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الأحلام ولأنهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا وأربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو أبعد من كونه سحرا لأنه يجانسه من حيث إنهما من الخوارق ^ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ^ أي كما أرسل به الأولون مثل اليد البيضاء والعصا وإبراء الأكمه وإحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث إن الإرسال يتضمن الإتيان بالآية ^ ما آمنت قبلهم من قرية ^ من أهل قرية أهلكتها باقتراح الآيات لما جاءتهم ^ أفهم يؤمنون ^ لو جنتهم بها وهم أعتى منهم وفيه تنبيه على أن عدم الإتيان بالمقترح للإبقاء عليهم إذ لو أتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم وما أرسلنا قبلك إلا رجالا يوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون جواب لقولهم ^ هل هذا إلا بشر مثلكم ^ فأمرهم أن يسألوا أهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والإحالة عليهم إما للإلزام فإن المشركين كانوا يشاورونهم في أمر النبي عليه الصلاة والسلام ويثقون بقولهم أو لأن إخبار الجم الغفير يوجب العلم وإن كانوا كفارا وقرأ حفص نوحى بالنون ^ وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ^ نفي لما اعتقدوا أنها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لأنهم أشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم ^ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ^ ^ وما كانوا خالدين ^ تأكيد وتقرير له فإن التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي إلى الفناء وتوحيد الجسد لإرادة الجنس أو لأنه مصدر في الأصل أو على حذف المضاف أو تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون فلذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لأن أصله لجمع الشيء واشتداده ^ ثم صدقناهم الوعد ^ أي في الوعد ^ فأنجيناهم ومن نشاء ^ يعني المؤمنين بهم ومن في إبقائه حكمة كمن سيؤمن هو أو أحد من ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال ^ وأهلكنا المسرفين ^ في الكفر والمعاصي

^ لقد أنزلنا إليكم ^ يا قريش كتابا يعني القرآن ^ فيه ذكركم ^ صيتكم كقوله ^ وإنه لذكر لك ولقومك ^ أو موعظتكم أو ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الأخلاق ^ أفلا تعقلون ^ فتؤمنون ^ وكم قصمنا من قرية ^ وإرادة عن غضب عظيم لأن القصم كسر يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم ^ كانت ظالمة ^ صفة لأهلها وصفت بها لما أقيمت مقامه ^ وأنشأنا بعدها ^ بعد إهلاك أهلها ^ قوما آخرين ^ مكانهم ^ فلما أحسوا بأسنا ^ فلما أدركوا شدة عذابنا وإدراك المشاهد المحسوس والضمير للأهل المحذوف ^ إذا هم منها يركضون ^ يهريون مسرعين راکضين دوابهم أو مشبهين بهم من فرط إسراعهم ^ لا تركضوا ^ على إرادة القول أي قيل لهم استهزاء لا تركضوا إما بلسان الحال أو المقال والقائل ملك أو من ثم من المؤمنين ^ وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ^ من التنعم والتلذذ والإتراف إبطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسئلون غدا عن أعمالكم أو تعذبون فإن

السؤال من مقدمات العذاب أو تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل ^ قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين ^ لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل إن أهل حضور من قرى اليمن بعث إليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الأنبياء فندموا وقالوا ذلك فما زال تلك دعواهم فما زالوا يرددون ذلك وإنما سماه دعوى لأن المولود

كأنه يدعوا الويل ويقول يا ويل تعال فهذا أوانك وكل من تلك و دعواهم يحتمل الاسمية والخبرية ^ حتى جعلناهم حصيدا ^ مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا إذ المعنى وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أو صفة له أو حال من ضميره ^ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين ^ وإنما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسببا لما ينتظم به أمور العباد في المعاش والمعاد فينبغي أن يتسلقوا بها إلى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فإنها سريعة الزوال ^ لو أردنا أن نتخذ لها ما يتلهى به ويلعب ^ لاتخذناه من لدنا ^ من جهة قدرتنا أو من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الأجسام المرفوعة والأجرام المسبوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد به الرد على النصارى ^ إن كنا فاعلين ^ ذلك ويدل على جواب الجواب المتقدم وقيل إن نافية والجملة كالنتيجة للشرطية ^ بل نقذف بالحق على الباطل ^ إضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب أي بل من شأننا أن نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداه اللهو فيدمغه فيمحقه وإنما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاوة المؤدي إلى زهوق الروح تصويرا لابطاله ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فأستريحا

ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق ^ فإذا هو زاهق ^ هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ^ ولكم الويل مما تصفون ^ مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية أو موصولة أو موصوفة وله من في السموات والأرض خلقا وملكا ^ ومن عنده ^ يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على ^ من في السموات ^ وأفرده للتعظيم أو لأنه أعم منه من وجه أو المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوؤ في السماء والأرض أو مبتدأ خبره ^ لا يستكبرون عن عبادته ^ لا يتعظمون عنها ^ ولا يستحسرون ^ ولا يعيون منها وإنما جيء بالاستحسار الذي هو أبلغ من الحسور تنبيها على أن عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها ولا يستحسرون ^ يسبحون الليل والنهار ^ ينزهونه ويعظمونه دائما ^ لا يفترون ^ حال من الواو في يسبحون وهو استئناف أو حال من ضمير قلبه ^ أم اتخذوا آلهة ^ بل اتخذوا والهزمة لإنكار اتخاذهم ^ من الأرض ^ صفة لآلهة أو متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص ^ هم ينشرون ^ الموتى وهم وإن لم يصرحوا به لكن

لزم ادعائهم لها الإلهية فإن من لوازمها الإقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الإنشار بهم ولو كان فيهما آلهة إلا الله غير الله وصف ب إلا لتعذر الإستثناء لعدم شمول ما

قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقاً أو معه حملاً لها على غير كما استثنى بغير حملاً عليها ولا يجوز الرفع على البديل لأنه متفرع على الإستثناء ومشروط بأن يكون في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما

من الإختلاف و التمانع فإنها إن توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وإن تخالفت فيه تعاوقت عنه ^ فسبحان الله رب العرش ^ المحيط بجميع الأجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ التقادير ^ عما يصفون ^ من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لايسئل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفردّه بالألوهية والسلطنة الذاتية وهم يسئلون لأنهم مملوكون مستعبدون والضمير لل آلهة أو للعباد ^ أم اتخذوا من دونه آلهة ^ كرهه استعظاما لكفرهم واستفظاعا لأمرهم وتبكيئا وإظهارا لجهلهم أو ضما لإنكار ما يكون لهم سندا من النقل إلى إنكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى أوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الألوهية أو وجدوا في الكتب الإلهية الأمر بإشراكهم فاتخذوهم متابعة للأمر ويعضد ذلك أنه رتب على الأول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا ^ قل هاتوا برهانكم ^ على ذلك إما من العقل أو من النقل فإنه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا ^ هذا ذكر من معي وذكر من قبلي ^ من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها إلا الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وإنزال الكتب صح الإستدلال فيه بالنقل و ^ من معي ^ أمته و ^ من قبلي ^ الأمم المتقدمة وإضافة ال ذكر إليهم لأنه عظمتهم وقرىء بالتنوين ولا إعمال وبه وب من الجارة على أن مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وشبههما وبعدهما بل كأكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرىء الحق بالرفع على أنه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب ^ فهم معرضون ^ عن التوحيد وإتباع الرسول من أجل ذلك وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فإن ذكر من قبلي من

حيث إنه خبر لاسم الإشارة مخصوص بالموجود بين أظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقرأ حفص وحمزة والكسائي نوحى إليه بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك ^ بل عباد ^ بل هم عباد من حيث إنهم مخلوقون وليسوا بالأولاد مكرمون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرىء بالتشديد ^ لا يسبقونه بالقول ^ لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين وأصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق إليه وإليهم وجعل القول محله وأداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وأنبئت اللام على الإضافة اختصارا وتجاфия عن تكرير الضمير وقرىء ^ لا يسبقونه ^ بالضم من سابقته فسبقته أسبقه ^ وهم بأمره يعملون ^ لا يعلمون قط ما لم يأمرهم به ^ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ^ لا تخفى عليه خافية مما قدموا وأخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فإنهم لإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراقبون أحوالهم ولا يشفعون إلا لمن أرتضى أن يشفع له مهابة منه وهم من خشيته عظمتة ومهابتة مشفقون مرتعدون وأصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والإشفاق خوف مع اعتناء فإن عدي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر وإن عدي بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة أو من الخلائق إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وإدعاء ذلك

عن الملائكة وتهديد المشركين وتهديد مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالإشراك وادعاء الربوبية

أو لم ير الذين كفروا أو لم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو أن السموات والأرض كانتا رتقا ذات رتق أو مرتوقتين وهو الضم والإلتحام أي كانتا واحداً وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنوع والتمييز أو كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت أفلاكاً وكانت الأرض ضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها وأحوالها طبقات أو أقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بـ السموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق أو السموات بأسرها على أن لها مدخلا ما في الأمطار والكفرة وإن لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظراً فإن الفتق عارض مفتقر إلى مؤثر واجب وابتداء أو بوسط أو استفساراً من العلماء ومطالعة للكتب وإنما قال كانتا ولم يقل كن لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئاً رتقا أي مرتوقاً كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى الله خلق كل دابة من ماء وذلك لأنه من أعظم مواده أو لفرط احتياجه إليه وارتفاعه به بعينه أو صيرنا كل

شيء حي بسبب من الماء لا يحيا دونه وقرئ حيا على أنه صفة كل أو مفعول ثانٍ والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان أفلا يؤمنون مع ظهور الآيات وجعلنا في الأرض رواسي ثابتات من رسا الشيء إذا ثبت أن تميد بهم كراهة أن تميل بهم وتضطرب وقيل لأن لا تميد فحذف لا لأمن الإلباس وجعلنا فيها في الأرض أو الرواسي فجاء سبلاً مسالك واسعة وإنما قدم فجاء وهو وصف له ليصير حالاً فيدل على أنه حين خلقها كذلك أو ليبدل منها سبلاً فيدل ضمناً على أنه خلقها ووسعها للسبلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون إلى مصالحهم وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً عن الوقوع بقدرته أو الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم بمشيئته أو استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها عن أحوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة معرضون غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات كل في فلك أي كل واحد منهما والتنوين بدل من المضاف إليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كسأهم الأمير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك إسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفردهما بها لعدم اللبس والضمير

لهما وإنما جمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لأن السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لإنكاره بعد ما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما أنكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالبشر والخير بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه وإلينا ترجعون فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه إيماء بأن المقصود من هذه الحياة والابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريراً لما سبق وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك ما يتخذونك إلا هزواً إلا مهزواً به ويقولون أهذا الذي يذكر آلهتكم أي بسوء وإنما أطلقه لدلالة الحال فإن ذكر العدو لا يكون إلا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد أو بإرشاد الخلق ببعث الرسل وإنزال الكتب رحمة عليهم أو بالقرآن هم

كافرون منكرون فهم أحق أن يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الإنسان من عجل كأنه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع وهو منه مبالغة في لزومه له ولذلك قيل إنه على القلب ومن عجلته مبادرته إلى الكفر واستعجال الوعيد روي أنها نزلت في النضر بن

الحارث حين استعجل العذاب ساريكم آياتي نعماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالأتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب أو القيامة إن كنتم صادقين يعنون النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضي الله عنهم لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف الجواب و حين مفعول يعلم أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرّون على دفعها ولا يجدون ناصرًا يمنعها لما استعجلوا يعلمون بطلان ما هم عليه حين لا يكفون وإنما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما أوجب لهم ذلك بل تأتيهم العدة أو النار أو الساعة بغتة فجأة مصدر أو حال وقرىء بفتح الغين فتبتهتهم فنغلبهم أو تحيرهم وقرىء الفعلان بالياء والضمير ل الوعد أو ال حين وكذا في قوله فلا يستطيعون ردها لأن الوعد بمعنى النار أو العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز أن يكون ل النار أو لل بغتة ^ ^ ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير بأمهالهم في الدنيا ولقد استهزى برسلك من قبلك تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحاق بالذين سخروا

منهم ما كانوا به يستهزئون وعد له بأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالإنبياء ما فعلوا يعني جزاءه قل يا محمد للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من بأسه إن أراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على أن لا كالىء غير رحمته العامة وأن اندفاعه بمهلتة بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرّونه ببالهم فضلاً أن يخافوا بأسه حتى إذا كلؤا منه عرفوا الكالىء وصلحوا للسؤال عنه أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز معنا أو من عذاب يكون من عندنا والإضرابان عن الأمر بالسؤال على الترتيب فإنه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد أبعد لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف بإبطال ما اعتقدوه فإن من لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله فكيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء وأبأءهم حتى طال عليهم العمر إضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي إلى حفظهم وهو الإستدراج والتمتع بما قدر لهم من الأعمار أو عن الدلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم ذلك وهو أنه تعالى متعمم بالحياة الدنيا وأمهلهم حتى طالت أعمارهم فحسبوا أن لا يزالوا كذلك وأنه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على أنه أمل كاذب فقال أفلا يرون أنا نأتي الأرض أرض الكفرة ننقصها من أطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على أيدي المسلمين أفهم الغالبون رسول الله والمؤمنين قل إنما أنذركم بالوحي بما أوحى إلي ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وقرىء بالياء على أن فيه ضميره وإنما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون إذا ما يندرون منصوب ب يسمع أو ب الدعاء والتقيد به لأن الكلام في الإنذار أو للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم

^ ^ ولئن مستهم نفة أدنى وفيه مبالغات ذكر المس وما فيه النفة من معنى القلة فإن أصل النفع هوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة من عذاب ربك من الذي يندرون به ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين لدعوا على أنفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين القسط العدل توزن بها صحائف الأعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لإرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به للمبالغة ليوم القيامة لجزاء يوم القيامة أو لأهله أو فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس شيئاً من حقها أو من الظلم ^ وإن كان مثقال حبة من خردل ^ أي وإن كان العمل أو الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة ^ آتينا بها ^ أحضرناها وقرىء آتينا بمعنى جازينا بها من الإيتاء فإنه قريب من أعطينا أو من المؤاتاة فإنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء وأتينا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتانيته لإضافته إلى حبة ^ وكفى بنا حاسبين ^ إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرنا للمتقين أي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرنا يتعظ به المتقون أو ذكر ما يحتاجون إليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرىء ضياء بغير واو على أنه حال من الفرقان ^ الذين يخشون ربهم ^ صفة للمتقين أو مدح لهم منصوب أو مرفوع بالغيب حال من الفاعل أو المفعول ^ وهم من الساعة مشفقون ^ خائفون وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض ^ وهذا ذكر ^ يعني القرآن مبارك كثير خيره أنزلناه على محمد عليه الصلاة والسلام ^ أفأنتم له منكرون ^ استفهام توبيخ ولقد آتينا إبراهيم رشده الإهداء لوجوه الصلاح وإضافته ليدل على أنه رشد

مثله وأن له شأنًا وقرىء رشدة وهو لغة من قبل من قبل موسى وهرون أو محمد عليه الصلاة والسلام وقيل من قبل استنبائه أو بلوغه حيث قال إني وجهت ^ ^ وكنا به عالمين علمنا أنه أهل لما آتينا أو جامع لمحاسن الأوصاف ومكارم الخصال وفيه إشارة إلى أن فعله سبحانه وتعالى باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات إذ قال لأبيه وقومه متعلق ب آتينا أو ب رشده أو بمحذوف أي أذكر من أوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون تحقير لشأنها وتوبيخ على إجلالها فإن التمثال صورة لا روح فيها لا يضر ولا ينفع واللام للاختصاص لا للتعدية فإن تعدية العكوف بعلى والمعنى أنتم فاعلون العكوف لها ويجوز أن يؤول بعلى أو يضمن العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين منخرطين في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين إلى دليل والتقليد إن جاز وإنما يجوز لمن علم في الجملة أنه على حق

^ ^ قالوا أجتنا بالحق أم أنت من اللاعبين كأنهم لاستبعادهم تضليله إياهم ظنوا أن ما قاله على وجه الملاعبة فقالوا أبجد تقوله أم تلعب به قال ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن إضراب عن كونه لاعبا بإقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والأرض أو للتماثيل وهو أدخل في تضليلهم وإلزام الحجة عليهم وأنا على ذلكم أي المذكور من التوحيد من الشاهدين من المتحققين له والمبرهنيين عليه فإن الشاهد من تحقق الشيء وحققه وتالله وقرىء بالباء وهي الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب لأكيدين أصنامكم لأجتهدن في كسرهما ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة الأمر وتوقفه على نوع من الحيل بعد أن تولوا عنها

مدبرين إلى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة أو جمع جذيد وخفيف وقرئ بالفتح و جذذا جمع جذيد وجذذا جمع جذة إلا كبيرا لهم للأصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه لعلهم إليه يرجعون لأنه غلب على ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه لتفرده واشتهاره بعبادة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم أو أنهم يرجعون إلى الكبير فيسألونه عن كاسرها إذ من شأن المعبود أن يرجع إليه في حل العقد فيبكتهم بذلك أو إلى الله أي يرجعون إلى توحيدده عند تحققهم عجز آلهتهم قالوا حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين بجرأته على الآلهة الحقيقة بالإعظام أو بإفراطه في حطمها أو بتوريط نفسه للهلاك

ل فتى سمعنا فتى يذكرهم يعيهم فعله فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع أو صفة إبراهيم ^ل فتى مصححة لأن يتعلق به السمع وهو أبلغ في نسبة الذكر إليه ^ل يقال له قالوا فأتوا به على أعين الناس ^ل بمراى منهم بحيث تتمكن صورته في أعينهم تتمكن الراكب على المركوب ^ل لعلهم يشهدون ^ل بفعله أو قوله أو يحضرون عقوبتنا له ^ل قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ^ل حين أحضروه ^ل قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ^ل أسند الفعل إليه تجوزا لأن غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته إياه أو تقريرا لنفسه مع الإستهزاء والتبكيث على أسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبه بخط رشيق أنت كتبت هذا فقلت بل كتبه أنت أو حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل إنه في المعنى متعلق بقوله ^ل إن كانوا ينطقون ^ل وما بينهما اعتراض أو ضمير فتى أو إبراهيم وقوله ^ل كبيرهم هذا ^ل مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله وما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لإبراهيم ثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته ^ل فرجعوا إلى أنفسهم ^ل وراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض إنكم ^ل أنتم الظالمون ^ل بهذا السؤال أو بعبادة من لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم ^ل إنه لمن الظالمين ^ل ثم نكسوا على رؤوسهم ^ل انقلبوا إلى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعليا على أعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد و نكسوا أي نكسوا أنفسهم ^ل لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ^ل فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على إرادة القول ^ل قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ^ل إنكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بأنها جمادات لا تنفع ولا تضر فإنه ينافي الألوهية ^ل أف لكم ولما تعبدون من دون الله ^ل تضجر منه على إصرارهم بالباطل البين و أف صوت المتضجر ومعناه قبحا وتتنا واللام لبيان المتأفف له ^ل أفلا تعقلون ^ل قبح صنيعكم قالوا أخذا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة حرقوه فإن النار أوهل ما يعاقب به ^ل وانصروا آلهتكم ^ل بالانتقام لها ^ل إن كنتم فاعلين ^ل إن كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من أكراد فارس اسمه هيون خسف به الأرض خسف به الأرض وقيل نمروذ ^ل قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ^ل ذات برد وسلام أي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغت جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة وإقامة كوني ذات برد مقام أبردي ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله أي وسلمنا سلاما روى أنهم بنوا حظير بكوثي وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال أما إليك فلا فقال فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله

الخطيرة روضة ولم يحترق منه إلا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال إني مقرب إلى إلهك

فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وكان إذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبا ليس ببدع غير أنه هكذا على خلاف المعتاد فهو إذن من المعتاد فهو إذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه سبحانه وتعالى دفع عنه أذاها كما ترى في السمندل ويشعر به قوله على إبراهيم ^ وأرادوا به كيدا ^ مكرًا في إضراره فجلبناهم الأخرسين أخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على أنهم على الباطل وإبراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم أشد العذاب ^ ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ^ أي من العراق إلى الشام وبركاته العامة أن أكثر الأنبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والديوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي أنه عليه الصلاة والسلام نزل بفلسطين ولوط عليه الصلاة والسلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم ويلة ^ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة ^ عطية فهي حال منهما أو ولد ولد أو زيادة على ما سأل وهو إسحاق فتختص بيعقوب ولا بأس به للقرينة وكلا يعني الأربعة ^ جعلنا صالحين ^ بأن وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين ^ وجعلناهم أئمة ^ يقتدى بهم يهدون الناس إلى الحق بأمرنا لهم بذلك وإرسالنا إياهم حتى صاروا مكملين ^ وأوحينا إليهم فعل الخيرات ^ ليحثوهم عليها فيتم كمالها بانضمام العمل إلى العلم وأصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات ^ وكذلك قوله ^ وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ^ وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذفت تاء الإقامة المعوضة من إحدى الألفين لقيام المضاف إليه مقامها ^ وكانوا لنا عابدين ^ موحدين مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ^ ولوطا آتيناه حكما ^ حكمة أو نبوة أو فضلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للأنبياء ^ ونجيناه من القرية ^ قرية سدوم ^ التي كانت تعمل الخبث ^ يعني اللواط وصفها بصفة أهلها أو أسندها إليها على حذف المضاف وإقامتها مقامه وبدل عليه ^ إنهم كانوا قوم سوء فاسقين ^ فإنه كالتعليل له

^ وأدخلناه في رحمتنا ^ في أهل رحمتنا أو جنتنا ^ إنه من الصالحين ^ الذين سبقت لهم منا الحسنى ^ ونوحا إذ نادى ^ إذ دعا الله سبحانه على قومه بالهلاك ^ من قبل ^ من قبل المذكورين ^ فاستجبنا له ^ دعاءه ^ فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ^ من الطوفان أو أذى قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه مطاوع انتصر أي جعلناه منتصرا ^ من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين ^ لاجتماع الأمرين تكذيب الحق والانهماك في الشر ولعلمهما لم يجتمعا في قوم إلا وأهلكهم الله تعالى ^ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث ^ في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده ^ إذ نفشت فيه غنم القوم ^ رعته ليلاً ^ وكنا لحكمهم شاهدين ^ لحكم الحاكمين والمتحاكمين إليهما عالمين ^ ففهمناها سليمان ^ الضمير للحكومة أو للفتوى وقرئ فأفهمناها روي أن داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة غير هذا أرفق بهما فأمر بدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بالإنها وأولادها وأشعارها والحرث إلى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعود إلى ما كان ثم يترادان ولعلمهما قالا اجتهدا والأول نظير قول أبي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة في العبد المغصوب إذا أبق وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل إذ المعتاد ضبط الدواب ليلاً وهكذا قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة

البراء حائطا وأفسدته فقال على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظهما بالليل وعند أبي حنيفة لا ضمان إلا أن يكون معها حافظ لقوله صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار ^ وكلا أتينا حكما وعلمنا ^ دليل على أن خطأ المجتهد لا يقدر فيه وقيل على أن كل مجتهد مصيب وهو مخالف لمفهوم قوله تعالى ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على أن قوله ففهمناها لإظهار ما تفضل عليه في صغره ^ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن ^ يقدر الله معه إما بلسان الحال أو بصوت يتمثل له أو بخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السياحة وهو حال أو استئناف لبيان وجه التسخير و مع متعلقة ب سخرنا أو يسبحن والطير عطف على الجبال أو مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء أو العطف على الضمير على ضعف ^ وكنا فاعلين ^ لأمثاله فليس بدع منا وإن كان عجا عندكم ^ وعلمناه صنعة لبوس ^ عمل الدرع وهو في الأصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بوسها قيل كانت صفائح فحلقتها وسردها لكم متعلق بعلم أو صفة لللبوس ليحصنكم من بأسكم بدل منه بدل الاشتمال بإعادة الجار والضمير لداود عليه الصلاة والسلام أو لللبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة أو لللبوس على تأويل الدرع وفي قراءة أبي بكر ورويس بالنون لله عز وجل ^ فهل أنتم شاكرون ^ ذلك أمر أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقرير ولسليمان وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الأول لأن الخارق فيه عائد إلى سليمان نافع له وفي الأول أمر يظهر في الجبال والطير مع داود وبالإضافة إليه ^ الريح عاصفة ^ شديدة الهبوب من حيث إنها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال تعالى ^ غدوها شهر ورواحها شهر ^ وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة أخرى حسب إرادته ^ تجري بأمره ^ بمشيئته حال ثانية أو بدل من الأولى أو حال من ضميرها ^ إلى الأرض التي باركنا فيها ^ إلى الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة ^ وكنا بكل شيء عالمين ^ فنجره على ما تقتضيه الحكمة ^ ومن الشياطين من يغوصون له ^ في البحار ويخرجون نفائسها ومن عطف على الريح أو مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ^ ويعملون عملا دون ذلك ^ ويتجاوزون ذلك إلى أعمال آخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغربية كقوله تعالى ^ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ^ ^ وكنا لهم حافظين ^ أن يزيغوا عن أمره أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم ^ وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر ^ بأنني مسني الضر وقرئ بالكسر على إضمار القول أو تضمين النداء معناه و الضر بالفتح شائع كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال ^ وأنت أرحم الراحمين ^ وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفًا في السؤال وكان روميا من ولد عيص بن إسحاق استنبأه الله وكثر أهله وماله فابتلاه الله بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات روي أن امرأته ماخير بنت ميثا بن يوسف أو رحمة بنت إفرايم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله أن ادعوه وما بلغت مدة يلائي مدة رخائي ^ فاستجينا له فكشفنا ما به من ضر ^ بالشفاء من مرضه ^ وأتينا أهله ومثلهم معهم ^ بأن ولد له ضعف ما كان أو أحبي ولده وولد له منهم نوافل ^ رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ^ رحمة على أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أتيب أو لرحمتنا للعابدين فإننا نذكرهم بالإحسان ولا ننساهم ^ وإسماعيل وإدريس وذا الكفل ^ يعني

إلياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لأنه كان ذا حظ من الله تعالى أو تكفل أمته أو له ضعف عمل أنبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل كل هؤلاء ^ من الصابرين ^ على مشاق التكاليف وشدائد النوب ^ وأدخلناهم في رحمتنا ^ يعني النبوة أو نعمة الآخرة ^ إنهم من الصالحين ^ الكاملين في الصلاح وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإن صلاحهم معصوم عن كدر الفساد ^ وذا النون ^ وصاحب الحوت يونس بن متى ^ إذ ذهب مغاضبا ^ لقومه لما برم بطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي إصرارهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر وقبل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن أنه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لأنه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرىء مغضبا ^ فظن أن لن نقدر عليه ^ لن نضيق عليه أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده أنه قرىء مثقلا أو لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا أو خطرة شيطانية سبقت إلى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرىء بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرىء به مثقلا ^ فنأدى في الظلمات ^ في الظلمة الشديدة المتكاثفة أو ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ^ أن لا إله إلا أنت ^ بأنه لا إله إلا أنت سبحانك من أن يعجزك شيء ^ إني كنت من الظالمين ^ لنفسى بالمبادرة إلى المهاجرة وعن النبي عليه الصلاة والسلام ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له ^ فاستجبنا له ونجيناه من الغم ^ بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلاثة أيام والغم غم الإلتقام وقيل غم الخطيئة ^ وكذلك نجى المؤمنين ^ من غموم دعوا الله فيها بالإخلاص وفي الإمام نجى ولذلك أخفى الجماعة النون الثانية فإنها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وأبو بكر بتشديد الجيم على أن أصله نجى النون الثانية كما حذف التاء الثانية في تظاهرون وهي وإن كانت فاء فحذفها أوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدر فيه اختلاف حركتي النونين فإن الداعي إلى الحذف اجتماع المثليين مع تعذر الإدغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول أسند إلى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بأنه لا يسند إلى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره ^ وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا ^ وحيدا بلا ولد يرثني ^ وأنت خير الموارثين ^ فإن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي به ^ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ^ أي أصلحناها للولادة بعد عقرها أو ل زكريا بتحسين خلقها وكانت حردة إنهم يعني المتوالدين أو المذكورين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ^ كانوا يسارعون في الخيرات ^ يبادرون إلى أبواب الخير ^ ويدعوننا رغبا ورهبا ^ ذوي رغب ورهب أو راغبين في الثواب راجين للإجابة أو في الطاعة وخائفين العقاب أو المعصية ^ وكانوا لنا خاشعين ^ مخبتين أو دائبين الوجل والمعنى أنهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال ^ والتي أحصنت فرجها ^ من الحلال والحرام يعني مريم ^ فنفخنا فيها ^ أي في عيسى عليه الصلاة والسلام فيها أي أحييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها ^ من روحنا ^ من الروح الذي الذي هو بأمرنا وحده أو من جهة روحنا يعني جبريل عليه الصلاة والسلام ^ وجعلناها وإبنا ^ أي قصتهما أو حالهما ولذلك وحد قوله آية للعالمين فإن من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى إن هذه أمتكم أي إن ملة التوحيد والإسلام ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها فكونوا عليها أمة واحدة غير مختلفة فيما بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا مشاركة لغيرها في

صحة الاتباع وقرئ أمتكم بالنصب على البدل أمة بالرفع على الخبر وقرئنا بالرفع عن أنهما خبران وأنا ربكم لا إله لكم غيري فاعبدون ^ ^ وتقطعوا أمرهم بينهم صرفه إلى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا أمره قطعاً موزعة بقبیح فعلهم إلى غيرهم كل من الفرق المتحزبة إلينا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ^ بالله ورسله ^ فلا كفران فلا تضيع لسعيه استعير لمنع الثواب كما أستعير الشكر لإعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة وأنا له لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع على أهلها غير متصور منهم وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وحرم بكسر الحاء وإسكان الراء وقرئ حرم أهلكتنا حكمتنا بإهلاكها أو وجدناها هالكة أنهم لا يرجعون رجوعهم إلى التوبة أو الحياة ولا صلة أو عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام أو فاعل له ساد مسد خبره أو دليل عليه وتقديره توبتهم أو حياتهم أو عدم بعثهم أو لأنهم لا يرجعون ولا ينيون وحرام خبر محذوف أي وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم أنهم لا يرجعون ^ ^ حتى إذا فتحت ياجوج وماجوج متعلق ب حرام أو بمحذوف دل الكلام عليه أو ب لا يرجعون أي يستمر الإمتناع أو الهلاك أو عدم الرجوع إلى قيام الساعة وظهور أماراتها وهو فتح سد ياجوج وماجوج وهي حتى التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد وهم يعني

ياجوج وماجوج أو الناس كلهم ^ من كل حذب ^ نشز من الأرض وقرئ حدث وهو القبر ينسلون يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين ^ واقترب الوعد الحق ^ وهو القيامة ^ فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا جواب الشرط وإذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله تعالى إذا هم يقنطون فإذا جاءت الفاء معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة أو مبهم يفسره الأبصار يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة من هذا لم نعلم أنه حق بل كنا ظالمين لأنفسنا بالإخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر إنكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الأوثان وإليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روي أنه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبير قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيزا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنی الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا ب من أو بما يعمه ويدل عليه ما روي أن ابن الزبير قال هذا شيء لأهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله فقال صلى الله عليه وسلم بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله إن الذين بيانا للتجوز أو للتخصيص فأخر عن الخطاب حصب جهنم ما

يرمي به إليها وتهيج به من حصبه يحصيه إذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر أنتم لها واردون استئناف أو بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على أن ورودهم لأجلها لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها لأن المؤاخذ بالعذاب لا يكون إلها وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير أنين وتنفس شديد وهو من إضافة فعل البعض إلى الكل للتغلب إن أريد ما تعبدون الأصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم

إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أي الخصلة الحسنى وهي السعادة أو التوفيق بالطاعة أو البشرى بالجنة أولئك عنها مبعدون لأنهم يرفعون إلى أعلى عليين روي أن عليا كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيها وهو يدل من مبعدون أو حال من ضميره سيق للمبالغة في إبعادهم عنها والحسيس صوت يحس به وهم فيما اشتته أنفسهم خالدون دائمون في غاية التمتع وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الأكبر النفخة الأخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض أو الانصراف إلى النار أو حين يطبق على النار أو يذبح الموت وتلقاهم الملائكة تستقبلهم مهنيين لهم هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون ^ في الدنيا ^ يوم تطوي السماء مقدر باذكر أو ظرف ل لا يحزنهم أو تتلقاهم أو حال مقدر من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطي ضد النشر أو المحو من قولك طوعني هذا الحديث وذلك لأنها نشرت مظلة لبي آدم فإذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والبناء للمفعول كطي السجل للكتاب طيا كطي الطومار لأجل الكتابة أو لما يكتب أو يكتب أو كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع أي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الأعمال إذا رفعت إليه أو كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو و السجل كالعتل وهما لغتان فيه كما بدأنا أول خلق نعيده أي نعيد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه في كونهما إيجادا عن العدم أو جمعا بين الأجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الإعادة بالقياس على الإبداء لشمول الإمكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء

وما كافة أو مصدرية وأول مفعول ل بدأنا أو لفعل يفسره نعيده أو موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده أي نعيد مثل الذي بدأنا وأول خلق ظرف ل بدأنا أو حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مقدر بفعله تأكيدا ل نعيده أو منتصب به لأنه عدة بالإعادة علينا أي علينا إنجازه إنا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور في كتاب داود عليه السلام من بعد الذكر أي التوراة وقيل المراد ب الزبور جنس الكتب المنزل وب الذكر اللوح المحفوظ أن الأرض أي أرض الجنة أو الأرض المقدسة يرثها عبادي الصالحون يعني عامة المؤمنين أو الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها أو أمة محمد صلى الله عليه وسلم إن في هذا أي فيما ذكر من الأخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغاً لكفاية أو لسبب بلوغ إلى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين لأن ما بعثت به سبب لإسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار أنهم به من الخسف والمسح وعذاب الاستئصال قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد أي ما يوحى إلي إلا أنه لا إله لكم إلا إله واحد وذلك لأن المقصود الأصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالأولى لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس فهل أنتم مسلمون مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحي المصدق بالحجة وقد عرفت أن التوحيد مما يصح إثباته بالسمع فإن تولوا عن التوحيد فقل آذنتكم أي أعلمتكم ما أمرت به أو حربي لكم على سواء مستوين في الإعلام به أو مستوين أنا وأنتم في العلم بما أعلمتكم به أو في

المعاداة أو إيدانا على سواء وقيل أعلمتكم أني على سواء أي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير وإن أدري ^ وما أدري ^ أقرب أم بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين أو الحشر لكنه كائن لا محالة إنه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن في الإسلام ويعلم ما تكتُمون من الإحن والأحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وإن أدري لعله فتنة لكم وما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم أو امتحان لينظر كيف تعملون ومتاع إلى حين وتمتيع إلى أجل مقدر تقتضيه مشيئته قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضى لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربى احكم على بناء التفضيل و احكم من الأحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحال بأن الشوكة تكون لهم وأن راية الإسلام تخفق أياما ثم تسكن وأن الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فأجاب الله تعالى دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخبب أمانيهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم وقرئ بالياء وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن والله تعالى أعلم

سورة الحج مكة إ لا ست آيات من هذان خصمان إلى صراط الحميد وآيها ثمان وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة تحريكها للأشياء على الإسناد المجازي أو تحريك الأشياء فيها فاضيفت إليها إضافة معنوية بتقدير في أو إضافة المصدر إلى الظرف على إجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها وإضافتها إلى الساعة لأنها من أشراتها شيء عظيم هائل علل أمرهم بالتقوى بفضاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على أنفسهم ويتقوها بملزمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت تصوير لهولها والضمير لل زلزلة و يوم منصوب ب تذهل و قرئ تذهل و تذهل مجهولا ومعروفا أي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الأمر بدهشة والمقصود الدلالة على أن هولها بحيث إذا دهشت التي ألقت الرضيع ثديها نزعت من فيه وذهلت عنه و ما موصولة أو مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى كأنهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله بشديد فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم وأذهب تمييزهم وقرئ ترى من أريتك قائما أو رؤيت قائما بنصب الناس ورفع على أنه نائب مناب الفاعل وتانيته على تأويل الجماعة وإفراده بعد جمعه لأن الزلزلة يراها الجميع وأثر السكر إنما يراه كل أحد على غيره وقرأ حمزة والكسائي سكرى كعطشى إجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النصر بن الحارث وكان جدلا

يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ولا بعث بعد الموت هي تعمه وأضرابه ويتبع في المجادلة أو في عامة أحواله كل شيطان مريد متجرد للفساد وأصله العري كتب عليه على الشيطان أنه من تولاه تبعه والضمير للشأن فإنه يضلّه خير لمن أو جواب له والمعنى كتب عليه إضلال من يتولاه لأنه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشأنه أنه يضلّه لا على العطف فإنه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضوعين على حكاية المكتوب أو إضمار القول أو تضمين الكتب معناه ويهديه إلى عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي إليه يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث من إمكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب فإننا خلقناكم

أي فانظروا في بدء خلقكم فإنه يزيح ربيكم فإننا خلقناكم من تراب بخلق آدم منه أو الأغذية التي يتكون منها المني ثم من نطفة مني من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من مضغ قطعة من اللحم وهي في الأصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة أو تامة وساقطة أو مصورة وغير مصورة لنبيين لكم بهذا التدرج قدرتنا وحكمتنا وأن ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها أخرى وأن من قدر على تغييره وتصويره أولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول إيماء إلى أن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ويقر في الأرحام ما نشاء أن نقره إلى أجل مسمى هو وقت الوضع وأدناه بعد ستة أشهر وأقصاه أربع سنين وقرئ ونقره بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبيين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الأرحام حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف وقرئنا بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء إذا صبته و طفلا حال أجريت على تأويل كل واحد أو للدلالة على الجنس أو لأنه في الأصل مصدر ثم لتبلغوا أشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع شدة كالأنعم جمع نعمة كأنها شدة في الأمور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الأشد أو قبله وقرئ يتوفى أو يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر وهو الهرم والخوف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم

من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما عمله وينكر ما عرفه والآية استدلال ثان على إمكان البعث بما يعتري الإنسان في أسنانه من الأمور المختلفة والأحوال المتضادة فإن من قدر على ذلك قدر على نظائره وترى الأرض هامة ميتة يابسة من همدت النار إذا صارت رمادا فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وتحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ وربات أي ارتفعت وأنبئت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك إشارة إلى ما ذكر من خلق الإنسان في أطوار مختلفة وتحويله على أحوال متضادة وإحياء الأرض بعد موتها وهو مبتدأ خبره بأن الله هو الحق أي بسبب انه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الأشياء وأنه يحي الموتى وأنه يقدر على إحيائها وإلا لما أحيانا النطفة والأرض الميتة وأنه على كل شيء قدير لأن قدرته لذاته الذي نسبته على الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على إحياء بعض الأموات لزم اقتداره على إحياء كلها وأن الساعة آتية لا ريب فيها فإن التغيير من مقدمات الانصرام وطلائعه وأن الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تكرير للتأكيد ولم نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على أنه لا سند له عن استدلال أو وحي أو الأول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصبح عطف ال هدى وال كتاب عليه ^ ^ ثاني عطفه متكبيرا وثنى العطف كناية عن التكبر كلي الجيد أو معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين أي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة للجدال وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء على أن إعراضه عن الهدى المتمكن منه بالإقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى إلى الضلال وأنه من حيث مؤداه كالغرض له في الدنيا خزي وهو ما أصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق المحروق وهو النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات أو إرادة القول أي يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وأن الله ليس بظلام للعبيد وإنما هو مجاز لهم على أعمالهم والمبالغة

لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد اله على حرف على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فإن أحس بظفر قر وإلا فر فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه روي أنها نزلت في أعراب قدموا المدينة فكان أحدهم إذا صح بدنه وتنجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سوبا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا وانقلب وعن أبي سعيد أن يهوديا أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالإسلام فأتى

النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقلني فقال إن الإسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا والآخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ حاسرا بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيحا على خسارته أو على أنه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين إذ لا خسران مثله يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من أبعد في التيه ضالا يدعو لمن ضره بكونه معبودا لأنه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة أقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها إلى الله تعالى واللام معلقة ل يدعو من حيث إنه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد أو داخل على الجملة

الواقعة مقولا إجراء له مجرى قول أي يقول الكافر ذلك بدعاء وصرخ حين يرى استضراره به أو مستأنفة على أن يدعو تكرير للأول ومن مبتدأ خبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير صاحب إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد من إثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك الطالح لا دافع له ولا نافع من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة كلام فيه اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فليستقص في إزالة غيظه أو جزعه بأن يفعل كل ما يفعله الممثل غيظا أو المبالغ جزعا حتى يمد حبالا إلى سماء بيته فيختنق من قطع إذا اختنق فإن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاربه وقيل فليمدده حبالا إلى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره أو تحصيل رزقه وقرأ ورش وأبو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام 0 فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن في كيدته فعله ذلك وسماه على الأول كيدا لأنه منتهى ما يقدر عليه ما

يغيظ غيظه أو الذي يغيظ من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطأوه نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الإنزال أنزلنا القرآن كله ^ آيات بينات ^ واضحات ^ وأن الله يهدي ^ ولأن الله يهدي به أو يثبت على الهدى من يريد هدايته أو إثباته أنزله كذلك مينا إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة بحكومة بينهم وإظهار المحق منهم على المبطل أو الجزاء فيجازي كلا ما يليق به ويدخله المحل المعدل له وإنما أدخلت إن على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التأكيد إن الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لأحواله ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض يستخر لقدرته ولا يتأتى عن تدبيره أو يدل بذلته على عظمته مدبره ومن يجوز أن يعم أولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجال والشجر والدواب أفرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف أو الجمع بين السككين

وكثير ممن الناس عطف عليها إن جوز إ ' مال اللفظ الواحد فيكل واحد من مفهوميه وإسناده باعتبار أحدهما إلى أمر وباعتبار الآخر إلى آخر فإن تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند إليهم أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه خبر قسيمة نحو حق له الثواب أو فاعل فعل مضمرة أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب بكفره وإبائه عن الطاعة ويجوز أن يجعل وكثيرا تكريرا للأول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وأن يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرىء حق بالضم وحقا بإضمار فعله ومنهين الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرىء بالفتح بمعنى الإكرام إن الله يفعل ما يشاء من الإكرام والإهانة هذان خصمان أي فوجان مختصمان ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس لجاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون في ربهم في دينه أو في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود نحن أحق بالله وأقدم منكم كتابا ونبيا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله أمانا بمحمد ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ^ قطعت لهم قدرت لهم على مقادير جثهم وقرىء بالتخفيف ثياب من نار نيران تحيط بهم إحاطة الثياب يصيب من فوق رؤوسهم الحميم حال من الضمير في لهم أو خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما في بطونهم والجلود أي يؤثر من فرط حرارته في بطونهم تأثيره في ظاهرهم فتذاب به أحشائهم كما تذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم أو من ضميرهم وقرىء بالتشديد للتكثير ^ ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها وجمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به أي بكف بعنف كلما أرادوا أن يخرجوا منها ^ من النار ^ من غم من عمومها بدل من الهاء بإعادة الجار أعيدوا فيها أي فخرجوا أعيدوا لأن الإعادة لا تكون إلا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم إلى أعلاها فيضربون بالمقامع فيهرون فيها وذوقوا أي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق أي النار البالغة في الإحراق إن الله يجهل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها النهار غير الأسلوب فيه وأسند الإدخال إلى الله تعالى وأكده بأن إحماما لحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم يحلون فيها من حليت المرأة إذا ألبستها الحلى وقرىء بالتخفيف والمعنى واحد من أساور صفة مفعول محذوف و أساور جمع أسورة وه جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤا عطف عليها لا على ذهب لأنه لم يعهد السوار منه غلا يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها أو إضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وترك أبو بكر والسوسي عن أبي عمرو الهمزة الأولى وقرىء لؤلؤا بقلب الصانية واوا ولوليا بقلبهما ولوين ثم قلب الثانية ياء و لوليا بقلبهما ياءين ولول كأدل و ^ ولباسهم فيها حرير ^ غير أسلوب الكلام فيه للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة أو للمحافظة على هيئة الفواصل ^ وهدوا إلى الطيب من القول ^ وهو قولهم ^ الحمد لله الذي صدقنا وعده ^ أو كلمة التوحيد ^ وهدوا إلى صراط الحميد ^ المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة أو الحق أو المستحق لذاته الحمد وهو الله سبحانه وتعالى وصراط الإسلام ^ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ^ لا يريد به حالا ولا استقبالا وإنما يريد به استمروا الصد منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر إن محذوف دل عليه آخر الآية أي معذبون ^ والمسجد الحرام ^ عطف على إسم الله وأوله الخفية بمكة واستشهدوا بقوله ^ الذي جعلناه

للناس سواء العاكف فيه والباد ^ أي المقيم والطارىء على عدم جواز بيع دورها وإجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى ^ الذين أخرجوا من ديارهم ^ وشراء عمر رضي الله تعالى عنه دار السجن فيها من غير نكير و سواء خير مقدم والجملة مفعول ل ثان ل جعلناه إن جعل للناس حالا من الهاء وإلا فحال من المستكن فيه وصبه حفص على أنه المفعول أو الحال و العاكف مرتفع به وقرىء العاكف بالجر على أنه بدل من الناس ^ ومن يرد فيه ^ مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرىء بالفتح من الورود بإلحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان أو الثاني بدل من الأول بإعادة الجار أو صلة له أي مجلدا بسبب الظلم كالإشراك واقتراف الآثام ندقه من عذاب أليم جواب ل من ^ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ^ أي واذكر إذ عيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف أي وإذ أنزلناه فيه قيل رفع البيت إلى السماء وانطمس أيام الطوفان فأعلمه الله مكانه بريح أرسلها فكنتست ما حوله فبناه على اسمه القديم ^ أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ^ أن مفسرة ل بوأنا من حيث إنه تضمن معنى تعبدنا لأن التبوئة من أجل العبادة أو مصدرية موصولة بالنهاي أي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وطهر بيتي من الأوثان والأقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل بإقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرىء يشرك بالياء وقرأ نافع وحفص وهشام بيتي بفتح الياء ^ وأذن في الناس ^ ناد فيهم وقرىء وأذن بالحج بدعوة الحج والأمر به روي أنه عليه الصرة والسلام صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه الله من أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه أن يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بذلك في حجة الوداع ^ يأتوك رجالا ^ مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرىء بضم الراء مخفف الجيم ومثقلة ورجالي كعجالي ^ وعلى كل ضامر ^ أي وركبنا على كل بعير مهزول أتعب بعد السفر فهزله يأتين صفة ل ضامر محمولة على معناه وقرىء يأتون صفة للرجال والركبان أو استئناف فيكون الضمير ل الناس ^ من كل فج ^ طريق عميق بعيد وقرىء معيق يقال بئر بعيدة العمق والمع بمعنى ليشهدوا ليحضروا منافع لهم دينية وديوية وتنكيرها لأن المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند إعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لأن ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيهها على أنه

المقصود مما يتقرب به إلى الله تعالى أيام معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل أيام النحر على ما رزقهم من بهيمة الأنعام علق الفعل بالمروزق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيهها على مقتضى الذكر فكلوا منها من لحومها أمر بذلك إباحة وإزالة لما عليه أهل الجاهلية من التحرج فيه أو ندبا إلى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في المتطوع به دون الواجب وأطعموا البائس الذي أصابه بؤس أي شدة الفقر المحتاج والمر فيه للوجوب وقد قيل به في الأول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والأظفار وتنف الإبط والإستجداد عند الحلال وليوفوا نذورهم ما يندرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرأ أبو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذين به تمام التحلل فإنه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع وقرأ ابن عامر وحده بكسر اللام فيهما بالبيت العتيق القديم لأنه أول بيت وضع للناس أو المعتقد من تسلط الجبابرة فكم من جبار رسا إليه ليهدمه فمنعه الله تعالى وأما الحجاج فإنما قصد إخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ذلك خبر

محذوف أي المر ذلك وهو وأمثاله تطلق لفصل بين كلامين ومن يعظم حرمان الله أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه أو الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرّم فهو خير له فالتعظيم خير له ^ عند ربه ثواباً وأحلت لكم النعام إلا ما يتعلّى عليكم إلا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس من الأوثان فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان كما تجتنب النجاس وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فإن عبادة الأوثان رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبعه ذلك رداً لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الأوثان والإفتراء على الله تعالى بأنه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لم روي أنه عليه الصلاة والسلام قال عدلت شهادة الزور الإشراف بالله تعالى ثلاثاً وتلا هذه الآية و والزور من الزور وهو الإنحراف كما أن الإفك من الإفك وهو الصرف فإن الذب منحرف عن الواقع ^ حنفاء لله ^ مخلصين له ^ غير مشركين به ^ وهما حالان من الواو ^ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ^ لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر ^ فتخطفه الطير ^ فإن الهواء الرديئة توزع أفكاره وقرأ نافع وحده فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء ^ أو تهوى به الريح في مكان سحيق ^ بعيد فإن الشيطان قد طرح به في الضلالة وأو للتخير كما قوله تعالى ^ أو كصيب من السماء ^ أو للتبوع فإن من المشركين من لا خلاص له أصلاً ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلك نفسه هلاكاً يشبه أحد الهالكين ^ ذلك ومن يعظم شعائر الله ^ دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه أو الهدايا لأنها من معالم الحج وهو أوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها أن تختارها حسناً سماناً عالية الأثمان روي أنه صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفة برة من ذهب وأن عمر رضي الله تعالى عنه أهدى نجبية طلبت منه بثلاثمائة دينار ^ فإنها من تقوى القلوب ^ فإن تعظيمها منه من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد إلى من وذكر القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور أو الأمانة بهما

للكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق أي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها إلى أن تنحر ثم وقت نحرها منتهية إلى البيت أي ما يديه من الحرم و ثم تحتلم التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة أي لكم فيها منافع دينوية إلى وقت النحر وبعده منافع دينية أعظم منها وهو على الأولين إما متصل بحديث النعام والضمير فيه لها أو المراد على الأول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها إلى أجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية إلى البيت العتيق الذي ترفع عليه الأعمال أو يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة وعلى الثاني ^ لكم فيها منافع ^ التجارات في الأسواق إلى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منه منتهية إلى الكعبة بالإحلال بطواف الزيارة ^ ولكل أمة ^ ولك أهل دين ^ جعلنا منسكاً ^ متعبداً أو قرباناً يتقربون به إلى الله وقرأ حمزة والكسائي بالكسر أي موضع نسك ^ ليذكروا إسم الله ^ دون غيره ويجعلون نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيهاً على أن المقصود من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة النعام عند ذبحها وفيه تنبيه على أن قربان يجب أن يكون نعماً ^ فالهكم إليه واحد

فله أسلموا ^ أخلصوا التقرب أو الذكر ولا تشوبوه بالإشراك ^ وبشر المخبتين ^ المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبات صفتهم للذين إذا ذكر اله وجلت قلوبهم هيبة منه لإشراق أشعة جلاله عليها ^ والصابرين على ما أصابهم ^ من الكلف والمصائب ^ والمقيمي الصلاة ^ في أوقاتها وقرىء والمقيمين الصلاة على الأصل ^ ومما رزقناهم ينفقون ^ في وجوه الخير والبدن جمع بدنه كخشب وخشبة وأصله الضم وقد قرىء به وإنما سميت بها الإيل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقرة لها في أجزائها عن سبعة بقوله عليه الصلاة السلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره ^ جعلناها لكم ^ ومن رفعه جعله مبتدأ ^ من شعائر الله ^ من أعلام دينه التي شرعها الله تعالى ^ لكم فيها خير ^ منافع دينية وذنيوية ^ فاذكروا اسم الله عليها ^ بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك صواف قائمات قد صفن أيديهن وأرجلهن وقرىء صوافن من صفن الفرس إذا قام على ثلاث وعلى طرف حافر الرابعة لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث وقرىء صوافنا بإبدال التنوين منحرف الإطلاق عند الوقف وصوافي أي خوالص لوجه الله وصوافي بسكون الياء على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم أعط القوس باريها ^ فإذا وجبت جنوبها ^ سقطت على الأرض وهو كناية عن الموت ^ فكلوا منها وأطعموا القانع ^ الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده

قراءة القنع أو السائل من قنعت عليه قنوعا إذا خضعت له في السؤال والمعتبر والمعترض بالسؤال وقرىء والمعتري يقال عره وعرراه واعتراه واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما ^ سخرناها لكم ^ مع عظامها وقوتها حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ث تطعنون في لباتها ^ لعلكم تشكرون ^ إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص ^ لن ينال الله ^ لمن يصيب رضاه ولني قع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث إنها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم إلى تعظيم أمره تعالى والتقريب إليه والإخلاص له وقيل كان أهل الجاهلية إذا ذبحوا القرابين لطحوا الكعبة بدمائها قربة إلى الله تعالى فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلًا له بقوله لتكبروا الله أي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الإحلال أو الذبح على ما هاكم أرشدكم إلى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها و ما تحتمل المصدرية والخيرية و على متعلقة ب لتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما يأتونه ويذرونه إن الله يدفع عن الذين آمنوا غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع أي يباليغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه إن الله لا يحب كل خوان في أمانة الله كفور لنعمته كمن يتقرب إلى الأصنام بذبيحته فلا يرتضي عنهم ولا ينصرهم أذن رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله للذين يقاتلون المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء أي الذين يقاتلهم المشركون بأنهم ظلموا بسبب أنهم ظلموا وهم

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت وهي أول آية نزلت في القتال بعدما نهى عنه في نيف وسبعين آية

وإن الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم الذين أخرجوا من ديارهم يعن مكة بغير حق بغير موجب استحقوه به ألا أن يقولوا ربنا الله على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكنائس وقيل منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل وقرأ نافع دفاع وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهبانية وبيع بيع النصارى وصلوات كنائس اليهود سميت بها لأنها يصلى فيها وقيل أصلها صلوتا بالعبرانية فعربت ومساجد مساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للأربع أو لمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه وقد أنجز وعده بأن سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاشرة العجم وقياصرتهم وأورثهم أرضهم وديارهم إن الله لقوي ^ على نصرهم ^ عزيز لا يمانعه شيء الذين إن مك ن اهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين أخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين إذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الأمور فإن مرجعها إلى حكمه وفيه تأكيد لما وعده وإن يكذبوك فقد كذبت قلوبهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط

وأصحاب مدين تسلية له صلى الله عليه وسلم بأن قومه إن كذبوه فهو ليس بأوحدي في التكذيب فإن هؤلاء قد كذبوا رسلم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لأن قومه بو إسرائيل ولم يكذبوه وإنما كذبه القبط ولأن تكذبه كان أشنع وآياته كانت أعظم وأشنع فأملت للكافرين فأمهلتهم حتى انصرفت آجالهم المقدرة ثم أخذتهم فكيف كان نكير أي إنكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكا والعمارة خرابا فكأين من قرية أهلكتها بإهلاك أهلها وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة أي أهلها فهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها بأن تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم انهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا ب خاوية ويجوز أن يكون خبر بعد خبر أي هي خالية وهي على عروشها أي مطلة عليها بأن سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على أهلكتها لا علي ^ وهي ظالمة ^ فإنها حال والإهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها إن نصبت كأي بمقدر يفسره أهلكتها وإن رفعته بالابتداء فمحلها الرفع وبئر معطلة عطف على قرية أي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقي منها لهلاك أهلها وقرئ بالتخفيف ممن أعطله بمعنى عطلة وقصر مشيد مرفوع أو مجصص أخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي أن معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ب بئر بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كان لقوم حنظلة بن صفوان من قوم صالح فلما قتلوه أهلكهم الله تعالى وعطلهما أفلم يسيروا في الأرض حث لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهو وإن كانوا قد سافروا فلم يسافروا لذلك فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما

يجب أن يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال أو آذان يسمعون بها ما يجب أن يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم فإنها الضمير للقصة أو مبهم يفسره الأبصار وفي تعمى راجع إليه والظاهر أقيم مقامه لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن الاعتبار أي ليس الخلل في مشاعرهم وإنما أيفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتأكيد

ونفي التجوز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزل من كان في هذا أعمى قال ابن أم مكتوم يا رسول الله أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فنزلت فإنها لا تعمى الأبصار ^ ^ ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما أوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون بيان لتناهي صبره وتأنيبه حتى استقصر المدد الطوال أو لتمادي عذابه وطول أيامه حقيقية أو من حيث إن أيام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء

^ ^ وكأين من قرية وكم من أهل قرية فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في الإعراب ورجع للضمائر والأحكام مبالغة في التعميم والتهويل وإنما عطف الأولى بالفاء وهذه الواو لأن الأولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان أن المتوعد به يحق بهم لا محالة وأن تأخيره لعادته تعالى أمليت لها كما أمهلتكم وهي ظالمة مثلكم ثم أخذتها بالعذاب وإلى المصير وإلى حكمي مرجع الجميع قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين أوضح لكم ما أنذركم به والاقتصار على الإنذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لأن صدر الكلام ومساقه للمشركين وإنما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق كريم هي الجنة وال كريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا في آياتنا بالرد والإبطال معاجزين مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق عن عاجزه فأعجزه وعجزه إذا سابقه فسبقه لا كلا من المتسابقين يطلب إعجاز الآخر عن اللحوق به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين على أنه حال مقدرة أولئك أصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة

^ ^ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله بشريعة جديدة يدعو الناس إليها والنبي بعثه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وسلم علماء أمته بهم فالنبي أعم من الرسول وبدل عليه أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع إلى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى عليه في المنام إلا إذا تمنى زور في نفسه ما يهواه ألقى الشيطان في أمنيته في تشبيهه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال

عليه الصلاة والسلام وإنه ليغان على قلبي فاستغفر الله سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون عليه والإرشاد إلى ما يزيحه لم يحكم الله آياته ث بيت آياته الداعية إلى الإستغراق في أمر الآخرة والله عليم بأحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم عليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فأخذ يقرؤها فلما بلغ ^ ومناة الثالثة الأخرى ^ وسوس عليه الشيطان حتسب لسانه سهوا إلى أن قال تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمم ولا مشرك إلا سجدت نبيه جبريل عليه السلام فأغتم لذلك فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وإن صح فابتلاء

يتميز به الثابت على الإيمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقوله تمنى كتاب
الله أول ليله تمنى داود الزبور على رسل
وأمنيته قراءته وإلقاء الشيطان فيها أن تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون
أنه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد أيضا بأنه يخل بالوثوق على
القرآن ولا يندفع بقوله ^ فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ^ لأنه
أيضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الأنبياء وتطرق الوسوسة إليهم ^
ليجعل ما يلقي الشيطان ^ علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على أن المقى أمر
ظاهر عرفه المحق والمبطل ^ فتنة للذين في قلوبهم مرض ^ شك ونفاق
والقادية

قلوبهم المشركين ^ إن الظالمين ^ يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم
قضاء عليهم بالظلم ^ لفي شقاق بعيد ^ عن الحق أو عن الرسول والمؤمنين ليعلم
الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك أن القرآن هو الحق النازل من عند الله أو
تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق الصادر من الله لأنه مما جرت به عادته في
الإنس من لدن آدم ^ فيؤمنوا به ^ بالقرآن أو بالله ^ فتخت له قلوبهم ^ بالإنقياد
والخشية وإن الله لهادي الذين آمنوا فيما أشكل ^ إلى صراط مستقيم ^ هو نظر
صحيح يوصلهم إلى ما هو الحق فيه ^ ولا يزال الذين كفروا في مرية ^ في شك
منه من القرآن أو الرسول أو مما ألقى الشيطان في أمنيته يقولن ما باله ذكرها
بخير ثم ارتد عنها ^ حتى تأتيهم الساعة ^ القيامة أو أشراتها أو الموت بغتة فجأة
^ أو يأتيهم عذاب يوم عقيم ^ يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لأن أولاد النساء
يقتلون فيه فيصرن كالعقم أو لأن المقاتلين أبناء الحرب فإذا قتلوا صارت عقيما
فوصف ايوم بوصفها اتساعا أو لأنه لا خير لهم فيه ومنه الريح القيم لما لم تنشيء
مطرا ولم لقح شجرا أو لأنه لا مثل له لقتال الملائكة فيه أيوم القيامة على أن
المراد بن الساعة غيره أو على وضعه موضع ضميرها للتهويل ^ الملك يومئذ لله ^
التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية أي يوم تزول مرتبهم ^ يحكم
بينهم ^ بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله ^ فالذين آمنوا
وعملوا الصالحات في جنات النعيم ^

والذين كفروا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين وإدخال الفاء في خبر الثاني دون الأول
تنبيه على أن إثابة المؤمنين بالجنات تفضيل من الله تعالى وأن عقاب الكافرين
مسبب عن أعمالهم فلذلك قال ^ لهم عذاب ^ ولم يقل هم عذاب ^ والذين
هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا ^ في الجهاد ^ أو ماتوا ليرزقهم الله رزقا حسنا ^
الجنة ونعيمها وإنما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف أنفه في الوعد لا
ستوائهما في القصد وأصل العمل روي أن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم
قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن
نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا فنزلت ^ وإن الله لهو خير الرازقين ^ فإنه
يرزق بغير حساب ^ ليدخلهم مدخلا يرضونه ^ هو الجنة فيها ما يحبونه ^ وإن الله
لعليم ^ بأحوالهم وأحوال معادهم حليم لا يعاجل في العقوبة ذلك أي المر ذلك ^
ومن عاقب بمثل ما عوقب به ^ ولم يزد في الإقتصاص وإنما سمي الإبتداء بالعقاب
الذي هو الجزاء للإزدواج أو لأنه سببه ثم يفي عليه بالمعاودة إلى العقوبة ^ لينصرنه
الله ^ لا محالة ^ إن الله لعفو غفور ^ للمنتصر حيث اتبع هواه في الإنتقام
وأعرض عما نذب الله عليه بقوله ولمن صبر وغفران ذلك لمن عزم الأمور ووفيه
تعريض بالحث على العفو والمغفرة فإنه تعالى مع كمال قدرته وتعالى شأنه لما كان

يعفو ويغفر فغيره بذلك أولى وتنبه على أنه تعالى قادر على العقوبة إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده

ذلك أي ذلك النصر ^ بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ^ بسبب أن الله تعالى قادر على تغليب الأمور بعضها على بعض جار عادته على المداولة بين الأشياء المتعاددة ومن ذلك إيلاج أحد الملوك في الآخر بأن يزيد فيه ما ينقص منه أو بتحصيل ظلمة الليل في مكان النهار بتغيب الشمس وعكس ذلك باطلاعها ^ وأن الله سميع ^ يسمع قول المعاقب بصير يرى أفعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم ^ بأن الله هو الحق ^ الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فإن وجوب وجوده ووحدته يقتضيان أن يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه أو الثابت الإلهية ولا يصلح لها إلا من كان قادرا عالما ^ وأن ما يدعون من دونه ^ إليها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرأ بالبناء للمفعول فتكون الواو لما فإنه في معنى الآلهة ^ هو الباطل ^ المعدوم في حد ذاته أو باطل الألوهية ^ وأن الله هو العلى ^ عن الأشياء الكبير على أن يكون له شريك لا شيء أعلى منه شأنها وأكبر منه سلطانا لم تر أن الله أنزل من السماء ماء استفهام تقرير ولذلك رفع ^ فتصبح الأرض مخضرة ^ عطف على أنزل إذ لو نصب جوابا لدل على نفي الإضرار كما في قولك ألم تر أني جئتكم فتكرمني والمقصود إثباته وإنما عدل به عن صبغة الماضي للدلالة على بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان ^ إن الله لطيف ^ يصل علمه أو لطفه إلى كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا ^ وإن الله لهو الغني ^ في ذاته عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله أمل تر أن الله سخر لكم ما في الأرض جعلها مذكاة لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما أو على إسم أن وقرىء بالرفع على الإبتداء تجري

^ في البحر بأمره ^ حال منها أو خبر ^ ويمسك السماء أن تقع على الأرض ^ من أن تقع أو كراهة بأن خلقها على صورة متداعية إلى الاستمسك ^ إلا بإذنه ^ إلا بمشيته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمسكها بذاتها فإنها مساوية لسائر الأجسام في الجسيمة فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ^ إن الله بالناس لرؤوف رحيم ^ حيث هيا لهم أسباب الاستدلال وفتح عليهم أبواب المنافع ودفع عنها أبواب المضار ^ وهو الذي أحياكم ^ بعد أن كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميناكم إذا جاء أجلكم ^ ثم يحييكم ^ في الآخرة ^ إن الإنسان لكفور ^ لجحود لنعم الله مع ظهورها ^ لكل أمة ^ أهل دن ^ جعلنا منسكا ^ متعبدا أو شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا ^ هم ناسكوه ^ ينسكونه فلا ينازعك سائر أرباب الملل ^ في الأمر ^ في أمر الدين أو النسائك لأنهم بين جهال وأهل عناد أو لأن أمر دينك أظهر من أن يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم بين جهال وأهل عناد أو لأن أمر دينك أظهر من أن يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات إلى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية إلى نزاعهم فإنها إنما تنفع طالب الحق وهؤلاء أهل مرآة أو عن منازعتهم كقولك لا يضار بك زيد وهذا إنما يجوز في أفعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعك على تهيج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على أنه من نازعته فنزعته إذا غلبته ^ وادع إلى ربك ^ إلى توحيدهِ وعبادته ^ إنك لعلى هدى مستقيم ^ طريق إلى الحق سوي ^ وإن جادلوك ^ وقد ظهر الحق ولزمت الحجة ^ فقل الله أعلم بما تعملون ^ من المجادلة الباطلة

وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق ^ الله يحكم بينكم ^ يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب ^ يوم القيامة ^ كما فصل في الدنيا بالحج والآيات ^ فيما كنتم فيه تختلفون ^ من أمر الدين ^

^ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض ^ فلا يخفى عليه شيء ^ إن ذلك في كتاب ^ هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك أمرهم مع علمنا به وحفظنا له ^ إن ذلك ^ إن الإحاطة به وإثباته في اللوح المحفوظ أو الحكم بينكم ^ على الله يسير ^ لأن علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء ^ ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا ^ حجة تدل على جواز عبادته ^ وما ليس لهم به علم ^ حصل لهم من ضرورة العقل أو استدلاله ^ وما للظالمين ^ وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم ^ من نصير ^ يقرر مذهبهم أو يدفع العذاب عنهم ^ وإذا تلى عليهم آياتنا ^ من القرآن بينات وواضحات الدلالة على العقائد الحقية والحكام الإلهية تعرف في وجوه الذين كفروا والمنكر الإنكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لأباطيل أخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللإشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير أو ما يقصدونه من الشر ^ يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ^ يشون ويبطشون بهم ^ قل أفأنبئكم بشر من ذلكم ^ من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم أو مما أصابكم من الصخر بسبب ما تلوا عليكم النار أي هو النار كأنه جواب سائل قال ما هو ويجوز أن يكون مبتدأ خبره ^ وعدّها الله الذين كفروا ^ وقرىء بالنصب على الإختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استئنفا كما إذا رفعت خبرا أو حالا منها ^ وبئس المصير ^ النار ^ يا أيها الناس ضرب مثل ^ بين لكم حال مستغربة أو قطة رائعة ولذلك سماها مثلا أو جعل لله مثل أي مثل في أستحقاق العبادة ^ فاستمعوا له ^ للمثل أو لشأنه استماع تدبر وتفكر ^ إن الذين تدعون من دون الله ^ يعني الأصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرىء مبنيا للمفعول والراجع إلى الموصول محذوف على الأولين ^ لن يخلقوا ذبابا ^ لا يقدرون على خلقه مع صغره لأن لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه و الذباب من الذب لأنه يذب وجمعه أذبة وذبان ^ ولو اجتمعوا له ^ أي للخلق هو بجوابه المقدر في موضع حال جيء به للمبالغة أي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف إذا كانوا منفردين وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنفذوه منه جهلهم غاية التجهيل بأن أشركوا عليها قدر على المقدورات كلها وتفرد بإيجاد الموجودات بأسرها تماثل هي أعجز الأشياء وبين ذلك بأنها لا تقدر على خلق أقل الأحياء وأذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومته هذا الأقل الأذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنفاذ ما يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ^ ضعف الطالب والمطلوب ^ عابد الصنم ومعبوده أو الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب أو الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم أضعف بدرجات ^ ما قدروا الله حق قدره ^ ما عرفوه حق معرفته حيث أشركوا به وسموا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه مناسبة إن الله لقوي على خلق الممكنات بأسرها عزيز لا يغلبه شيء وآلهتهم التي يعبدونها عاجزة عن أقلها مقهورة من أذلها ^ الله يصطفي من الملائكة رسلا ^ يتوسطون بينه وبين الأنبياء بالوحي ^ ومن الناس ^ يدعون سائرهم إلى الحق ويبلغون إليهم ما نزل عليهم كأنه لما قرر وحدانيته في الألوهية ونفى أن يشاركه غيره في صفاتها بين أن له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل بإجابتهم

والاقتداء بهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وهو أعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن سواه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ^ ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ^ والملائكة بنات الله تعالى ونحو ذلك ^ إن الله سميع بصير ^ مدرك للأشياء كلها ^ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ^ عالم بواقعها ومترقبها ^ وإلى الله ترجع الأمور ^ وإليه ترجع الأمور لأنه مالطها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون ^ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ^ في صلاتكم أمرهم بهما لأنهم ما كانوا يفعلونها أول الإسلام أو صلوا وعبر عن الصلاة بهما لأنهما أعظم أركانها أو أخضعوا الله وخروا سجدا ^ واعبدوا ربكم ^ بسائر ما تعبدكم به ^ وافعلوا الخير ^ وتحروا ما هو خير وأصلح فيما تاتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الأرحام ومكارم الأخلاق ^ لعلكم تفلحون ^ أي افعلوا هذه كلها وأنتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على أعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الأمر بالسجود ولقوله عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدة من لم يسجدهما فلا يقرؤها ^ وجاهدوا في الله ^ أي والله ومن أجله أعداء دينه الظاهرة كاهل الزيف والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام أنه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد

الأصغر إلى الجهاد الأكبر ^ حق جهاده ^ أي جهادا فيه أي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم وأضيف الجهاد إلى الضمير اتساعا أو لأنه مختص بالله من حيث أنه مفعول لوجه الله تعالى ومن أجله ^ هو اجتياكم ^ اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعي إليه في قوله ^ وما جعل عليكم في الدين من حرج ^ أي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم إشارة إلى أنه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه أو إلى الرخصة في إغفال بعض ما أمرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بأن جعل لهم من كل ذنب مخرجا بأن رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والأروش والديات في حقوق العباد ^ ملة أبيكم إبراهيم ^ منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف أي وسع دنكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم أو على الإغراء أو على الاختصاص وإنما جعله أباهم لأنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالأب لأمته من حيث إنه سبب لحياتهم الأبدية ووجودهم على الوجه

المعتد به في الآخرة أو لأن أكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هوة سماكم المسلمين من قبل من قبل القرآن في الكتب المتقدمة ^ وفي هذا ^ وفي القرآن والضمير لله تعالى ويدل عليه أنه قرىء الله سماكم أو ل إبراهيم وتسميتهم بمسلمين في القرآن وإن لم تكن منه كانت بسبب تسميته من قبل في قوله ^ ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ^ وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته إياكم مسلمين ^ ليكون الرسول ^ يوم القيامة متعلق بسماكم ^ شهيدا عليكم ^ بأنه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته أو بطاعة من أطاع وعصيان من عصى ^ وتكونوا شهداء على الناس ^ بتبليغ الرسل إليهم فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فتقربوا إلى الله تعالى بأنواع

الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف ^ واعتصموا بالله ^ وثقوا به في مجامع أموركم ولا تطلبوا الإعانة والنصرة إلا منه ^ هو مولاكم ^ ناصركم ومتولي أموركم ^ فنعم المولى ونعم النصير ^ هو إذ لا مثل له سبحانه في الولاية والنصرة بل لا

مولى ولا نصير سواه في الحقيقة عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنون مكية وهي مائة وتسع عشرة آية عند البصريين وثمانية عشرة عند الكوفيين بسم الله الرحمن الرحيم ^ قد أفلح المؤمنون ^ قد فازوا بأمانهم وقد ثبت المتوقع كما أن لما تنفيه وتدل على ثباته إذا دخلت على الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع ^ قد أفلح ^ بإلقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئـء أفلحوا على لغة أكلوني البراغيث أو على الإيهام والتفسير و أفلح بالضم اجترأ بالضمعة عن الواو أفلح على البناء للمفعول ^ الذين هم في صلاتهم خاشعون ^ خائفون من الله سبحانه وتعالى متذللون له ملزمون أبصارهم مساجدهم روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي رافعا بصره إلى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ^ والذين هم عن اللغو ^ عما لا يعينهم من قول أو فعل معرضون لما بهم من

الجد ما شغلهم عنه وهو أبلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه وإقامة الإعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فإنه أصله أن يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله ^ والذين هم للزكاة فاعلون ^ وصفهم بالخشوع ليدل على أنهم بلغوا الغاية في لقيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائرما توجب المروءة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الأول لأن الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه أو الثاني على تقدير مضاف ^ والذين هم لفروجهم حافظون ^ لا يبذلونها ^ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ^ زوجاتهم أو سرياتهم و على صلة ل حافظون من قولك أحفظ على عنان فرسي أو حال أي حافظوها في كافة الأحوال إلا في حال التزوج أو التسري أو بفعل دل عليه غير ملومين وإنما قال ما إجراء للماليك مجرى غير العقلاء إذ الملك أصل شائع فيه وإفراد ذلك بعد تعميم قوله ^ والذين هم عن اللغو معرضون ^ لأن المباشرة أشهى الملاهي إلى النفس وأعظمها خطرا ^ فإنهم غير ملومين ^ الضمير لحافظون أو لمن دل عليه الاستثناء أي فإن بذلوا لأزواجهم أو إمائهم فإنهم غير ملومين على ذلك ^ فمن ابتغى وراء ذلك ^ المستثنى ^ فأولئك هم العادون ^ الكاملون في العدوان

^ والذين هم لأماناتهم وعهدهم ^ لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق راعون قائمون بحفظها وإصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفي المعارج لأمانتهم على الأفراد ولأمن الإلباس أو لأنها في الأصل مصدر ^ والذين هم على صلواتهم يحافظون ^ يواظبون عليها ويؤدونها في أوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به أولا فإن الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها وفي تصدير الأوصاف وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها أولئك الجامعون لهذه الصفات ^ هم الوارثون ^ الأحقاء بأن يسموا وراثا دون غيرهم ^ الذين يرثون الفردوس ^ بيان لما يرثونه وتقيد للوراثة بعد إطلاقها تفخيما لها وتأكيذا وهي مستعارة لاستقاقهم الفردوس من أعمالهم وإن كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل إنهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لأنه تعالى خلق لكل إنسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار ^ هم فيها

خالدون ^ أنت الضمير لأنه اسم للجنة أو لطبقتها العليا ^ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة ^ من خلاصة سلت من بين الكدر ^ من طين ^ متعلق بمحذوف لأنه صفة ل سلالة أو من بيانية أو بمعنى سلالة لأنها في معنى مسلوقة فتكون ابتدائية كأولى والإنسان آدم عليه الصلاة والسلام خلق من صفوة سلت من الطين أو الجنس فإنهم خلقوا من سلالات جعلت نطفًا بعد أدوار وقيل المراد بالطين آدم لأنه خلق منه والسلالة نطفته ^ ثم جعلناه ^ ثم جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء ^ في قرار ^

مكين مستقر حصين يعني الرحم وهو في الأصل صفة للمستقر وصف به المحل للمبالغة كما عبر عنه بالقرار ^ ثم خلقنا النطفة علقة ^ بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء ^ فخلقنا العلقة مضغة ^ فصيرناها قطعة لحم ^ فخلقنا المضغة عظاما ^ بأن صلبناها ^ فكسونا العظام لحما ^ مما بقي من المضغة أو مما أنتنا عليها مما يصل إليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وأبو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بإفراد أحدهما وجمع الآخر ^ ثم أنشأناه ^ خلقا آخر وهو صورة البدن أو الروح أو القوى بنفخة فيه أو المجموع و ثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به أبو حنيفة على أن من غضب بيضة أفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لأنه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شأنه في قدرته وحكمته أحسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ثم إنكم بعد ذلك لميتون لصائرون إلى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم إنكم يوم القيامة تبعثون للمحاسبة والمجازاة

^ ^ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سموات لأنها طروق بعضها فوق بعض مطارقة النعل بالنعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقه أو لأنها طرق الملائكة أو الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات أو عن جميع المخلوقات غافلين مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندير أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة وأنزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره أو بمقدار ما علمنا من صلاحهم فأشكناه فجعلناه ثابتا مستقرا في الأرض وإنا على ذهاب به على إزالته بالإفساد أو التصعيد أو التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على إنزاله وفي تنكير ذهاب إيماء إلى كثرة طرقه ومبالغة في الإيعاد به ولذلك جعل أبلغ من قوله تعالى قل رأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتكم بماء معين ^ فأنشأنا لكم به ^ بالماء ^ جنات من نخيل وأعناب لكم فيها ^ في الجنات ^ فواكه كثيرة ^ تتفكهون بها ومنها ومن الجنات ثمارها وزروعها تأكلون تغذيا أو ترزقون وتحصلون معاشكم من قوله فلان يأكل من حرفته ويجوز أن يكون الضمير أن لل نخيل وال أعناب أي لكم في ثمراتها أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزنب والعصير والحبس وغير ذلك وطعام تأكلونه وشجرة عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء أي ومما أنشأنا لكم

به شجرة نخرج من طور سيناء جبل موسى عليه الصلاة والسلام بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من أن يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة أضيف إليها أو المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف

والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا الألف لأنه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعال كعلباء من السين إذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فإنه فيعال ككيسان أو فعلاء كصحراء لا فعال إذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر ^ تنبت بالدهن ^ أي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز أن تكون الباء صلة معدية ل تنبت كما في قولك ذهبت يزيد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو إما من أنبت بمعنى نبت كقول زهير رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم فطينا لهم حتى إذا أنبت البقل أو على تقدير تنبت زيتونا ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول هو كالأول وشم ربالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان وصيغ للأكلين معطوف على الدهن جار على إعرابه عطف أ د وصفي الشيء على الآخر أي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنيا يدهن به ويسرج منه وكونه إداما يصيغ فيه الخبز أي يغمس فيه للإتدام وقرئ وصباغ كدباغ في ديبغ وإن لكم في النعام لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الألبان أو من العلف فإن اللبن يتكون منه فمن للتبويض أو للإبتداء وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب نسقيكم بفتح النون ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها وأصوافها وشعورها ومنها تأكلون فتنتفعون بأعيانها وعليها وعلى النعام فإن منها ما يحمل عليه كالإبل والبقرة وقيل المراد الإبل لأنها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فإنها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها ^ ^

فيكون الضمير فيه كالضمير في وبعولتهن أحق بردهن ^ ^ وعلى الفلك تحملون ^ في البر والبحر ^ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله إلى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زاولها مالكم من إله غيره استئناف لتعليل المر بالعبادة وقرأ الكسائي غيره بالجر على اللفظ أفلا تتقون أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته إلى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال الملائكة الأشرف الذين كفروا من قومه ^ ^ ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم أن يطلب الفضل عليكم ويسودكم ولو شاء الله أن يرسل رسولا لأنزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا في أبائنا الأولين يعنون نوحا عليه السلام أي ما سمعنا به أنه نبي أو ما كلمهم به من الحث على عبادة الله سبحانه وتعالى وتفي عليه غيره أو من دعوى النبوة وذلك إما لفرط عنادهم أو لأنهم كانوا في فترة متطاولة إن هو إلا رجل به جنة أيجنون ولأجله يقول ذلك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعدما آيس من إيمانهم رب انصرتني بإهلاكهم أو بإنجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون بدل تكذبيهم إياي أو بسببه فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا بحفظنا نحفظه أن تخطيء فيه أو يفسده عليك مفسد ووحينا وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع فإذا جاء أمرنا بالركوب أو نزول العذاب وفار التنور ^ ^ روي أنه قيل لنوح

إذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك فلما نبع الماء منه أخبرته امرأته فركب ومحلّه في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندی وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه أخر ذكرتها في هود ^ فاسلك فيها ^ فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ^ ما سلككم في سقر ^ منكل زوجين اثنين منكل أمتي الذكر والأثني واحدين مزدوجين وقرأ حفص منكل بالتنوين أي من كل نوع زوجين واثنين تأكيد وأهلك وأهل بيتك أو من آمن معك ^ إلا من سبق عليه القول منهم ^ أي القول من الله تعالى بإهلاكه لكفره وإنما جيء بعلی لأن السابق

ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ^ ولا تخاطبني في الذين ظلموا ^ بالدعاء لهم بالإنقاذ ^ إنهم مغرقون ^ لا محالة لظلمهم بالإشراك والمعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد أمره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله ^ فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ^ كقوله تعالى ^ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ^ ^ وقل رب أنزلني ^ في السفينة أو في الأرض ^ منزلا مباركا ^ يتسبب لمزيد الخير في الدارين على قراءة أبي بكر وقرىء منزلا بمعنى إنزالا أو موضع إنزال ^ وأنت خير المنزلين ^ ثناء مطابق لدعائه أمره بأن يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به إلى الإجابة وإنما أفردته بالأمر والمعلق به أن يستوي هو ومن معه إظهار لفضله وإشعارا بأن في دعائه مندوحة عن دعائهم فإنه يحيط بهم ^ إن في ذلك ^ فيما فعل بنوح وقومه آيات يستدل بها ويعتبر أولو الإستبصار

والإعتبار ^ وإن كنا لمبتلين ^ لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم أو ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وإن هي المخففة واللام هي الفارقة ^ ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ^ هم عاد أو ثمود ^ فأرسلنا فيهم رسولا منهم ^ هو هود أو صالح وإنما جعل القول موضع الإرسال ليلد على أنه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وإنما أوحى إليه وهو بين أظهرهم ^ أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ^ تفسير لأرسلنا أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله ^ أفلا تتقون ^ عذاب الله ^ وقال الملا من قومه الذين كفروا ^ لعله ذكر بالواو لأن كلامهم لم يتصل بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم بخلاف قول قوم نوح حيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال ^ وكذبوا بلقاء الآخرة ^ بقاء ما فيها من الثواب والعقاب أو بمعادهم إلى الحياة الثانية بالبعث وأترفناهم ونعمناهم ^ في الحياة الدنيا ^ بكثرة الأموال والأولاد ^ ما هذا إلا بشر مثلكم ^ في الصفة والحالة ^ يأكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ^ تقرير للمائلة و ما خبرية والعائد إلى الثاني منصوب محذوف أو مجرور حذف مع الجار لدلالته ما قبله عليه ^ ولئن أطعتم بشرا مثلكم ^ فيما يأمركم به ^ إنكم إذا لخاسرون ^ حيث أذلتهم أنفسكم و إذا جزاء للشرط وجواب للذين قاوولهم من قومه ^ أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما ^ مجردة عن اللحوم والأعصاب ^ أنكم مخرجون ^ من الأجداث أو من العدم تارة أخرى إلى الوجود و أنكم تكرير للأول أكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره أو أنكم لمخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم أو فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الأول أي أنكم إخراجكم إذا متم أو أنكم إذا متم وقع إخراجكم ويجوز أن يكون خبر الأول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا أن يكون الظرف لأن اسمه جثة ^ هيهات هيهات ^ بعد التصديق أو الصحة ^ لما تواعدون ^ أو بعدما تواعدون واللام للبيان كما في ^ هيت لك ^ كأنهم لما صوتوا بكلمة الإستعباد قيل فما له هذا الإستعباد قالوا ^ لما تواعدون ^ وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما تواعدون وقرىء بالفتح منونا للتكبير وبالضم منونا

على أنه جمع هيةة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبإبدال التاء هاء إن هي إلا حياتنا الدنيا أصله إن الحياة إلا حياتنا الدنيا فأقيم الضمير مقام الأولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير وإشعارا بأن تعيينها مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حياة إلا هذه الحياة لأن أن نافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا

التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا ويولد بعض وما نحن بمبعوثين ^ بعد الموت ^ إن هو ^ ما هو ^ إلا رجل افتري على الله كذبا فيما يدعيه من إرساله له وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال ربي انصرتني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم إياي قال عما قليل عن زمان قليل و ما صلة لتوكيد معنى القلة أو نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب إذا عاينوا العذاب فأخذتهم الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على أن القوم قوم صالح بالحق بالوجه الثالث الذي لا دافع له أو بالعدل من الله كقولك فلان يقضي بالحق أو بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك وهو من المصادر التي تنصب بأفعال لا يستعمل إظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين هي قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من أمة أجلها الوقت الذي حد لها كها و من مزدة للاستغراق وما يستأخرون الأجل ثم أرسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل

من الواو كتولج وتيقور والألف للتأنيث لأن الرسل جماعة وقرأ أبو عمرو وابن كثير بالتنوين على أنه مصدر بمعنى المواترة وقع حالا وأماله حمزة وابن عامر والكسائي كلما جاء أمة رسولها كذبوه إضافة الرسول مع الإرسال إلى المرسل ومع المجيء إلى المرسل إليهم لأن الإرسال الذي هو مبدأ الأمر منه والمجيء الذي هو منتهاه إليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الإهلاك وجعلناهم أحاديث لم نبق منهم إلا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحداث وهي ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ^ ^ ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا بالآيات التسع وسلطان مبين وحة واضحة ملزمة للخصم ويجوز أن يراد به العصا وأفرادها لأنها أول المعجزات وأما تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وأن يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وأن يراد بهما المعجزات فإنهما آيات للنبوة وحة بينة على ما يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم إلى فرعون وملائه فاستكبروا على الإيمان والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا تنى البشر لأنه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فإما ترين من البشر أحدا ولم يئن المثل لأنه في حكم المصدر وهذه القصص كما نرى تشهد بأن قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الأنبياء على أحوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بأدنى تأمل فإن النفوس البشرية وإن تشاركت في أصل القوى والإدراك لكنها متباينة الأقدام فيهما وكما

ترى في جانب النقصان أغبياء لا يعود عليهم الفك برادة يمكن أن يكون في طرف الزيادة أغبياء عن التفكير والتعلم في أكثر الأشياء وأغلب الأحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي إليه علمهم وإليه أشار بقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهم إليه واحد ^ وقومهما يعني بني إسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد فكذبوهم فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد أتينا موسى الكتاب التوراة لعلمهم لعل بني إسرائيل ولا يجوز عود الضمير إلى فرعون وقومه لأن التوراة نزلت بعد إغراقهم يهتدون إلى المعارف والأحكام وجعلنا ابن مريم وأمه آية بولادتها إياه من غير مسيس فالآية أمر واحد مضاف إليهما أو جعلنا ابن مريم آية بأن تتكلم في المهد وظهرت منه معجزات أخر وأمه آية بأن

ولدت من غير مسيس فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها وآويناهم إلى ربوة أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة أو دمشق أو رملة فلسطين أو مصر فإن قراها على الربى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من الأرض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فإن ساكنيها يستقرون فيها لأجلها ومعين وماء طاهر جار فعيل من معن الماء إذا جرى وأصله الإبعاد في الشيء أو من الماعون وهو المنفعة لأنه نفاع أو مفعول من عانه إذا أدركه بعينه لأنه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماءها بذلك لأنه الجامع لأسباب التنزه وطيب المكان

^ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الأنبياء لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعه لأنهم أرسلوا في أزمنة مختلفة بل على معنى أ كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا أوليا ويكون ابتداء كلام تنبيها على أن تهئية أسباب التنعم لم تكن له خاصة وأن إباحة الطيبات للأنبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات أو حكاية لما ذكر لعيسى وأمه عند إيوائهما إلى الربوة ليقنن بالرسول في تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ به من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فإنه المقصود منكم والنافع عند ربكم إنني بما تعملون عليم فأجازيكم عليه وأن هذه أي ولأن هذه والمعلبه فاتقون أو واعلموا أن هذه وقيل إنه معطوف على ماتعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف أمتكم أمة واحدة ملتكم ملة واحدة أي متحدة في الاعتقاد وأصول الشرائع أو جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة ونصب أمة على الحال وأنا ربكم فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا أمرهم بينهم ^ فتقطعوا أمرهم بينهم ^ فتقطعوا أمر دينهم جعلوه أديانا مختلفة أو فترقوا وتحزبوا وأمرهم منصوب بنزع الخافض أو التمييز والضمير لما دل عليه الأمة من أربابها أولها زيرا قطعاً جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فإنه جمع زبرة وهو حال من أمرهم أو من الواو أو مفعول ثان ل فتقطعوا فإنه متضمن معنى جعل وقيل كتبنا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا أو حالا من أمرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل ^ كل حزب ^ من التحزبين ^ بما لديهم ^ من الدين فرحون معجبون معتقدون أنهم على الحق ^ فذرهم في غمرتهم ^ في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لأنهم معمورون بها أو لاعبون بها وقرئ في غمراتهم ^ حتى حين ^ إلى أن يقتلوا أو يمتوا ^ يحسبون أنما نمدهم به ^ أن ما نعطيهم ونجعله لهم مددا ^ من مال وبنين ^ بيان لما وليس خيرا له فإنه غير معاتب عليه وإنما المعاتب عليه اعتقادهم أن ذلك خير لهم خبره ^ نسارع لهم في الخيرات ^ والراجع محذوف والمعنى يحسبون أن الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم وإكرامهم ^ بل لا يشعرون ^ بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا فيه فيعلموا أن ذلك الإمداد استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع و يسرع ويحتمل أن يكون فيهما ضمير المد به و يسارع مبنيا للمفعول ^ إن الذين هم من خشية ربهم ^ من خوف عذابه مشفقون حذرون ^ والذين هم بآيات ربهم ^ المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها ^ والذين هم بربهم لا يشركون ^ شركا جليا ولا خفيا ^ والذين يؤتون ما أتوا ^ يعطون ما أعطوه ما الصدقات وقرئ ^ يأتون ما أتوا ^ أي يفعلون ما فعلوا من الطاعات ^ وقلوبهم وجلة ^ خائفة أن لا يقبل منهم وأن لا يقع على الوجه الاثني

فيؤاخذ به ^ أنهم إلى ربهم راجعون ^ لأن مرجعهم لغيره أو من أن مرجعهم عليه وهو يعلم ما يخفى عليهم ^ أولئك يسارعون في الخيرات ^ يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها أو يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الأعمال بالمبادرة عليها كقوله

تعالى فاتاهم ثواب الدنيا فيكون إثباتا لهم ما نفي عن أصدادهم ^ وهم لها سابقون ^ لأجلها فاعلون سبق أو سابقون الناس إلى الطاعة أو الثواب أبو الجنة أو سابقونها أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله تعالى ^ هم لها عاملون ^ ^ ولا نكلف نفسا إلا وسعها ^ قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ^ ولدنيا كتاب ^ يريد به اللوح أو صحيفة العمال ^ ينطق بالحق ^ بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع ^ وهم لا يظلمون ^ بزيادة عقاب أو نقصان ثواب ^ بل قلوبهم ^ قلوب الكفرة ^ في غمرة ^ في غفلة غامرة لها ^ من هذا ^ من الذي ووصف به هؤلاء أو من كتاب الحفظة ^ ولهم أعمال ^ خبيثة من جون ذلك متجاوزة لما وصفوا به أو متخطية عما هم عليه من الشرك ^ هم لها عاملون ^ معتادون فعلها ^ حتى إذا أخذنا مترفيهم ^ متنعميهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فحفظوا حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة ^ إذا هم يجأرون ^ فاجتوا الصراخ بالإستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأ بعد حتى ويجوز أن يكون الجواب ^ لا تجأروا اليوم ^ فإنه مقدر بالقول أي قبل لهم ^ لا تجأروا اليوم ^ إنكم منا لا تنصرون ^ تعليل للنهي أي لا تجأروا فإنه لا ينفعكم إذ لا تمنعون منا أو لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا

^ قد كانت آياتي تتلى عليكم ^ يعني القرآن ^ فكنتم على أعقابكم تنكصون ^ تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل لها والنكوص الرجوع قهقري ^ مستكبرين به ^ الضمير للبيت وشهوة استكبارهم وافتخارهم بأنه قوامه أغنت عن سبق ذكره أو لا يأتي فإنها بمعنى كتابي والباء متعلقة ب مستكبرين لأنه بمعنى مكذبين أو لأن استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه أو بقوله سامرا أي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الأصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة وقرئ سمرا جمع سامر تهجرون من الهجر بالفتح إما بمعنى القطيعة أو الهذيان أي تعرضون عن القرآن أو تهذون في شأنه أو لا هجر بالضم أي الفجش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من أهجر وقرئ تهجرون على المبالغة ^ أفلم يدبروا القول ^ أي القرآن ليعلموا أنه الحق من ربهم بإعجاز لفظه ووضوح مدلوله ^ أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ^ من الرسول والكتاب أو من الأمن من عذاب الله تعالى فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الأقدمون كإسماعيل وأعقابه فأمنوا به وبكتابه ورسله وأطاعوه ^ أم لم يعرفوا رسولهم ^ بالأمانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم إلى غير ذلك مما هو صفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ^ فهم له منكرون ^ دعواه لأحد هذه الوجوه إذ لا وجه له غيرها فإن إنكار الشيء قطعاً أو ظناً إنما يتجه إذا ظهر امتناعه بحسب النوع أو اشخص أبو بيحسث عما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد

^ أم يقولون به جنة ^ فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون أنه صلى الله عليه وسلم أرجحهم عقلاً وأدقهم نظراً ^ بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ^ لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم فلذلك أنكروه وإنما قيد الحكم بالأكثر لأنه كان منهم من ترك

الإيمان استنكافا من توبيخ قومه أو لقلّة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق ^ ولو اتبع الحق أهوائهم ^ بأن كان في الواقع آلهة شتى لفسدت السموات والأرض ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله تعالى ^ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ^ وقيل لو اتبع الحق أهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلم يبق أو لو اتبع الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة وأهلك العالم من فرط غضبه أو لو اتبع الله أهواءهم بأن أنزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الألوهية ولم يقدر أن يمسك السموات والأرض وهو على أصل المعتزلة ^ بل أتيناهم ^

بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو صيتهم أو الذكر الذي تمنوه بقولهم ^ لو أن عندنا ذكرا من الأولين ^ وقرئ بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ^ لا يلتفتون إليه أم نسألهم قيل أنه قسيم قوله ^ أم به جنة ^ خرجا أجرا على أداء الرسالة ^ فخراج ربك ^ رزقة في الدنيا أو ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه فيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بإزاء الدخل يقال لكل ما تخرجه إلى غيرك والخراج غالب في لاضرية على الأرض فيه إشعار بالكثرة واللزوم فيكون أبلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله إياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائي خرجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه تعالى وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم أنه سبحانه ألزمهم الحجة وأزاح العلة في هذه الآيات بأن حصر أقسام ما يؤدي إلى الإنكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلّة الفطنة وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط عن الصراط السوي لناكبون لعادلون عنه فإن خوف الآخرة أقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمانهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لثبتوا واللجاج التمادي في الشيء في طغيانهم إفراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى روي أنهم قحطوا حتى أكلوا العلهز فجاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألسنت تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت

^ ^ ولقد أخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم بل أقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لأن المفتقر انتقل من كون إلى كون أو افتعل من السكون أشبعت فتحته وما يتضرعون وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني الجوع فإنه أشد من القتل والأسر إذا هم فيه مبلسون متحيزون آيسون من كل خير حتى جاءك أعتاهم يستعطفك وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار لتحسوا بها ما نصب من الآيات والأفئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا بها إلى غير ذلك من المنافع الدينية والدينية قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا قليلا لأن العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لأجله والإذعان لمانحها من غير إشراك و ما صلة للتأكيد وهو الذي ذراكم في الأرض خلقتكم وبثكم فيها بالتناسل وإليه تحشرون تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم وهو يحي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ويختص به تعاقبهما لا يقدر علي غيره فيكون ردا لنسبته إلى الشمس حقيقة أو لأمره وقضائه تعاقبهما أو انتقاص أحدهما وازدياد الآخر أفلا تعقلون بالنظر والتأمل أن الكل منا وأن قدرتنا تعم الممكنات كلها وأن البعث من جملتها وقرئ بالياء على أن الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا أي كفار مكة مثل ما قال الأولون أبأؤهم ومن دان بدينهم

^ ^ قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون استبعادا ولم يتأملوا أنهم كانوا قبل ذلك أيضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن وأباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين إلا أكاذيبهم التي كتبوها جمع أسطورة لأنه يستعمل فيما يتلوه به كالأعاجيب والأضاحيك وقيل جمع أسطار جمع سطر سيقولون الله لأن العقل الصريح قد اضطربهم بأدنى نظر إلى الإقرار بأنه خالقها قل أي بعد ما قالوه أفلا تذكرون فتعلمون أن من فطر الأرض ومن فيها ابتداء قادر على إيجادها ثانيا فإن بدء الخلق ليس أهون من إعادته وقرئ تتذكرون على الأصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم فإنهما أعظم من أعظم من ذلك سيقولون لله قرأ أبو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيها بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل أفلا تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدراته قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يعيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه ولا يغاث أ د ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصره إن كنتم تعلمون ^ ^ سيقولون لله قل فأنى تسحرون فمن أين تخذعون فتصرعون عن الرشد مع ظهور الأمر وتظاهر الأدلة بل أتيناكم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور وإنهم لكاذبون حيث أنكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة أ د وما كان معه من إله يساهمه في

الألوهية إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه أي لو كان معه آلهة كما تقولن للذهب كل منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين وظهر بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالإجماع والإستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات إلى واجب واحد سبحانه الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده عالم الغيب والشهادة خبر مبتدأ محذوف وقد جره ان ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص علبالصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في أنه المنفرد بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب إما تريني إن كان لا بد من أن تريني لأن ما والنون للتأكيد ما يوعدون من العذاب في الدنيا والآخرة رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب وهو إما لهضم النفس أو لأن شؤم الظلمة قد يحيق بم وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن أنه تعالى أخبر نبيه عليه السلام أنهله في أمته نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجوار وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون لكننا نؤخر علمنا بأن بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون أو لأننا لا نعدبهم وأنت فيهم ولعله رد لإنكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد أراه وهو قتل بدر أو فتح مكة ادفع بالتي هي أحسن السيئة وهو الصفح عنها والإحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد إلى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الأمر بالمعروف والسيئة المنكر وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على

التفصيل نحن أعلم بما يصفون بما يصفونك به أو بوصفهم إياك على خلاف حالك وأقدر على جزائهم فوكل إلينا أمرهم وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة للدواب على امشي والجم للمرات أو لتنوع الوسوس أو لتعدد المضاف

إليه وأعوذ بك رب أن يحضرون يحوموا حولي في شيء من الأحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن وحلول الأجل لأنها أحرى الأحوال بأن يخاف عليه حتى إذا جاء أحدهم الموت متعلق ب يصفون وما بينهما اعتراض لتأكيد الأعضاء بالإستعادة بالله من الشيطان أن يزله عن الحلم ويغريه على الإنتقام أو بقوله إنهم لكاذبون ^ ^ قال تحسرا على ما فرط فيه من الإسمان والطاعة لما اطلع على الأمر رب أرجعون ردوني إلى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله أرجعني كما قيل في قفا وأطرقا لعلي أعمل صالحا فيما تركت في الإسمان الذي تركته أي لعلي آتي الإيمان وأعمل فيه وقيل في المال أو في الدنيا وعنه عليه الصلاة والسلام قال إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك إلى الدنيا فيقول إندار الهموم والأحزان بل قدوما إلى الله تعالى وأما الكافر فيقول رب أرجعون ^ ^ كلا ردع من طلب الرجعة واستبعاد لها إنها كلمة معنى قوله رب أرجعون الخ والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم أمامهم والضمير

للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة على يوم يبعثون يوم القيامة وهو إقناط كلي عن الرجوع إلى الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا وإنما الرجوع فيه على حياة تكون في الآخرة فإذا نفخ في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد يؤيد أن الصور أيضا جمع الصورة فلا أنساب بينهم تنفعهم لزاول التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه أو يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لأنه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة أو دخول أهل الجنة الجنة والنار النار فمن ثقلت موازينه موزونات عقائده وأعماله أي فمن كانت له عقائد وأعمال صالحة يكون لها وزن عند الله تعالى وقدر فأولئك الذين خسروا أنفسهم غبنوها حيث ضبعوا زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة أو خير ثان لأولئك ^ ^ تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفخ إلا أنه أشد تأثيرا وهم فيها كالحنون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان وقرئ كلحون ^ ^ ألم تكن آياتي تتلى عليكم على إضمار القول أي يقال لهم ألم تكن ^ ^ فكنتم بها تكذبون تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لأجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت أحوالنا مؤدية إلى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ^ ^ ربنا أخرجنا منها ^ من النار ^ فإن عذبنا إلى التكذيب فإننا ظالمون لأنفسنا قال اخسؤا فيها اسكتوا سكوت هوان في النار فإنهما ليست مقام سؤال من خسأت الكلب إذا زجرته فخسأ ولا تكلمون في رفع العذاب أو لا تكلمون رأسا قيل إن أهل النار يقولون ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون إنكم ماكنون فيقولون ألفا ربنا أخرجنا على أجل قريب فيجابون أو لم تكونوا أقسمتم من قبل فيقولون ألفا ربنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أو لم نعملكم فيقولون ألفا رب أرجعون فيجابون اخسؤوا فيها ثم لا يكون لهم فيها إلا زفير وشهيق وعواء إنه إن الشبان وقرئ بالفتح أي لأنه كان فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل أهل الصفة يقولون ربنا أمانا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ^ ^

^ ^ فاتخذتموهم سخرية هزواً وقرأ نافع وحمزة والكسائي هنا وفي ص بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية حتى أنسوكم ذكري من فرط تشاغلکم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في أوليائي وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم إني جزيتهم اليوم بما صبروا على أذاكم أنهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم وقرأ حمزة والكسائي بالكسر استثنافاً قال أي الله أو الملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي على الأمر للملك أو لبعض رؤساء أهل النار كم لبثتم في الأرض أحياء أو أمواتاً في القبور عدد سنين تميز لكم قالوا لثنا يوماً أو بعض يوم استقصاراً لمدة لبثهم فيها بالنسبة إلى خلودهم في النار أو لأنها كانت أيام سرورهم وأيام السرور قصار أو لأنها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم فاسأل العادين الذين يتمكنون من عد أيامها إن أردت تحقيقها فأنما لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها وإحصائها أو الملائكة الذين يعدون أعمار الناس ويحصون أعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف أي الظلمة فإنهم يقولون ما تقول و العادين أي القدماء المعمرين فإنهم أيضاً يستقصرون قال وفي قراءة حمزة والكسائي قل ^ ^ إن لبثتم إلا قليلاً لو إنكم كنتم تعلمون تصديق لهم في مقالهم أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً تويخ على تغافلهم و عبثاً حال بمعنى عبثين أو

مفعوله له أي لم نخلقكم تلهياً بكم وإنما خلقناكم لتعبدكم ونجازيكم على أعمالكم وهو كالدليل على البعث وأنكم علينا لا ترجعون معطوف على أنما خلقناكم أو عبثاً وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له الملك مطلقاً فإن من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال لا إله إلا هو فإن ما عداه عبيد له رب العرش الكريم الذي يحيط بالأجرام وينزل منه محكمات الأفضية والأحكام ولذلك وصفه بالكريم أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين وقرئ بالرفع على أنه صفة الرب ومن يدع مع الله إلهاً آخر يعبده أفراداً أو إشراكاً لا برهان له به صفة أخرى لإلهاً لازمة له فإن الباطل لا برهان به جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيهاً على أن التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلاً عما دل الدليل على خلافه أو اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فإنما حسابه عند ربه فهو مجاز له مقدار ما يستحقه إنه لا يفلح الكافرون إن الشأن وقرئ بالفتح على التعليل أو الخبر أي حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم أمر رسوله بأن يستغفره ويسترحمه فقال وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقرأ به عينيه عند نزول ملك الموت وعنه عليه لاصلاة والسلام أنه قال لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي أن أولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح

سورة النور مدنية وهي أربع وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم سورة أي هذه سورة أو فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها ^ ^ صفتها ومن نصبها جعله مفسراً لناصبها فلا يكون له محل إلا إذا قدر اتل أو دونك نحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الأحكام وشدده ابن كثير وأبو عمرو ولكثرة فرائضها أو المفروض عليهم أو للمبالغة في إيجابها ^ وأنزلنا فيها آيات بينات ^ واضحات الدلالة ^ لعلكم تذكرون ^ فتتقون

المحارم وقرئ بتخفيف الذال ^ الزانية والزاني ^ أو فيما فرضنا أو أنزلنا حكمها وهو الجلد ويجوز أن يرفعا بالابتداء والخبر ^ فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ^ والفاء لتضمنها معنى الشرط إذ اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من نصب سورة لأجل الأمر والزنا بلا ياء وإنما قدم الزانية لأن الزنا في الأغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولأن مفسدته تتحقق بالإضافة إليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على أن حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه الصلاة والسلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الآية ما يدفعه لينسخ أحدهما الآخر نسخا مقبولا أو مردودا وله في العبد ثلاثة أقوال والإحصان بالحرية والبلوغ والعقل والإصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية

الإسلام أيضا وهو مردود برجمه عليه الصلاة والسلام يهوديين ولا يعارضه من أشرك بالله فليس بمحصن إذ المراد بالمحصن الذي يقتضيه له من المسلم ^ ولا تأخذكم بهما رأفة ^ رحمة ^ في دين الله ^ في طاعته وإقامة حده فتعطلوه أن تسامحوا فيه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ^ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ^ فإن الإيمان يقتضي الجد في طاعة الله تعالى والاجتهاد في إقامة حدوده وأحكامه وهو من باب التهيج ^ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ^ زيادة في التنكيل فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب وال طائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول شيء من الطوف وأقلها ثلاثة وقيل واحد واثنان والمراد جمع يحصل به التشهير ^ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ^ إذ الغالب أن المائل إلى الزنا لا يرغب في نكاح الصالح والمسافحة لا يرغب فيها الصالحاء فإن المشاكلة علة للألفة والتضام والمخافة سبب للنفرة والإفتراق وكان حق المقابلة أن يقال والزانية لا تنكح إلا من هو زان أو مشرك لكن المراد بيان أحوال الرجال في الرغبة فيهن لأن الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا أن يتزوجوا بغايا يكرهن أنفسهن لينفقن لأن الآية عليهم من أكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني ^ وحرّم ذلك على المؤمنين ^ لأنه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء القالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفساد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به

والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه أو منسوخ بقوله تعالى ^ وانكحوا الأيامى منكم ^ فإنه يتناول المسافحات ويؤيده أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطاء فيؤول إلى نهى الزاني عن الزنا إلا بزانية والزانية أن يزني بها إلا زان وهو فاسد ^ والذين يرمون المحصنات ^ يقذفونهن بالزنا لوصف المقدوفات بالإحصان وذكرهن عقيب الزاني واعتبار أربعة شهداء بقوله ^ ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ^ والقذف بغيره مثل يا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والإحصان ها هنا بالحرية والبلوغ والعقل والإسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والأنثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة أو لأن قذف النساء أغلب وأشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الأداء ولا تعتبر شهادة زوج المقدوفة خلافا لأبي حنيفة وليكن ضربه أخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ^ ولا تقبلوا لهم شهادة ^ أي شهادة كانت لأنه مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لأبي حنيفة فإن الأمر

بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد أسوأ مما بعده أبدا ما لم يتب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد أسوأ مما بعده أبدا ما لم يتب وعند أبي حنيفة إلى آخر عمره ^ وأولئك هم الفاسقون ^ المحكوم بفسقهم ^ إلا الذين تابوا ^ عن القذف ^ من بعد ذلك واصلحوا ^ أعمالهم بالتدارك ومنه الإستسلام للحد أو الإستحلال من المقذوف والإستثناء راجع إلى أصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الأمور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لأن من تمام التوبة

الاستسلام له أو الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل إلى النهي ومحل الجر على البدل من هم في لهم وقيل إلى الأخيرة ومحل النصب لأنه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده ^ فإن الله غفور رحيم ^ علة للاستثناء ^ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهاد إلا أنفسهم ^ نزلت في هلال بن أمية رأى رجلا على فراشه وأنفسهم بدل من شهاد أو صفة لهم على أن إلا بمعنى غير ^ فشهادة أحدهم أربع شهادات ^ فالواجب شهادة أحدهم أو فعليهم شهادة أحدهم و أربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على أنه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات لأنها أقرب وقيل بشهادة لتقدمها ^ إنه لمن الصادقين ^ أي فيما رماها به من الزنا وأصله على أنه فحذف الجار وكسرت إن وعلق العامل عنه باللام تأكيدا والخامسة والشهادة الخامسة ^ أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ^ في الرمي هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام المتلاعنان لا يجتمعان أبدا وتفريق الحاكم فرقة طلاق عند أبي حنيفة ونفي الولد أن تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المرأة ^ ويدراً عنها العذاب ^ أي الحد ^ أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ^ والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ^ في ذلك ورفع الخامسة

بالابتداء وما بعدها الخبر أو بالعطف على أن تشهد ونصبها حفص عطفا على أربع وقرأ نافع ويعقوب ^ أن لعنة الله ^ و ^ أن غضب الله ^ بتخفيف النون فيهما وكسر الضاد وفتح الباء من غضب ورفع الهاء من اسم الله والياقون بتشديد النون فيهما ونصب التاء وفتح الضاد وجر الهاء ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله ثواب حكيم متروك الجواب للتعظيم أي لفضحككم وعاجلكم بالعقوبة إن الذين بالإفك بأبلغ ما يكون من الكذب من الإفك وهو الصرف لأنه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله تعالى عنها وذلك أنه عليه الصلاة والسلام استصحبها في بعض الغزوات فأذن ليلة في القفول بالرحيل فمشيت لقضاء حاجة ثم عادت إلى الرجل فلمست صدرها فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلمسه فظن الذي كان يرحلها أنها دخلت الهودج فرحلها على مطيتها وسار فلما عادت إلى منزلها لم تجد ثمة أحدا فجلست كي يرجع إليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه قد عرس وراء الجيش فأدلى فاصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها فقادها حتى أتيا الجيش فاتهمت به ^ عصبة منكم ^ جماعة منكم وهي من العشرة إلى الأربعين وكذلك العصبة يريد عبد اله بن أبي يزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمنة بنت جحش ومن ساعدتهم وهي خبر إن وقوله ^ لا تحسبوه شرا لكم ^ مستأنف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان رضي اله تعالى عنهم والهاء للإفك ^ بل هو خير لكم ^ لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بإنزال ثماني

عشرة آية في براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا ^ لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ^ لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به ^ والذي تولى كبره ^ معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن أب فإنه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو هو وحسان ومسطح فإنهما شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى الذين ^ له عذاب عظيم ^ في الآخرة أو في الدنيا بأن جلدوا وصار ابن أبي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان أعمى أشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا هلا إذ ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى ^ ولا تلمزوا أنفسكم ^ وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغ في التوبيخ وإشعارا بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذم الطاعنين عنهم كما يذوبهم عن أنفسهم وإنما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لأنه منزل منزلته من حيث إنه لا ينفك عنه وذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لأن ذكر الظرف أهم فإن التحضيض علان لا يخلوا بأوله ^ وقالوا هذا إفك مبين ^ كما يقول المستقين المطلع على الحال لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون من ملة المقول تقريرا لكونه كذبا فإن ما لا حجة عليه كذب عند الله أي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه ^ ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة ^ لولا هذه لا متناع الشيء لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم لمسكم عاجلا ^ فيما أفضتم ^ خضتم ^ فيه عذاب عظيم ^ يستحقر دونه اللوم والجلد إذ ظرف لمسكم أو أفضتم ^ تلقونه بألسنتكم ^ يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول كتلقفه وتلقنه قرىء تلقونه على الأصل و تلقونه من لقيه إذا لقفه و تلقونه بكسر حرف المضارعة و تلقونه من إلقائه بعضهم على بعض و تلقونه وتألقونه من الألق والألق وهو الكذب وتلقونه من ثقفته إذا طلبته فوجدته و ثقفونه أي تتبعونه ^ وتقولون بأفواهكم ^ أي و تقولون كلاما مختصا بالأفواه بلا مساعدة من القلوب ^ ما ليس لكم به علم ^ لأنه ليس تعبيراً عن علم به في قلوبك كقوله تعالى ^ يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ^ وتحسبونه هينا ^ سهلا لا تبعه له ^ وهو عند الله عظيم ^ في الأوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الإفك بألسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ^ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ^ ما ينبغي وما يصح لنا ^ أن نتكلم بهذا ^ يجوز أن تكون الإشارة إلى القول المخصوص وأن تكون إلى نوعه فإن قذف أحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحانه تعجب من ذلك الإفك أو ممن يقول ذلك وأصله أن يذكر عند كل متعجب أو تنزيه لله تعالى من أن يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لك متعجب أو تنزيه لله تعالى من أن تكون حرمة نبيه فاجرة فإن فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله ^ هذا بهتان عظيم ^ لعظمة المبهوت عليه فإن حجارة الذنوب وعظمتها باعتبار متعلقاتها ^ يعظكم الله أن تعودوا لمثله ^ كراهة أن تعودوا أو في أن تعودوا أبدا ما دمتم أحياء مكلفين ^ إن كنتم مؤمنين ^ فإن الإيمان يمنع عنه وفيه تهيج وتفرع

ويبين لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا ^ والله عليم ^ بالأحوال كلها حكيم في تدبيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها ^ إن الذين يحبون ^ يريدون ^ أن تشيع ^ أن تنتشر ^ الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ^ بالحد والسعير إلى غير ذلك ^ والله يعلم ^ ما في الضمائر ^ وأنتم لا تعلمون ^ فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الإشاعة ^ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ^ تكبير للمنة بترك المعالجة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله ^ وأن الله رؤوف رحيم ^ على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكر مرة ^ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ^ بإشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبيزي وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة بسكونها ^ ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ^ بيان لعلة النهي عن اتباعه و الفحشاء ما أفرط قبحه و المنكر ما أنكره الشرع ^ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ^ بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ^ ما زكى ^ ما طهر من دنسها ^ منكم من أحد أبدا ^ آخر الدهر ^ ولكن الله يزكي من يشاء ^ بحمله على التوبة وقبولها ^ والله سميع ^ لمقالهم عليم بنياتهم ولا يتأل ولا يحلف افتعال من الآلية أو ولا يقصر من الألو ويؤيد الأول أنه قرئ ولا يتأل وأنه نزل في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ^ أولوا الفضل منكم ^ في الدين والسعة في المال وفيه دليل على فضل أبي بكر وشرفه رضي الله تعالى عنه ^ أن يؤتوا ^ على أ لا يؤتوا أو في ^ أن يؤتوا ^ وقرئ بالتاء على الالتفات ^ أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ^ صفات لموصوف واحد أي ناسا جامعين لها

لأن الكلام فيمن كان كذلك أو لموصفات أقيمت مقامها فيكون أبلغ في تعليل المقصود وليعفوا عما فرط منهم وليصفحوا بالإغماض عنه ^ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ^ على عفوكم وصفحكم وإحسانك إلى من أساء إليكم ^ والله غفور رحيم ^ مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه روي أنه عليه الصلاة والسلام قرأها على أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال بلى أحب ورجع إلى مسطح نفقته ^ إن الذين يرمون المحصنات ^ العفاف الغافلات عما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعننا فيهن ^ ولهم عذاب عظيم ^ لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لتجد أغلظ مما نزل في إفك عائشة رضي الله تعالى عنها ^ يوم تشهد عليهم ^ ظرف لما في لهم من معنى الإستقرار لا للعذاب لأنه موصوف وقرأ حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل ^ ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ^ يعترفون بها بإنطاق الله تعالى إياها بغير اختيارهم أبو بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب ^ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ^ جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الأمر ^ أن الله هو الحق المبين ^ الثابت بذاته الظاهر ألوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه أو ذو الحق البين أي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة ^ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ^ أي الخبيثات يتزوجن الخبيثات وبالعكس وكذلك أهل الطيب فيكون كالدليل على قوله أولئك يعني أهل بيت النبي صلى الله عليه

وسلم أو الرسول وعائشة وصفوان رضي الله تعالى عنهم ^ مبرؤون مما يقولون ^ إذ لو صدق لم تكن زوجته عليه السلام ولم يقرر عليها وقيل الخبيثات والطيبات من الأقوال والإشارة إلى الطيبين والضمير في يقولون للأفكين أي مبرؤون مما يقولون فيهم أو للخبيثين و الخبيثات أي مبرؤون من أن يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم يعني الجنة ولقد برأ الله أربعة بأربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها وموسى عليه الصلاة والسلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بإنطاق ولدها وعائشة رضي الله تعالى عنها بهذه الآيات الكريمة مع هذه المبالغة وما ذلك إلا لإظهار منصب الرسول صلى الله عليه وسلم وإعلاء منزلته بإيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها فإن الأجر والمعير أيضا لا يدخلان إلا بإذن حتى تستانسوا تستأذنوا من الإستئناس بمعنى الإستعلام من أنس الشيء إذا ابصره فإن المستأذن مستعلم للحال مستكشف أنه هل يراد دخوله أو يؤذن له أو من الإستئناس الذي هو خلاف الإستيحاش فإن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فإذا أذن له استأنس أو تعرفوا هل ثم إنسان من الإنس وتسلموا على أهلها بأن تقولوا السلام لعيكم أدخل وعنه عليه الصلاة والسلام التسليم أن يقول السلام عليكم

أدخل ثلاث مرات فإن أذن له دخل وإلا رجع ذلكم خير لكم أي الاستئذان أو التسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة أو من تحية الجاهلية كان الرجل منهم إذا دخل بيتا غير بيته قال حيثم صباحا أو حيثم مساء ودخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أستأذن على أمي قال نعم قال إنها ليس لها خادم غيري أستأذن عليها كلما دخلت قال أحب أن تراها عريانة قال لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف أي أنزل عليكم أو قيل لكم هذا إرادة أن تذكروا وتعملوا بما هو أصلح لكم فإن لم تجدوا فيها أحد يأذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى يأتي من يأذن لكم فإن المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع أن التصرف في ملك الغير بغير إذنه محظور واستثنى ما إذا عرض فيه حرق أو غرق أو كان فيه منكر ونحوها وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو أركى لكم الرجوع أظهر لكم عما لا يخلو الإلحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة أو أنفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذررون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط والجوانيت والخانات والخانقات فيها متاع استماع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الأمتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد أو تطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم أي ما يكون نحو محرم ويحفظوا فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض أطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ها هنا خاصة سترها ذلك أركى لهم أنفع لهم أو أظهر لما فيه من البعد عن الريبة إن الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه إجابة أبصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضن فروجهن بأبصارهن فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من الرجال ويحفظن فروجهن بالتستر أو التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لأن النظر بريد الزنا ولا يبدن زينتتهن كالحلي والثياب والأصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل أن تبدى له إلا ما ظهر

منها عند مزاوله الأشياء كالثياب والخاتم فإن في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لأنها ليست بعورة والأظهر أن هذا في الصلاة لا في النظر فإن كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا لأعناقهن وقرأ نافع وعاصم وأبو عمرو وهشام بضم الجيم ولابيدين زينتهن كرهه لبيان من يحل الإبداء ومن لا يحل له إلا لبعولتهن فإنهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الفرج بكره أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبناءهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن إلى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وإنما لم يذكر الأعمام والأخوال لأنهم في معنى الإخوان أولان الأحوط أن يتسترن عنهم حذرا أن يصفوهن لأبنائهم أو نسائهن يعني المؤمنات فإن الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال أو النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف

أبو ما ملكت أيمانهن يعم الإمام والعبيد لما روي أنه عليه الصلاة والسلام أتى فاطمة بعيد وهبه لها وعليها ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها وإذا غطت رجلها لم يبلغ رأسها فقال عليه الصلاة والسلام إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلماك وقيل المراد بها الإمام وعبد المرأة كالأجنبي منها أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أي أولي الحاجة إلى النساء وهم الشيوخ الهام والممسوحون وفي المحبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من أمور النساء وقرأ ابن عامر وأبو بكر غير بالنصب على الحال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال فإن ذلك يورث ميلا في الرجال وهو أبلغ من النهي عن إظهار الزينة وأدل على المنع من رفع الصوت وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون إذ لا يكاد يخلو أحد منكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فإنه وإن جب بالإسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر وقرأ ابن عامر أيه المؤمنون وفي الثلاثة والباقون بفتحها ووقف أبو عمرو والكسائي عليهن بالألف ووقف الباقون بغير الألف لعلمكم تفلحون بسعادة الدارين وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم لما نهى عما عسى يفضي إلى السفاح المخل بالنسب المقتضي للألفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية إلى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بأمر النكاح الحافظ له والخطاب للأولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبهما وإشعار بأن المرأة والعبد لا

يستبدان به إذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى و أيامى مقلوب أيام كيتامى جمع أيم وهو العزب ذكرا كان أو أنثى بكرا كان أو ثيبا قال فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي وإن كنت أفتى منكم أتأيم وتخصيص الصالحين لأن إحصان دينهم والاهتمام بشأنهم أهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنع فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة فإن في فضل اللع غنية عن المال فإنه غاد ورائح أو وعد

من الله بالإغناء لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى في هذه الآية لكن مشروط بالمشيئة كقوله تعالى إن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ^ والله واسع ^ ذو سعة لا تنفذ نعمته إذ لا تنتهي قدرته عليم يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته وليستعفف وليجتهد في العفة وقمع الشهوة ^ الذين لا يجدون نكاحا ^ أسبابه ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به أو بالوجدان التمكن منه ^ حتى يغنيهم الله من فضله ^ فيجدوا ما يتزوجون به ^ والذين يتتغون الكتاب ^ المكاتبه وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبك على كذا من الكتاب لأن السيد كتب على نفسه عتقه إذا أدى المال أو لأنه مما يكتب لتأجيله أو من الكتب بمعنى الجمع لأن العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها إلى بعض ^ مما ملكت أيانكم ^ عبدا كان أو أمة والموصول بصلته مبتدأ خبره فكاتبوهم أو مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والأمر فيه للندب عند أكثر العلماء لأن الكتابة معاوضة تتضمن الارقاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية

بإطلاقه على جواز الكتابة الحالية ضعيف لأن المطلق لا يعم مع أن العجز عن الأداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل ^ إن علمتم فيهم خيرا ^ أمانة وقدرة على أداء المال بالاحتراف وقد روي مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الأمر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز ^ وأتوهم من مال الله الذي أتاكم ^ أمر للموالي كما قبله بأن يبذلوا لهم شيئا من أموالهم وفي معناه حط شيء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الأكثر ويكفي أقل ما يتمول وعن علي رضي الله تعالى عنه يحط الربيع وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الثلث وقيل ندب لهم إلى الإنفاق عليهم بعد أن يؤتوا ويعتقوا وقيل أمر لعامة المسلمين بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وإن كان غنيا لأنه لا يأخذه صدقة كالدائن والمشتري ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ^ ولا تكرهوا فتياتكم ^ إماءكم ^ على البغاء ^ على الزنا كانت لعبد اله بن أبي ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ^ إن أردن تحصنا ^ تعففا شرط للإكراه فإنه لا يوجد دونه وإن جعل شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز الإكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه وإيثار إن على إذا لأن إرادة التحصن من الإماء كالشاذ النادر ^ لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن ^

الله من بعد إكراههن غفور رحيم ^ أي لهن أوله إن تاب والأول أوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود رضي الله تعالى عنه من بعد إكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه أن المكرمة غير آثمة فلا حاجة إلى المغفرة لأن الإكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل وأوجب عليه القصاص ^ ولقد أنزلنا إليكم آيات مبيبات ^ يعني التي بنيت في هذه السورة وأوضحت فيها الأحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بالكسر في هذا وفي الطلاق لأنها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين أو لأنها بينت الأحكام والحدود ^ ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ^ أو ومثلا من أمثال من قبلكم أي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة رضي الله تعالى عنها فإنها كقصة يوسف ومريم ^ وموعظة للمتقين ^ يعني ما وعظ به في تلك الآيات وتخصيص المتقين لأنهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات والأرض النور في الأصل كيفية تدركها الباصرة أولا

وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الأجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح إطلاقه على الله تعالى إلا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم أو على تجوز إما بمعنى منور السموات والأرض وقد قرئ به فإنه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الأنوار أو بالملائكة والأنبياء أو مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لأنهم يهتدون به في الأمور أو موجدهما فإن النور ظاهر بذاته مظهر لغيره وأصل الظهور هو الوجود كما أن أصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه أو الذي به تدرك أو يدرك أهلها من حيث إنه يطلق على الباصرة لتعلقها به أو لمشاركتها له في توقف الإدراك عليه ثم على البصيرة لأنها أقوى إدراكا فإنها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم إن هذه الإدراكات ليست لذاتها وإلا لما

فارقتها فهي إذن من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء أو بتوسط من الملائكة والأنبياء ولذلك سماوا أنوارا ويقرب منه قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون وإضافته إليهما للدلالة على سعة إشراقها ولاشتمالهما على الأنوار الحسية والعقلية وقصور الإدراكات البشرية عليهما وعلى المتلق بهما والمدلول لهما ^ مثل نوره ^ صفة نوره العجيبة الشأن وإضافته إلى ضميره سبحانه وتعالى دليل على أن إطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة الغير النافذة وقرأ الكسائي برواية الدوري بالإمالة ^ فيها مصباح ^ سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الأنبوية في وسط القنديل والمصباح لافتيلة المشتعلة ^ المصباح في زجاجة ^ في قنديل من الزجاج ^ الزجاج كأنها كوكب دري ^ مضيء متلألئ كالزهرة في صفاته وزهرته منسوب إلى المدار أو فعيل كمريق من الدرء فإنه يدفع الظلام بضوئه أو بعض ضوئه بعضا من لمعانه إلا أنه قلبت همزته ياء وبدل عليه قراءة حمزة وأبي بكر على الأصل وقراءة أبي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا ^ يوقد من شجرة مباركة زيتونة ^ أي ابتداء ثقب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالبته بزيتها وفي إبهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم إبدال الزيتون عنها تفخيم لشأنها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من أوقد وحمزة والكسائي وأبو بكر بالتاء كذلك على إسناده إلى الزجاج بحذف المضاف وقرئ توقد من تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب ^ لا شرقية ولا غربية ^ تقع الشمس عليها حيناً بعد حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة أو صحراء واسعة فإن ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى أو لا نابئة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فإن زيتونه أجود الزيتون أو لا في مضيء تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها أو في مقيأة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا بات في مقيأة ولا خير فيهما في مضيء يكاد زيتها يضيء ولم تمسسه نار أي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألئه وفرط وبيصه ^ نور على نور ^ نور متضاعف فإن نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الأول أنه تمثيل للهدى الذي دلت عليه الآيات المبينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة أو تشبيه للهدى من حيث إنه محفوف بظلمات أو هام الناس وخيالاتهم بالمصباح وإنما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به أوفق من

تشبيهه بالشمس أو تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة أبي مثل نور المؤمن أو تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الداركة الخمس المترتبة التي منوط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك بها المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم والقوة القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصة بالأنبياء والأولياء المعنية بقوله تعالى ^ ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ^ بالأشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكاة و الزجاجة و المصباح و الشجرة و الزيت فإن الحساسة كالمشكاة لأن محلها كالقوى ووجهها إلى الظاهر لا تدرك ما وراءها وإضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للأنوار العقلية وإنارتها بما تشتمل عليه من المعقولات والعاقلة كالمصباح لإضاءتها بالإدراكات الكلية والمعارف الإلهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها إلى ثمرات لا نهاية لها الزيتونة المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصباح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية أو لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فإنها لصفاتها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير

تفكر ولا تعلم أو تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فإنها في بدء أمرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط إحساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للأنوار وذلك تتمكن إن كان بفكر واجتهاد فكالمشكاة الزيتونة وإن كان بالحدس فكالزيت وإن كان بقوة قدسية فكالتى يكاد زيتها يضيء لأنها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والإلهام الذي مثله النار من حيث إن العقول تشتعل عنه ثم إذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضاره متى شاءت كانت كالمصباح فإذا استحضرتها كانت نورا على نور ^ يهدي الله لنوره ^ لهذا النور الثاقب ^ من يشاء ^ فإن الأسباب دون مشيئته لأغية إذ بها تمامها ^ ويضرب الله الأمثال للناس ^ إنداء للمعقول من المحسوس توضيحا وبياناً ^ والله بكل شيء عليم ^ معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو خفيا وفيه وعد ووعد لمن تدبرها ولمن لم يكثر بها ^ في بيوت ^ متعلق بما قبله أي كمشكاة في بعض بيوت أو توقد في بيوت فيكون تقييد للمثل به بما لا يكون تحبيرا ومبالغة فيه فإن قناديل المساجد تكون أعظم أو تمثيلا لصلاة المؤمنين أو أبدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة إذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة أو بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لأنه من صلة أن فلا يعمل فيما قبله أو بمحذوف مثل سحوا في بيوت والمراد بها المساجد لأن الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتكبير للتعظيم ^ أذن الله أن ترفع ^ بالبناء أو التعظيم ^ ويذكر فيها اسمه ^ عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في أفعاله والمباحثة في أحكامه ^ يسبح له فيها بالغدو والأصال ^ ينزهونه أي يصلون له فيها بالغدوات والعشيات والغدو مصدر أطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالأصال وهو جمع أصيل وقرئ والأصال وهو الدخول في الأصيل وقرأ ابن عامر وأبو بكر يسبح بالفتح

على إسناده إلى أحد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ تسبح بالتاء مكسورا لتأنيث الجمع ومفتوحا على إسناده إلى أوقات الغدو ^ رجال لا تلهيهم

تجارة ^ لا تشغلهم معاملة رابحة ^ ولا بيع عن ذكر الله ^ مبالغة بالتعميم بعد التخصيص إن أريد به مطلق المعارضة أو بإفراد ما هو الأهم من قسمي التجارة فإن الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء وقيل المراد بالتجارة الشراء فإنه أصلها ومبدؤها وقيل الجلب لأنه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا إذا جلبه وفيه إيماء بأنهم تجار ^ وإقام الصلاة ^ عوض فيه الإضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالإعلال كقوله وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا ^ وإيتاء الزكاة ^ ما يجب إخراجها من المال للمستحقين ^ يخافون يوماً ^ مع ما هم عليه من الذكر والطاعة ^ تتقلب فيه القلوب والأبصار ^ تضطرب وتتغير من الهول أو تتقلب أحوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الأبصار ما لم تكن تبصره أو تتقلب القلوب مع توقع النجاة وخوف الهلاك والأبصار من أي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتبهم ^ ليجزيهم الله ^ متعلق بيسبح أو تلهيهم أو يخافون ^ أحسن ما عملوا ^ أحسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة ^ ويزيدهم من فضله ^ أشياء لم يعدهم بها على أعمالهم ولم تخطر ببالهم ^ والله يرزق من يشاء بغير حساب ^ تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الإحسان ^ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ^ والذين كفروا خالهم على ضد ذلك فإن أعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب وهو ما يرى في القلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن أنه ماء يسرب أي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو الأرض الخالية عن النبات وغيره المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات في ديمة ^ يحسبه الظمان ماء ^ أي العطشان

وتخصيصه لتشبيه الكافر به ي شدة الخيبة عند ميس الحاجة ^ حتى إذا جاءه ^ جاء ما توهمه ماء أو موضعه ^ لم يجده شيئاً ^ مما ظنه ^ ووجد الله عنده ^ عقابه أو زبائنه أو وجده محاسبا إياه فرقاه حسابه استعراضاً أو مجازاة ^ والله سريع الحساب ^ لا يشغله حساب ن حساب روي أنها نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الإسلام كفر ^ أو كظلمات ^ عطف على كسراب و أو للتخيير فإن أ مالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب أو للتوزيع فإن أعماله إن كانت حسنة فكالسراب وإن كانت قبيحة فكالظلمات أو للتقسيم باعتبار وقتين فإنها كالظلمات في الدنيا كالسراب في الآخرة ^ في بحر لحي ^ ذي لج أي عميق منسوب إلى اللج وهو معظم الماء يغشاه يغشى البحر ^ موج من فوقه موج ^ أي أمواج مترادفة متراكمة ^ من فوقه ^ من فوق الموج الثاني سحاب غطى النجوم ويحجب أنوارها والجملة صفة أخرى لل بحر ظلمات أي هذه ظلمات ^ بعضها فوق بعض ^ وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على إبدالها من الأولى أو بإضافة ال سحاب إليها في رواية البزي إذا أخرج يديه وهي أقرب ما يرى إليه ^ لم يكذبها ^ لم يقرب أن يراها فضلاً أن يراها كقول ذي الرمة إذا غير النأي المحبين لم يكذب رسيس الهوى من حب مية يبرح والضمائر للواقع في البحر وإن لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ^ ومن لم يجعل الله له نوراً ^ ومن لم يقدر له الهداية ليوقفه لأسبابها ^ فما له من نور ^ خلاف الموفق الذي له نور على نور ^ ألم تر ^ ألم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي أو الإستدلال أن الله يسبح له من في السموات والأرض ينزه ذاته عن كل نقص وأفة أهل السموات والأرض و من لتغليب العقلاء أو الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال أو دلالة حال والطير على الأول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك

قيدها بقوله صافات فإن إعطاء الجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو
باسطة أجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع
تعالى ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر أو من الطير ^ قد علم صلاته وتسيحه
^ اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا أو طبعا لقوله ^ والله عليم بما يفعلون ^
أو علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل إلى النفع على وجه
يخصه بحال من علم ذلك مع أنه لا يبعد أن يلهم الله تعالى الطير دعاء وتسيحا
كما ألهمها علوما دقيقة في أسباب تعيشها لا تكاد تهتدي إليها العقلاء ولله السموات
والأرض فإنه الخالق لهما وما فيهما من الذوات والصفات والأفعال من حيث إنها
ممكنة واجبة الإنتهاء إلى الواجب ^ وإلى المصير ^ مرجع الجميع ^ ألم تر أن الله
يزجي سحابا ^ يسوقه ومنه البضاعة المزجاة فإنه يزجياها كل أحد ^ ثم يؤلف بينه
^ بأن يكون قزعا فيضم بعضه إلى بعض وبهذا الإعتبار صح بينه إذ المعنى بي
أجزائه وقرأ نافع برواية ورش يولف غير مهموز ^ ثم يجعله ركاما ^ متراكما بعضه
فوق بعض ^ فترى الودق ^ المطر ^ يخرج من خلاله ^ من فتوقه جمع خلل كجبال
في جبل وقرىء م ن خلله ^ وينزل من السماء ^ من الغمام وكل ما علاك فهو
سما ^ من جبال فيها ^ من قطع عظام تشبه الجبال فيعظمها أو جمودها ^ من
برد ^ بيان للجبال والمفعول محذوف أي ينزل مبتدأ من السماء من جبال فيها من
برد بردا ويجوز أن تكون من الثانية أو الثالثة للتبغيض واقعة موقع المفعول وقيل
المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الأرض جبال من حجر وليس في
العقل قاطع يمنعه والمشهور أن الأبخرة إذا تصاعدت ولم تحلها حرارة فبلغت
الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فإن لم يشتد البرد
تقاطر مطرا وإن اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا
والإنزال بردا ووقد يبرد الهواء بردا مفرطا فيقبض وينعقد سحابا ونزل منه المطر أو
الثلج وكل ذلك لا بد أن يستند إلى إرادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على أنها
الموجبة لا اختصاص الحوادث بمحالتها وأوقاتها وإليها أشار بقوله
^ ^ فيصيب به من يشاء ويصرفه عن يشاء والضمير لل برد ^ ^ يكاد سنا برقه
ضوء برقه وقرىء بالمد بمعنى العلو وإدغام الدال في السين برقه بضم الباء وفتح
الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب بالأبصار
بأبصار الناظرين إليه من فرط الإضاءة وذلك أقوى دليل على كمال قدرته من حيث
إنه توليد للضد من الضد وقرىء يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار
بالمعاقبة بينهما أبو بنقص أحدهما وزيادة الآخر أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد
والظلمة والنور أو بما يعم ذلك إن في ذلك فيما تتقدم ذكره لعبرة لأولي الأبصار
لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته وإحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن
الحاجة وما يفضي إليها لمن يرجع إلى بصيرة والله خلق كل دابة حيوان يدب على
الأرض وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة بالإضافة من ماء هو جزء مادته أو ماء
مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل إذ من الحيوانات ما يتولد عن
النطفة وقيل من ماء متعلق ب دابة وليس بصلة ل خلق ^ ^ فمنهم من يمشي
على بطنه كالحية وإنما سمي الزحف مشيا على الإستعارة أو المشاكلة ومنهم من
يمشي على رجلين كالإنس والطير ومنهم من يمشي على أربع كالنعم والوحش
ويندرج فيه ما له أكثر من أربع كالعناكب فإن اعتمادها إذا مشت على أربع وتذكير
الضمير لتغليب العقلاء والتعبير عن الأصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم
ما هو أعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا

على إختلاف الصور والأعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والأفعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته إن الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء لقد أنزلنا آيات مبينات للحقائق بأنواع الدلائل والله يهدي من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها إلى صراط مستقيم هو دين الإسلام الموصل إلى درك الحق والفوز بالجنة ^ ^ ويقولون أمنا بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه إلى كعب بن الأشرف وهو يدعو إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في مغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله عنه في أرض فابى أن يحاكمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطعنا أي وأطعناهما ثم يتولى با إمتناع عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا وما أولئك بالمؤمنين إشارة إلى القائلين بأسرهم فيكون إعلاما من الله تعالى بأن جميعهم وإن آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم أو إلى الفريق منهم وسلب الإيمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الإيمان والثابتون عليه وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أي ليحكم النبي صلى الله عليه وسلم فإنه الحاكم ظاهر والمدعوا إليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على أن حكمه صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حكم الله تعالى إذا فريق منهم معرضون فاجأ فريق منهم الإعراض إذا كان الحق عليهم لعلمهم بأنك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وإن يكن له الحق أي الحكم لا عليهم يأتوا إليه مدعين منقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم و إليه صلة ل يأتوا أو ل مدعين وتقديمه للاختصاص أفي قلوبهم مرض كفر أو ميل إلى الظلم أم ارتابوا بأن رأوا منك تهمة فزال يقينهم وثقتهم بك أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة بل أولئك هم الظالمون إضراب عن القسمين الأخيرين لتحقيق القسم فتعين الأول ووجه التقسيم أن أمتناعهم إما لخلل فيهم أو في الحاكم والثاني إما أي يكون محققا عندهم أو متوقفا وكلاهما باطل لأن منصب نبوته وفرط أمانته صلى الله عليه وسلم يمنعه فتعين الأول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم إلى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعوا إلى حكمه إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد إنكاره لما لا ينبغي وقرئء قول بالرفع و ليحكم على البناء للمفعول وإسناده إلى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ^ ^ ومن يطيع الله ورسوله فيما يأمرانه أو في الفرائض والسنن 6 وهش اله على ما صدر عنه من الذنوب وبتقه فيما بقي من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وأبو بكر وأبو عمرو بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف والهاء ساكنة في الوقف بالإتفاق فأولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم وأقسموا بالله جهد أيمانهم إنكار للإمتناع عن حكمه لئن أمرتهم الخروج عن ديارهم وأموالهم ليخرجن جواب ل أقسموا على الحكاية قل لا تقسموا ^ على الكذب ^ طاعة معروفة أي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين على الطاعة النفاقية المنكرة أو طاعة معروفة أمثل منها أولئك طاعة وقرئت بالنصب على أطيعوا طاعة إن الله خير بما تعلمون فلا يخفى عليه سرائركم قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول أمر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبيكتهم فإن تولوا فإنما عليه أي على محمد صلى الله عليه وسلم ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الإمتثال وإن تطيعوه ^ في حكمه ^ تهتدوا ^ إلى الحق ^ وما على الرسول إلا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد أدى وإنما بقي ما حملتم فإن اديتم فلكم وإن

توليتهم فعليكم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وللأمة وأوله ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الأرض ليجعلنهم خلفاء متصرفي في الأرض تصرف الملوك في مماليتهم وهو جواب قسم مضمّر تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو الوعد في تحقيقه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني إسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبارة وقرأ أبو بكر بضم التاء وكسر اللام وإذا ابتداء ضم الألف والباقون بفتحهما وإذا ابتدؤوا كسروا الألف وليمكن لهم

دينهم الذي ارتضى لهم وهو الإسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم العداة وقرأ ابن كثير وأبو بكر بالتخفيف أمنا منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا إلى المدينة وكان يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى أنجز الله وعده فأظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للإخبار عن الغيب على ما هو به وخلافه الخلفاء الراشدين إذ لم يجتمع الوعود والوعود عليه لغيرهم بالإجماع وقيل الخوف من العذاب والأمن منه في الآخرة يعبدونني حال من الذين لتقيد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف بيان المقتضي للإستخلاف والأمن لا يشركون بي شيئاً حال من الواو أي يعبدونني غير مشركين من كفر ومن ارتد أو كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد أو حصول الخلافة فأولئك هم الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مصل هذه الآيات أو كفروا تلك النعمة العظيمة وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول في سائر ما أمركم به ولا يبعد عطف ذلك على أطيعوا الله فإن الفاصل وعد على الأمور به فيكون تكرير الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لتأكيد وتعليق الرحمة بها أو بالمندرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين لله إن إدراكهم وإهلاكهم و في الأرض صلة معجزين وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على أن الضمير فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم والمعنى كما هو في القراءة بالتاء أو الذين كفروا فاعل والمعنى ولا يحسبن الكفار في الأرض أحدا معجزا لله فيكون معجزين في الأرض ^ ^

مفعولية أو لا يحسبونهم معجزين فحذف المفعول الأول لأن الفاعل والمفعولين الشيء واحد فاكتمى بذكر اثنين عن الثالث وماوهم النار عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا بمعجزين وماوهم النار لأن المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الإعجاز وليئس المصير المأوى الذي يصيرون إليه يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم رجوع إلى تنمة الأحكام السالفة بعد الفراغ من الإلهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف ممن الحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد عل الإعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي أن غلام أسماء بن تآبي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الأنصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي اله تعالى عنه لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا هذه الساعات علينا إلا بأذن ثم انطلق معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت هذه الآية والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم يبلغوا من الأحرار فعبر عن البلوغ بالإحتلام لأنه أقوى دلالة ثلاث مرات في اليوم والليلة مرة من قبل صلاة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم

ولبس ثياب اليقظة ومحلّه النصب بلا من ثلاث مرات أو الرفع خيرا لمحذوف أي هي من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم أي ثيابكم لليقظة للقيولة من الظهرية بيان للحين ومن بعد صلاة العشاء لأنه وقت التجرد عن اللباس والإلتحاف باللحاف ثلاث عورات لكم أي هوي ثلاث أوقات يختل فيها تستركم ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره ما بعده واصل العورة الخلل ومنها أعور المكان ورجل أعور وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي ثلاث بالنصب بدلا من ثلاث مرات ^ ^ ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الأوقات في ترك الإستئذان وليس فيه ما ينافي آية الإستئذان فينسخها لأنه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الأحرار البالغين طوافون عليكم أي هم طوافون استئناف بيان العذر المرخص فيترك الإستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الأحكام وكذا في الفرق بين الأوقات الثلاثة وغيرها بأنها عورات بعضكم على بعض طائف على بعض أو يطوف بعضكم على بعض كذلك ممثل ذلك التبيين يبين الله لكم الآيات أي الحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما شرع لكم وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم الذين بلغوا من قبلهم في الأوقات كلها واستدل به من أوجب استئذان العبد البالغ على سيده وجوابه أن المراد بهم المعهودين الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم آيته والله عليم حكيم كرره تأكيدا ومبالغة في الأمر بالإستئذان والقواعد من النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن أي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لأن اللام في القواعد بمعنى اللاتي أو لوصفها بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما أمرن بإخفائه في قوله تعالى ولا يبدن

زينتهن واصل التبرج التكلف في إظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا طاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء إلا أنه خص بتكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال وأن يستعفن خيرا لهن من الوضع لأنه أبعد من التهمة والله سميع لمقاتنهن للرجال ليم بمقصودهن ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا يتخرجون من مؤاكلة الأصحاء حذرا من استقذارهم أو أكلهم من بيت من يدفع لغيبهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه إذا خرج إلى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة أن لا يكون ذلك من طيب قلب أو من إجابة من يدعوهم إلى بيوت آبائهم وأولادهم وأقاربهم فيطعمونهم كراهة أن يكونوا كلا عليهم وهذا إنما يكون إذا علم رضا صاحب البيت بإذن أو قرينة أو كان في أول الإسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبي غلا أن يؤذن لكم إلى طعام وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو ل إيلائم ما قبله ولا ما بعده ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الولاد لأن بيت الولد كبيتته لقوله عليها الصلاة والسلام أنت ومالك لأبيك وقوله عليه الصلاة والسلام إن أطيب ما يأكل المؤمن من كسبه وإن ولده من كسبه ^ ^ أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت

أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت أيديكم وتصرفكم من ضيعة أو ماشية وكالة أو حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتيح جمع مفتاح وهو ما يفتح به وقرىء مفتاحه ^ ^ أو صديقكم أو بيوت صديقكم فإنهم أرضى بالتبسط في أموالهم وأسر به وهو يقع على الواحد

والجمع كالخليط هذا كله إنما يكون إذا علم رضا صاحب البيت بإذن أو قرينة ولذلك خص هؤلاء فإنه يعتاد التبسط بينهم أو كان ذلك في أول الإسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على أن لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً مجتمعين أو متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتخرجون أن يأكل الرجل وحده أو في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلى معه أو في قوم تخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطبايع في القذارة والنهمة فإذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على أنفسكم على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة تحية من عند الله ثابتة بأمره مشروعة من لدنه ويجوز أن تكون من صلة للتحية فإنه طلب الحياة وهي من عنده تعالى وانتصابها بالمصدر لأنها بمعنى التسليم مباركة لأنها يرجى بها زيادة الخير والثواب طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن أنس رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال لي متى لقيت أحداً من أمتي فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين ^ ^ كذلك بين الله لكم الآيات كرره ثلاثاً لمزيد التأكيد وتفخيم الأحكام المختمة به وفصل الأولين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون أي الحق والخير في الأمور

^ ^ إنما المؤمنون أي الكاملون في الإيمان الذين آمنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم وإذا كانوا معه على أمر جامع كالجمعة والأعياد والحروب والمشاورة في الأمور ووصف الأمر بالجمع للمبالغة وقرئ أمر جميع ^ ^ لم يذهبوا حتى يستأذنه يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأذن لهم واعتباره في كمال الإيمان لأنه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فإنه يدينه التسلل والفرار ولتعظم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذنه ولذلك أعاده مؤكداً على أسلوب أبلغ فقال إن الذين يستأذنونك أولئك ^ الذين يؤمنون بالله ورسوله ^ فإنه يفيد أن المستأذن مؤمن لا محالة وأن الذهاب بغير إذن ليس كذلك ^ فإذا استأذنونك لبعض شأنهم ^ ما يعرض لهم من المهام وفيه أيضاً مبالغة وتضييق الأمر ^ فائذن لمن شئت منهم ^ تفويض للأمر إلى رأي الرسول صلى الله عليه وسلم واستدل به على أن بعض الأحكام مفوضة إلى رأيه ومن منع ذلك قيد المشيئة بأن تكون تابعة لعلمه بصدقه فكان المعنى فائذن لمن علمت أن له عذراً ^ واستغفر لهم الله ^ بعد الإذن فإن الاستئذان ولو لعذر قصور لأنه تقديم لأمر الدنيا على أمر الدين ^ إن الله غفور ^ لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم ^ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ^ لا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً في جواز الإعراض والمساهلة في الإجابة والرجوع بغير إذن فإن المبادرة إلى إجابته عليه الصلاة والسلام واجبة والمراجعة بغير إذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضاً باسمه ورفع الصوت به والنداء من وراء الحجرات ولكن يلقبه المظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت أو لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فإن دعاءه موجب أو لا تجعلوا دعائه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يحييه مرة ويرده أخرى فإن دعاءه مستجاب قد يعلم اله الذين يتسللون منكم ينسلون قليلاً قليلاً من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لو إذا ملاوذة بأن يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج أو يلوذ بمن يؤذن له

فينطلق معه كأنه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح ^ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ^ يخالفون أمره بترك مقتضاه وبذهبون سمتا خلاف سمتة و عن لتضمنه معنى الإعراض أو يصدون عن أمره دون المؤمنين من خالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه وحذف المفعول لأن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى فإن الأمر له والضمير لله تعالى فإن الأمر له في الحقيقة أو للرسول فإنه المقصود بالذكر أن تصيهم فتنة محنة في الدنيا أو يصيهم عذاب أليم في الآخرة واستدل به على أن الأمر للوجوب فإنه يدل على أن ترك مقتضى الأمر مقتض لأحد العذابين فإن الأمر بالحدز عنه يدل على خشية المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب ألا إن لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه أيها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والإخلاص وإنما أكد علمه ب قد لتأكيد الوعيد ويوم يرجعون إليه يوم يرجع المنافقون إليه للجزاء ويجوز أن يكون الخطاب أيضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات وقرأ يعقوب بفتح الياء وكسر الجيم فينبئهم بما عملوا من سوء الأعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وآياتها سبع وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم ^ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ^ تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير أو تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله فإن البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه عن إنزاله الفرقان لما فيه من كثرة الخير أو لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البكة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل إلا لله تعالى و الفرقان مصدر فرق بين الشيءين إذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره أو المحق والمبطل بإعجازه أو لكونه مفصولا بعبه عن بعض في الإنزال وقرئ على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه كقوله تعالى وقد أنزلنا إليكم آيات أو الأنبياء على أن الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد أو الفرقان لعالمين للجن والإنس نذيرا منذرا أو إنذارا كالنكير بمعنى الإنكار هذه الجملة وإن لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها أجريت مجرى العلوم وجعلت صلة الذي له ملك السموات والأرض بدل من الأول أو مدح مرفوع أو منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية أثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق

كل شيء أحدثه إحداثا مراعى فيه التقدير حسب إرادته كخلقه الإنسان من مواد مخصوصة وصور وأشكال معينة فقدرة تقديرا فقدرة وهياً لما أراد منه من الخصائص والأفعال كتهيئة الإنسان للإدراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة إلى غير ذلك أو فقدرة للبقاء إلى أجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الإيجاد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق فيكون المعنى وأوجد كل شيء فقدرة في إيجاده حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا من دونه آلهة لما تضمن الكلام إثبات التوحيد والنبوة أخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لأن عبدتهم ينحتونهم وبصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون لأنفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ولا يملكون إماتة أحد وإحياءه أولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الألوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادرا على

البعث والجزاء وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه أعانه عليه قوم آخرون أي اليهود فإنهم يلقون إليه أخبار الأمم وهو يعبر عنها بعابرتة وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله إنما يعلمه بشر ^ ^ فقد جاءوا ظلما يجعل الكلام المعجز إفك مختلفا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء منه إليه وأتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا أساطير الأولين ما سطره المتقدمون اكتبها كتبها لنفسه أو استكتبها وقرئء على البناء للمفعول لأنه أمي وأصله اكتبها كاتب له فحذف اللام وأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتبها إياه كاتب ثم حذف الفاعل وبنى الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ليحفظها فإنه أمي لا يقدر أن يكرر من الكتاب أو لتكتب

^ ^ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض لأنه أعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه أخبارا عن مغيبات مستقبلية وأشياء مكنونة لا يعلمها إلى عالم الأسرار فكيف تجعلونه أساطير الأولين ^ ^ إنه كان عفورا رحيفا فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم أن يصب عليكم العذاب صبا وقالوا مال هذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في الأسواق لطلب المعاش ما نمشي والمعنى إن صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعلمهم وقصور نظرهم على المحسوسات فإن تميز الرسل عن عداهم ليس بأمور جسمانية وإنما هو بأحوال نفسانية كما أشار عليه تعالى بقوله قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد ^ ^ لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا لنعلم صدقة بتصديق الملك أو يلقي إليه كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش أو تكون له جنة يأكل منها هذا على سبيل التنزل أي إن لم يلق عليه كنز فلا أقل من أن يكون له بستان كما للدهاقين والмиاسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي بالنون والضمير للكفار وقال الظالمون وضع الظالمون موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه إن تتبعون ما تتبعون إلا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة أي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك المثال أي قالوا فيك الأقوال الشاذة واخترعوا لك الأحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل إلى معرفة خواص النبي والمميز وبينه وبين المتنبى فخطبوا خبط عشواء ^ فلا يستطيعون سبيلا ^ إلى القدح في نبوتك أو إلى الرشد والهدى

^ تبارك الذي إن شاء جعل لك ^ في الدنيا ^ خيرا من ذلك ^ مما قالوا لكن آخره إلى الآخرة لأنه خير وأبقى ^ جنات تجري من تحتها الأنهار ^ يدل من خيرا ونجعل لك قصور عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بالرفع لأن الشرط إذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز أن يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على أن جواب بالواو ^ بل كذبوا بالساعة ^ فقصرت أنظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا أن الكرامة إنما هي بالمال فطعنوا فيك لفقرك أو فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة أو فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة أو فلا تعجب من تكذيبهم إياك فإنه أعجب منه ^ واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ^ نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان ^ إذا رأتهم ^ إذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما أي لا تتقاربان بحيث تكون إحداهما بمرأى من الأخرى على المجاز والتأنيث لأنه بمعنى النار أو جهنم ^ من مكان بعيد ^ هو أقصى ما يمكن أن يرى

منه ^ سمعوا لها تغيظا وزفيرا ^ صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاض وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وإن الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل إن ذلك لربانيتها فنسب إليها على حذف المضاف

^ وإذا ألقوا منها مكانا ^ في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب فإن الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها كعرض السموات والأرض مقرنين قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل ^ دعوا هنالك ^ في ذلك المكان ثورا هلاكا أي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون تعال يا ثوراه فهذا حينك ^ لا تدعوا اليوم ثورا واحدا ^ أي يقال لهم ذلك وادعوا ثورا كثير لأن عذابكم أنواع كثيرة كل نوع منها ثور لشدته أو لأنه يتجدد لقوله تعالى كلما نضجت جلودكم بدلناها جلودا غيرها ليذوقوا العذاب أو لأنه لا ينقطع فهو في كل وقت ثور ^ قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون ^ الإشارة إلى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتفريع مع التهكم أو إلى ال كنز أو ال جنة والراجع إلى الموصول محذوف وإضافة ال جنة إلى الخلد للمدح أو لدلالة على خلودها أو التمييز على جنات الدنيا ^ كانت لهم ^ في علم الله أو اللوح أو لأن ما وعده الله تعالى في تحققه كالواقع جزاء على أعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون إليه ولا يمنع كونها جزاء لهم أن يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز أن يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لأنهم في مقابلتهم

^ لهم فيها ما يشاءون ^ ما يشاءونه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته إذ الظاهر أن الناقص لا يدرك شاو الكامل بالتشهي وفيه تنبيه على أن كل المرادات لا تحصل إلا في الجنة خالدين حال من أحد ضمائرهم ^ كان على ربك وعدا مسئولا ^ الضمير في كان ل ^ ما يشاءون ^ والوعد الموعود أي كان ذلك موعدا حقيقيا بأن يسأل ويطلب أو مسئولا سأله الناس في دعائهم ^ ربنا وأتنا ما وعدتنا على رسلك ^ أو الملائكة بقولهم ^ ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ^ وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز فإن تعلق الإرادة بالوعد مقدم على الوعد الموجب للإنجاز ^ ويوم نحشهم ^ للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء ^ وما يعبدون من دون الله ^ يعم كل معبود سواه تعالى واستعمال ما إما لأن وضعه أعم ولذلك يطلق لكل شيخ يرى ولا يعرف أو لأنه أريد به الوصف كأنه قيل ومعبودهم أو لتغليب الأصنام تحقيرا أو اعتبار لغلبة عبادها أو يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقريئة السؤال والجواب أو الأصنام ينطقها الله أو تتكلم بلسان الحال كما قل في كلام الأيدي والأرجل فيقول أي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون ^ أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ^ لإخلالهم بالنظر الصحيح وإعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيك للعبدة وأصله أضللتم أو ضلوا فغير النظم ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتوالي للفعل دونه لأنه لا شبهة فيه وإلا لما توجه التاب وحذف صلة الضل مبالغة

^ قالوا سبحانك ^ تعجبا مما قيل لهم لأنهم إما ملائكة أو أنبياء معصومون أو جمادات لا تقدر على شيء أو إشعارا بأنهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم إضلاله عبيده أو تنزيها لله تعالى عن الأنداد ^ ما كان ينبغي لنا ^ ما يصح لنا أن نتخذ من دونك أولياء للعصمة أو لعدم القدرة فكيف يصح لنا أن ندعو غيرنا أن يتولى أحدا دونك وقرئ تتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله

تعالى ^ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ^ ومفعوله الثاني ^ من أولياء ^ و من للتبويض وعلى الأول مزيدة لتأكيد النفي ^ ولكن متعنتهم وأبائهم ^ بأنواع النعم فاستغرقوا في الشهوات ^ حتى نسوا الذكر ^ حتى غفلوا عن ذكرك أو التذكر لألائك والتدبر في آياتك وهو نسبة للضلال إليهم من حيث إنه بكسبهم وإسناد له إلى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا إليه فلا ينتهز حجة علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع أو جمع بئر كعائذ وعود فقد كذبوكم التفات إلى العبد بالاحتجاج والإلزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم إنهم آلهة أو هؤلاء أضلونا والباء بمعنى في أو مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء أي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ^ ^ فما يستطيعون أي المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين صرفاً دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم إنه ليتصرف أي

يحتال ولا نصراً يعينكم عليه ومن يظلم منكم أيها المكلفون ندقه عذاباً كبيراً هو النار والشرط وإن عم كل من كفر أو فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقاً وهو التوبة والإحباط بالطاعة إجماعاً وبالغفو عندنا وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق أي إلا رسلاً إنهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه كقوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم ويجوز أن تكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقومهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وقرئـ يمشون أي لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وقرئـ يمشون أي تمشيهم حوائجهم أو الناس وجعلنا بعضكم ^ أيها الناس ^ لبعض فتنة ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء والمرسلين بالمرسل لغيهم ومناصبتهم لهم العداوة وإيذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر أتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم أيكم يصبر ونظيره قوله تعالى ليلوكم أيكم أحسن عملاً أو حث على الصبر على ما افتتنوا به وكان ربك بصيراً بمن يصير أبو الصواب فيما يتلى به وغيره وقال الذين لا يرجون لا ياملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث أولاً يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول إلى الشيء ومنه الرؤية فإنه وصول إلى المرئي والمراد به الوصول إلى جزائه ويمكن أن يراد به الرؤية على الأول لولا هلا أنزل علينا الملائكة فتخبرنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل فيكونوا رسلاً إلينا أو نرى ربنا فيأمرنا بتصدقيه وإتباعه لقد استكبروا في أنفسهم أي في شأنها حتى أرادوا لها ما يتفق لأفراد من الأنبياء الذين هم أكمل خلق الله في أكمل أوقاتها وما هو أعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيراً بالغاً أقصى مراتبه حيث عابنوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها واقترحوا لأنفسهم الخبيثة ماسدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الإستئناف بالجملة حسن وإشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله

^ ^ وجارة حساس بناها كلياً علت ناب كليب بواؤها ^ ^ يوم يرون الملائكة ملائكة الموت أو العذاب و يوم نصب باذكر أو بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فإنه بمعنى يمنعون البشرى أو يعدمونها و يومئذ تكرير أو خبر و للمجرمين تبين أو خبر ثان أو ظرف لما يتعلق به اللام أول بشرى إن قدرت منونة غير مينة مع لا فإنها لا تعلم ولل مجرمين إما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم عن

نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر وإما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم وإشعارا بما و المانع للبشرى والموجب لما يقابها و ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول أي ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعادة وطلبا من الله تعالى أن يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو أو هجوم مكروه أو تقولها الملائكة بمعنى حراما عليكم الجنة أو البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير أنه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجور للتأكيد كقولهم موت مئت و قدمننا إلى ما عملوا من عمل فجعلنا هباء منثورا أي وعمدنا إلى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقري الضيف وصلة الرحم وإغاثة المهوف فأحبطناه لفقد ما هو شرط

اعتباره وهو تشبيه حالهم وأعمالهم بحال قوم استعصوا على سلكانهم فقدم إلى أشيائهم فمزقها وأبطلها ولم يبق لها أثرا وال هباء غبار يرى في شعاع يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار و منثورا صفته شبه عملهم المحبط بالهباء في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنتور منه في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه أو تفرقه نحو أغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها أو مفعول ثالث من حيث إنه كالخبر بعد الخبر كقوله تعالى كونوا قردة خاسئين ^ ^ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر فيه أكثر الأوقات للتجانس والتحدث وأحسن مقيلا مكانا يؤوي إليه للاسترواح بالأزواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه أو لأنه لا يخلوا من ذلك غالبا إذ لا نوم في الجنة وفي أحسن رمز إلي ما يتميز به مقيلم من حسن الصور وغيره من التحاسين ويحتمل أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان إشارة إلى أن مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيل من الأمكنة والأزمنة والتفضيل إما لإرادة الزيادة مطلقا أو بالإضافة إلى ما للمترفين في الدنيا روي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ويوم تشقق السماء أصله تتشقق فحذفت التاء وأدغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظل من الغمام والملائكة ^ ^ ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد وقرأ ابن كثير ونزل وقرئ وأنزل ^ ^ ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة

^ ^ الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لأن كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى إلا ملكه فهو الخبر و للرحمن صلته أو تبين و يومئذ أو للرحمن ^ ^ وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كناية عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفهما والمراد ب الظالم الجنس وقيل عقبة بن أبي معيط كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه إلى ضيافته فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادة ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبات فقال لا ولكن ألى أن لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحيت منه فشهدت له فقال لا أرى منك إلا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا فقتله وطعن أبيا بأحد في المبارزة فرجع إلى مكة ومات يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا إلى النجاة أو طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة يا ويلتي وقرئ بالياء على الأصل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني من أضله وفلان كناية عن الأعلام كما أن هنا كناية عن الأجناس لقد أضلني

عن الذكر عن ذكر الله أو كتابه أو موعظة الرسول أو كلمة الشهادة بعد إذ جاءني وتمكنت منه وكان الشيطان يعني الخليل المضل أو إبليس لأنه حمله على مخالته ومخالفة الرسول أو كل من تشيطن من جن وإنس للإنسان خذولا يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال الرسول محمد يومئذ أو في الدنيا بثا إلى الله تعالى ^ يا رب إن قومي ^ قريشا ^ اتخذوا هذا القرآن مهجورا ^ بأن تركوه وصدوا عنه وعنه عليه الصلاة والسلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا

رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه أو هجروا ولغوا فيه إذا سمعوه أو زعموا أنه هجر وأساطير الأولين فيكون أصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز أن يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا شكوا إلى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ^ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين ^ كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على أنه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع ^ وكفى بربك هاديا ^ إلي طريق قهرهم و نصيرا لك عليهم ^ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن ^ أي أنزل عليه كخبر بمعنى أخبر لئلا يناقض قوله ^ جملة واحدة ^ دفعة واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لا طائل تحته لأن الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو مفردا مع أن للتفريق فوائد منها ما أشار إليه بقوله ^ كذلك لثبت به فؤادك ^ أي كذلك أنزلناه مفردا لنقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لأن حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان عليه الصلاة والسلام أميا وكانوا يكتبون فلو ألقى عليه جملة لعل بحفظه ولعله لم يستتب له فإن التلقف لا يتأتى إلا شيئا فشيئا ولأن نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولأنه إذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولأنه إذا نزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية إلى الدلالات اللفظية فإنه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والإشارة إلى إنزاله مفردا فإنه مدلول عليه بقوله ^ لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ^

ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والإشارة إلى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ^ ورتلناه ترتيلا ^ وقرأناه عليك شيئا بعد شيء على تودة وتمهل في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين وأصل الترتيل في الأسنان وهو تفلحها ^ ولا يأتونك بمثل ^ سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك ^ إلا جئناك بالحق ^ الدامغ له في جوابه ^ وأحسن تفسيراً ^ وبما هو أحسن بيانا أو معنى من سؤالهم أو لا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو أحسن كاشفا لما بعثت له ^ الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم ^ أي مقلوبين أو مسحوبين عليها أو متعلقة قلوبهم بالسلفيات متوجهة وجوههم عليها وعنه عليه الصلاة والسلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على الأقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب أو مرفوع أو مبدأ خبره ^ أولئك شر مكانا وأضل سبيلا ^ والمفضل عليه هو الرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى ^ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ^ كأنه قيل إن حاملهم على هذه الأسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا أنهم شر مكانا وأضل سبيلا وقيل إنه متصل بقوله ^ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ^ ووصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي للمبالغة ^

ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً ^ يوازره في الدعوة وإعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لأن المتشاركين في الأمر متوازون عليه ^ فقلنا اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا ^ يعني فرعون وقومه ^ بآياتنا فدمرناهم تدميراً ^ أي فذهبنا إليهم فكذبوهم فدمرناهم فافتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرىء فدمرناهم فدمرناهم على التأكيد بالنون الثقيلة ^ وقوم نوح لما كذبوا الرسل ^ كذبوا نوحاً ومن قبله أو نوحاً وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل أو بعثة الرسل مطلقاً كالبراهمة أغرقناهم بالطوفان وجعلناهم وجعلناهم إغراقهم أو قصتهم ^ للناس آية ^ عبرة ^ واعتدنا للظالمين عذاباً أليماً ^ يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعاً للظاهر موضع المضر تظليماً لهم ^ وعادا وشمود ^ عطف على خم في جعلناهم أو على الظالمين لأن المعنى ووعدنا الظالمين وقرأ حمزة وحفص وشمود على تأويل القبيلة ^ وأصحاب الرس ^ قوم كان يعبدون الأصنام فبعث الله تعالى إليهم شعيباً فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت فحسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا شمود فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الأخدود وقيل بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاههم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح أو دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم إذا أعوزها الصيد ولذلك سميت مغرباً فدعا عليها حنظلة فأصبتها الصاعقة ثم أنهم قتلوه فأهلكوا وقيل هم قوم كذبوا نبيهم ورسوه أي دسه في بئر وقرونا وأهل أعصار قيل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون ^ بين ذلك ^ إشارة إلى ما ذكر كثيراً لا يعلمها إلا الله ^ وكلا ضربنا له الأمثال ^ بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين إنذاراً وإعذاراً فلما أصروا أهلكوا كما قال ^ وكلا تبرنا تتبيرا ^ ففتناه تفتينا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا كأنذرنا والثاني ب تبرنا لأنه فارغ ^ ولقد أتوا ^ يعني قريشاً مروا مرارا في متاجرهم إلى الشام ^ على القرية التي أمطرت مطر السوء ^ يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط أمطرت لعيها الحجارة ^ أفلم يكونوا يرونها ^ في مرار مرورهم فيتعظوا بما يرون فيها من آثار عذاب الله ^ بل كانوا لا يرجون نشورا ^ بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب أو لا يخافونه على اللغة التهامية ^ وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا ^ ما يتخذونك إلا موضع هزء أو مهزوء به ^ أهذا الذي بعث الله رسولا ^ محكي بعد قول مضمرة والإشارة للاستحراق وإخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم يجعله صلة وهم على غاية الإنكار واستهزاء ولولاه لقالوا أهذا الذي زعم أنه بعثه الله رسولا إن إنه ^ كاد ليضلنا عن الهتنا ^ ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء إلى التوحيد وكثرة ما يوردها مما يسبق إلى الذهن بأنها حجج ومعجزات لولا أن صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها و لولا في مثله تقييد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا كالجواب لقولهم وإن كان ليضلنا فإنه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على أنه لا يمهلهم وإن أمهلهم رأيت من أتخذ إلهة هواه بأن أطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلاً وإنما قدم المفعول الثاني للعناية

به أفأنت تكون عليه وكيفا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الأول للتقرير والتعجب والثاني للإنكار

^ ^ أم تحسب بل أتحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون فتجدي لهم الآيات أو الحجج فتتهم بشأنهم وتطمع في إيمانهم وهو أشد مذمة مما قبله حتى حق بالإضراب منه إليه وتخصيص الأكثر لأنه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرئاسة إن هم إلا كالأنعام في عدم انتفاعهم بقرع الآيات أذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بل هم أضل سبيلا من الأنعام لأنها تنقاد لمن يتعهدا وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار ولأنها إن لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولأن جهالتها لا تضر بأحد وجهالة هؤلاء تؤدي إلى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولأنها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون ومستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم ألم تر إلى ربك ألم تنظر إلى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه أو ألم تنظر إلى الظل كيف مده ربك فغير النظم إشعارا بأنه المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع بأسباب ممكنة على أن ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه أو ألم ينته علمك إلى أن ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الأحوال فإن الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهز البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود و ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فإنه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الأجرام أو لا يوجد ولا يتفاوت إلا بسبب حركتها ثم قبضناه إلينا أي أزلناه بإيقاع الشمس موقعه لما عبر عن أحداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن إزالته بالقبض إلى نفسه الذي هو في معنى الكف قبضنا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق و ثم في الموضوعين لتفاضل الأمور أو لتفاضل مبادئ أوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الأرض تحتها فألقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ثم خلق الشمس عليها دليلا أي مسلطا عليه مستتبعا إياه كما يستتبع إياه كما يستتبع الدليل المدلول أو دليل الطريق من يهديه فإنه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا إلى أن تنتهي غاية نقصانه أو قبضا سهلا عند قيام الساعة يقبض أسبابه من الأجرام المظلمة والمظل عليها ^ وهو الذي جعل لكم الليل لباسا ^ شبه ظلامه باللباس في ستره ^ والنوم سباتا ^ راحة للأبدان بقطع المشاغل وأصل السبت القطع أو موتا كقوله ^ وهو الذي يتوفاكم بالليل ^ لأنه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت ^ وجعل النهار نشورا ^ ذا نشور أي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش أو بعث من النوم بعث الأموات فيكون إشارة إلى أن النوم

واليقظة نموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنتشر ^ وهو الذي أرسل الرياح ^ وقرأ ابن كثير على التوحيد إرادة للجنس نشرا ناشرات للحساب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على أنه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر

جمع بشور بمعنى مبشر ^ بين يدي رحمته ^ يعني قدام المطر ^ وأنزلنا من السماء ماء طهورا ^ مطهرا لقوله ^ ليطهركم به ^ وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به قال عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن طهور إناء أحدكم إذا ولغ الكلب فيه أن يغسل سبعا إحداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعول وإن غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوث وللمصدر كالقبول وللإسم كالذنوب وتوصيف الماء به إشعارا بالنعمة فيه وتميم للمنة فيما بعده فإن الماء الطهور أهنا وأنفع مما خالطه ما يزيل طهورته وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها فبواطنهم بذلك أولى لنحيي به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لأن البلدة في معنى البلد ولأنه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة فأجرى مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا يعني أهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الأنعام والأناسي وتخصيصهم لأن أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الأنهار والمنافع فيهم وبما حولهم من الأنعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع أن مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد أنواع النعمة والأنعام قنية الإنسان وعامة منافعهم وعلية معایشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيا على سقيهم كما

قدم عليها إحياء الأرض فإنه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه بالفتح وسقى وأسقى لغتان وقيل أسقاه جعل الله له سقيا وأناسي بحذف ياء وهو جمع إنسي أو إنسان كظرابي فظريان على أن أصله أناسين فقلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن الكريم وسائر الكتب أو لامطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغيرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضي الله عنه ما عام أمطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية أو في الأنهار والمنافع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره أو ليعتبروا بالصراف عنهم وإليهم فأبى أكثر الناس إلا كفورا إلا كفران النعمة وقلة الاكتران لها أو جحودها بأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الأمطار إلا من الأنواء كان كافرا بخلاف من يرى أنها من خلق الله والأنواء وسائط وأمارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوة لكن قصرنا الأمر عليك إجلالاً لك وتعظيماً لشأنك وتفضيلاً لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحق

^ ^ فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهيج له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين وجاهدكم به بالقرآن أو بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى إنهم يجتهدون في إبطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وإزاحة باطلهم جهادا كبيرا لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف أو لأن مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين أظهرهم مع عتوهم وظهورهم أو لأنه جهاد مع كل الكفرة لأنه مبعوث إلى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج ذاته إذا خلاها هذا عذب فرات قانع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح أجاج بليغ الملوحة وقرىء ملح على فعل ولعل أصله مالح فخفف كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المعتوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم

مصل النيل وبالبحر الملح البرح الكبير وبالبرخ ما يحول بينهما من الأرض فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة أجزاء كل عنصر أن تضامنت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة آدم أو جعله جزءا من مادة البشر لتجتمع لتبشر وتسلس وتقبل الأشكال والهيئات بسهولة أو النطفة فجعله نسبا وصهرا أ [قسمه قسمين ذوي نسب أي ذكورا ينسب إليهم وذوات صهر أي إناثا يصابهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين للذكر والأنثى ^ ^ وكان ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وأنثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الأصنام أو كل ما عبد من دون الله إذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضرر وكان الكافر على ربه ظهيرا يظهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد ب الكافر الجنس أو أبو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده

من قولهم ظهرت به إذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ^ ^ وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما أسئلكم عليه على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه إلا مبشرا ونذيرا ^ من أجر إلا من شاء ^ إلا فعل من شاء ^ إن يتخذ إلى ربه سبيلا ^ أن يتقرب إليه ويطلب الزلفى عنده بالإيمان والطاعة فصور ذلك بصورة الأجر من حيث إنه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع وإظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بإنفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه وإشعارا بأن طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث إنها وافيا بدلالته وقيل الإستثناء منقطع معناه لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا فليفعل ^ وتوكل على الحي الذي لا يموت ^ في استكفاء شرورهم والإغناء عن أجورهم فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم ^ وسبح بحمده ^ ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بأوصاف الكمال طالبا لمزيد الأنعام بالشكر على سوابغه ^ وكفى به بذنوب عباده ^ ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلقا فلا عليك أن آمنوا وكفروا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بأن يتوكل عليه من حيث إنه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والثبات في الأمر فإنه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ أمره في كل مراد خلق الأشياء على تئدة وتدرج و الرحمن خير للذي إن جعلته مبتدأ ولمحذوف إن جعلته صفة للحي أو بدل من المستكن في استوى وقرىء بالجر صفة للحي ^ فسئل به خبيرا ^ فاسأل عما ذكر من الخلق والإستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى أو جبريل أو من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى إن أنكروا إطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه فيكتبهم وعلى هذا يجوز أن

يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالياء لتضمنه معنى الأعتناء وقيل إنه صلة خبيرا ^ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ^ لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله أو لأنهم ظنوا أنه أراد به غيره ولذلك قالوا أن سجد لما تأمرنا أي للذي تأمرنا يعني تأمرنا بسجوده أو لأمرك لنا من غير عرفان وقيل ه كان معربا لم يسمعه وقرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء على أنه قول بعضهم لبعض وزادهم أي المر بالسجود للرحمن نفورا عن

الإيمان ^ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ^ يعني البروج الإثني عشر سميت به وهي القصور العالية لأنها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه منا لتبرج لظهوره ^ وجعل فيها سراجاً ^ يعني الشمس لقوله ^ وجعل الشمس سراجاً ^ وقرأ حمزة والكسائي سرجاً وهي الشمس والكواكب الكبار ^ وقرأ ميرا ^ مضيئاً بالليل وقرىء وقمرأ أي ذا قمر وهو جمع قمرأ ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب و العرب ^ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه ^ أي ذوي خلفه كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه أو بأن يعتقبا لقوله تعالى ^ واختلاف الليل والنهار ^ وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة ^ لمن أراد أن يذكر ^ بأن يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم أن لا بد له من صانع حكيم واجب اللذات رحيم على العباد ^ أراد شكورا ^ أن يشكر الله تعالى على ما فيه من النعم أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من وفاته ورده في أحدهما تداركه في الآخرة وقرأ حمزة ^ أن يذكر ^ من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا وافقه الكسائي فيه

^ وعباد الرحمن ^ مبتدأ خبره ^ أولئك يجزون الغرفة ^ أو ^ الذين يمشون على الأرض ^ وإضافتهم إلى الرحمن للتخصيص والتفضيل أو لأنهم الراسخون في عبادته على أن عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين أو مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى أنهم يمشون بسكينة وتواضع ^ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ^ تسلما منكم ومشاركة لكم لا خير بيننا ولا شر أو سداد من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه فإن المراد به الإغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام ^ والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ^ في الصلاة في الصلاة وتخصيص البيوتة لأن العبادة بالليل أحمر وأبعد عن الرباء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم أو مصدر أجري مجراه ^ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ^ لازماً ومنه الغريم لملازمته وهو إيذان بأنهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون إلى الله تعالى في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم بأعمالهم ووثوقهم على استمرار أحوالهم ^ إنها ساءت مستقراً ومقاماً ^ أي بئست مستقراً وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم إن أو أحزنت وفيها ضمير أسم أن ومستقراً حال أو تمييز والجملة تعليل للعلة الأولى أو تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله والذين إذا اتفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ^ ولم يقتروا ^ ولم يضيقوا تضيق الشحيق وقيل الإسراف هو الإنفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر والكوفيون بضم الياء وكسر التاء من

أقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد ^ وكان بين ذلك قواماً ^ وسطاً عدلاً سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خير ثان أو حال مؤكدة ويجوز أن يكون الخير بين ذلك لغوا وقيل إنه اسم كان لكنه مبني لإضافته إلى غير متمكن وهو ضعيف لأنه بمعنى القوام فيكون كالإخبار بالشيء عن نفسه ^ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله ^ أي حرمها بمعنى حرم قتلها ^ إلا بالحق ^ متعلق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون ^ ولا يزنون ^ وإشعاراً بأن الأجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضاً للكفرة بأضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديداً لهم فقال ^ ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ^ جزاء إثم أو إثمًا بإضمار الجزاء وقرئ أي شذائد

يقال يوم ذو أيام أي صعب ^ يضاعف له العذاب يوم القيامة ^ بدل من يلق لأنه في معناه كقوله متى تأتينا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرأ أبو بكر بالرفع على الاستئناف أو الحال وكذلك ^ ويخلد فيه مهانا ^ وأين كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الألف في يضعف وقرئ ويخلد على بناء المفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف العذاب مضاعفته لانضمام المعصية إلى الكفر ويدل عليه قوله ^ إلا من تاب وأمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ^ بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعتهم أو يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بأن يوفقه لأضداد ما سلف منه أو بأن يثبت له بدل كل عقاب ثوابا ^ وكان الله غفورا رحيمًا ^ فلذلك يعفو عن السيئات ويثبت على الحسنات ^ ومن تاب ^ عن المعاصي بتركها والندم عليها ^ وعمل صالحا ^ يتلافى به ما فرط أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة ^ فإنه يتوب إلى الله ^ يرجع إلى الله بذلك

متابا مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب أو يتوب متابا إلى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم أو فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعا حسنا وهو تعميم بعد تخصيص ^ والذين لا يشهدون الزور ^ لا يقيمون الشهادة الباطلة أو لا يحضرون محاضر الكذب فإن مشاهدة الباطل شركة فيه ^ وإذا مروا باللغو ^ ما يجب أن يلقى ويطرح ^ مروا كراما ^ معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية فيما يستهجن التصريح به ^ والذين إذا ذكروا بآيات ربهم ^ بالوعظ أو القراءة ^ لم يخروا عليها صما وعميانا ^ لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل أكبوا عليها سامعين بأذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو ^ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ^ بتوفيقهم للطاعة وحيارة الفضائل فإن المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة و من ابتدائية أو بيانية كقولك رأيت منك أسدا وقرأ حمزة وأبو عمرو والكسائي وأبو بكر وذريتنا وقرأ ابن عامر والحرميان وحفص ويعقوب وذرياتنا بالألف وتنكير ال أعين لإرادة تنكير ال قرة تعظيما وتقليلها لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم ^ واجعلنا للمتقين إماما ^ يقتدون بنا في أمر الدين بإضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده إما للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله ^ ثم يخرجكم طفلا ^ أو لأنه مصدر في أصله أو لأن المراد واجعل كل واحد منا أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم

واتفاق كلمتهم وقيل جمع أم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدن بهم ^ أولئك يجزون الغرفة ^ أعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى ^ وهم في الغرفات آمنون ^ وللقراءة بها وقيل هي من أسماء الجنة ^ بما صبروا ^ وبصبرهم على المشاق من مفض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ^ ويلقون فيها تحية وسلاما ^ دعاء بالتعمير والسلامة أي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه أو تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر يلقون من لقي ^ خالد بن زيد فيها ^ لا يموتون فيها ولا يخرجون ^ حسنت مستقرا ومقاما ^ مقابل ^ ساءت مستقرا ^ معني ومثله إعرابا ^ قل ما يعبا بكم ربي ^ ما يصنع بكم من عبأت الجيش إذا هبته أو لا يعتد بكم

لولا دعاؤكم ^ لولا عبادتكم فإن شرف الإنسان وكرامته بالمعرفة والطاعة وإلا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة إن جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كأنه قيل أي عبء يعبا بكم ^ فقد كذبتكم ^ بما أخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال إذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون أي الكافرون منكم لأن توجه الخطاب إلى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب ^ فسوف يكون لازما ^ يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة أو أثره لازما بكم حتى يكبكم في النار و وإنما أضر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على أنه لا يكتفه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى لازما وقرئ لازما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب سورة الشعراء مكية إلا قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون إلى آخرها وهي مائتان وست أو سبع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم طسم قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالإمالة ونافع بين بين كراهة للعود إلى الياء المهروب منها وأظهر نونه حمزة لأنه في الأصل منفصل عما بعده ^ تلك آيات الكتاب المبين ^ الظاهر إعجازه وصحته والإشارة إلى السورة أو القرآن على ما قرر في أول البقرة ^ لعلك باخع نفسك ^ قاتل نفسك وأصل البخع أن يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذبح وقرئ ^ باخع نفسك ^ بالإضافة ولعل للإشفاق أي أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة ^ ألا يكونوا مؤمنين ^ لئلا يؤمنوا أو خيفة أن لا يؤمنوا ^ إن نشأ نزل عليهم من السماء آية ^ دلالة ملجئة إلى الإيمان أولية قاسرة عليه ^ فظلت أعناقهم لها خاضعين ^ منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت العناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على أصله وقيل لما وصفت الأعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء أو الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج

منهم وقرئ خاضعة و ظلت عطف على نزل عطف وأكن على فأصدق لأنه لو قيل أنزلنا بدله لصح ^ وما ياتيهم من ذكر ^ موعظة أو طائفة من القرآن ^ من الرحمن ^ يوحيه إلى نبيه محدث مجدد إنزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير ^ إلا كانوا عنه معرضين ^ إلا جددوا إرضا عنه وإصرارا على ما كانوا عليه ^ فقد كذبوا ^ أي بالذكر بعد إرابطهم وأمعنوا في تكذيبه بحيث أدى بهم إلى الإستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا في قوله فسيأتيهم أي إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة أبناء ما كانوا به يستهزئون من أنه كان حقا أم باطلا وكان حقيقا بأن يصدق ويعظم قدره أو يكذب فيستخف أمره أولم يروا إلى الأرض أو لم ينظروا إلى عجائبها كم أنبتنا فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتلم أن تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وأن تكون مبنية منبهة على أنه ما من نبت إلا وله فائدة إما وحده أو مع غيره و كل لإحاطة الزواج وكم لكثرتها ^ إن في ذلك ^ إن في إنبات تلك الأصناف أو فيكل واحد لآية على أن منبتها تام القدرة والحكمة سايب النعمة والرحمة ^ وما كان أكثرهم مؤمنين ^ في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم أمثال هذه الآيات العظام ^ وإن ربك لهو العزيز ^ الغالب القادر على الإنتقام من الكفرة الرحيم حيث أمهلهم أو العزيز في إنتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وأمن ^ وإذ نادى ربك موسى ^ مقدر باذكر أو ظرف لما بعده ^ أن أتت ^ أي أتت أو بأن أتت ^ القوم الظالمين ^ بالكفر

واستعباد بني إسرائيل وذبح أولادهم ^ قوم فرعون ^ بدل من الأول أو عطف بيان له ولعل الإقتصار على القوم للعلم بأن فرعون كان أولى بذلك ^ ألا يتقون ^ استئناف أتبعه إرساله إليهم للإنذار تعجيبا له من إفراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات إليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وإن كان غيبا حينئذ أجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل إليهم من حيث أنه مبلغه إليهم وإسماعه مبدأ إسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الإضافة ويحتمل أن يكون بمعنى ألا يا ناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا ^ قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون ^ رتب استدعاء ضم أخيه إليه وإشراكه له في الأمر على الأمور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لأنها إذا اجتمعت مست الحاجة إلى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى تعثره حبسه حتى لا تختل دعوته ولا تنبثر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الأمر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرأ يعقوب ويضيق ^ ولا ينطلق ^ بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة من خاف منه ^ ولهم علي ذنب ^ أي تبعه ذنب فحذف المضاف أو سمي باسمه والمراد قتل القبطي وإنما سماه ذنبا سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع ^ فأخاف أن يقتلون ^ به قبل أداء الرسالة وهو أيضا ليس تعللا وإنما هو استدفاع للبية المتوقعة كما أن ذاك استمداد واستظهار في أمر الدعوة وقوله ^ قال كلا فاذها بآياتنا ^ إجابة له إلى الطلبتين بوعدده بدفع بلائهم اللازم ردعه عن الخوف وضم أخيه إليه في الإرسال والخطاب في فاذها على تغليب الحاضر لأنه معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت والذي طلبته إنما معكم يعني موسى وهارون وفرعون مستمعون سامعون لما يجري بينكما وبينه فأظهر كما عليه مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لإمداد أوليائه منهم مبالغة في الوعد بالإعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات وهو خبر ثان أو الخبر وحده ومعكم لغو فأتينا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أفرد الرسول لأنه مصدر وصف به فإنه مشترك بين المرسل والرسالة قال الشاعر

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول ولذلك ثنى تارة وأفراد أخرى أو لاتحادهما للأخوة أو لوحد المرسل والمرسل به أو لأنه أراد أن كل واحد منا ^ أن أرسل معنا بني إسرائيل ^ أي أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم ليذهبوا معنا الشام قال أي فرعون لموسى بعد ما أتياه فقالا له ذلك ^ ألم نربك فينا ^ في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة ^ ولبثت فينا من عمرك سنين ^ قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين عشر سنين ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله ثلاثين ثم بقي بعد الغرق خمسين ^ وفعلت فعلتك التي فعلت ^ يعني قتل القبطي وبخه به معظما إياه بعدما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لأنها كانت قتلة بالوكز ^ وأنت من الكافرين ^ بنعمتي حتى عمدت إلى قتل خواصي أو ممن تكفرهم الآن فإنه عليه الصلاة والسلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من إحدى التاءين ويجوز أن يكون حكما مبتدأ عليه بأنه من الكافرين بالهيتة أو بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة أو من الذين كانوا

يكفرون في دينهم قالفعلتها إذا وأنا من الضالين من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه أو من الخاطئين لأنه لم يتعمد قتله أو من الذاهلين عما يؤول إليه الوكز لأنه أراد به التأديب أو الناسين من قوله تعالى ^ أن تضل إحداهما ^ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما ^ حكمة ^ وجعلني من المرسلين ^ رد أولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عد عليه من النعمة ولم يصرح برده لأنه كان صدقا غير قارح في دعواه بل نبه على أنه كان في الحقيقة نقمة لمونه مسببا عنها فقال

وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل ^ أي وتلك التربية نعمة تمنها علي ظاهرا وهي ^ في الحقيقة تعبيدك بني إسرائيل وقصدهم بذبح آبائهم فإنه السبب في وقوعي إليك وحصولي في تربيتك وقيل إنه مقدر بهمزة الإنكار أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي ^ أن عبدت ^ ومحل ^ أن عبدت ^ الرفع على أنه خبر محذوف أو بدل نعمة أو الجر بإضمار الباء أو النصب بحذفها وقيل تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة و ^ أن عبدت ^ عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي وإنما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لأن المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملئه ^ قال فرعون وما رب العالمين ^ لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى أنه لم يرعو بذلك شرع في الإعتراض على دعواه فبدأ بالإستفسار عن حقيقة المرسل قال رب السموات والأرض وما بينهما